مير بصري

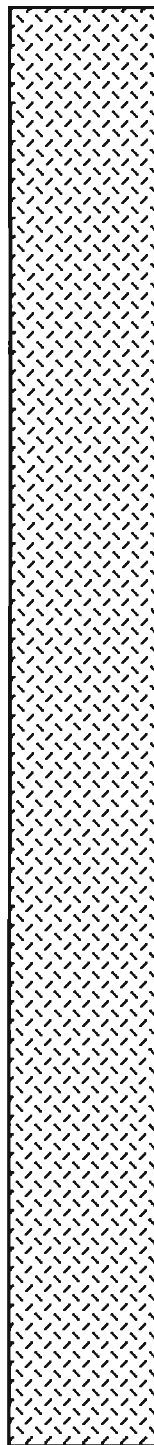
أعلام الأدب في العراق الحديث

الجُزءُ الثّاني

تقديم

د. جليل العطيّة

دار الحكمة



رجال الفقه والدين

حسين الخليلي

من كبار مجتهدي الشيعة الإمامية، كان أبوه خليل بن علي بن إبراهيم بن محمد علي الطهراني يمارس الطب القديم، هاجر الى النجف في نحو سنة ١٨٠٠ وأسّس أسرة اشتهر أكثر أبنائها بالتطبيب، كما نبغ منها علماء دين منهم المولى علي بن خليل المومأ اليه (١٨١١ ـ ١٨٨٠) وأخوه المترجم.

ولد المرزا حسين الخليلي في النجف في نحو سنة ١٨٢١، ودرس على الشيخ محمد حسن صاحب الجواهر والشيخ مرتضى الأنصاري المتوفى سنة ١٨٦٤ وغيرهما. وبرّز في الفقه، وتصدّى للتدريس فاشتغل فيه عهداً طويلاً، وكان من تلامذته السيد حسن الصدر ومحمد تقي الحائري الشيرازي وأحمد ومحمد حسين آل كاشف الغطاء الخ. ووضع كتباً في الغصب والإجارة وبعض الشروح والتقريرات.

انتهت إليه زعامة الإمامية بعد وفاة المرزا محمد حسن الشيرازي سنة ١٨٩٥ وقد سعى في تشييد قناة تجلب الماء الى النجف ظلت تسقي البلد حتى طمست بعد عدة سنين. ومن آثاره أيضاً مدرستان دينيّتان في النجف وخان للمسافرين في الهندية. وقد توفي في الكوفة في ٥ تشرين الثاني ١٩٠٨

كان حسين الخليلي من أركان النهضة الإيرانية مع المرزا الشيرازي وغيره من العلماء. وكان، كما وصفه بعض عارفيه، حلو الشمائل، عذب الكلام، أريحيّ الطبع، شديد الورع، معظماً للعلماء وأهل الدين. رثاه الشعراء فقال محمد حسن سميسم:

حديث الدهر أصدقه الفناء ... وأكذب ما ينمّقه البقاء

وقال عبد الحسين الحويزي:

عليك بناء الدين مارت جوانبه ... وبحر الندى والعلم غارت غواربه

وقال رضا الهندي:

حاولت نظم الرثا فاستعصت الكلمُ، ... وهل لأهل النّهى بعد الحسين فم؟

محمّد حسن المامقاني

الفقيه الإمامي محمد حسن بن عبد الله المامَقَاني، ولد في مامقان المجاورة لمدينة تبريز الإيرانية سنة ١٨٢٢ وشدّ الرحال الى كربلاء والنجف فدرس فيهما. وتنقل في أقطار كثيرة، ثم قضى نحبه في النجف في آذار ١٩٠٥ وقد ألف كتباً، منها: ذرائع الأحلام في شرح شرائع الإسلام (في مجلدين)، غاية الآمال (في الفقه)، بشرى الوصول الى أسرار علم الأصول (في ثمانية أجزاء)، الخ.

عرف أيضاً باسم المغمغاني وكان معاصراً وصديقاً للشيخ محمد الشربياني، وكانت تصلهما الأموال الضخمة من أنحاء إيران والقفقاس فيوزعانها على طلبة العلم وذوي الحاجة ولا يستأثران بشيء منها سوى النزر اليسير.

محمّد طٰه نجف

الفقيه الإمامي محمّد طٰه بن مهدي بن محمد رضا التبريزي المعروف بمحمد طٰه نجف، من شيوخ المدرّسين، ولد ببلدة النجف سنة ١٨٢٥، ودرس على أئمة رجال عصره كعلي الخليلي ومحسن خنفر وغيرهما. كان طويل الباع في الفقه والأصول والحديث، تتلمذ عليه وأفاد منه الكثيرون.

وقد ألف كتباً في الفقه والتراجم، منها: حاشية على المعالم، الدعائم في الأصول، غناء المحصّلين، إحياء الموات في أحوال الرواة، الفوائد السنيّة والدرر النجفية (١٨٩٦) الإنصاف في مسائل الخلاف (١٨٩٧) نعم الزاد (١٨٩٧) كشف الحجاب (١٩٠٢) كشف الأستار (١٩٠٦) إتقان المقال في أحوال الرجال (١٩٢٢)، الخ.

كفّ بصره في أواخر عمره، وأدركه الحمام في ١٠ كانون الأول ١٩٠٥

توثّقت صلته بأدباء زمانه، فعزّاه الشاعر جعفر الحلّي بولد له احتسب به، وقال:

أرائد قومه اغتنم الرجوعا، فريح الموت صوّحت الرّبيعا؟

وهي قصيدة طويلة تعدّ ٦٨ بيتاً يقول منها:

أبا المهديّ، كيف أقول صبراً ولست أراك من قَدَرٍ جزوعا؟
لسان هُداك قد عزّاك عنّا وكفّ تقاك كفكفت الدموعا
أصول الدَّوْح حالاها سواء وإن جذّ الردى منها الفروعا
وليس يضير نور الشمس نجم هوى من برج مطلعه وقوعا.

وتوفّي الشيخ محمد طه نجف فرثاه عبد المطّلب الحلّي ومحمد حسن أبو المحاسن

ومحمد رضا الشبيبي وسائر الشعراء. وقال الشيخ جواد الشبيبي:

محجّة الملّة البَيْضَا مطالعها لفقد شارعها سُدَّت شوارعها
هدّت مصانعها من بعد رافعها بهمّة تملأ الدّنيا صنائعها
وحوزة الدين لم تمنع جوانبها وقد أبيح لخطب الدهر مانعها

وقال الشيخ إبراهيم بن مهدي آل أطيمش (١٨٧٣ ـ ١٩٤١):

فهو الذي كانت مواهب فضله للناس كالأطواق في الأجياد
لمعت بأفق الفضل غرّ صفاته شهباً له الجَوْزَا من الحسّاد
فيه تزيّنت المنابر واغتدت من قبله مخضرّة الأعواد
وتدفقا، من علمه ونواله، بحران للطلاّب والوفّاد.

رضا الهمذاني

من فقهاء الإمامية الشيخ رضا بن محمد هادي الهمذاني، ولد في همذان سنة ١٨٢٥ وهاجر الى النجف فدرس على مشايخها كمرتضى الأنصاري ومحمد حسن الشيرازي.

أدركته الوفاة في سامّراء سنة ١٩٠٤

وقد وضع مؤلفات، منها: مصباح الفقيه، حاشية على رسائل أستاذه الأنصاري (١٩٠٠)، كتاب الصلاة (١٩٢٩) العوائد الرضوية، الخ.

محمّد الشربياني

الشيخ محمد بن فضل بن عبد الرحمٰن الشربياني الفقيه الإمامي ولد سنة ١٨٣٢، وأقام في تبريز ثم انتقل الى النجف (١٨٥٧)، واتخذها له سكناً.

درس على السيد حسين الترك وأصبح من أئمّة المدّرسين والمجتهدين. وقد ألف كتاباً في «أصول الفقه» وكتاب «المتاجر» في الفقه أيضاً الخ. وتوفي سنة ١٩٠٤

وكان الشربياني الذي ينتسب الى قرية من نواحي تبريز يعرف بالفاضل. جرت له مطارحات أدبية مع الشاعر جعفر الحلّي الذي مدحه قائلاً:

محمّد الفاضل الميمون طالعه قد خصّص الله فيه العلم والعملا
الله قيّضه للناس يرشدهم حاشا الإله بأن يبقى الورى هملا

وداعبه بقوله:

للشربيـــاني أصحـــاب وتلمـــذة تجمّعــوا فــرقــاً مـن هــاهنـــا وهنـــا
مـــا فيهمُ من لـــه بـــالعلم معـــرفـــة يكفيـك أفضل كـلّ الحاضريـن أنـــا!

وقد شـاد الشربياني مـدرسة في النجف عـرفت بـاسمه. وكان مـن أشهر تـلاميذه الشاعر جعفر الحلي الحسيني من آل كمال الدين (١٨٦١ ـ ١٨٩٧).

حرم الشيخ محمد الشربياني على الحجاج سلوك الطريق البري النجف ـ حائل لتكرر اعتـداء البدو على الحجيج، فـانقطع سلوك الطـريق ثـلاث سنوات، حتى تعهـد ابن الرشيد أمير حـائل بالمحافظة على أرواح الحجاج وأموالهم، فأفتى الشربيـاني باستئناف سلوك الطريق البري.

حسين النوري

الفقيه الإمامي الجعفري حسين بن محمّد تقي النوري ولد في قرية «يالو» من قرى نور في طبرستان سنـة ١٨٣٨ وقدم النجف فتصـدّى فيها للتأليف والتـدريس، وتوفيّ بها سنة ١٩٠٢

من مصنفـاتـه: دار السلام فيما يتعلق بـالـرؤيـا والمنام (في جـزءين ١٨٨٨)، جنـة المأوى، كشف الأستـار، فصل الخطــاب في تحريف كتـاب ربّ الأربـاب (١٨٨١)، اللؤلؤ والمرجان في نقـد قراءة التعازي، مستدرك الوسائل في الفقـه (في ٣ أجزاء)، معالم العِبَر، النجم الثاقب، المولودية (شعر فارسي) الخ.

كان النوري مشغـوفاً بجمع الكتب واستنساخها، ذكـر علي الشرقي أنه أعياه طلب بعض الكتب، فعثر عليه اتفـاقاً في السوق وقد عرضته امـرأة للبيع. ولم يكن لديه المال لدفع الثمن، فخلع عبـاءته وسلّمها للمنـادي لبيعها في المزاد حتى تمكن من أداء ثمن الكتاب. وعاد به مسروراً الى داره وهو بدون عباءة!

وقـد روي عن جيمس لاكنجتن James Lackington (١٧٤٦ ــ ١٨١٥) الكتبي الانكليزي أنه ذهب الى السوق عشيّة عيد الميلاد، وفي جيبه بضعة دراهم، لشراء طعام العيد. لكنه وجـد كتاباً كان يريـد الحصول عليه معروضـاً للبيع، فنسي الطعام والعيد واشترى الكتاب بالمبلغ الزهيد الذي في يده وعاد به الى منزله فرحاً. وسألته زوجته: أين الطعام؟ فقـال: إن الطعام نأكله الليلة فيـذهب. وأنا اشتريت كتاباً نتمتع بلـذّته على مدى السنين.

وقال الامبراطور الروماني الفيلسوف مرقس اوريليوس (١٢١ ـ ١٨٠م) في خواطره: إنّ الرجل قـد لا يملك عباءة، والآخر قـد لا يملك كتابـاً في العالم، ولا يمنع ذلك أن يكون كلاهما فيلسوفاً.

وقد قال الشاعـر جابر الكاظمي، وهو الشيخ جابـر بن عبد الحسين من ربيعة نزار

(١٨٠٧ ـ ١٨٩٥) في الشيخ النوري :

ندب لديه الفضل ألقى رحله ... وعنه طول الدهر لم يرتحلِ
آراؤه في العلم أنجم بها ... للعلم يجلي كل ليل أليل

غلام رسول

العالم الشهير غلام رسول المولوي الهندي الأنصاري نزح الى بغداد وتولّى التدريس في جوامعها فطار صيته وتقاطر عليه طلاب العلم. تخرّج عليه عدد عديد من العلماء ورجال الدين، وفي مقدمتهم عبد الوهاب النائب وعباس حلمي القصاب ومحمد سعيد النقشبندي ويوسف العطاء وعبد الملك الشواف ونجم الدين الواعظ وقاسم القيسي.

ولمّا اختارت الحكومة العثمانية مدّرسين للألوية والأقضية سنة ١٨٩٢ لنشر لواءالدين وتثقيف الأهلين، اختير الشيخ غلام رسول مدرساً لقضاء مندلي لكنه استقال بعد أشهر قليلة، قائلاً: القرى تضيع العلم.

وعاد الى بغداد يواصل رسالته العلمية حتى قضى نحبه فيها في أول تموز ١٩١٢ وقد درّس ردحاً من الزمن في مسجد نعمان الباجه جي بجانب الرصافة.

ذكره ابراهيم الدروبي في كتابه «البغداديون: أخبارهم ومجالسهم» فأثنى عليه وقال إنه كان بارعاً في العلوم العقليّة على وجه التخصيص. وكانت حلقات دروسه في جانبي الرصافة والكرخ عامرة تقصدها نخبة ممتازة من طلبة العلم ولا سيّما مجلسه في جامع حبيب العجمي. وكان تلاميذه يتناوبون في خدمته لأنه كان غريباً لا أهل له.

وروى الدروبي أن الشيخ غلام رسول كان شديداً في محاربة البدع والخرافات: فقد علم أن بعض تلامذته يكتب الأدعية والرقى ويتعاطى الرمل والجفر وتفسير الرؤى والأحلام والكشف عن الغيب، فلم يكن منه إلاّ أن ثارت ثائرته فعنّف التلميذ المشعوذ وزجره وطرده من درسه.

وقد اشتهر الشيخ غلام رسول بتدريس الفلسفة الإسلامية. ذكر عبد الله عبد السلام، عضو محكمة التميز العراقية الذي تتلمذ عليه في شبابه، أن شهرته قد طارت حتى بلغت مسامع الإمام محمد عبده مفتي الديار المصرية، فكلفه عن طريق أحد المصريين الذي اجتمع به في الاستانة، أن يشخص الى مصر لتدريس الفلسفة. لكن غلام رسول رفض الطلب لأسباب عائلية.

***

بهاء الحق

ومن علماء الهند الذين هاجروا الى بغداد وكان لهم شأن فيها الشيخ بهاء الحقّ ابن

الشيخ قادر بخش بن غلام محمد الأسدي نسباً. ولد سنة ١٨٤٠، و كان والده وجدّه من علماء الدين في الهند وسالكي الطريقة النقشبندية. وقد اتخذ بهاء الحق مقامه في بغداد وتولّى التدريس في المدرسة القادرية والمدرسة الأعظمية. وكان أستاذاً في علم الأصول والحديث والتفسير والكلام، على ما ذكره محمود شكري الألوسي في «المسك الأذفر».

وقد تخرّج عليه علماء كثيرون، وتوفي ببغداد في نحو سنة ١٨٨٣

قال عبد الرحمن البناء يرثي الشيخ غلام رسول الهندي:

علم الكلام تنحى بعد مولاه	وظل يلطم بالأيدي محياه
وهيئة الدين أضحت وهي باكية	لما غدت لغة القرآن تنعاه
وأصبحت أربع التدريس مقفرة	لما تلامذة الهندي قد تاهوا
العالم العامل الحبر التقي ومن	بزهده شهد الاملاك والله

ورثاه إبراهيم منيب الباجه جي فقال:

أيها الموت، قد فجعت البرايا	بهمام علومه لا تجارى
أيها الموت، قد فجعت البرايا	بالتقيّ البرّ العفيف ازارا
كان بحراً من العلوم خضمّاً	لا يرى العائمون فيه قرارا
يا غلام الرسول، ما أنت ميت،	ليس ميتاً من خلّد الآثارا

أسعد الدوري

من علماء بغداد المشهورين في عصرهم أسعد الدوري، وهو السيد محمد أسعد بن جواد بن عبد الرحمن. أصل أسرته من الحجاز، وكانت تعرف بآل البعّاج، انتقلت إلى دير الزور، ثم نزح جدّه إلى بلدة الدور القريبة من سامراء.

ولد في الدور سنة ١٨٢٦ وتلقى فيها مبادىء دروسه. ثم جاء إلى بغداد ولازم الشيخ داود النقشبندي والمفتي محمد فيضي الزهاوي فأخذ عنهما.

وقد عيّن أميناً للفتوى وخطيباً في الحضرة الكيلانية سنة ١٨٧٠، وكان بعد ذلك مدرساً لمدينة تكريت. ونقل مدرساً لمدرسة نائلة خاتون في بغداد سنة ١٨٧٤

وحج سنة ١٨٩٣ واجتمع بعلماء الحجاز، ومرّ بالشام، ثم قصد الحج مرة ثانية بعد سنتين. وواظب على التدريس، فتخرّج عليه كثير من أرباب العلم. وعمّر طويلاً حتى أدركه الحمام ببغداد في ٨ شباط ١٩٢٣

ذكره محمد صالح السهروردي في «لبّ الألباب» فنعته بالورع والزهد، وقال إنه كان متضلّعاً من الفقه والأصول والحديث حتى لقّب بفقيه العراق، وله شعر رائق ومؤلفاته ذهبت بذهابه.

قاسم البياتي

الشيخ قاسم خير الدين ابن الشيخ محمد الحنفي البغدادي البياتي، من علماء بغداد ومتصوّفتها. درس على الشيخ عبد المحسن السهروردي الذي أجازه إجازة عامة في نحو سنة ١٨٦٤، وعلى الشيخ عيسى البندنيجي الذي أجازه سنة ١٨٥٩ ومن أساتذته الآخرين السيد شهاب الدين محمود الألوسي (أجازه بقراءة دلائل الخيرات سنة ١٨٤٨).

تولّى التدريس في جامع النعمانية وإقامة حلقات الذكر الصوفية في داره. ووضع مؤلفات في التصوف والوعظ وعلم الكلام. وأدركته الوفاة في بغداد سنة ١٩٠٧، فرثاه معروف الرصافي بقصيدة مطلعها:

على قاسمٍ شيخ الطريقة قد بكت جواهر فضل ما لها الدَّهْرَ قاسمُ
بكاه التقى والعلم والحلم والنّهى وحسن السجايا والعلى والمكارم.

وقال جميل صدقي الزهاوي:

كبير موت كبّار الأعاظِمْ فإنّ بهم عماد الدين قائم
قضى، والهفتا، من كان يحيا لتزكية النفوس من المآثم.

درس عليه الكثيرون منهم عبد الوهاب النائب ومحمد سعيد النقشبندي ويحيى الوتري وعلي الخوجة الخ.

محمد آل بحر العلوم الطباطبائي

الفقيه الإمامي محمّد بن محمد تقي بن رضا آل بحر العلوم الطباطبائي ينتهي نسبه الى جدّ الأسرة الحسنية العلوية السيد محمد مهدي (١٧٤٢ ـ ١٧٩٧) الشهير ببحر العلوم صاحب «المصابيح».

ولد محمد الطباطبائي سنة ١٨٤٥ بالنجف، وتتلمذ على علمائها وبلغ منزلة رفيعة في الزعامة الدينية. وقد ألف «الوجيزة» (١٩٠٦) و «بلغة الفقيه» (طبع سنة ١٩٦٨). وتوفي في النجف في١٥ حزيران ١٩١٣

كانت له مطارحات أدبية مع رجال عصره. وقد داعبه وصاحبه محمد بن مهدي

القزويني (المتوفّى سنة ١٩١٦)، داعبهما الشاعر جعفر الحلّي قائلاً:

شتّـــان بين محمّــــد ومحمّــــد: ذا طبطبــــائيّ وذا قـــــزوينـي
أنـــا أعـــرف الــــرجل المهـــذّب منهما بــــــــــالله لا تسأل عـــن التعيين

وكان للسيد محمد بحر العلوم خزانة كتب عامرة بالمطبوعات ونادر المخطوطات.

وقال جعفر الحلي أيضاً يهنىء محمد الطباطبائي حين قدومه من الحجّ:

حيّيت، يــــا ابـن العمّ، مـن قــادم عَــــوْدك عيـــد لبني هــــاشم
أضحى بك العــــالم ذا بهجــــة، يــــا حجّــــة الله على العـــالم
قمت بأعبــــاء العلى نـــــاهضـــاً ونبت في الأمـــــر عـن القــــائم.

وقال فيه أيضاً:

عـــــاد الى قبيلـــــه محمّـــــد بل عــــادت الــــروح الى الأشبـــاح
حيّيت، يــــا من كفّــــه عـن الحَيَــا نــــائبــــة في الأعصر الشِّحـــاح
بــــاهى بك العــــراق إذ وطأتــــه حيث أبــــوك سيّـــد البطـــاح.

ومدحه الشاعر أحمد بن راضي القزويني (١٨٤٤ ـ ١٨٩٧) فقال:

محمّـــد مـن ينمى لـــه كـلّ ســؤدد إذا مـــا احتبى في مجلس النهي والأمـــر
قـــرنت العلى بــالعلم والحلم والنــدى وشتّـتّ شمل المال والنعـم الــــوفـــر
وبـذّهت مـا أضحى مـن الـرمس عـافيـاً وقـرّبت مــا أمسى بعيـداً عن الفكــر
أرى آل بحـر العلم فـــاقـوا الـورى كما تفـوق الليـالي كلها ليلـةُ القـدر.

وقال فيه أيضاً:

يــــا ربيـب العلى وربّ الأيــــادي وعميـــد الــــورى على الإطــــلاق
كـم بأفـق العلى فضـــائل ســـارت لـك مسرى النجــــوم في الآفــــاق
علـم مفـــــرد بجمع علــــوم قصرت عنـــــــه ألسـن الحذّاق
رافل في غـلائل الحسب الـوضّـاح (م) أو في مكــــــارم الأخــــــلاق

حسّون البُراقي

وهو حسين بن أحمد بن الحسين الحسني المعروف بحسّون البراقي نسبة الى محلّة البُرَاق في النجف، ولد بها سنة ١٨٤٥ كان قويّ الحافظة، كثير التتبّع، خلّف كتباً تاريخية في لغة عامية، منها: تاريخ الكـوفة (١٩٣٨) بهجة المؤمنين في أحوال الأولين والآخرين (تـاريخ عـام في أربعـة مجلـدات ضخمـة)، تـاريخ الحيرة، تـاريخ النجف، فضل

كربلاء، مشاهير الرجال، الخ.
وقد توفي في بعض قرى الحيرة سنة ١٩١٤

مصطفى نور الدين الواعظ

مصطفى نور الدين بن محمد أمين الشهير بالواعظ ابن محمد بن جعفر الأدهمي، ولد لأسرة دينية معروفة ببغداد في ٢٦ شباط ١٨٤٧، فأرخ ولادته الشاعر عبد الباقي العمري قائلاً:

وشرّف الزورا فقلت: أرّخوا شرف أحياء العراق المصطفى

توفي والده وهو في العاشرة من عمره، فكفله عمّه محمد سعيد. ودرس علوم العربية والدين على علماء عصره كالشيخ عبد السلام مدرس الحضرة القادرية والشيخ بهاء الحق الهندي والشيخ داود النقشبندي، فنصب مدرساً في المدرسة الخاتونية (١٨٦٨). ثم عيّن مدرساً وواعظاً بالبصرة سنة ١٨٧٢ وعضواً بمحكمة التمييز فيها (١٨٧٤)، وكان بعد ذلك رئيساً لمحكمة جزاء البصرة (١٨٨٠ ــ ٨٢). وعيّن مفتياً للحلة في أيلول ١٨٨٣، فقضى في هذا المنصب ربع قرن وكان في أوقات مختلفة خلال تلك المدة أيضاً مديراً للأوقاف ومديراً للمعارف ووكيل القاضي ووكيل قائمقام السماوة ووكيل متصرف لواء الديوانية (١٩٠٣) الخ.

ولما أعلن الدستور العثماني انتخب نائباً عن الديوانية في مجلس المبعوثين (تشرين الثاني ١٩٠٨) حتى حلّ الدورة النيابية في أوائل سنة ١٩١٢

وضع مصطفى الواعظ مصنفات دينية منها: عنوان الهداية في ردع أرباب الغواية، البرهان الجليّ في الفرق ين الرسول والنبيّ والوليّ، الدرّ النضيد في أحكام الاجتهاد والتقليد، كشف الدستور عن مطالع البدور الخ. وله أيضاً: الروض الأزهر (وقد أكمله ونشره ولده إبراهيم الواعظ سنة ١٩٤٨).

وتوفي في بغداد في ٣ حزيران ١٩١٣

وقد كتب ولده إسماعيل الواعظ في كتاب (الروض الأزهر) يقول إنّ السيد مصطفى الواعظ كان متمسّكاً بالشريعة الغراء ذاباً عنها محامياً لها. وقد وقف من جميل صدقي الزهاوي حين نشر مقالته عن المرأة في جريدة المؤيد القاهرية سنة ١٩١٠ موقفاً شديداً، فذهب الى الوالي ناظم باشا وطلب عزله من وظيفته.

رثاه الشعراء، منهم رشيد الهاشمي الذي قال:

كل امرىء بأماني الدهر مشغول لا بدّ، لا بدّ أن يغتاله غول.
يا راحلاً طالما أبكى العباد دماً بكتك والله آيات وتنزيل
بكاك، يا مصطفى، الدين الحنيف كما بكاك علمك معقول ومنقول

ولده: إسماعيل حقي بن مصطفى الواعظ (١٨٧٩ ـ ١٩٤٤) كان مفتياً للديوانية (١٩٠٩ ـ ١٧) ومدير أيتام بغداد (١٩٢٢).

علي كاشف الغطاء

الشيخ علي بن محمّد رضا بن موسى بن جعفر كاشف الغطاء (المتوفّى سنة ١٨١٣) من رجال الدين والفضل، ولد بالنجف سنة ١٨٥٠ وقد رحل الى إيران فأقام سبع سنين متنقلاً بين أصفهان وشيراز وخراسان وطهران. وعاد الى العراق واتّصل بالوالي سرّي باشا (١٨٩٠) فقدّر فضله وعرف منزلته. وسافر الشيخ علي بعد ذلك الى استانبول ولبث فيها زهاء أربعة أعوام، وزار الحجاز وسورية والهند.

ألّف كتباً منها «الحصون المنيعة في طبقات الشيعة» في عشرة أجزاء و «سمير الحاضر» في خمسة أجزاء. وصنّف مجموعة بعنوان «النوافح العنبريّة» قرّظها الشاعر جعفر الحلّي قائلاً:

هــٰذي النوافح فانشق طيبها العَطِرا ... واستَجْلِها سترى ألفاظها زُهُرا
من كلّ نظم يُرَى كالعقد منتظماً ... فيها ونثر يرى كالدرّ منتثرا.

وكتب إليه جعفر الحلّي أيضاً الى استانبول:

سلام حبته الطيب منك الشمائلُ ... ومدح عليه من علاك دلائل
أسائل عنك البرق إن لاح ومضه ... فتسبقه منّي الدموع الهوامل
وأنتشق الأرواح مهما تنسّمت ... فتذهب في روحي الصَّبَا والأصائل
عليك سلام الله ما هبّت الصَّبَا ... وما سجعت فوق الغصون العنادل.

وجمع خزانة تضمّ كتباً ومخطوطات نادرة. أدركه الحمام في النجف في ١٩ أيار ١٩٣١ وعرف من أبنائه أحمد ومحمد حسين آل كاشف الغطاء.

أما ابنه الشيخ أحمد بن علي فولد بالنجف سنة ١٨٧٦ ودرس في سامرّاء وفي مسقط رأسه، وأخذ الفقه عن الشيخ الشيرازي ورضا الهمداني ومحمد كاظم الطباطبائي وغيرهم. وعرف عالماً فقيهاً تقدّم في مراحل الزعامة الدينية ومراتب الاجتهاد، لولا أن المنيّة اختارته سنة ١٩٢٦، وهو في بغداد. ألف: «سفينة النجاة» في الفقه و «قلائد الدّرر» و «أحسن الحديث في الوصايا والمواريث».

وعرف من آل كاشف الغطاء أيضاً الشيخ هادي بن عبّاس بن علي (١٨٧٢ ـ ١٩٤٢)، وكان فاضلاً شاعراً. ولد بالنجف وألف: «أوجز الأنباء في مقتل سيّد الشهداء»، مستدرك نهج البلاغة (١٩٣٦) المقبولة الحسينيّة (١٩٢٤)، مناسك الحج (١٩٢٤) الخ.

وكان للشيخ هادي مطارحات شعرية مع أدباء عصره كالسيد جعفر الحلي ورضا الأصفهاني وجواد الشبيبي.

وقد كان لآل كاشف الغطاء مكانة مرموقة مند عهد الشيخ جعفر، وتوسّط ولده الشيخ موسى في الصلح بين الوالي داود باشا والشاهزادة محمّد علي ميرزا القاجاري وليّ العهد الإيراني سنة ١٨٢١، فأثمر مسعاه ثمراً طيباً، ولقّب بمصلح الدولتين.

محمد سعيد الزهاوي

ابن مفتي بغداد محمد أمين فيضي الزهاوي. وقد ولد أبوه محمد فيضي في بلدة زهاو سنة ١٧٩٧ وجاء الى بغداد فعيّن مفتياً سنة ١٨٥٤، وقال في ذلك عبد الباقي العمري:

قد قيل لي، إذ رحت أنشد عندما شاهدت دين محمّد يتجدّد،
في مذهب النعمان في الزوراء قد أفتى الإمام الشافعيّ محمّد

وتوفي في ١٥ كانون الأول ١٨٩٠ وقد اشتهر الكثير من أبنائه، منهم الشاعر جميل صدقي.

ولد محمد سعيد الزهاوي في بغداد سنة ١٨٥٢ ودرس على أبيه. ثم عيّن عضواً بمحكمة الاستئناف سنة ١٨٧٦، وأصبح نائباً لرئيسها (١٨٨٣). ولما توفي والده اختير مفتياً لبغداد في محله (شباط ١٨٩١) فشغل هذا المنصب الى أيار ١٩١٦ وتولّى خلال تلك المدة، علاوة على منصبه، وكالة القاضي ومديرية الأوقاف ومديرية المعارف، وقام بالتدريس في مدرسة السليمانية.

وعيّن بعد الاحتلال الانكليزي رئيساً لمجلس التمييز الشرعي (١٩١٨). وتوفي ببغداد في ١٣ أيار ١٩٢١

وضع مؤلفات في علم الكلام. قال محمد صالح السهروردي إنه كان عالماً فاضلاً دّيناً تقياً صالحاً محبوباً لدى الأمة، كثير الصلاة وقراءة القرآن.

محمد سعيد النقشبندي

الشيخ محمد سعيد بن عبد القادر بن عبد الغني العبيدي، ولد في بغداد في ٢٩ كانون الثاني ١٨٦١ ودرس على علمائها كالمفتي محمد فيضي الزهاوي والشيخ عبد الوهاب النائب أخيه الكبير وعثمان الرضواني والشيخ داود النقشبندي ومحمد الهندي المولوي. ومال الى التصوف فاعتنق الطريقة النقشبندية وعرف بها.

سافر الى الحجاز حاجاً سنة ١٨٩٠، ثم قصد الاستانة سنة ١٨٩٤ فاجتمع بالسلطان عبد الحميد الثاني وحصل منه على أمر ببناء مدرسة دينية في سامراء. وقد قام بتعمير تلك المدرسة ودرّس فيها، ثم نقل مدرساً وواعظاً بجامع الإمام الأعظم (١٨٩٨). وعيّن شيخاً للإرشاد في التكية الخالدية سنة ١٩١٨ وكانت له مساع وطنية حميدة في عهد الترك أدّت الى توقيفه سنة ١٩١٣، وبعد ذلك في زمن الاحتلال البَريطاني ولا سيّما في ثورة ١٩٢٠

وتوفي ببغداد في ١٧ أيلول ١٩٢٠، فرثاه الشعراء جميل صدقي الزهاوي ونعمان الأعظمي وعبد الرحمن البناء وغيرهم.

قال الزهاوي:

أصبح الشيخ سعيد | راحلاً ليس يعود
سار ينأى عن ذويه | رجل الفضل الوحيد
فبكاه العلم والإرشاد | والرأي السديد.

وقال البناء:

لمّا توفي في العراق سعيد | كادت له أرض العراق تميد
وجرت دموع المسلمين لفقده | من حيث بات العلم وهو فقيد

وله تصانيف عديدة منها: النفحات القدسية في تبرئة الصوفية، والعارف في أسرار اللطائف، ونخبة الفكر فيما جرى في السفر، وغيرها من الكتب الدينية والصوفية والشروح والردود.

ومن شعره الصوفي:

أرى حبكم ديني وقوتي وقوّتي | فإن تهجروني فالصدود هو الوصل
فهجركُمُ والوصل عندي واحد | علمت يقيناً أن حكمكمُ الفصل
وإني وحق الحب فيكم معذب | وتعذيبكم عذب إذا كان لي نهل
إذا ظهرت شمس الوجود بأفقنا | تفانت لها الأضواء وانمحق الكلّ

ولده: الشيخ الأنيق بهاء الدين سعيد النقشبندي، ولد في بغداد سنة ١٨٩٦ وتوفي بها في ٩ شباط ١٩٤٩ كان عالماً فاضلاً، تولّى نيابة رئاسة جمعية الهداية الإسلامية ووضع بحوثاً ومقالات دينية واجتماعية.

درس على والده وعمّه عبد الوهاب النائب وعيّن مدرساً لجامع الفضل سنة ١٩١٩، وكان له نشاط في الحركة الوطنية. ثم خلف أباه في التدريس بجامع الإمام الأعظم. وعيّن وكيلاً لعميد دار العلوم في الأعظمية (حزيران ١٩٤٠). وانتخب نائباً عن لواء ديالى (١٩٣٠) فنائباً عن الديوانية (كانون الثاني ١٩٣٤). وأعيد انتخابه نائباً

عن ديالى (كانـون الأول ١٩٣٤) وآب ١٩٣٥ وحزيران ١٩٣٩ وتشرين الأول ١٩٤٣ وانتخب نائباً عن بغداد في آذار ١٩٤٧ الى شباط ١٩٤٨

وصفه خالد الدرّة في مجلة «الوادي» فقال: «عطور فوّاحة تنبعث من جبّته المكوّاة لا يستغني عنها المجلس، وابتسامات عذاب يوزعها على بعض النواب. ونبرات حلوة يطلقهـا لا كخطيب كما يأمل الناس ذلك منـه، بل إشـاعات يـروّجها بين النـواب في داخل المجلس وفي خـارجه. إنـه لا يفـرّق بين أن يكون في صـالون الجمعـة في دار الدفتري أو في ندوة مجلس النواب. وهو ظريف على كل حال. .».

وكان بهاء الدين في الثلاثينات ركناً من الثـلاثيّ المؤيّد لنوري السعيد مع الدكتورين فائق شاكر وسامي شوكت.

الشيخ محمد سعيد النقشبندي

ألف بعد أشهـر من قيام الدستـور التركي سنة ١٩٠٨ حزب المشور لإعـادة أحكام الشريعة الإسـلامية ومناهضة الاتحاديين. وقـد تولى رئاسته، وكان من أعضـائه الفريق كاظم باشا ومحمـد فاضل باشا الداغستاني والسيد عبـد الرحمن النقيب والسيد عبد الله والسيـد محمـود من آل النقيب، ومن آل الجميل عيسى وفخـري وعبد الـرحمن، وعبـد الرحمن باشا الحيدري وجميل الخطيب أمين الإدارة وعطاء الخطيب وغيرهم.

لكن الحزب انحلّ في السنة التالية بعد فشل الثورة الرجعية.

وشكل النقشبندي سنة ١٩١٤ حـزباً سرياً لبثّ الفكرة العربيـة، وكان هذا الحزب وليد فكرة نوري السعيد حينما فرّ من استانبول.

حسـن الصـدر

السيد حسن الصدر من أئمّة رجال الـدين في عصره، وهو ابن هادي بن محمد علي بن صالح بن محمـد الحسيني النسب العامليّ الأصل. ولـد في الكاظمية في ٣ حـزيران ١٨٥٦، ودرس على أبيه وشيـوخ بلده. ثم شـدّ الرحال الى سـامراء وتتلمـذ على الامام محمد حسن الشيرازي (١٨١٥ ـ ١٨٩٤).

وعاد الى الكـاظمية منصرفاً الى التأليف والتـدريس. وكان لـه مقام رفيع، زاره أمين الريحاني في شيخوختـه فوصفه في كتابـه «ملوك العرب»، قال: «قـد زرت السيد حسن صـدر الدين في بيتـه بـالكـاظمية، فألفيتـه رجـلاً عظيم الخَلْق والخُلْق، ذا جبين رفيع وضّاح، ولحية كثّة بيضاء، وكلمة نبويـة. له عينان هما جمرتان فوق خدين هما وردتان. عريض الكتف، طويل القـامة، مفتول الساعد. وهـو يعتم بعمّة سوداء كبيرة ويلبس

قميصاً مكشوف الصدر رحب الأردان، فيظهر ساعده عند الإشارة في الحديث. ما رأيت في رحلتي العربية كلها من أعاد إليّ ذكر الأنبياء كما يصورهم التاريخ ويمثلهم الشعراء والفنانون مثل هذا الرجل الشيعي العامليّ الكبير، وما أجمل ما يعيش فيه من البساطة والتقشّف. . وعندما رأيته جالساً على حصير في غرفة ليس فيها غير الحصير وبضعة مساند، وقد كنت علمت أن لفتواه أكثر من مليوني سميع مطيع، وإن ملايين من الروبيّات تجيئه من المؤمنين في الهند وإيران ليصرفها في سبيل البرّ والإحسان، وأنه مع ذلك يعيش زاهداً متقشّفاً أكبرت الرجل أيّما إكبار. . ».

وقد وضع السيد حسن الصدر مؤلفات عديدة بقي معظمها مخطوطاً، منها: تأسيس الشيعة الكرام لعلوم الإسلام (طبع ١٩٥١) الشيعة وفنون الإسلام (١٩١٣) تكملة أمل الآمل في علماء جبل عامل (٣ أجزاء)، نزهة أهل الحرمين (١٩٣٥) مجالس المؤمنين، تعريف الجنان في حقوق الإخوان، البراهين الجليّة في تصديق علماء الأشعرية، الدرر الموسوية، وفيات الأعلام من الشيعة الكرام، سبيل الصالحين، رسالة في الردّ على الوهابية، عيون الرجال، نهاية الدراية (١٩٠٥) الخ.

وقد توفي بالكاظمية في ١٢ حزيران ١٩٣٥

الشيخ إبراهيم الراوي

العالم الزاهد الشيخ إبراهيم بن محمّد بن عبد الله بن أحمد بن رجب الرفاعي الراوي ولد في بلدة راوة سنة ١٨٦٠، وكان أبوه الشيخ محمّد مفتياً في عنة. ودرس علوم العربية والدين، ثم شدّ الرحال الى بغداد سنة ١٨٧٥، ولازم شيوخ العلم فيها كالشيخ داود النقشبندي وعلي الخوجة.

وقصد الموصل فأخذ عن عبد الله الفيضي ويحيى خضر وغيرهما وعاد الى بغداد. ومضى سنة ١٨٨١ الى الشام وقرأ الحديث على الشيخ بدر الدين الحسني (١٨٥١ ـ ١٩٣٥)، ثم عاد الى بغداد وأتم دراسته على الشيخ عبد الوهاب النائب.

وسافر الى الاستانة لأول مرة في أيلول ١٨٨٧ فلقي الترحيب والاكرام من الشيخ محمد أبي الهدى الصيادي الرفاعي (١٨٥٠ ـ ١٩٠٩).

عيّن مدرساً في جامع السيد سلطان علي ببغداد، ونال أوسمة ورتباً من الحكومة العثمانية. ووضع مؤلفات، منها: الطريقة الرفاعية، الأجوبة العقليّة (١٩٢٨) بلوغ الأرب في ترجمة الشيخ رجب الراوي الرفاعي (١٩١٢) النفحة المسكيّة، سور الشريعة، الأوراق البغدادية في الحوادث النجدية (١٩٢٧)، اللمعات الفريدة في المسائل المفيدة، داعي الرشاد الى سبيل الاتحاد (١٩٣١) الفلسفة الاسلامية في إثبات الحقانية (١٩٣٢) الخ.

توفي الشيخ إبراهيم الراوي ببغداد في ٢ كانون الأول ١٩٤٥ وقد كان صاحب السّجادة الرفاعية، عالماً متصوّفاً جليل القدر متسامحاً واسع الأفق. وصفه محمد صالح السهروردي فقال إنه كان متخلّقاً بأخلاق السّلف الصالح، كثير العبادة والصيام، حليماً واسع الصدر، مجبولاً على الكرم، يجلس مع الناس كأحدهم، يدعو الناس الى الصلاح والمحبة والولاء. كان أحمر الوجه أبيضه، أشهل العينين، خفيف الشفتين، لا هو بالقصير ولا الطويل، وليس بملتحم بل وسطاً في ذلك، ذا بشاشة وطلاقة وجه، ليّن العريكة، سالم السرّ والسريرة.

وله شعر، منه قوله في الشعر والشعراء:

مقال صحيح: إنّ في الشعر حكمة، وما كل شعر في الحقيقة محكم
وإن قيل في التنزيل قد جاء ذمّه، فقد جاء فيه مدحه فتوسّموا.

وقال فيه معروف الرصافي:

للسيد الراويّ إبراهيما فضل أظلّ الخافقين عميما
ومناقب لهج الرواة بذكرها وبها استحقّ من الورى تكريما
شيخ إذا جالسته في مجلس جالست منه مرشداً وحكيما
وإذا نظرت لشخصه متأمّلاً أحسست فيك لشخصه تعظيما
داوى قلوب ملازميه بهديه فأصحّ منها ما رآه سقيما.

وقال رفائيل بطّي:

عاش الشيخ الجليل لنشر دين الله وخدمة الشعب وإعلاء منار الحق والدعوة الى الصراط المستقيم وإرشاد الأمة في ما يقوّي إيمانها وينفعها في دنياها ويزيد في المجتمع الألفة والاخاء والتضامن.

من شعر الشيخ ابراهيم الراوي

قال في مدح سلاطين آل عثمان:

ملوك بني عثمان ألوية الحمد لهم فوق هامات العلى طالع السّعد
لقد عظموا في صولة الحقّ واعتلوا منار فخار دونه رتب المجد
وقاموا بأعباء الخلافة مثلما أقاموا شراع الدين بالحزم والجدّ

وقال:

ربِّ، إني قد امتلأتُ كروبا لذنوب ملأت منها جيوبا
قيّدتني حبائل الوهم حتّى تركتني عن النّهى محجوبا

حسنـــــاتي أخـــــالها سيّئــــــات لقصـــوري وحسـن حـــالي عيـــوبـــا
فـإلى الله أشتكـي ســـــوء حـــــالي والى بـــــابــــــه أتيتُ منيبـــــا
وعلى فضلـــــه عقـــــدت رجـــائي والتجـــائي، حـــاشـــا لـــه أن أخيبـــا

وقال:

خلِّ المطيّ يشـــوقهـــا صـــوت الحِدا ويســـوقهـــا ويقـــودهـــا رجع الصـــدى
ودعِ الجيـــــاد تقـــدّ أفـــــلاذ الحصى وتمدّ للجــــوزا، إذا تعــــدو، يــــدا
وإذا بــــــدت أعـــــلام أمّ عبيـــــدة فـــارفق بها فلقــــد بلغت المقصـــدا
وانـزل، هــديت، وقل لها: هــذا الـذي أضحـى بأم عبيــــدة متـــــوسّـــــدا
هـــذا مقـــام الغـــوث أحمد قـــد بـــدا ومنـــاره العـــالي الـــذي قـــد شيّـــدا
وقبـــــابـــــه الشـــمّ التي قـــــد أشرقت يحكي الـــــلآلىء حسنهـــا والعَسْجَـــدا

وقال:

حبّـــــي لشيخـــــي حبّـــــي لم يحوه غير قلبـــــــــــــــي
وإنـــي عبـــــــــــــد رقّ لـــــــــلأمــــــر منـــــــه ألبّـي
لا أستفيـق غـــــرامـــــــاً في حبّـــــــه طـــــــول دأبي
ومــــــا سرى منـــــــه سرّ إلاّ أهيــم بجـــــــــــذب.

الشيخ محسن الراوي

ذكر السر جـون غلوب، المعروف باسم غلـوب باشا، في كتـابه «مغامرات عـربية» الشيخ محسن الراوي أخا الشيخ إبراهيم.

كان غلوب ضابطاً سياسياً في لواء الدليم سنة ١٩٢٣، فزار عنة وراوة. قال إن راوة تقع على شـاطىء الفرات الشرقي مقـابل عنة، وهي معـزولة عن العالم وعـن التجارة، وأهلها يعيشون من المتاجرة مع شمّر وقبائل الجزيرة الجفاة. وقال انه زار كبير علماء راوة الشيخ محسن في دار ضيافتـه القائمة في درب ضيق والمفتوحة أبـوابها ليل نهار لكل غاد ورائح. وقد فرش صحن الـدار بالسجّاد الخشن وغلت أباريق القهـوة على النار. زهد الشيخ في الدنيا، فهو لا يملك شيئاً من متاعهـا، لكن الورعين من أتباعه يأتون بهدايا الدقيق والقهوة.

وجاء الشيخ فجلس أمداً قصيراً، لكنه لم يكـد يتكلم. ويدلّ مظهره على شيخوخة متقدمة ضعيف البنية، أبيض الإهاب كالرق الجاف. وهو يسبح في ماء الفرات في فجر كل يوم حتى في أيـام الشتاء القارسـة. وقال: لعلّ هـذا القدّيس المسلم يشبه الـرهبان

المسيحيين القدماء الذين كانوا يعتزلون العالم ليعيشوا في الصحراء، منصرفين إلى الله تعالى.

وقال غلوب إنه علم ان فرقة من رعاة الغنم الرحالين قد نزلت في الصحراء على مسافة أميال غربيّ عنة، فركب مع تابعه علي اليونس لزيارتها وقضاء الليل في مضاربها. ووجد جماعة من الدراويش أيضاً حلّوا ضيوفاً على الفرقة، وهم سوريون من الخابور يعرفون باسم «أولاد الشيخ عيسى».

ولما فرغ الجمع من تناول العشاء، أحيى الدراويش حفلة ذكر، وأخذوا يرتلون الأذكار ويضربون على الطبول. بدأوا بهدوء، ثم اشتدت الحماسة وارتفعت الأصوات. وقام أحد الدراويش حاملاً بيده سفّوداً من الحديد المصقول، فتح قميصه وتحسّس المكان الملائم في صدره وأدخل فيه رأس السفود بدقة حتى خرج من ظهره. وفي خلال ذلك حمي وطيس الضرب والترتيل واستولى على الجمع هيجان شديد، وجاء بعد ذلك درويش آخر فسحب السفّود بلطف قليلاً قليلاً حتى أخرجه من صدر الرجل الذي جلس يستعيد أنفاسه ويحتسي القهوة.

الشيخ شكر أحمد

الشيخ شكر الله الشيخ أحمد قاضي بغداد الجعفري ولد في بغداد سنة ١٨٦٨

وقصد النجف فدرس الفقه والعلوم العربية على الشيخ محمد طه نجف ومحمد حسين الكاظمي وغيرهما. ثم عاد إلى مسقط رأسه وانقطع إلى الإرشاد والتعليم بجانب الكرخ. وذاع صيته وكثر طلابه، فانتقل إلى جامع المصلوب في جانب الرصافة يواصل رسالته الثقافية. وكان أحد الساعين لتأسيس المدرسة الجعفرية الأهلية سنة ١٩٠٨، فاختير مديراً لها.

وعيّن قاضياً جعفرياً لبغداد في شباط ١٩١٨، ثم نقل عضواً بمجلس التمييز الشرعي في آب ١٩٢٣. وتوفي في ١٥ نيسان ١٩٣٨

قال خيري العمري «وقد احتّل الشيخ شكر بمتانة خلقه وهدوء طبعه منزلة في قلوب الناس، وظفر بتجّرده ووقاره باحترامهم، فكان يتميّز بوجه صبوح أقرب إلى الحمرة وقامة معتدلة في الطول ولحية خفيفة شقراء وصوت هادىء النبرات تتخلّله خنّة واضحة».

الشيخ عبد الكريم الجزائري

المجتهد العالم الأديب الشيخ عبد الكريم الجزائري من زعماء الدين في النجف الأشرف حيث ولد سنة ١٨٧٢ وهو ابن الشيخ علي المتوفى سنة ١٨٨٥ ابن كاظم بن

جعفر بن حسين بن محمد بن الشيخ أحمد الأسدي (المتوفى سنة ١٧٣٨) صاحب كتاب آيات الأحكام ورأس الأسرة.

درس عبدالكريم الجزائري على فضلاء عصره كالشيخ حسن الجواهري والشيخ محمد طه نجف وشيخ الشريعة الاصفهاني والسيد محمد كاظم صاحب العروة الوثقى. ثم تصدّى للتدريس ونال مكانة سامية في العلم والاجتهاد. وقد ساهم في الجهاد خلال الحرب العظمى الاولى وحارب مع الجيش التركي في الحدود الإيرانية وجبهة الحويزة، ثم اشترك في الثورة العراقية وكان له فيها شأن مرموق.

دعي إلى تقلّد وزارة المعارف في الوزارة النقيبية الثانية (١٠ ايلول ١٩٢١)، لكنه اعتذر عن قبولها فأسندت مهامّها إلى محمد علي هبة الدين الشهرستاني.

وله مصنفات منها: تعليق على مكاسب الأنصاري، وتعليق على كتاب الرياض للسيد المجاهد، وشرح على مباحث الظنّ والقطع من رسائل الشيخ الأنصاري، وشرح على العروة الوثقى، الخ.

قرض الشعر في شبابه، فقال يرثي الميرزا حسن الشيرازي المتوفى سنة ١٨٩٤

مصابك طبقّ الدنيا مصابا ورزؤك هوّن النُوب الصعابا

ونظم في أغراض اخرى كالمدح والغزل والتهنئة.

وقال جعفر الخليلي ان الشيخ عبد الكريم الجزائري كان في شبابه من اعضاء حلقة أدبية ضمّت جواد الشبيبي وجعفر الحلي وباقر الهندي وغيرهم، فكانوا يقرضون الشعر ويتطارحون النكت والفكاهات.

وتوفي في النجف في ٨ تموز ١٩٦٢

قال محمد رضا الشبيبي إن الشيخ عبد الكريم الجزائري كان من الأقطاب الذين دارت عليهم رحى الثورة العراقية سنة ١٩٢٠، وكان عضداً اعتضد به الثوار، وعوناً لكبار العلماء الذين صدرت عنهم الأحكام المعروفة في وجوب الدفاع عن حوزة البلاد وكرامتها وتحقيق حريتها وسيادتها.

محمد جواد الجزائري

العالم النجفي محمد جواد بن الشيخ علي الجزائري، وهو أخو الشيخ عبد الكريم، ولد بالنجف في ١٦ شباط ١٨٨١ وتخرج على علمائها. وكان من زعماء ثورة النجف سنة ١٩١٨، قبض عليه عند خمود الثورة في نيسان ١٩١٨ وحكم عليه بالإعدام. لكن سمح له ولزميله محمد علي بحر العلوم بالشخوص إلى المحمّرة بوساطة الشيخ خزعل خان أمير عربستان.

وأذن له بالعودة بعد سنة وعشرة أشهر (آذار ١٩٢٠).

كان شاعراً، قال من قصيدة له وهو معتقل في سجن بغداد:

مــددنــا بصــائرنــا لا العيــونــا   وفــزنــا غــداة عشقنــا المنــونــا
عشقنــا المنــون وهمنــا بها   وعفنــا أبــاطحنــا والحجــونــا

ونظم «حلّ الطلاسم» (١٩٤٦) معارضاً طلاسم إيليا أبي ماضي.

أدركته الوفاة في النجف في ٢٣ نيسان ١٩٥٩

عـارض محمد جـواد الجزائري «طلاسم» ايليـا أبي ماضي الشهيرة التي يشكّك فيهـا بالوجود ويقول:

كيــف جئــتُ، كيــف أبصرت طــــريقــي؟
لســــت أدري

فردّ عليه الجزائري بقصيدته «حلّ الطلاسم» مجيباً على «لا أدرية» أبي ماضي بـ «أنا أدري، أنا أدري».

ولم يكن من علي الشرقي الاّ أن نظم أبياتاً يسخر فيها من الجزائري ختمها بقوله:

أنـت مجنــــون ولكــن لسـت تــــدري،
أنــــا أدري!

وله أيضاً من المؤلفات: الآراء والحكم، وفلسفة الإمام الصادق (١٩٥٢).

قال جعفـر باقـر آل محبوبة إن الشيخ محمـد جواد الجزائري ضليع بـالعلوم العـربية والفلسفة الإسـلامية، وقـد كان رجـلاً صريحاً في القول والعمل، ذا شمـم عربي وروح إسـلامي، سـاءه أن يرى وطنـه يئن تحت وطأة الأجنبي فعمـد إلى تأليف جمعيـة سريـة (١٩١٨) لإنهاض الأمـة وتحريـر البـلاد فكـانت الحرب النجفيـة التي لم يكتب لها النجاح، واعتقل محمد جواد وقضى في السجن سنة وعشرة أشهر.

عبد الحسين شرف الدين

عبد الحسين بن يوسف بن جواد شرف الدين الموسوي ينتمي إلى أسرة علوية معروفة بالزعـامة العلمية، ولد في الكاظميـة سنة ١٨٧٣ ودرس علوم اللغة والفقـه في سامراء والنجف وأخـذ عن محمـد كـاظم اليـزدي ومحمـد كـاظم الخراسـاني وشيخ الشريعـة الاصفهاني ومحمد طه نجف وغيرهم.

ثم مضى إلى جبل عامل مـوطن أسرته سنة ١٩٠٤ وصارت لـه منزلة دينية سـامية. وشدّ الرحـال إلى مصر (١٩١١) واجتمع بعلمائها وألف كتابه «المراجعـات» الذي طبع في صيدا بعد أعـوام طويلة (١٩٣٦) وأعيد طبعـه في بيروت والنجف وترجم إلى بعض اللغات الأجنبية.

وناضل ضدّ الاحتلال الفرنسي لسورية ولبنان فاضطّر على التخفي حيناً والتنقل في البلدان العربية مشرداً وقد أحرقت داره في صور وذهبت كتبه وطائفة من مؤلفاته المخطوطة طعمة النار. ولم يعد إلى وطنه الا بعد صدور العفو عن المجاهدين.

وكان من دعاة الإصلاح، أقدم على تأسيس مدارس للأولاد والبنات وشيد الكلية الجعفرية في بلدة صور، وتوفي ببيروت في ٣٠ كانون الاول ١٩٥٧

من مؤلفاته: الفصول المهمة في تأليف الأمة (١٩١٢) أجوبة مسائل موسى جار الله (١٩٣٦) ثبت الإثبات في سلسلة الرواة، الكلمة الغراء في تفضيل الزهراء (١٩٢٩) مؤلفو الشيعة في صدر الإسلام، مسائل خلافية (١٩٥١) مسائل فقهية (١٩٦٤) النصّ والاجتهاد (١٩٥٦) أبو هريرة (١٩٤٧) فلسفة الميثاق والولاية (١٩٤١) زكاة الأخلاق، الخ.

وقد عرف ولده صدر الدين شرف الدين صحفياً وكاتباً أنيق العبارة. ولد صدر الدين في النجف سنة ١٩١٢ وأصدر جريدة ««الساعة» في بغداد آب (١٩٤٤) ثم أقام في لبنان وأصدر مجلة «الألواح» فمجلة «النهج» في صور وتوفي في كانون الثاني ١٩٧٠

من مؤلفاته محنة العراق (١٩٤١) في قطار الزمان (١٩٤٩) سحابة بورتسموث (١٩٤٨) حليف مخزوم، هاشم وأمية في الجاهلية الخ.

جواد الجواهري

الشيخ جواد بن علي بن محمد ابن الشيخ محمد حسن صاحب الجواهر كان من رجال النجف الذين يشار اليهم بالبنان، قال فيه جعفر آل محبوبة صاحب «ماضي النجف وحاضرها» إنه «زعيم الأسرة في عصره وعمادها، بل موئل النجف وسنادها كانت تلجأ إليه في الملمّات وتستظل بظلّه عند المهمات. .»

اشترك في الثورة العراقية سنة ١٩٢٠، فلما استسلمت النجف في تشرين الاول من تلك السنة، قبضت عليه السلطات البريطانية واعتقلته ثم أفرج عنه.

وقد توفي في النجف في ١٦ ايار ١٩٣٦ وممّن رثاه محمد مهدي الجواهري بقصيدة مطلعها:

هتفوا فأسندت اليدان ضلوعي وشرقت بالحسرات قبل دموعي

وعرف من آل الجواهري أيضاً والد الشاعر محمد مهدي، وهو الشيخ عبد الحسين ابن عبد علي بن محمد حسن صاحب الجواهر. وقد كان عبد الحسين الجواهري (١٨٦٦ ـ ١٩١٧) شاعراً ناثراً فقيهاً، له قصائد في رثاء الإمام الحسين وغيرها في الرثاء والمدح والتهنئة والاخوانيات.

عبد الملك الشواف

من علماء بغداد المرموقين، الشيخ عبد الملك ابن الشيخ طه ابن الشيخ عبد الرزاق البغدادي المعروف بالشوّاف. كان الشيخ عبد الرزاق عالماً معروفاً توفي سنة ١٨٥٢، أما ابنه الشيخ طه فكان عالماً شاعراً ولد سنة ١٨٣٦، وعيّن مفتياً لسامراء. ثم وجّه إليه افتاء البصرة سنة ١٨٩٩ وتوفي بها في شباط ١٩١٠

ولد عبد الملك الشواف في بغداد سنة ١٨٧٣، ودرس على علماء عصره كعمّه الشيخ أحمد الشواف وعباس حلمي القصاب وغلام رسول المولوي الهندي وعبد الرحمن القره داغي ويوسف العطاء. وعيّن مدرساً للمدرسة القادرية، فكثر طلابه ولا سيّما في علوم العربيةمن بلاغة وبيان.

ولما توفي والده خلفه في افتاء البصرة سنة ١٩١٠، وقام بالتدريس في المدرسة الرحمانية. وسجن بعد الاحتلال الانكليزي أمداً وجيزاً لدواعٍ سياسية.

وعاد إلى بغداد فعيّن عضواً بمجلس التميز الشرعي (آب ١٩١٨) فقاضياً لبغداد (١٩٢٢) فرئيساً لمجلس التمييز الشرعي السنّي (تشرين الاول ١٩٢٢) واعتزل منصبه في ايلول ١٩٣٣ وتوفي ببغداد في ٣ شباط ١٩٥٣

وقد كان أخوه علي الشوّاف من رجال القضاء الموصوفين بالعلم والنزاهة، ولد سنة ١٨٨٤ وعيّن قاضياً لبلدة الحيّ سنة ١٩٢٢ وتولّى القضاء الشرعي بعد ذلك في البصرة والموصل، وتوفي في المدينة الأخيرة في تشرين الاول ١٩٣٠

وممّا رواه ابراهيم الواعظ عن الشيخ طه الشوّاف أنه ذهب وهو طالب علم إلى دائرة الأوقاف لحاجة له فلم يؤبه به. وحاول أن يصرف ليرة عثمانية وكانت سوقها كاسدة، فهاله بخس قيمتها وقال:

قل لأمير المؤمنين الذي ... قد عمّنا بالجود واللطف
درهمه أضحى وديناره ... في سوق بغداد لدى الصّرْفِ
أذلّ من طالب علم أتى ... لحاجة دائرة الوقف

السيد أبو الحسن الموسوي الاصفهاني

من كبار مجتهدي الشيعة الإمامية والمرجع الديني الكبير في عصره، ولد سنة ١٨٦٧ في اصفهان، وتتلمذ على الشيخ محمد كاظم الخراساني في النجف ونشأ محباً للتقدم والإصلاح، فشدّ أزر استاذه في الدعوة إلى الحرية والدستور. عرف بعد ذلك مناوئاً للبدع السقيمة والعادات المضّرة. شنّ على دعاة التزمت والتعصب حرباً لا هوادة فيها ولا لين.

ولما نشبت الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ كان من رجالها المرموقين بعد الإمامين محمد تقي الشيرازي وشيخ الشريعة الأصبهاني. وكان من الداعين إلى عقد مؤتمر كربلاء في نيسان ١٩٢٢ لمناقشة هجوم الاخوان النجديين على القبائل العراقية. ثم عارض انتخاب المجلس التأسيسي وأفتى بمقاطعته مع زملائه العلماء حسين النائيني ومهدي الخالصي وغيرهما، فخرج من العراق في حزيران ١٩٢٣ ومضى إلى قم في إيران، ولم يعد الا في نيسان ١٩٢٤ بعد أن تعهّد للحكومة العراقية بمجانبة العمل السياسي.

وتألق نجمه بعد ذلك فلم يلبث أن انفرد بالزعامة الروحية للشيعة الإمامية في العراق وإيران وسائر الأقطار، وظلّ المرجع الاكبر نحواً من عشرين سنة لا يكاد ينافسه في منزلته منافس حتى أدركته الوفاة.

كان زاهداً متقشّفاً جمّ التواضع، موصوفاً بالتسامح وسعة الفكر، إلى جانب حزمه واعتداده بنفسه وإيلائه مركز الزعامة حقّه وسخائه في توزيع الاموال الجسيمة التي كانت تصله على المعوزين وطلبة العلم.

وتوفي في الكاظمية في ٤ تشرين الثاني ١٩٤٦ وله مؤلفات أشهرها: أنيس المقلّدين (١٩٢٦) حاشية العروة الوثقى (١٩٢٨) مناسك الحجّ (١٩٢٩) ذخيرة العباد (بالفارسية ١٩٢٣) صراط النجاة (بالتركية ١٩٥٦) وسيلة النجاة (١٩٥٦).

قال جعفر الخليلي في كتابه «هكذا عرفتهم» (الجزء الاول) يصف تقدم السيد أبي الحسن إلى الزعامة بعد وفاة شيخ الشريعة الاصبهاني: «. وحين عاد العلماء من ايران وعاد هو إلى العراق، كان هو السابق إلى المرجعية الكبرى والزعامة الشيعية، خصوصاً وأن شيخ الشريعة كان قد توفي قبل ذلك، وقد فرغ الميدان الا من بعض أقران السيد أبي الحسن، وإذا بالطلاب الذين يحوطون منبره يغصّ بهم مجلس الدرس أو «البحث» كما يسمّى، حتى لم يبق متّسع لأحد، وإذا بهذه الجهة الخاصة من الصحن الشريف تضيق بالمصلّين خلفه، ثم تحفّ به جماهير الطلاب والمراجعين في أثناء الخروج من بيته وعند العودة، قبل الصلوة وبعدها، فتحدث ضجّة كبيرة، وكثيراً ما تقدمتها موجات من التكبير والتهليل. ومع ذلك كله فقد كان السيد أبو الحسن لا يملك داراً ولا يحمل أمامه فنر وسراج إن مشى ليلاً، وليس لديه من المستخدمين الخاصين أحد بالرغم من تلك الأبهّة والعظمة التي تحيط به عند خروجه من البيت للصلاة والدرس وعودته إليه. . »

وقال الخليلي بعد ذلك: «وفي السنوات العشر الأخيرة ثقل كاهله بالعمل أكثر واكثر وصار عليه أن يقابل عدداً كبيراً من الزائرين من ارباب الحاجات ويقرأ كثيراً من الكتب والاستفتاءات التي كانت ترد من مختلف الأقطار وبمختلف اللغات ويجيب عليها بخطه، ولا يسمح لأحد أن ينوب عنه في استعمال خاتمه كائناً من كان. ولقد كان ختمه معه إلى آخر ساعة من حياته. وكان طبيعياً أن يكلّ وطبيعياً أن يمرض ولو كانت

أعصابه من حديد. ولقد كان بميسوره أن يرتاح لو كان يريد الراحة، . ولكنه أخذ على نفسه أن يضرب الرقم القياسي للعمل، فعمل الكثير مما لا طاقة لغيره أن يعمله وهو في مقتبل العمر، فكيف وهو في آخر مراحل الحياة. . »

ورثاه الشعراء فقال عبّاس الملاّ علي :

عيـــد تحوّل مـأتماً ومصـــابـــا | أرأيت شهـــداً قـــد تحول صـابـــا؟ .
يـــا راحـــلاً مـــلأ الـــزمـــان مـــآثـــراً | أعيى تـــواتـــر وصفهـــا الكتـــابـــا
أدّيـت للعليـــــاء واجـب حقهـــــا | ومضيت يحزن فقـــدك المحـــرابـــا
بكت المحـــابـــر والمنـــابـــر، وانثنى | ينعى اليراع مليكـــه الـــوهّـــابـــا

وقال محمد علي اليعقوبي :

هـــدّ سمك الهدى وطـــاح عماده | واستحـــالــت مـــآتماً أعيـــاده
أيّ خطـب قـــد حلّ في الشرق، لكـن | جلّـل المغـــرب القصّي حـــداده
أيّ ظلّ للـــدين قلّصـــه الـــدّهـــر (م) | وقـــد طـــاول السّحـــاب امتـــداده
كهـف أمن يـأوي المخـــوف إليـــه | وعليـــه بعـــد الإلـــه اعتماده
آيـــة الله بـل وحجّتـــه الكبرى (م) | التـي تلتجـي اليهـــا عبـــاده
سـنّ للمصلحين نهجـــاً قـــوياً | سنّـــه قبلُ للـــورى أجـــداده

وقال عبد الرسول الجشّي :

العيـــد وافى، قم فصلّ العيـــدا | وأعـد لنـا عهـد الـرسـول جـديـدا
هـــذي الصفـوف وقـــد تحشّـد جمعهـا | فـــانظـــر اليهـــا ركّعـــاً وسجـــودا
يـــا قـــائد الإســـلام، رافع بنـــده، | كيف انثنيت عن الصفـــوف بعيـــدا؟

حدثني ثقـة من رجال النيابـة وهو جواد جعفـر، قال: طلب السفير الأميركي ذات يوم زيارة النجف، وكنت بـرفقته. واتصلت بكبار رجال الـدين وأخبرتهم برغبة السفير في زيارتهم، فاستقبلوه في دورهم في الحال. ورآهم على هيئتهم الطبيعية في صحن الدار المفروش بالبسط العـادية، وكانوا مثال الـزهد والتقشف، جالسين على أفرشـة قديمة، ولا يقوم بخـدمتهم سوى واحـد أو اثنين من تلاميـذهم، كلّ ذلك على جلالـة شأنهم وعظيم منزلتهم.

ولما اتصلت بـالسيـد أبي الحسن، اعتـذر وأجّل استقبـال السفير إلى صبـاح اليـوم الثـاني. وحضرنا إلى دار المجتهـد في الموعد المضروب، فـإذا الشارع المؤدّي إليهـا يزخـر بالمشايخ والمريدين، استقبلوا السفير وحيّوه وأدخلوه على السيد. وكانت الدار مفروشة بالسجّاد الثمين وقـد صفّت فيها الأرائك بترتيب جميل وازدحم الناس وقـوفاً في أروقتها

برسم الخدمة. ورأى السفير عجباً في مجلس حجّة الإسلام، وشاهد الفرق واضحاً بينه وبين سائر مجالس العلماء التي حضرها في اليوم السّالف. ولم تكن تلك عادة السيد أبي الحسن الزاهد، لكنه أجّل الاستقبال إلى الغداة ليطلع الممثل الاميركي على مكانته وهيبته ومنزلته في العالم الإسلامي.

روى جعفر الخليلي إنّ الشاعر محمد علي اليعقوبي كان يسير مع السيد أبي الحسن وهو يتعثر، فسأله العالم الكبير: أين عصاك؟ فقال اليعقوبي: لقد كسرت أمس. وناوله السيد عصاه الثمينة، فتقبّلها الشاعر شاكراً وارتجل قائلاً:

أبا حسنٍ، لا غرو أن ألقت العصا ... يدٌ منك أبصرنا مواهبها فيضا
كأنّك موسى، والعصا عندك العصا، ... وأن اليد البيضاء منك اليد البيضا

السيد أبو الحسن الموسوي الأصفهاني

قتل السيد حسن نجل أبي الحسن سنة ١٩٣٠ وهو يصلي في الصحن بالنجف إذ هجم عليه المدعو علي القمي وذبحه بسكين. وقد ظهر أن الجاني مختّل الشعور وحكم عليه بالسجن المؤبد. ونقل بعد ذلك إلى مستشفى المجانين.

قال جعفر الخليلي إن السيد أبا الحسن انتهى من صلاته فعلم بمقتل ابنه فلم يقل شيئاً سوى الترجيع «إنّا لله وإنّا إليه راجعون». وطلب العفو عن المجرم.

يوسف العطا

مفتي بغداد العالم الفقيه السيد يوسف العطا، وهو صلاح الدين يوسف بن محمد نجيب بن أحمد بن خليل، ينتهي نسبه إلى السيد عطاء الحسني الذي عرفت به الأسرة، وهي من أسر بغداد القديمة المشهورة بالفضل والثراء. ذكرها ابراهيم فصيح الحيدري في كتابه «عنوان المجد» ووصفها بأنها «بيت تجارة وخير». وقال الشيخ محمد صالح السهروردي في كتابه «لبّ الألباب» إنّ جد المفتي يوسف العطا كان، في بعض سني القحط والمجاعة، يمتلك مخازن واسعة مشحونة بأنواع الأطعمة والحبوب وقد دفع له التجار أثماناً باهظة لشرائها، لكنه قال: لقد بعتها للذي يربي الصدقات، وفرّقها على الفقراء والجياع.

ولد يوسف العطا في بغداد سنة ١٨٦٩ ونشأ في نعمة ورفاهة عيش. ودرس على أجلّة علماء عصره كعبد السلام الشّواف وغلام رسول الهندي وعبد الوهاب النائب. وظهر نبوغه وهو شابّ طريّ العود، فأسند إليه التدريس والوعظ في جامع القبلانية وجامع الشيخ عبد القادر الكيلاني (١٨٩٢). وعيّن عضواً بمجلس المعارف على عهد

الوالي ناظم باشا، وعهد إليه بالتدريس في مدرسة الحقوق على العهد العثماني واستمّر على ذلك في العهد الوطني أعواماً طويلة.

وقد عيّن مفتياً لبغداد في تشرين الثاني ١٩٢٣، وواظب على التدريس والارشاد حتى توفي ببغداد في ٤ ايلول ١٩٥١

كانت له منزلة إجتماعية مرموقة لعلمه وفضله وسعة صدره وكرم نفسه وسعيه في مصالح الناس وحدبه على ذوي الحاجة والمعوزين.

وكان مجلسه في جامع الشيخ عبد القادر الكيلاني ملتقى طبقات رجال الدولة والادب والفضل والوجاهة. وكان هو نفسه يحضر مجالس بغداد ودواوينها، ولا سيّما مجلس الملك علي عاهل الحجاز السابق. ذكر أحمد حسن الزيّات الأديب المصريّ الذي درّس أمداً في بغداد إنه كان يلقاه في مجلس الملك علي وكان يوسف العطا لا ينقطع عن حضوره فكان يقول في كلّ شيء ويجيب في كلّ شيء، ولا ينطق الا ببيت من الشعر أو أثر من الحديث أو آية من القرآن.

وقال جمال الدين الألوسي إن المفتي قد أصيب في أيامه الأخيرة بمرض عقل لسانه، فكان يجلس إلى الشيخ ابراهيم الراوي كلّ أمسية يقرأ له على ماء فيبلّ به فمه. فإذا حضر الألوسي سأله أن يقرأ له في كتاب أو مجلة أو ديوان شعر.

وذكر المفتي أيضاً ابراهيم الدروبي في كتابه: «البغداديون أخبارهم ومجالسهم» فقال إنه ورث عن أبيه ثروة طائلة فعاش في بلهنية ونعمة، لكنه لكرمه وانبساط يده أضاع معظم أمواله. وقال إن مجلسه يختلف إليه الملوك والأمراء والوزراء والعلماء والساسة والقادة والأشراف والتجار. وقد وقف كتبه على الحضرة القادرية.

وقد حدثني مصطفى علي إن يوسف العطا كان رفيع المنزلة، واسع المعرفة، لكنه عرف بالتعصّب. وقد كفّر معروف الرصافي فهجاه هجاءً مقذعاً. وكان ذلك على أثر إعلان الدستور العثماني سنة ١٩٠٨، إذ جاء بغداد وفد من حزب الاتحاد والترقي وزار محمود شكري الألوسي وكلفه بقراءة منشور على الناس بعد صلاة الجمعة في بعض المساجد. واعتذر الألوسي، لكنه قال: إن تلميذي الرصافي يقرأ المنشور على جمهور المصلين.

وفي يوم الجمعة المعيّن نبّه على الناس بأن لا ينصرفوا عند انتهاء الصلاة، ووقف الرصافي فقرأ منشور الحزب بحضور الوفد ورهط من أعيان بغداد، وقد افتتحه بقوله: أيها الوطنيون!

وشاع بعد ذلك ان الرصافي قال: أيها الطبيعيون! وأذاع خطبة تدعو إلى المادية اللادينية، فهاج العوام وقضى يوسف العطا وغيره من العلماء بتكفير الشاعر.

واتخذ العطا وسائر العلماء موقفاً مناوئاً لدعاة السفور في سنوات العشرين. قال

مصطفى علي: كان العطا يدرّسنا في مدرسة الحقوق. وعلم أنني وحسين الرحال من السفوريين فكان يعنفنا في أثناء الدراسة.

أقول: عرفت يوسف العطا يوم كنت موظفاً في وزارة الخارجية، فكان يزورني في ديوان الوزارة ويصّر عليّ بأن أحضر مجلسه ظهر الجمعة في الطابق الاعلى من جامع الشيخ عبد القادر الكيلاني، (وقد اتخذت غرفه بعد سنوات من وفاته مكتبة عامة جمعت فيها آلاف الكتب والمخطوطات). وكان مجلسه يلتئم بعد صلاة الظهر فيؤمه الوزراء ورجال الدين والدنيا وممثلو الدول العربية، يتناولون طعام الغداء ويظلون يتحدثون ويتسامرون إلى العصر.

وأذكر ان يوسف العطا زارني في وزارة الخارجية صباح أحد أيام رمضان، وكان إلى جانبي عبد الحميد الباجه جي مدير التشريفات جالساً وهو يدخن. وفجأة دفع المفتي باب الغرفة ودخل بدون استئذان، على عادته، فاضطرب الباجه جي وأسرع ففتح دُرْج مكتبي ووضع السيكارة فيه دون أن يطفئها، ثم أغلقه. وقمت أرحب بالمفتي وأسلم عليه، ثم عدت وفتحت الدرج بسكون وأطفأت السيكارة التي كادت تحدث حريقاً. ومرّ الأمر بسلام.

وقد نقل الباجه جي بعد أشهر مديراً لأوقاف بغداد

الرصافي والعطاء:

كفّر معروف الرصافي فهجاه بقصيدة لاذعة منها:

إن كنت قد كفرتني بجهالة ... فبالبُهت كم كفّرت من مسلم قبلي
إنك في تكفيرك الناس كافر ... تهاونُ بالله الذي جل عن مثلي
وأنت من الإسلام في كل حالة ... بمنزلة الظّلم الصّريح من العدل

وقال:

لئن كنت تنمى للعطاء فإنه ... عطاء الذي تزكو الورى فيه بالبخل

وقال فيه أيضاً:

يا أيها المفتي بتكفيرنا، ... مهلاً فقد جئت بأمر نكير
بأي جهل فيك مستأصلِ ... علمت، يا جاهل، ما في الضمير؟

نعمان الأعظمي

الواعظ الخطيب المفوّه الحاج نعمان بن أحمد بن اسماعيل بن أحمد العبيدي الأعظمي، ولد في ناحية الأعظمية بظاهر بغداد سنة ١٨٧٦، وانخرط في سلك طلبة مدرسة الإمام الأعظم ونال الإجازة العلمية (١٩٠٦). وقد عيّن معلماً بمدرسة الاعظمية

الرسمية (١٨٩٩) ثم نقل إلى مدرسة الكرخ (١٩٠٨). وعرف بطلاقة لسانه وقوة بداهته وارتجاله. وأصدر في آب ١٩١٠ مجلة شهرية دينية باسم «تنوير الأفكار» فدامت سنة واحدة.

ولما نشبت الحرب العامة انتدبته الحكومة التركية في وفد مع محمود شكري الألوسي وعلي علاء الدين الألوسي والرئيس الاول الحاج بكر افندي إلى أمير نجد عبد العزيز آل سعود لحمله على شدّ أزر الأتراك، لكن البعثة أخفقت في مهمّتها. وعيّن سنة ١٩١٥ واعظاً عاماً وألحق بقائد الجيش نور الدين بك في ساحة الكوت. واحتل الجيش الانكليزي بغداد فاعتقل نعمان الأعظمي في آخر ايار ١٩١٧ وأبعد إلى الهند، حتى أطلق سراحه سنة ١٩١٩

وقد عاد إلى التدريس في كلية الإمام الأعظم، وأصبح مديراً لها سنة ١٩٢٤ فمديراً لدار العلوم العربية والدينية كما أصبح اسم الكلية المذكورة في تشرين الأول ١٩٣١ وتوفي ببغداد في ٢ ايلول ١٩٣٦

وله مؤلفات منها: التاريخ العام، ارشاد الناشئين (١٩١٤) وخطب ومقالات كثيرة.

الشيخ قاسم القيسي

قاسم بن أحمد الفرضي القيسي ولد في بغداد سنة ١٨٧٦، ودرس علوم العربية والدين واللغتين التركية والفارسية، وكان من شيوخه عبد المحسن الطائي وعبد الوهاب النائب وغلام رسول. عيّن مدرساً لقضاء خانقين (١٩٠٠) فالجزيرة (الصويرة) (١٩٠١). وعمل بعد ذلك عضواً في مجلس المعارف ببغداد (١٩٠٩) وعضواً بالمجلس العلمي للاوقاف (١٩١٧) ومدرساً بولاية بغداد ومدرساً في دار المعلمين ومدرساً لمدرسة نائلة خاتون.

عيّن عضواً بمجلس التمييز الشرعي في كانون الاول ١٩٢٢ وظلّ في ذلك المنصب سنين طويلة حتى اعتزل الخدمة سنة ١٩٣٧ وقد درّس في كلية الشريعة وخلف السيد يوسف العطا مفتياً لبغداد اثر وفاته سنة ١٩٥١ وتوفي الشيخ قاسم القيسي ببغداد في ١١ ايلول ١٩٥٥

له مؤلفات في اللغة والفقه والمنطق، منها: رسالة في مصطلح الحديث (١٩٣٨) الزهر اللطيف في مسلك التأليف (١٩٤٠) الحديقة الندية (١٩٤٠) النزهة البهيّة (١٩٥٤) تاريخ التفسير (١٩٦٦).

كان الشيخ قاسم القيسي عالماً وقوراً مهيباً تخرّج عليه عدد عديد من العلماء ورجال الأدب والفضل. وقد قال فيه تلميذه معروف الرصافي:

إذا قاسم القيسي مرّ بخاطري	تذكرت عهداً في الصّبا مرّ كالحلم
تذكرته إذ كنت للعلم طالباً	بفكري وسعيي مجهد النفس والجسم
فقد كنت أحياناً أزور فناءه	وأنتابه للرشف من منهل العلم
هو العالم الحَبر الذي من يلُذ به	يكن فائزاً بالعلم والأدب الجم
بقيّة أعلام مضوا، وكفى به	من العلم طوْداً فوق أطواده الشُّمّ
له نظر في غامض العلم نافذ	ورأي سديد لا يحوم على الوهم
إذا ما نحا في العلم قتل عويصة	رماها بسهم من فطانته مُصمي

أمجد الزهاوي

الفقيه العالم الشيخ أمجد بن محمد سعيد بن محمد فيضي الزهاوي. كان أبوه الشيخ محمد سعيد مفتياً لبغداد، خلف في ذلك المنصب أباه محمد فيضي سنة ١٨٩١

ولد أمجد الزهاوي ببغداد في سنة ١٨٨٢، ودرس على أبيه وعلى عباس حلمي القصاب وغلام رسول الهندي وسائر علماء عصره. ثم شدّ الرحال إلى استانبول وانتمى إلى مدرسة القضاة فتخرّج فيها سنة ١٩٠٩ وعاد إلى بغداد فأسندت إليه رئاسة محكمة الاستئناف على العهد العثماني.

زاول المحاماة، ثم عيّن مشاوراً حقوقياً لدائرة الأوقاف (أول حزيران ١٩٢٠)، وخلف أباه في التدريس بالمدرسة السليمانية. وقام بالتدريس أيضاً في مدرسة الحقوق، وألقى فيها محاضرات في المجلّة والفرائض جمعت في كتاب الوصايا والفرائض (١٩٢٥). وعيّن في ١٨ أيلول ١٩٣٣ رئيساً لمجلس التمييز الشرعيّ السنّي، فقضى في منصبه نحواً من ١٣ عاماً واعتزل الخدمة في صيف ١٩٤٦

كان معجباً بالإمام الغزالي مفضّلاً له. وجاور في المدينة المنوّرة أمداً بعد ثورة تموز ١٩٥٨، ثم عاد إلى بغداد وتوفي بها في ١٧ تشرين الثاني ١٩٦٧

قال إبراهيم الدروبي في كتابه «البغداديون: أخبارهم ومجالسهم» إن أمجد الزهاوي قد نال مكانة سامية في العالم الإسلامي وانتخب رئيساً للمؤتمر الإسلامي العام. وجاب الأقطار العربية وغيرها داعياً إلى الإصلاح والتضامن الدينيّين ومنافحاً عن قضية فلسطين والجزائر. وقد عاش عيشة الزهد والتقشّف والورع، وعرف بسعة الاطلاع والتبحّر في العلوم العقلية والنقلية.

وكان أمجد الزهاوي متشدّداً، قال عبود الشالجي إنه كان يحرّم التبغ والتدخين لاعتقاده بأنه تبذير مخلّ بصاحبه.

حمدي الأعظمي

العالم الفقيه الحقوقيّ الحاج حمدي الأعظمي، وهو ابن الملا عبد الله بن محمد بن عبد الله بن يوسف بن خضر العبيدي. ولد في الأعظمية من ضواحي بغداد في أيلول ١٨٨٢، ودرس في المدرسة الرشدية، ثم حضر دروس نعمان الألوسي وعبد الرزاق الأعظمي ومحمد سعيد النقشبندي ومعروف البشدري وغيرهم من علماء عصره. وانتمى بعد ذلك إلى مدرسة الحقوق فنال شهادتها سنة ١٩١٢

عمل في التعليم منذ آذار ١٨٩٨ في مدارس الأعظمية وبعقوبا. وبعد زيارة للأستانة سنة ١٩٠٧، عاد معلماً في العمارة وبغداد. وعيّن سنة ١٩١٢ مديراً للمدرسة الأنموذجية، فمدرساً بالمدرسة السلطانية (١٩١٤) إلى احتلال بغداد سنة ١٩١٧ وكان علاوة على ذلك عضواً في مجلس المعارف.

عيّن على أثر احتلال بغداد مدرساً بمدرسة الإمام الأعظم (١٧ نيسان ١٩١٧) ومدرساً بدار المعلمين (آب ١٩١٧) ومدرسة الهندسة (شباط ١٩١٨). ثم نقل مفتشاً للأوقاف (أيلول ١٩١٨) فمديراً لأوقاف بغداد (١٩١٩) حتى استقال في نيسان ١٩٢٣، وزاول المحاماة.

وعاد إلى دائرة الأوقاف سنة ١٩٢٤ مديراً للأملاك فمديراً للواردات. وأوفد في أيلول ١٩٢٦ إلى تركيا لاستنساخ القيود الوقفية، وكان معه عبد الحميد الباجه جي. ثم عيّن مدوناً قانونياً في وزارة العدلية في آذار ١٩٢٨، فظلّ في وظيفته إلى سنة ١٩٤٣ حين اعتزل الخدمة. وعهدت له في تشرين الثاني ١٩٣٨ إدارة دار العلوم العربية والدينية بالوكالة خلفاً لفهمي المدرّس. ثمّ عيّن عميداً لكلية الشريعة (١٩٤٦ ــ ١٩٥٣). واختير عضواً بالمجمع العلمي العراقي في آب ١٩٦٣

وقد درّس الأحوال الشخصية في كلية الحقوق أعواماً طويلة، ووضع مؤلفات عديدة، منها: الدرّ المنتقى (١٩٠٧) مرقاة العقائد (١٩٠٧) خلاصة الهندسة (١٩١١) زبدة الحساب (١٩١١) علم الكلام (١٩١١) المحاضرات في الأحوال الشخصية (١٩٣٥) مذكرات في أصول الفقه (١٩٣٨) خلاصة المحاضرات في علم الكلام (١٩٤١) علم العقائد (١٩٤١) غاية المرام في عقائد أهل الإسلام (١٩٤٨) تاريخ الفقه الإسلامي (١٩٤٩) المرشد إلى أصول الفقه (١٩٥٤) أصول الفقه (١٩٥٤) إلخ. وله عدا ذلك فهارس للقوانين ومحاضرات ومقالات في شتى الصحف والمجلات. وقد وقف خزانة كتبه وجعلها مكتبة عامة في قصبة الأعظمية (١٩٦٢).

وقد توفّي حمدي الأعظمي ببغداد في ١٤ آذار ١٩٧١ بعد مرض طويل.

محمد سعيد الراوي

محمد سعيد بن عبد الغني بن محمد بن حسين بن عبد اللطيف الراوي ولد في عانة سنة ١٨٨٣ في بيت علم وورع. ودرس على والده. ثم جاء إلى بغداد وأخذ العلم عن شيوخها كيوسف العطا ومحمد سعيد التكريتي وعباس حلمي القصاب وعبد الوهاب النائب ومحمود شكري الألوسي وغيرهم.

وتوفي والده سنة ١٩٠٦ فخلفه مدرساً في جامع خضر الياس، ثم عيّن خطيباً بالتكية الخالدية وإماماً في جامع الشيخ معروف الكرخي. وانتخب عضواً بالمجلس العمومي لولاية بغداد، فلما احتلها الإنكليز اعتقلوه وأرسلوه أسيراً إلى الهند.

وعيّن بعد إطلاق سراحه مدرساً في دار المعلمين الابتدائية (١٩٢١) فأستاذاً بجامعة آل البيت (١٩٢٤)، وتولى تحرير المجلة التي أصدرتها باسم «الجامعة» (آذار ١٩٢٦). ثم نقل مدرساً في المدرسة الثانوية المركزية. وعيّن بعد ذلك نائب عضو ورئيساً لكتاب مجلس التمييز الشرعي السنّي في بغداد (كانون الأول ١٩٢٨)، فظلّ في منصبه إلى وفاته في بغداد في ١٥ شباط ١٩٣٦

من مؤلفاته: شرح مجلة الأحكام العدلية (١٩٢٤) وكتاب معلّم الفرائض (١٩٢٥) والمعلومات الدينية للمدارس الابتدائية. وله أيضاً خطب ومواعظ وشعر، وبحوث ومقالات في تاريخ العراق ومعاهده ومساجده ومساجلات مع مؤرخي عصره في هذا الباب.

قال في أسره:

لعمرك ما حال الفتى بعد سجنه ... وتقييده في الأسر يمسي ويصبح؟
حنانيك لو أبصرتنا لرأيتنا، ... ونحن سكوت، حالنا لك يفصح
نطأطىء رأساً ما رأى غير رفعة ... ونخضع للأدنى وما ثمّ مفلح
بقفر بأرض الهند بين وحوشها ... أصاغر في ذلّ الأسارة نسرح

عبد الكريم الزنجاني

الشيخ عبد الكريم الزنجاني من علماء النجف وفقهائها المعروفين، ولد في النجف سنة ١٨٨٧ ودرس على مشايخها وعلى الشيخ كاظم اليزدي وأجيز بالاجتهاد (١٩١٤). وانصرف إلى التدريس والتأليف، حتى توفي في ١٠ أيلول ١٩٦٨

وضع مؤلفات كثيرة منها: جامع المسائل في الفقه، دروس الفلسفة (في جزءين ١٩٤٠ ـ ٦٢)، طريق النجاة، برهان إمامة ووحي وإلهام (بالأوردية ١٩٣٥) مسائل

شرعية (بالفارسية ١٩٥٧) ابن سينا خالد بآثاره وخصاله (١٩٥٢) ذخيرة الصالحين، الفقه الأرقى في شرح العروة الوثقى (١٩١٤)، محاضرات (١٩٤٦) المثل العليا (١٩٤٦)، صفحة من رحلة الإمام الزنجاني وخطبه في الأقطار العربية والعواصم الإسلامية (جزآن ١٩٥٦ ـ ٥٧) الوحدة الإسلامية (١٩٦١) الكندي خالد بفلسفته (١٩٦٢) الإعداد الروحي للجهاد الإسلامي في فلسطين (١٩٦٧) إلخ.

عرف الزنجاني بروحه الإصلاحية وسعيه في سبيل توحيد كلمة الإسلام. وقد رحل إلى الأقطار الإسلامية وطوّف بها يخطب ويكتب للدعوة إلى آرائه سنة ١٩٣٦، ثم عاد إلى مسقط رأسه منقطعاً للتدريس والتأليف.

محمد جعفر الحسيني

ولد محمد جعفر الحسيني الحائري في كربلاء سنة ١٨٨٣ ودرس الفقه وعلوم الدين. عيّن قاضياً جعفرياً في البصرة في شباط ١٩١٩، وظلّ في منصبه حتى انتخب نائباً عن لواء البصرة في أيار ١٩٢٨ إلى تموز ١٩٣٠ ومارس المحاماة بعد ذلك في البصرة.

وقد توفي سنة ١٩٥٧

من مؤلفاته الزلال المرشوف في وضع الأسماء والحروف (١٩٣٠) قلائد اللآلىء (١٩٢٩) مرآة الفقاهة (١٩٢٩).

الكردينال أغناطيوس جبرائيل تبّوني

من أمراء الكنيسة الكاثوليكية، ولد أغناطيوس جبرائيل تبوني في الموصل في ٣ تشرين الثاني ١٨٧٩ وانتمى إلى السلك الكهنوتي، فرسم راهباً سنة ١٩٠٢ وقد أقيم نائباً بطريركياً عاماً في ماردين في كانون الثاني ١٩١٣، وأصبح رئيساً لأساقفة حلب في شباط ١٩٢١

انتخب بطريركاً على أنطاكية للطائفة السريانية في ٢٤ حزيران ١٩٢٩، ورفّعه البابا إلى مرتبة الكردينال في ١٦ كانون الأول ١٩٣٥، وكان أول شرقي ينال هذه المنزلة.

وقد توفي في ٢٩ كانون الثاني ١٩٦٨ وضع رسائل ومصنفات دينية باللغتين العربية والسريانية.

وهو ليون بن داود بن بطرس تبّوني، ووالدته أمينة بنت سليمان زبوني من أسرة السيد أقليميس يوسف داود (١٨٢٩ ـ ١٨٩٠) مطران دمشق والباحث المؤلف باللغات العربية والفرنسية والآرامية.

أغناطيوس افرام برصوم

من علماء التاريخ والمباحث الشرقية مار اغناطيوس افرام الأول بطريرك أنطاكية وسائر المشرق، وهو ابن اسطيفان برصوم. ولد في الموصل في ٥ حزيران ١٨٨٧ وانتمى سنة ١٩٠٥ إلى المدرسة البطريركية بماردين فتخرّج فيها واتّشح بثوب الرهبنة (١٩٠٧). وقام بسفرة إلى الأقطار الأوروبية سنة ١٩١٣ فزار خزائن الكتب.

انتخب مطراناً للأبرشية السورية سنة ١٩١٨ وأوفد في السنة التالية إلى أوروبا قاصداً بطريركياً بعد أحداث الحرب العامة، ثم أرسل قاصداً بطريركياً إلى أميركا سنة ١٩٢٧ لتفقد الجاليات السريانية فيها. وقد انتخب بطريركاً للسريان الأرثوذكس في حمص وتم تنصيبه في ١٢ شباط ١٩٣٣

كان يحسن اللغات العربية والسريانية والفرنسية وشيئاً من التركية والإنكليزية. وانتخب عضواً بالمجمع العلمي العربي بالشام سنة ١٩٣٣ ووضع مؤلفات وبحوثاً كثيرة منها: الألفاظ السريانية في المعاجم العربية (١٩٤٨ ـ ٥١)، تاريخ دير الزعفران (١٩١٧)، تاريخ الكنيسة (١٩٤٠)، تاريخ الآداب السريانية (١٩٤٣)، قيثار القلوب (١٩٥٤)، مار أنطون التكريتي (١٩٣١)، مزارع الجزيرة (١٩٥٥)، نوابغ السريان في اللغة العربية الفصحى (١٩٣١) إلخ.

وقد توفي في ٢٣ حزيران ١٩٥٧

قال الأب يوسف سعيد: «. فكان البطريرك مؤرخاً قديراً ومحاضراً طويل النفس، وشاعراً يتحسّس المرء في كل بيت من قصائده أنفاس الشرق، وبحاثة ذو جلد عجيب».

وذكره رفائيل بطي فقال إنه بطريرك عراقي يكتب بلغة قسّ بن ساعدة.

محسن الطباطبائي الحكيم

مرجع الشيعة الإمامية الأكبر في عصره، السيد محسن بن مهدي الطباطبائي الحكيم. كان أبوه مهدي بن صالح بن أحمد بن محمود الطباطبائي الحكيم النجفي من الفقهاء المعروفين، ألّف «تحفة العابدين» و «معارف الأحكام»، وتوفي بجبل عامل في نحو سنة ١٨٩٤

ولد محسن الحكيم في بلدة بنت جبيل في لبنان سنة ١٨٨٩ ونشأ في النجف ودرس في معاهدها وكان من أساتذته محمد كاظم الخراساني وضياء الدين العراقي ومحمد حسين النائيني وعلي باقر الجواهري. وانضمّ إلى المجاهدين في جنوبيّ العراق سنة ١٩١٥ بزعامة محمد سعيد الحبوبي وهادي مكوطر.

واصل التدريس والتأليف وبرزت شهرته الروحية حتى انفرد بزعامة الشيعة في العراق وإيران وسائر الأقطار بعد وفاة السيد أبي الحسن الموسوي الأصفهاني سنة ١٩٤٦ وعرف بسعة علمه وزهده وتواضعه وبعده عن التعصّب.

وقد وضع مؤلفات، منها: مستمسك العروة الوثقى (في الفقه، ١٢ مجلداً)، منهاج الصالحين (في جزءين ١٩٤٨)، شرح كتاب المراح (في الصرف) توضيح المسائل (١٩٦٢)، حقائق الأصول (في جزءين ١٩٥٤)، دليل الحاج، دليل المناسك (١٩٥٩)، شرح الكفاية (في جزءين)، الصلاة، المسائل الدينية، منتخب الرسائل (بالفارسية)، منهاج الناسكين (١٩٤٨) نهج الفقاهة (١٩٥٣)، إلخ.

توفّي ببغداد في أول حزيران ١٩٧٠

أصدر السيد محسن الحكيم في شباط ١٩٦٠ فتوى ندّد فيها بالشيوعية وعدّها مخالفة لروح الإسلام.

لكنه على أثر تولي حزب البعث مقاليد الحكم في العراق سنة ١٩٦٨ واضطهاده لبعض العناصر الشيعية، سئل أن يدعو أبناء الشيعة إلى الإضراب أو أن يتخذ إجراءات أخرى ملائمة، فرفض قائلاً إنه رجل دين لا رجل سياسة.

قال حسن العلوي في كتابه «الشيعة والدولة القومية في العراق» (١٩٩٠) إنه يمكن اعتبار عهد الحكيم واحداً من أصعب عهود المرجعية الشيعية.

شهد الثورة المصرية سنة ١٩٥٢ فأفتى بدعم نضالها في أثناء العدوان على بور سعيد.

وشهد ثورة العراق سنة ١٩٥٨ فأفتى بنصرتها. وقامت الثورة الكردية فأفتى بتحريم قتال الأكراد المسلمين.

ظهر قانون الإصلاح الزراعي والقطاع الاشتراكي فأفتى بحرمة الصلاة في الأراضي المغتصبة وحرمة التعامل مع بضائع المصانع المغتصبة أيضاً. وطلب من رئيس الوزراء طاهر يحيى أن تنظر الحكومة إلى مختلف أبناء الشعب نظرة واحدة دون تمييز أو تفريق بين قومياتهم أو مذاهبهم. وطالب بتأكيد حقيقة العراق الإسلامية وروحه العربية وتراثه الرفيع.

وقد أصدر السيد محسن في ١٢ شباط ١٩٦٠ فتوى بعدم جواز الانتماء إلى الحزب الشيوعي فإنّ ذلك كفر وإلحاد وترويج للكفر والإلحاد.

نجم الدين الواعظ

نجم الدين بن السيد عبد الله الواعظ، ولد في بغداد سنة ١٨٨١، ودرس علوم العربية والدين على عباس حلمي القصاب وغلام رسول الهندي الأنصاري وعبد الوهاب النائب. وعيّن مدرساً لجامع العادلية سنة ١٩٠٤، فلبث أعواماً طويلة يدرّس فيه وفي مدرسة نائلة خاتون وجامع حنان وجامع القبلانية.

وقد عيّن مدرساً في دار العلوم الدينية والعربية سنة ١٩٣٤، وخلف الشيخ قاسم القيسي مفتياً لبغداد عند وفاته سنة ١٩٥٥

له مؤلفات منها: غاية التقريب (في الأصول) وبغية السائل في شرح منظومة العوامل للشيخ عبد الوهاب النائب، الدين الحنيف (١٩٥٤) إلخ.

ونجم الدين الواعظ من رجال الدين الذين يقرنون العلم الغزير بالأخلاق الرفيعة والدعوة إلى الإصلاح والتسامح بالرغم من موقفه الشديد سنة ١٩٢٥ ضد دعاة تحرير المرأة.

وقد توفي ببغداد (الأعظمية) في ٧ شباط ١٩٧٦

أبو عبد الله الزّنجاني

العالم الإسلامي المصلح أبو عبد الله بن عبد الرحيم بن نصر الله ولد في زنجان شمالي إيران في ١٥ كانون الأول ١٨٩١ وارتحل إلى النجف فدرس على كاظم اليزدي وشيخ الشريعة الأصفهاني وحسين النابيني. ثم درس الفلسفة في طهران.

دعا إلى الإصلاح الديني وتوحيد الكلمة وعقد الصلة بين المذاهب الإسلامية، فقام برحلات إلى الشام والأردن وفلسطين ومصر والحجاز، ثم قفل عائداً إلى زنجان. ورحل ثانية إلى مصر سنة ١٩٣٤، وعرّج على دمشق. وانتخب عضواً مراسلاً بالمجمع العلمي العربي في الشام.

وقد توفّي في ٢٣ تموز ١٩٤١

من مؤلفاته: تاريخ القرآن (١٩٣٥) بقاء النفس بعد فساد الجسد، الفيلسوف الفارسي صدر الدين الشيرازي، طهارة أهل الكتاب (١٩٢٧) عظمة الحسين (باللغة الفارسية)، أصول القرآن الاجتماعية، فلسفة الحجاب (١٩٢٤) رسالة في التصوّف.

الشيخ كمال الدين الطائي

محمد كمال الدين بن الشيخ عبد المحسن آل بكتاش الطائي، من علماء الدين. كان أبوه مدرس جامع المصرف وخطيب جامع علي أفندي، ولد في بغداد سنة ١٨٥٧ وتوفي سنة ١٩٤٥ وقد وضع تآليف في المنطق وعلم الكلام والتصوف.

ولد كمال الدين في بغداد سنة ١٩٠٣ ودرس في المدارس الرسمية التركية، ثم سلك مسلك التحصيل الديني على كبار العلماء. عيّن إماماً في جامع منوّرة خاتون، واختير محاضراً في دار العلوم العربية والدينية سنة ١٩٣٢ وكان واعظاً في عدة جوامع، واشترك في تأسيس جمعيات خيرية ودينية، منها جمعية الشبان المسلمين وجمعية الهداية الإسلامية ونادي الإرشاد.

تولى تحرير المجلات التي أصدرتها جمعية الهداية الإسلامية: الهداية (أيار ١٩٣٠) وصدى الإسلام (كانون الأول ١٩٣٠) والصراط المستقيم (١٩٣١) وتنوير الأفكار (١٩٣٢) والاعتصام (١٩٣٢) والكفاح (١٩٣٤) ولسان الهداية (١٩٣٥). وأصدر مجلة دينية بإسم الذكرى (١٩٣٥) ورئس تحرير مجلة الراية لصاحبها نهاد الزهاوي (١٩٣٦).

اعتقل في تشرين الثاني ١٩٤١ وأبعد إلى العمارة والفاو. وفي أيلول ١٩٤٧ تولى رئاسة تحرير مجلة الكفاح لجمعية الآداب الإسلامية، وقد عادت هذه المجلة إلى الصدور سنة ١٩٥٨ ـ ١٩٥٩ ووضع مؤلفات شرعية وأدبية، منها الذكرى المحمدية (في عشرة أجزاء، ١٩٣٢ ـ ١٩٤١)، الفقر في الإسلام، إلخ.

توفي في بغداد في ١٢ آب ١٩٧٧

محمد باقر الصدر

المجتهد الإمامي ذو النظرة العصرية والنزعة الإصلاحية السيد محمد باقر حيدر الصدر ينتمي إلى الأسرة المعروفة في الكاظمية التي شهدت مولده سنة ١٩٣٥ توفي والده وعمره لا يتجاوز الأربع سنوات. وقد درس العلوم العربية والدينية في الكاظمية والنجف، وكان من أساتذته السيد محسن الحكيم ومرتضى آل ياسين وإسماعيل الصدر. ونال درجة الاجتهاد، فأكبّ على التأليف والإرشاد. وأنشأ حزب الدعوة الإسلامية في النجف سنة ١٩٥٧ واعتقل في النجف لمعارضته لحكم البعث في ٥ نيسان ١٩٨٠ ونقل إلى بغداد واغتيل شهيداً بعد ثلاثة أيام (٨ نيسان ١٩٨٠).

حدّد في أواخر أيام حياته المهام العاجلة للمعارضة العراقية ولخّصها بأربع مهامّ:

١ ـ إسقاط نظام صدّام حسين والنضال في سبيل ذلك داخل العراق وخارجه.

٢ ـ إعادة السلطة للشعب ومنحه الفرصة الكاملة للتعبير عن رأيه .

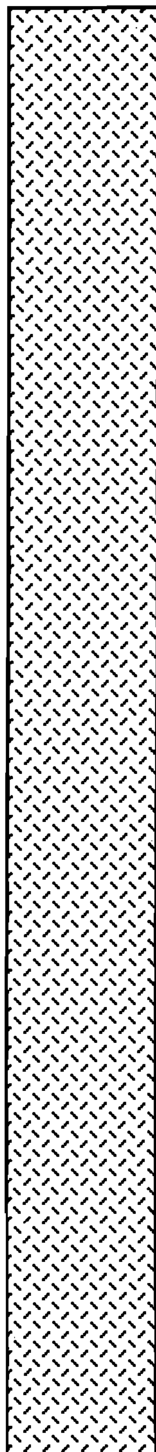
٣ ـ تحقيق وحدة الكفاح بين قوى المعارضة والشعب وتوحيد الكلمة .

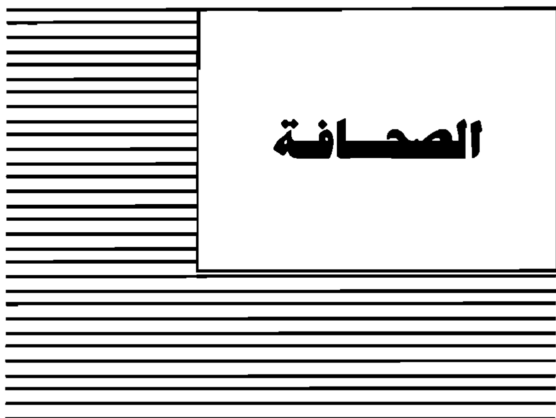
٤ ـ إقامة نظام يعبّر عن إرادة الشعب ويحقق له الكرامة .

وضع محمد باقر الصدر مؤلفات كثيرة طبعت في النجف وبيروت والكويت ، منها : غاية الفكر في الأصول (١٩٥٥) فدك في التاريخ (١٩٥٥) فلسفتنا (١٩٥٩) اقتصادنا (جزآن، ١٩٦١ ـ ١٩٦٨) ماذا تعرف عن الاقتصاد الإسلامي ، المعالم الجديدة للأصول (١٩٦٥) المدرسة الإسلامية (جزآن، ١٩٦٥) الإنسان المعاصر والمشكلة الاجتماعية (١٩٦٥) البنك اللاربوي في الإسلام (١٩٦٩) الأسس المنطقية للاستقراء ، إلخ .

قال لي عبد الهادي الجلبي : لو طال به الزمان لاجتهد اجتهادات كثيرة تتفق مع روح العصر.

وقال الدكتور محمد بحر العلوم إنّ محمد باقر الصدر «قاد الثورة الإسلامية في العراق في السبعينات وأعطى من نفسه لها كأي قائد رسالي الغالي والنفيس ، وكان آخرها حياته الغالية وحياة أخته الطاهرة المجاهدة بنت الهدى» . وقال إنه كان رائداً فذاً للحركة العلمية الدينية في النجف وكربلاء وقم وخراسان وغيرها من مراكز المرجعية الإمامية . ورأى أن الطليعة من أبناء الأمة في العراق بحاجة إلى توعية إسلامية ثورية وبناء جيل يتحمل مسؤوليته الدينية والتاريخية في رسم خط إسلامي فكري هادف ينقذ الأمة من التذبذب وعدم الرسوخ في المعتقد والالتزام في العطاء العلمي بما يتناسب وحاجة الظرف المُعاش . ولذلك كان لعطائه المتجسّد في مؤلفاته من تفسير وفقه وأصول وفلسفة واجتماع واقتصاد الأثر الكبير في خلق طبقة علمية رائدة .





الصحافة

داود صليـوا

من قدمـاء رجال التعليم والصحافـة، المعلم داود صليوا ابن الشمّاس يوحنّـا صليوا ولد في الموصل في ٧ تشرين الثاني ١٨٥٢، وفقد حنـان الأمومة طفلاً. درس في المدرسة الكلدانية، ثم تلقى اللغـة العربية وآدابها على المطران ميخائيل نعمو ويـوسف باشعالم والبطريـرك عبد يشـوع خياط. وعيّن وهـو بعد صبيّ معلماً في مـدرسته، ثم عهـد إليه بإدارتها فأمضى في تلك المهمة أربع سنوات.

وانتقل إلى بغـداد سنة ١٨٧٤ وزاول التعليم في المدارس الأهليـة ثـلاثين عامـاً. ثم أعلن الدستـور في البلاد العثمانية وأطلقت حـرية الصحافـة، فأصدر جريـدة «صدى بابل» في ١٣ آب ١٩٠٩، وقد اشترك في إصدارها معـه في بادىء الأمر يوسف رزق الله غنيمة. وأصدر بعـد ذلك مجلة فكاهية روائيـة نصف شهرية باسـم «الغرائب» (شباط ١٩١٣) نشر منها ١٢ عدداً.

نشبت الحرب العامـة وخاضت تركيـة غمارها، فنفي داود صليـوا مع الأب أنستاس الكرملي وعبد الحسين الأزري وغيرهما إلى قيصرية الأناضول، حيث قضى قرابة السنتين (١٩١٤ـ١٩١٦).

وقد فقد بصره في أعوامه الأخيرة، وقضى نحبه ببغداد في ٤ تشرين الثاني ١٩٢١

وضع رسـالـة في ترجمة الـوالي نـاظم بـاشا (١٩١٣) وألف كتبـاً في الصرف والنحـو والمنطق واللغـة العربيـة. ودعا في جـريدتـه إلى استعمال العربيـة في العراق في الشـؤون الرسمية بدلاً من التركية، ونادى بأهمية الصحافة في تثقيف أبناء الشعب وإصلاح أمور البلاد ونشر العلم والأدب وشدّ وثاق الروابط الإنسانية. ونظم شعراً في التهنئة والمديح، كقوله:

غـرست لكم في المدح مـا اخضرّ روضـه ... وألقت إليـه الـزُّهْـر عقـداً من الـزهـر

وسطّـرت في خـدّ الـزمـان حقيقـة ... ملخّصهـا فخـر يـدوم على فخـر

لقـد جمع الله المحـاسن فيكـم ... كما جمع الأضـواء في مطلع الفجـر

سليمان الدخيل

الكاتب الصحفي المؤرخ سليمان الدخيل وهو ابن صالح بن دخيل بن جار الله النجدي، ولد في القصيم من أعمال نجد سنة ١٨٧٣ وقدم إلى بغداد فتتلمذ على محمود شكري الألوسي. وقد طاف في بلاد العرب والهند، وكان واسع الاطلاع على أحوال الجزيرة العربية والخليج وعادات العرب وأخبارهم.

أصدر في بغداد جريدة أسبوعية باسم «الرياض» (٧ كانون الثاني ١٩١٠)، أعانه على إصدارها عمه الشيخ جار الله الدخيل، وكان وكيل الأمير ابن رشيد وصاحب تجارة واسعة مع نجد وجزيرة العرب. وكان إبراهيم حلمي العمر محرراً لهذه الجريدة. ثم أصدر سليمان الدخيل و إبراهيم حلمي مجلة بإسم «الحياة» (كانون الثاني ١٩١٢) احتجبت بعد صدور أربعة أعداد.

نشبت الحرب العامة وخاضت الدولة العثمانية غمارها فشرّدت رجال الفكر وأصحاب الأقلام، وفرّ سليمان الدخيل إلى نجد. وعاد بعد الحرب إلى بغداد فعين قائممقاماً لقضاء عانة في نيسان ١٩٢١ ثم عيّن مديراً لناحية بلد في كانون الثاني ١٩٢٣، ونقل إلى المحمودية فالكوفة (حزيران ١٩٢٥) وكان وكيل قائممقام الجبايش في كانون الأول من تلك السنة. ثم عاد إلى الصحافة في كانون الأول ١٩٣١ رئيساً لتحرير جريدة «جزيرة العرب» الأسبوعية لصاحبها داود العجيل، ولم تستقم سوى ثلاثة أشهر.

ورجع إلى الوظيفة بعد ذلك فكان مديراً للتحرير في لواء كربلاء (١٩٣٤) فالناصرية (آب ١٩٣٨). وتوفي ببغداد سنة ١٩٤٥

كتب سليمان الدخيل مقالات عن الجزيرة العربية في مجلة لغة العرب وغيرها. وألف: القول السديد في أخبار إمارة آل رشيد (١٩٦٦) الوهابية (١٩١٤) العقد المتلألىء في حساب اللآلىء، تحفة الألباء في تاريخ الاحساء (١٩١٣). ومن الكتب التي قام بنشرها: عنوان المجد في تاريخ نجد (١٩١٠) الفوز بالمراد في تاريخ بغداد (١٩١١)، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب (١٩١٤).

وكان أبوه الشيخ صالح بن دخيل بن جار الله النجدي من رجال العلم كتب بحوثاً في مجلة المقتطف المصرية في الدفاع عن المذهب الوهابي وذلك في السنوات الأولى من القرن العشرين.

محمد كامل الطبقجلي

ينتمي إلى الأسرة البغدادية المعروفة. أصدر في ٦ كانون الأول ١٩٠٩ جريدة عربية

تركية باسم «بين النهرين». كان ائتلافياً مناوئاً للاتحاديين، فلما اغتيل الصدر الأعظم محمود شوكت باشا في استانبول سنة ١٩١٣، أقام الأفراح في داره ثلاثة أيام ابتهاجاً بمقتله ـ على ما حدّثني به سامي خوندة. واعتقل على أثر ذلك في حزيران من تلك السنة. ثم رأى استفحال سلطة رجال الاتحاد والترقي فغادر بغداد ناجياً بنفسه إلى الهند، وأقام في بمبي.

قال سامي خوندة إنه كان يصدر جريدة «الرافدين» سنة ١٩٢١ فإذا برجل يدخل عليه في الإدارة، وكان معتمراً الطربوش ولابساً السّراويل الهندية والجلباب، وعرّف نفسه بأنه محمد كامل الطبقجلي. رحّب به سامي، فقال الرجل: لقد قمنا بواجبنا تجاه الترك، فعليكم، يا أولادي، أن تواصلوا جهادكم ضد الإنكليز وتستخلصوا حقوق الشعب منهم.

وعاد محمد كامل إلى الهند ثانيةً وأدركه الحمام فيها.

وهو والد الزعيم ناظم الطبقجلي الذي اشترك في حركة العقيد عبد الوهاب الشوّاف في الموصل سنة ١٩٥٩ وأعدم معه على عهد الزعيم عبد الكريم قاسم.

داود نيازي

من رجال الصحافة القدماء، مارس داود نيازي المحاماة في البصرة وأصدر فيها، على أثر إعلان الدستور العثماني، جريدة عربية تركية باسم «الفيض» (أيار ١٩١٠). وقد ظلّ يصدر جريدته حتى انتحر في نيسان ١٩١١

قاسم جلميران

من قدامى رجال الصحافة، موصليّ المنبت، كان من ذوي الأملاك في البصرة. أصدر فيها جريدة «إظهار الحق» باللغتين العربية والتركية في أول حزيران ١٩٠٩، وعهد بتحرير القسم العربي إلى الشاعر عبد القادر العبادي.

وقد اغتاله فلاحوه في نيسان ١٩١٠

فتح الله سرسم

فتح الله بن جرجيس سَرْسَم ولد في الموصل سنة ١٨٧٥ وتعلم اللغات العربية والتركية والفرنسية. عيّن عضواً بمحكمة البداءة سنة ١٩٠٥، فعضواً بمجلس إدارة الولاية ومحكمة الاستئناف.

ولما أعلن الدستور العثماني أصدر جريدة أسبوعية في الموصل باللغتين العربية والتركية باسم نينوى (١٥ تموز ١٩٠٩)، وكان مديرها المسؤول محمد أمين الفخري. وعاد بعد ذلك عضواً بمجلس الإدارة (١٩١٢) فعضو مجلس الولاية العام (١٩١٤ ـ ١٩١٨).

واحتلّ البريطانيون الموصل سنة ١٩١٨ فعينوه عضواً بالمجلس البلدي (١٩٢٠) فعضواً بمجلس الإدارة ونائب متصرف لواء الموصل (١٩٢١). وانتخب نائباً عن اللواء المذكور في المجلس التأسيسي العراقي سنة ١٩٢٤ وقد توفي في سورية في تشرين الثاني ١٩٢٧

كانت له عناية بالمخطوطات ولا سيّما ما يتعلق منها بالموصل وتاريخها.

ولده: متّى فتح الله سرسم أصدر في الموصل جريدة «فتى العراق» (١٩٢٩) و «الإخلاص» (١٩٣٠) فجريدة «البلاغ» (١٩٣٠) وانتخب نائباً عن الموصل في حزيران ١٩٣٩، وأعيد انتخابه في آذار ١٩٤٧ وظلّ نائباً إلى ثورة تموز ١٩٥٨

عبد الوهاب الطباطبائي

ينتمي إلى أسرة بصريّة قديمة حسنيّة النسب، وهو عبد الوهاب بن عبد الله بن أحمد بن عبد الجليل الطباطبائي. كان جدّه عبد الجليل شاعراً فقيهاً معروفاً في عصره ولد في البصرة سنة ١٧٧٦ وارتحل إلى البحرين فالكويت حيث أدركه الحمام سنة ١٨٥٤

وقد ولد عبد الوهاب في الكويت سنة ١٨٧٥ ودرس على علمائها. ثم جاء إلى البصرة فأتم دراسة الأدب واللغة وعلوم الدين. ولازم السيد طالب النقيب وزار معه مصر والأستانة، والتحق بالجمعية الإصلاحية التي أسّسها قبيل الحرب العامة. وراسل جريدة المؤيد المصريّة لصاحبها الشيخ علي يوسف.

وحرّر جريدة «الدستور» التي أصدرها في الثغر عبد الله الزهير في ٢٢ كانون الثاني ١٩١٢ وأصدر بعد ذلك جريدة «صدى الدستور» باللغتين العربية والتركية في ٢٥ أيلول ١٩١٣، فظلت تصدر إلى احتلال البصرة في كانون الأول ١٩١٤

وعيّن على أثر تأليف الحكومة العراقية مديراً لناحية الزبير (كانون الثاني ١٩٢٣)، ثم أصبح رئيساً لكتاب بلدية البصرة في سنة ١٩٢٩ واعتزل الخدمة سنة ١٩٤٩ وله مقالات كثيرة في الصحف.

وقد توفي في البصرة في تموز ١٩٥٧

أخوه عبد المحسن بن عبد الله الطباطبائي (١٨٨١ ـ ١٩٢١) ولد في الكويت ونشأ

في البصرة واشترك مع أخيه عبد الوهاب في تحرير جريدة الدستور. وكان كاتباً أديباً وشاعراً ينظم بالفصحى والعامية، ويعمل في التجارة.

علي الجميل

الصحفي الأديب علي الجميل ولد في الموصل سنة ١٨٩٠، ودرس في المدارس الدينية. ووظف كاتباً في المحكمة الشرعية بمسقط رأسه (١٩١٠)، ثم انتقل إلى دائرة الأوقاف. وظهر ميله إلى الكتابة، وهو في عنفوان الشباب، فنشر مقالاته في جريدة «النجاح» الموصلية لصاحبها خير الدين العمري وراسل جريدة «المصباح» التي أصدرها عبد الحسين الأزري في بغداد قبيل الحرب العظمى. وتولّى تحرير القسم العربي في جريدة «الموصل» الرسمية والترجمة في مطبعة الولاية. وألف: التحفة السنية في المشايخ السنوسية (١٩١٣).

مضى إلى حلب طلباً للاستشفاء من مرض ألمّ به، فلما عاد إلى الموصل، زاول أعمال والده التجارية، ثم عيّن رئيساً لكتّاب غرفة تجارة الموصل. وأنشأ جريدة «صدى الجمهور» سنة ١٩٢٧ نصف أسبوعية واستمرّ على إصدارها إلى وفاته. وقد توفّي في حلب في أول تشرين الأول ١٩٢٨ ونقل جثمانه إلى الموصل ودفن بها.

كان شاعراً أديباً رقيق الحاشية، حاضر النكتة، سريع البديهة، عرفه إبراهيم الواعظ في أثناء إقامته بالموصل سنة ١٩١٧/١٩١٨ وتوثقت صلته به وحصلت بينهما مطارحات شعرية ونثرية. فمما قاله علي الجميل يهنىء الواعظ بعيد الأضحى:

يميناً بربّ البيت والليل إذ يسري، بك ابتزّ قدّ العيد في حلل الفخر
تكامل حسناً من معانيك سعده فأضحت به الأيام باسمة الثغر
وأبدى من الإقبال ما أنت أهله وقد جاء للتبريك، يا طلعة البدر
فدم رافلاً بالعزّ والسّعد والبقا حبيباً لكلّ العالمين مدى الدّهر

وقال أيضاً:

لك منّي بين الجوانح قلب صادق الودّ معجب بولائك
وكأنّي به إليك اشتياقاً خافق لا يقرّ دون لقائك

رزّوق غنّام

شيخ الصحافة العراقية في عصره ولد في بغداد سنة ١٨٨٢ وتوفي بها في ٢٤ آذار ١٩٦٥ أصدر جريدة «العراق» سنين عديدة. وقد ترجمت له في «أعلام اليقظة الفكرية».

كان رزّوق غنام، مثل أمين الريحاني (١٨٧٦ ـ ١٩٤٠) ومارون عبّود (١٨٨٦ ـ ١٩٦٢) في لبنان، مؤمناً بكل جوارحه بالقومية العربية والوحدة العراقية. وكان كثيراً ما يقول إنّ على المسيحيين وسائر الأقليات في العراق أن يؤمنوا بالإسلام أو، في الأقلّ، أن يتقاربوا مع الأكثرية المسلمة ويتركوا ضيق أفكارهم الطائفية ليندمجوا ويذوبوا في الوحدة الوطنية الجامعة. وكان مخلصاً للمبادىء العربية منذ شبابه حين كان موظفاً في بعض الشركات الإنكليزية العاملة في العراق في العهد التركي. فلما احتلّ الإنكليز العراق كان سهلاً عليه أن يصدر جريدته ويصبح داعية من دعاة القومية العربية، منضوياً إلى لواء نوري السعيد ورفاقه من رجال الثورة العربية.

وقد قال سلامة موسى: إنّ الإسلام دين بلادي ومن واجبي أن أدافع عنه. وفي سنة ١٩٣٦ قال مكرم عبيد باشا وزير المالية المصرية: أنا مسيحي ديناً، ولكنني مسلم بالنظر إلى بلادي المسلمة. وكان مارون عبّود الأديب الناقد الشهير يدعو إلى إسلامية مسيحيّي الشرق.

كان رزوق غنام يرى أن الدولة العثمانية التي استعمرت البلاد العربية قروناً طويلة قد وقفت سداً منيعاً في وجهها وحالت دون تقدمها وأخذها بأسباب النهضة الحديثة ودون إبراز شخصيتها الأصيلة في مجال الآداب والعلوم. وكان يضرب مثلاً على ذلك بمصر التي، حالما انفصلت فعلاً عن جسم الدولة وتولّى أمورها محمد علي باشا سنة ١٨٠٥، اتجهت وجهة جديدة نحو النهضة جعلت منها الرائدة في ميدان التقدم بين العرب.

قال إبراهيم صالح شكر يذكر رزوق غنام (تشرين الثاني ١٩٢٣) إنه أقدر صحافي عرفناه في هذه الديار يعمل على جعل جريدته في مقدمة الجرائد العراقية. وقال إن ثمرات جريدة العراق تنطق له بالجهاد، وهذه خدمة «العراق» للآداب العربية بإصدارها الأعداد السنوية الممتازة المحتوية على «الجليل والبليد» من آثار أدبائنا. وقال إن سياسة رزوق عربية منذ كان المتبجّحون بالعروبة في صفوف أعدائها الاتحاديين.

إبراهيم حلمي العمر

الكاتب الصحفي البارع إبراهيم حلمي العمر ولد في بغداد سنة ١٨٩٠ وتوفي بها في ١٢ كانون الثاني ١٩٤٢ فصّلت ترجمته في «أعلام اليقظة الفكرية».

لقيته في دمشق الآنسة جرترود بيلّ التي زارت سورية في تشرين الأول ١٩١٩ في أثناء

حكم الأمير فيصل وقدّمت إلى الحكومة البريطانية تقريراً سرياً عن الوضع هناك والرجال الذين يضطلعون بالحكم، وجلّهم من الضباط العراقيين كنوري السعيد وياسين الهاشمي وجعفر العسكري ومولود مخلص وناجي السويدي إلخ.

قالت إن الصحفي إبراهيم حلمي العمر زارها مراراً، وهو يصدر صحيفة اسمها «لسان العرب». وقالت إن معرفته للّغة العربية ممتازة حتى أن الأب أنستاس ماري الكرملي، وهو خير حكم في هذا الموضوع، حاول استدراجه إلى المجيء إلى بغداد ليعاونه في تحرير الصحيفة العربية التي تصدرها الإدارة البريطانية.

وقالت إن إبراهيم حلمي ميّال إلى بريطانية، وقد نشر في «لسان العرب» عدداً من المقالات المحبّذة للإدارة البريطانية. وتفاوض مع المس بيل عن إمكان انتشار جريدته لديها، وقال إن دعوته الصادرة من سورية تكون أكثر نفوذاً مما لو كانت تصدر من مطبعة الحكومة في بغداد. وهو يأمل أن تعضد السلطات صحيفته، وأشار إلى إمكان موافقته على العمل في بغداد «إذا منحناه شروطاً سخيّة». وختمت كلامها قائلة إنه، ولا ريب، شابّ قدير.

عاد إبراهيم حلمي إلى بغداد فأصدر فيها جريدته «لسان العرب» ثم استعاض عنها بجريدة أسماها «المفيد». وقد غيّر لهجته وصار ينتقد سياسة الانتداب البريطاني وظاهر الحركة الوطنية وتحدث عن المعاهدات والعهود بأنها «قصاصات ورق». وقد عطلت جريدته في آب ١٩٢٢ وفرّ إلى إيران.

رجع إلى بغداد سنة ١٩٢٣ ولما لم يمنح امتيازاً لإصدار جريدة، قام صديقه معروف الرصافي باستحصال امتياز جريدة باسم «الأمل» وعهد بتحريرها إليه. أخبرني مصطفى علي أن الرصافي قال لإبراهيم بعد ذلك: إنك تحسن جيداً تعليق الطبل في عنق البعض، ثم تدقّ عليه دقاً عنيفاً!

وأخبرني صبحي البصام أن الشاعر إبراهيم أدهم الزهاوي سئل أن يرثي إبراهيم حلمي العمر عند وفاته، فقال ارتجالاً:

قالوا: ألا تبكي على مثله؟ — فقلت: صونوا الدمع عن طيشه
وإنّا لفي دهر وجدنا به — موت الفتى أفضل من عيشه!

كان إبراهيم حلمي كاتباً قديراً يحمل على الحكومة باسم المعارضة حملات شعواء ناشراً مقالاته غفلاً من التوقيع، ثم يصبح في الغداة فإذا به ينبري للردّ باسم الحكومة على مقاله بالأمس، وهو في كلا المقالين قويّ الحجة ناصع البيان. وقيل إن السيد جمال الدين الأفغاني كان ذا موهبة خاصة في قوة الإقناع، فكان يستطيع أن يأتي بما يدلّ على استحسان الشيء واستهجانه في آن واحد. وسئل في ذلك فقال: إن لكل شيء وجهين، ولكل إنسان صفات طيبة وقبيحة. وإن الحكم على الأشخاص والأشياء إنما

يختلف باختلاف الظروف واختلاف رغبة الناظر وموقفه. فإذا نظرنا إلى الشخص من جهة المحاسن مدحناه، وإذا نظرنا إليه من جهة المساوىء ذممناه.

قاسم العلوي

قاسم السيد خضر العلوي من رجال الصحافة الوطنية في العراق ولد في جانب الكرخ من بغداد سنة ١٨٩٦، ودرس في المدرسة الرشدية العسكرية. ثم قصد الأستانة سنة ١٩١٢ وانتمى إلى المدرسة العسكرية، لكنه تركها عند نشوب الحرب العظمى بعد سنتين والتحق بمدرسة الهندسة.

عاد إلى بغداد في أوائل سنة ١٩١٧. وأنشئت دار المعلمين في حزيران من تلك السنة فعيّن مدرساً بها. ثم عمل مهندساً في دائرة الريّ بمنطقة الفرات الأوسط، وتولّى التدريس في مدرسة الهندسة ببغداد حيناً.

وأصدر عبد الغفور البدري جريدة الاستقلال في أيلول ١٩٢٠ فعهد بتحريرها إلى قاسم العلوي. قال رفائيل بطي في محاضراته عن الصحافة في العراق: «تولّى تحرير (الاستقلال) قاسم العلوي. وأعظم ما صرفت إليه الجريدة جهدها المقال الافتتاحي ـ وكان العهد عهد مقالات ـ فكان في الغالب يعالج القضية العراقية ويطالب بفسح مجال الحرية ويبرهن على استعداد الشعب للاستقلال. وقد عنيت الجريدة بمشروع الحكومة العراقية المؤقتة التي كوّنتها سلطة الاحتلال البريطانية تخلّصاً من أزمة الثورة وتمهيداً لتأسيس دولة العراق. . » وقد عطلت الجريدة بسبب مقالاتها التي تلهب الشعور الوطني وسجن صاحبها وقاسم العلوي وفريق من كتابها كمحمد مهدي البصير وعلي محمود الشيخ علي (شباط ١٩٢١)، وأفرج عنهم بعد ستة أشهر.

قام بعد ذلك بالتدريس في مدرسة التفيّض والمدرسة الثانوية المركزية، وكان يدرّس الرياضيات وعلم الطبيعة. وفي سنة ١٩٣١ انتمى إلى كلية الحقوق، وتخرّج فيها سنة ١٩٣٤ وزاول المحاماة ثلاثين عاماً حتى سنة ١٩٦٤ حين اعتزل مهنته لمرضه. وأدركه الحمام ببغداد في أول آب ١٩٦٧

كان كاتباً سياسياً ألمعياً، ضليعاً بالعربية والفقه والأدب، يحسن من اللغات التركية والفارسية وشيئاً من الفرنسية والألمانية.

حسن غصيبة

من رجال الصحافة والإدارة والمحاماة، ينتمي إلى شيوخ قبيلة العزّة. وهو حسن بن محمود الخلف الغصيبة الفارس. ولد سنة ١٨٨٩، وتخرّج في مدرسة العشائر في استانبول، وعيّن مديراً للمدرسة الرشدية في بعقوبا سنة ١٩١٢ ثم كان ضابطاً في الجيش العربي في أثناء ثورة الحجاز.

عاد إلى بغداد بعد الحرب العظمى، فاشتغل في الأحزاب الوطنية. وأصدر جريدة «العاصمة» في ٥ تشرين الثاني ١٩٢٢ لتنطق باسم الحزب الحرّ العراقي. قال رفائيل بطّي في محاضراته عن الصحافة في العراق: «عرفت مقالات حسن غصيبة رئيس تحرير «العاصمة» الافتتاحية بأنّها من أحسن المقالات الصحفيّة في يومها، بل من أحسن المقالات في الصحافة العراقية، مكتوبة بأسلوب فصيح، معتدلة اللهجة، ناضجة التفكير. .» وسجلت هذه الجريدة موقفاً مشرّفاً في الدفاع عن الحرية الفكرية وعن كرامة الصحافة والصحفيّين. وعطّلت في ٢٤ آب ١٩٢٣

درس حسن غصيبة في الوقت نفسه في مدرسة الحقوق فتخرّج فيها سنة ١٩٢٣ وعيّن في آذار ١٩٢٤ رئيس ديوان الإنشاء في المجلس التأسيسي. ونقل إلى السلك الإداري فكان قائممقاماً لقضاء شط العرب (تشرين الأول ١٩٣١) فعلي الغربي (آب ١٩٣٣) فتلّعفر. ونقل مدعياً عاماً في بغداد (تشرين الثاني ١٩٣٤)، ثم اعتزل الخدمة وزاول المحاماة في أوائل سنة ١٩٣٨

وقد توفّي ببغداد في ١٢ آذار ١٩٦٠

وعرف أخوه محمد شاكر غصيبة من الكتاب والمحامين البارزين، وقد ولد في نحو سنة ١٨٨١ وهو ظريف، راوية للشعر الجيد والأخبار اللطيفة، قال إبراهيم الواعظ في أسبوعياته (١٩٤٤): وقد قرأ لي الأستاذ شاكر غصيبة المحامي هذين البيتين:

وأصحابٍ عهدتهم دروعاً ... فكانوها ولكن للأعادي
وخلتهم نصالاً صائبات ... فكانوها ولكن في فؤادي

ولا يزال شاكر غصيبة حياً (١٩٧٤).

سليم حسّون

الصحفي الكاتب المعلّم سليم حسّون، وهو سليم بن سمعان بن إبراهيم حسّون، ولد في الموصل سنة ١٨٧١ ودرس في مدرسة الآباء الدومنيكيّين، ثم أصبح مدرساً بتلك المدرسة سنين طويلة، ووضع كتباً مدرسية منها: تعليم الطلاب أصول التصريف والإعراب (١٨٩٩) الأجوبة الشافية في فنّي الصرف والنحو (١٩٠٦) مختصر مفيد في أصول الصرف والنحو (جزآن ١٩٠٦) خلاصة الجغرافية، كتاب الذهب لتهذيب أحداث العرب (في جزءين، ١٩١١). وترجم مسرحية استشهاد مار نرسيسيوس (١٩٠٢) وألف مسرحية شَعُو (١٩٠٥)، وقد مثّل كلاهما في الموصل.

ولما أعلنت الحرب العظمى انصرف عن التعليم واشتغل بالرسوم الفنّية، حتى إذا ما احتلّ الإنكليز الموصل وأصدروا جريدة «الموصل» الرسمية في تشرين الثاني ١٩١٨،

عمل محرراً بها أمداً، ثم عيّن مفتشاً للمعارف في مسقط رأسه. ونقل إلى البصرة فلم يلبث طويلاً حتى استقال وزار أورِوبة وأسس دار الطباعة الحديثة في بغداد. وأصدر جريدة «العالم العربي» اليومية في آذار ١٩٢٤، فظلت تصدر إلى ما بعد سنة ١٩٤٧، وإن كان سليم حسون قد ترك الإشراف عليها في سنواتها الأخيرة لمرضه وعجزه. وكانت هذه الجريدة من الصحف الشعبية تعنى بشؤون الناس ومعيشتهم اليومية وتنتهج الاعتدال في أسلوبها وسياستها.

انتخب سليم حسون نائباً عن الموصل سنة ١٩٣٣ ـ ١٩٣٤ و ١٩٣٤ ـ ١٩٣٥، ثم انتخب نائباً عن البصرة خلفاً لرفائيل بطي (أيار ١٩٣٧). وناب عن بغداد بعد ذلك في مجلس ١٩٣٧ ـ ١٩٣٩

وتوفي ببغداد في ٤ تشرين الأول ١٩٤٧

كان سليم حسّون كاتباً ميسّر الأسلوب، قريب المعاني إلى أذهان الجمهور، كتب «نقدات الحسّون» وسواها من الأبواب الصحفية. وقد عني بقضية فلسطين والدفاع عن عروبتها، واهتمّ بالبحوث والكتب التي تناولت شؤون العراق فعهد بترجمتها وتولى نشرها في جريدته بصورة متسلسلة.

قال جلال بابان: إنّ الأستاذ سليم حسّون يعتبر في نظري مثالاً طيّباً للخلق الصحيح لوفائه وأمانته وتحلّيه بالصفات الحميدة العالية، هذا إلى مواهبه الكثيرة وقابلياته الفذّة التي استثمرها في سبيل المصلحة العامة.

وقال صبيح نجيب: إن (سليم حسّون) يعتبر من أوائل المناضلين في سبيل القضية العربية وخاصة القضية الفلسطينيّة. وثمة ناحية ينبغي الإشارة إليها، وهي صراحته في القول والعمل.

وقال نور الدين داود: كان (سليم حسون) إلى جانب كونه من الصحافيّين البارعين مربّياً صالحاً تخرّج على يديه عدد غير قليل من الطلاّب النابهين. وأذكر أن صحيفته «العالم العربي» قد صدرت في يوم افتتاح المجلس التأسيسي سنة ١٩٢٤ واعتبرت فتحاً جديداً في عالم الصحافة لأنها جاءت بنوع جديد من النقد الهادىء الرزين والموجع في نفس الوقت. ولم يكن في بغداد آنذاك سوى صحيفتين سياسيتين: العراق والاستقلال، وكانت الأخيرة صحيفة الوطنية الملتهبة، والعراق صحيفة الاعتدال المتطرّف، فكانت العالم العربي بين الاثنتين تعتدل وتتطرف كما يقضي الزمن وتقضي المصلحة العامة.

بولينا حسّون

وهي ابنة عمّ سليم حسّون، ولدت في الأردن في نحو سنة ١٨٩٥ وقدمت بغداد مع أسرتها سنة ١٩٢٢ فأصدرت مجلة «ليلى» وهي أول مجلة نسائية عراقية في تشرين

الثاني ١٩٢٣ واستمر صدورها سنتين. وعملت بولينا حسون في الوقت نفسه مديرة لإحدى مدارس البنات، ثم عادت إلى الأردن. وتوفّيت هناك سنة ١٩٦٩

وخال بولينا حسون: الشاعر الباحث إبراهيم الحوراني (١٨٤٤ ــ ١٩١٦)، وهو حمصيّ الأصل حلبيّ المولد بيروتيّ الوفاة، كان معلماً في الكلية الأميركية ببيروت ومحرراً للنشرة الأسبوعية، وفي شعره جزالة ورقّة.

رفائيل بطّي

دعاه أمين الريحاني ابن خلّكان العراق، وسار ذكره في الآفاق، وكان واسطة عقد الأدباء ودائرة معارفهم ولم تتجاوز سنّه الثانية والعشرين.

ولد رفائيل بن بطرس بن عيسى بن بطّي في الموصل سنة ١٩٠٠، ودرس في مدرسة الآباء الدومنيكيّين بها، ثمّ أصبح معلّماً. وأقبل على المطالعة بنهم شديد وأخذ بالكتابة والتحبير. وتوفّي أبوه، وكان حائكاً رقيق الحال، وجاء إلى بغداد سنة ١٩١٩، وانتسب إلى دار المعلمين الابتدائية وتخرّج فيها سنة ١٩٢١ وعيّن معلماً، لكنه ترك مهنة التعليم وعمل محرراً في جريدة «العراق» (١٩٢١ ــ ١٩٢٩). ونهض في الوقت نفسه بأعمال جمّة، فكاتب الصحف والمجلات في سورية ومصر. وأصدر مع عبد الجليل رزق الله اوفي مجلة «الحرية» (تموز ١٩٢٤)، فدامت سنتين وكانت من المجلات العربية الراقية. وخدم في دوائر الحكومة، فكان مديراً للتحرير في مديرية الزراعة العامة (أيار ١٩٢٤) فمعاون سكرتير وزارة الداخلية (كانون الثاني ١٩٢٦). ودرس في مدرسة الحقوق فنال شهادتها سنة ١٩٢٩

وأصدر في ذلك العهد كتباً، منها: الأدب العصري في العراق العربي (جزآن ١٩٢٣) سحر الشعر (١٩٢٢) أمين الريحاني في العراق (١٩٢٣) الربيعيّات (١٩٢٤). وترجم رواية «يوم زلزلت الأرض زلزالها» نشرت تباعاً في جريدة العراق.

كانت سنة ١٩٢٩ عام تحوّل في حياة رفائيل بطّي، إذ أصدر جريدة «البلاد» في ٢٥ تشرين الأول ١٩٢٩، وابتكر فنوناً وأبواباً صحفية لم تعهد من قبل في الصحافة العراقية. وعطّلت البلاد في ٨ أيار ١٩٣٠، فأصدر بدلاً منها جريدة صوت العراق (١٠ أيار) فالجهاد (٢٧ تموز) فالشعب (٢٧ آب) فالزمان (آخر آب). وسيق إلى المحاكمة بعد تعطيل هذه الجريدة في ٢٧ تشرين الأول ١٩٣٠ بتهمة الطعن في الذات الملكية.

ثم استأنف إصدار جريدة البلاد في ٢٧ آذار ١٩٣١، فعطّلت بعد ٥ أيام. وأصدر جريدة الأخبار (١٨ حزيران ١٩٣١) فالاخاء الوطني (٢ آب ١٩٣١). وأعاد إصدار الأخبار في ٢ تشرين الثاني، فظلت تصدر وتغيب، حتى صدرت البلاد مرة أخرى في

١١ كانـون الأول ١٩٣٤ ، وعطلت في ٣٠ آب ١٩٣٥ وعـادت إلى الصـدور حتى أوقفها في أول حزيران ١٩٤١

كانت هذه الحقبـة من الجهاد الصحفي حافلة، أوقـف في أثنائها (١٩٣١) وأقصي إلى أربيل وكركوك وكـويسنجق مع فهمي المدرّس في آذار ١٩٣٢ فأمضيا في المنفى نحواً من ستـة أشهـر. وانتخب نـائباً عن البصرة (كـانـون الأول ١٩٣٤) وعن الموصل (آب ١٩٣٥) وعن البصرة والموصل في شباط ١٩٣٧ فاحتفظ بنيابة الموصل . وناب بعد ذلك عن البصرة (١٩٣٩ ـ ١٩٤٣). واعتقل خلال الحرب العـالمية الثانية في العمارة من تموز ١٩٤٢ إلى تموز ١٩٤٣

أعاد إصدار جريدة البـلاد سنة ١٩٤٥ وسافر إلى مصر في منتصف سنة ١٩٤٦ ، لكن الجريدة استمـرّت على الصدور إلى أواخر تلك السنـة. وأقام في القاهـرة نحواً من سنتين، عمل خلالها محرراً في جـريدة الأهـرام وجريـدة الأسبوع، وألقى محاضرات عن الصحافة العربية في الجامعة الأميركية.

وانتخب نائباً عن بغداد في حـزيران ١٩٤٨ ، وقد عـاد من القاهـرة. واستقال من النيـابة في آذار ١٩٥٠ ، ثم عيّن مـديـراً عـاماً بـوزارة الخارجيـة (كانـون الأول ١٩٥٠) وعهدت إليه شـؤون الدعاية. ونقل بعـد شهرين مستشاراً صحفياً في سفـارة القاهرة، وأعيد إلى العمل في ديوان الـوزارة بعد ذلك. وترك الوظيفـة في كانون الأول ١٩٥٢ حين انتخب نائباً عـن بغداد، وأصبح وزيراً للدولة في وزارة فـاضل الجمالي الأولى (١٧ أيلول ١٩٥٣) والثانية (٨ آذار ١٩٥٤) إلى ٢٩ نيسان ١٩٥٤

وأعـاد إصدار جـريدة البـلاد في تموز ١٩٥٣ ، ثم أوقفها حين استـوزر، واستأنف إصدارهـا في ٢١ نيسان ١٩٥٥ ودعي في تلك السنة لإلقاء محاضرات عن الصحـافة العراقية بمعهد الدراسات العليا في القـاهرة، فجمعت في كتاب «الصحافة في العراق» (١٩٥٥). وألف أيضاً: فيصل بن الحسين في خطبه وأقواله (١٩٤٥).

وثابر على عمله الصحفي حتى أدركته الوفاة في بغداد في ١٠ نيسان ١٩٥٦

وقد شغلته أعماله الكثيرة في الصحافة والنيابة عن طبع آثاره وجمع مقالاته العديدة في الصحف والمجلات العربية، منها: كتـاب «في قفص الأسلاك الشوائك» (عن اعتقاله سنة ١٩٤٢)، وتراجم لرجالات العراق والعرب، وتاريخ شامل للصحافة، إلخ.

رثاه الشاعر مهدي مقلّد فقال:

أ أبـا بـديـع، قـد نجـوت فما ... في داركـم فنـد ولا كنـد
لكنّما غـرّ الحقـائق في ... مثـواك تنطق بـالّـذي تجد
لا معتـدٍ غـرّ هنـاك ولا ... أحـد يشيع بقلبـه الحسد

واسلم، ظفـــرت بعـــالم شرفت ‏ أخـــلاقـــه والأهـل والـــولـــد
قـــد زالت الأحقـــاد وارتفعت ‏ بعـــد الـــردى وقـــد انطـــوى اللّـــدد
لا يظلم التـــاريخ مـن خـــدمـــوا ‏ أوطـــانهم، وسيـــذهـب الـــزبـــد
قـــد كنـت سيفـــاً للحِمَـى، وإذا ‏ بـــالسيـف من فـــوق الحمـى قعـــد
تكفيـك، روفـــائيـل، مفخـــرة ‏ يـــوم النعيّ مشـى لـك البلـــد

وقال طالب الحيدري:

يـــا صـــاحب الأدب العـــالي يصـــوّره ‏ يـــراع متّـــزن التفكير، نسّـــاجِ
ويـــا أبـــا النثـــر تمليـــه مهـــذّبـــة ‏ ألفـــاظـــه ومعـــانيـــه كـديبـــاج،
حتى ولجت مضيقـــاً مـن مـــذاهبـــه، ‏ خـــرجتَ أكـــرم ولاّج وخـــرّاج
تمثل «الـــدور» مطبـــوعـــاً، وأكثـــرهم ‏ يمثلـون وهم في ثـــوب «مكيـــاج».
يـــا غـــارس الـــورد يسقيـــه بأدمعـــه، ‏ الأرض غـــابـــة أشـــواك وأحـــراج
هي الحيـــاة، كما فـــارقتهـــا، نكـــد ‏ ومنـــزل ليـس فيـــه غير إزعـــاج
شبّهت أوضـــاعهـــا في كل مـــرحلـــةٍ ‏ بـــزئبـق قلق الأوضـــاع رجـــراج
تجفـــو الحيـــاة عليـــاً في عـــدالتـــه ‏ وطـــالما ترضّى ظلـم حجّـــاج!

وقد كتبتُ عند وفاته الكلمة الآتية:

في سنـة ١٩١٩ قـدم بغـداد من الموصل فتى نحيل الجسم، أقنى الانف، مـرفـوع الرأس، حـادّ النظرات، لم يبلغ العشريـن من عمره ليجـرب حظه في خضّم العـاصمة الزاخرة.

كان ذلك في اعقـاب الحرب العالميـة الاولى. وكانت تلك الأيـام عجيبة حقـاً مثقلة بالأحداث المرتقبة، متألقة كالفجر الطـالع على نهار يعد بالضوء والدفء وضروب الهناء والنشاط. لقد انتهـت الحرب بويلاتها وكوارثها، وانقشع ظـل الاحتلال العثماني الذي دام مئات الاعوام وأعلنت الدول العظمى حق الشعوب المستعبدة في الاستقلال وتقرير المصير، وبدت تباشير عهد العلم والمعرفة والرخاء. ولئن كانت البلاد لا تزال تئن تحت نير الاحتلال، ونيـل الحرية والرفـاهية والسيـادة لم يزل رهين الغيـوب، ولم يتضح حتى الطريق الـذي يؤدي إلى تحقيق الاماني الوطنيـة والشخصية، لقد كانت النفـوس عامرة بالأمل والإيمان، متطلعة إلى أيام مقبلة حافلة بمشاق الجهاد ولذاته على السواء. كانت تلك الأيـام شبيهة بعهـد الشباب الفـوار بما يتسم من رجاء وارتقـاب وتلهف واندفـاع وتطلب للمعالي واستهانة بالمتاعب والمصاعـب، فوفدت على مدينة السلام التي عادت تحلم بمجد الملك ولذة السلطان جموع الشبـان المتحضرين الطامحين، جاؤوا من البصرة والموصل ومن الحلـة والنجف ومن سائر الحواضر والقصبـات ليشاركـوا في حياة البـلاد الجديدة.

لكن الشاب الموصلي لم يكن يماثل الشبان الوافدين، بل يفوق معظمهم ثقافة والمعية وذكاء. نشأ في الموصل حيث درس في بعض مدارسها المتواضعة اللغة العربية وشيئاً من الفرنسية والسريانية. وكان ولوعاً بالمطالعة يقرأ كل ما يقع في يده ويعي كل ما يقرأ ولا يني جهداً في سبيل الحصول على الكتب في عهد كانت عسيرة المنال، وقد أتيح له إلى ذلك أن يزاول التعليم آنا قصيراً وأن يحاول الكتابة والنشر. فلما وصل بغداد انتمى إلى دار المعلمين التي كانت آنذاك ملاذ الشبان الراغبين في التعلّم وسرعان ما تعرف إلى الحلقات الادبية والصحفية وأصبح من روادها ومحاور حركاتها.

لم يكن ذلك الشاب الموصلي الطموح الذي نتحدث عنه سوى رفائيل بطي الذي عرفه العراق والعالم العربي فيما بعد من أساطين الصحافة ومن رجال السياسة والقلم. احتضنته بغداد فجعلت منه كاتباً ونائباً ووزيراً، وردّ الجميل لها فرفع لواء صحافتها وترجم اعلامها وزان ندواتها ومجالسها بأدبه وفضله.

كانت السنون العشر الاولى التي قضاها الشاب رفائيل في العاصمة سني عمل ونشاط جمّ: فقد درس في دار لمعلمين ومدرسة الحقوق، وعمل في الصحافة ووظائف الدولة، وكَتب وألف وترجم ونشر، ووجد الوقت إلى جانب ذلك كله ليكون اللولب النابض للحركة الأدبية وليتزوج ويكون اسرة. أي طموح كان يحفز تلك الشعلة الملتهبة من العزم والنشاط، فيرضيها بالقليل من المتعة والراحة والنوم، ويحملها على الكثير من العمل والدرس والاستطلاع! لقد كان هذا الشاب المغترب في بعض تلك السنين العجاف ينهض صباحاً فيقبل على مكتبه في دائرة الزراعة أو وزارة الداخلية، ولا يكاد يفرغ من عمله الرسمي حتى يكتب المقالات ويباشر اعمال التحرير في صحيفته، حتى إذا ما حل المساء وجدته مكباً على الدرس شأن الطالب المجتهد.

ولم يكن يفوته على كثرة مشاغله ومطالب معيشته المساهمة في تكريم الريحاني وغير الريحاني، والاشتراك في مجالس الثقافة والادب المنعقدة بلا انقطاع في دير انستاس والمعهد العلمي وفي ندوة جريدة العراق ومجالس الزهاوي والرصافي وفهمي المدرس وأضرابهم.

أخرج رفائيل بطي في هذه الحقبة «الأدب العصري في العراق العربي» بجزئيه «وسحر الشعر» و «أمين الريحاني في العراق» و «الربيعيات». وكان «الأدب العصري» الذي لم تتم اجزاؤه أول محاولة لتسجيل الأدب العراقي الناهض وتعريف اركانه ومقوماته. وأصدر مجلة «الحرية» فكانت من المجلات العربية الراقية التي لم يهيأ للعراق ـ بعد ربع قرن من الزمن ـ أن يشهد مثيلها ومثيل زميلتها «لغة العرب» الانستاسية الكرملية.

في سنة ١٩٢٩ تخرج رفائيل بطي في مدرسة الحقوق، فأصدر جريدة «البلاد» مع جبران ملكون وانصرف إلى تحريرها. وكان ذلك بدء عهد جديد في حياته.

حقق تقدماً لامعاً للصحافة اليومية العراقية وأساليبها، وخاض غمار المعامع السياسية والحزبية، فلم يلبث أن أغلقت صحيفته المرة تلو المرة، وأن قاسى مرارة الابعاد والسجن والتشريد. وفي هذه الحقبة انتخب نائباً مرات فسمعت الأمة صوته من منبر المجلس بعد أن قرأت مقالاته ووعت آراءه ونزعاته الإصلاحية.

ونشبت الحرب العالمية الثانية تنذر بالويل والثبور، ففتحت في حياة صحفينا صفحة جديدة لعلها كانت أزخر ايامه بالتقلبات والمفاجآت. قضى عهداً في معسكر الاعتقال، ثم خرج ليستأنف جهاده الصحفي. وضاقت به سبل العيش في بلده، فشدّ الرحال إلى مصر حيث عرفت مكانته وقدر فضله في المحافل العربية والأدبية. وعاد إلى بغداد فكان نائباً حينا وموظفاً حيناً آخر. ولم يلبث أن أعيد إلى مصر مشاوراً صحفياً للسفارة العراقية. ثم آب إلى بغداد ليقضي عهداً قصيراً في وزارة الخارجية، ثم يستأنف إصدار «بلاده». وحظي بالوزارة شهوراً معدودات ثم عاد إلى جهاده الصحفي، فأخذه الموت على حين غرّة وقلمه في يده، وفي نفسه آمال بعيدة لم يسمح الدهر بتحقيقها.

كان رفائيل بطي في هذا العهد من حياته كثير التلهف على عهد من الراحة والطمأنينة المادية والذهنية ينصرف فيه إلى تدوين المؤلفات التي عزم على وضعها وهيّأ لها المادة النادرة الغزيرة. لقد جمع خلال نحو من اربعين سنة معلومات شاملة تتناول سير الآلاف من رجالات العراق والعروبة خلال المائة سنة الاخيرة، ودونها على الجذاذات والبطاقات، وحقق لها المصادر والمراجع. وقد عزم ان يدوّن سير الرجال فيسهب في ترجمة العباقرة والنابغين في حقول السياسة والإدارة والعلم والادب، ولا يبخل على التابعين بإيجاز يبل الغليل. ونشر نماذج مقتضبة من هذه التراجم في جريدته في عهدها الاخير، لكن الدهر لم يمنحه ما تاق إليه من سعة وفراغ لاخراج مشروعه الضخم الذي أعد له العدة وهيأ له الاسباب.

كنت وثيق الصلة برفائيل بطي في سنواته الاخيرة، فكثيراً ماكنا نجتمع هنا أو هناك لنتكلم في الأدب والتاريخ وسير الرجال ولنتبادل الرأي في المواضيع الكثيرة التي عنينا بها كلانا. كان يحدثني عن آماله ومشاريعه الأدبية الضخمة، وعن التراجم التي شغف بها والتي كان يود ان يتفرغ يوماً ما لكتابتها بشكل يرضي نزعته الأدبية والتاريخية. وكان واسع الإطلاع على تواريخ الرجال الذين نبغوا في العراق وسائر الاقطار العربية منذ عهد النهضة الحديثة، يحفظ سيرهم وآثارهم ولا تفوته من أمرهم شاردة ولا واردة. ولعله كان أعرف أهل زمانه بالمظان التي تضم أخبارهم خطيرها وصغيرها، وكان يفرح بالعثور على خبر جديد لشخص مشهور أو مغمور أو الوقوف على مصدر أنفٍ لتراجم الرجال الذين نذر نفسه لتحقيق سيرهم.

لم يشك رفائيل بطي على ما أعلم من مرض أو هزال، فجاءت وفاته المفجعة المفاجئة

ضربة قاصمة صمّت لها الآذان وجزعت النفوس. قضى وهو أكثر ما يكون قوة ونشاطاً وأوسع ما يكون أملا ورجاء. ولقد وقف في بيروت قبل شهر واحد من وفاته يرثي زميله اللبناني كميل يوسف شمعون، فقال: «وعند اجتماعكم لتمجيد أحد أجناد الصحافة بعد ان غيبّه الثرى، أعرب عن أمنيتي بأن يلتفت رجال البلد الشقيق ـ ونساؤه طبعاً ـ إلى من سبقوا صاحب الاحرار إلى دار البقاء، فيعترفوا بأياديهم على النهضة بل على الكيان الاستقلالي للبنان العزيز. فإن الوعي المتغلغل في العالم العربي قد بثه هؤلاء الرواد الذين جازوا العقبات واقتحموا المخاطر. ، وبينهم شهداء ضحّوا بأرواحهم في سبيل الحرية والاستقلال والمجد القومي. فمن واجبنا أن نلتفت إلى الرعيل الأول من صحافييهم، فنخلدهم بتدوين سيرهم والمباهاة بأعمالهم رعاية للوفاء، ولخلق معالم تحفز الشباب ليندفعوا في ساحة العمل والجهاد وهم واثقون بما ينعمون به من راحة الضمير وسعادة الخلود. . »

ان هذه الكلمات التي نطق بها رفائيل بطي قبل أن يصرعه الموت وهو في حلبة الجهاد جديرة أن تلقى أسماعاً صاغية وقلوباً واعية من أبناء الجيل الجديد، فيخلدوا سيرته وسيرة اخوانه من أبطال الصحافة ويتخذوهم قدوة حسنة ونبراساً مضيئاً في السعي والجهاد.

* * *

عرفت رفائيل بطي أعواماً طويلة، وكتبت في جريدته وربطتنا بعد ذلك أواصر صداقة وثيقة لم تنقطع إلى يوم وفاته. وقد زارني في مكتبي على عادته كلما مرّ به صباحاً قبل أن يذهب إلى ادارة جريدته. وفي اليوم الثاني رنّ جرس التلفون قبيل الظهر، فإذا بالناعي ينعاه فجأة، ولم يكن مريضاً بل ربما كان مجهداً مرهق الأعصاب.

كان كثير الطموح، ولا يعتني بصحته وراحته، ويريد أن يستفيد من وقته أكثر مما يتاح لكهل في سنّه. كان يريد أن يكون كاتباً أديباً وصحفياً وسياسياً وطنياً ورجلاً اجتماعياً ويريد لو استطاع أن يحضر في مكانين في آن واحد وأن يكون موضع ثقة الحكومة والمعارضة معاً. وحاول مراراً أن ينشىء مشاريع صحافة ونشر مشتركة بين العراق ومصر وبين رجال المال والسياسة والأدب. أذكر على سبيل المثال أنه جمعنا في داره مراراً لانشاء شركة نشر يساهم فيها المصريون والعراقيون، فلم يخرج المشروع إلى حيّز الوجود لأن أكثر الذين دعاهم إلى بحث الأمر لم يكونوا من رجال الأعمال بل من رجال السياسة ومنتهزي الفرص.

وقد أصدر جريدته «البلاد» لأول مرة في خريف سنة ١٩٢٩ بالإشتراك مع جبران ملكون الذي كان يعمل إلى ذلك الحين محاسباً في جريدة العراق. وكان جبران رجلاً عملياً يعرف من أين تؤكل الكتف ويعلم أن المال قوام الجريدة الناجحة، فيهتم بالاعلانات والاشتراكات. أما رفائيل بطي فكان يريد الجريدة للتعبير عن آرائه ولخلق

صحافة متفنّنة تكون فتحاً جديداً في عالم الصحافة العراقية. ولذلك سعى إلى اجتذاب أقلام الكتاب اللامعين، وفتح أبواباً في صحيفته للشؤون السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأدبية ولم يغفل عن الرياضة والهزل. وأراد في الوقت نفسه أن يتصل بالأحزاب الوطنية ويعرب عن أفكارها وأهدافها، وأراد أن يتخذ من جريدته وسيلة للوصول إلى النيابة والوزارة والمشاركة في الحياة العامة (وقد حقق ذلك، ولكن بعد جهاد مرير طويل).

ولم يلبث الخلاف أن دبّ بينه وبين شريكه جبران ملكون فانفرد كل منهما باصدار جريدته. ومن اللطائف التي تروى في عهد عملهما معاً في جريدة البلاد، ان جبران كان يأتي مساء إلى المطبعة فيجد حقول الجريدة مليئة بالأخبار والمقالات وليس فيها متّسع كافٍ للاعلانات التجارية، فيأمر في غفلة من صاحبه أن ترفع أخبار وبحوث وتوضع الاعلانات في محلها.

ثم يأتي رفائيل بطي في منتصف الليل حاملاً خبراً مهماً أو مقالاً طريفاً، فيوعز برفع اعلانات معينة ووضع المادة التي جلبها معتزاً بها في محلها.

وقد تكرّر هذا الأمر وسبب عتاباً ونزاعاً بين الشريكين حتى انتهيا إلى الفراق.

توفيق السمعاني

الكاتب الصحفّي الأديب، توفيق بن بهنام بن يونان بن سمعان، عرف في بادىء أمره باسم الشماس اسطيفان، ثم اتخذ اسم توفيق السمعاني، ولد في الموصل سنة ١٩٠٢ ونشأ في قرية بعشيقة المجاورة ودرس في احدى المدارس الاكليركيّة. وقصد بغداد سنة ١٩٢٢ فدرّس في مدارسها الأهلية، وحرّر في جرائد مختلفة، وكتب المقالات الأدبية والاجتماعية مشاركاً في المساجلات الفكرية والثقافية التي احتدمت في العاصمة العراقية في تلك الحقبة.

ساهم في إصدار مجلة الزنبقة سنة ١٩٢٢، والتحق بمدرسة الحقوق ثم تركها بعد مضيّ سنتين. وعمل محرراً في جريدة العراق فالبلاد، ثم تولّى تحرير جريدة «صدى العهد» سنة ١٩٣٠ وأصدر بعد ذلك جريدة «الطريق» (٦ آذار ١٩٣٣) فجريدة «النداء» (٢١ ايار ١٩٣٦) فجريدة «الزمان» (أول أيار ١٩٣٧). وقد أصبحت هذه الجريدة الأخيرة من كبريات الصحف السياسية اليومية في بغداد، وكانت منبراً للأدباء والكتّاب أكثر من ربع قرن، حتى قدّر لها التعطيل في شباط ١٩٦٣

انتخب السمعاني نائباً عن البصرة في مجلس النواب (كانون الاول ١٩٣٧ ـ شباط ١٩٣٩)، ثم ناب عن الموصل في المجالس النيابية المتعاقبة في كانون الثاني ١٩٥٣ وحزيران ١٩٥٤ وايلول ١٩٥٤ وأيار ١٩٥٨ واختير بعد ذلك نائباً لرئيس

نقابـة الصحفّيين (حزيران ١٩٦١).

وهو صحفي بارع وأديب سلس العبارة، جميل الأسلوب، سئل عن مساهمته في بناء النهضة الأدبية، فأجاب بتواضع قائلاً (جريدة الزمان، ٣ آذار ١٩٥٨):

«ليس من المستحسن أن يفاخر الإنسان بنفسـه وأعماله. فإني صحافي قديم، وقد قضيت القسم الاكبر من عمـري في الصحافـة بين المحابـر والكتب والاوراق والدفـاتر والكتابة. وكلها عمل يتصل بجوهر الأدب وحياته وتطوره. وقد كانت صحيفتي، ولا تزال، ميـداناً للكتاب والادباء ومـدعاة لتشجيعهم و إظهار فضلهم ومـواهبهم، وهذا أيضاً مساهمة في النهضة الأدبية».

وضع تـوفيق السمعاني في صـدر شبـابه قصصـاً نشرت في الجرائد والمجلات كمـرآة العـراق والحاصـد والبـلاد. وقـد زار الولايـات المتحـدة الاميركيـة سنـة ١٩٥٧ فكتب مشاهداته في مقـالات متسلسلة نشرت في جريدة «الزمان» تـوفي في بغداد في ١١ نيسان ١٩٨٢

سلمان الشيخ داود

من رجال الصحافـة والنيابة والمحاماة سلمان الشيخ داود، ولـد ببغداد سنة ١٨٩٧ ونشأ في كنف والـــده الشيخ أحمد الشيـخ داود وتخرج في المدرسـة السلطـــانيـــة سنـــة ١٩١٦، وانتمى إلى دورة المعلمين الابتـدائيـة في حـزيران ١٩١٧ وعيّن مـديـراً لمدرسـة الفضل. ولم يلبث أن نقل كاتبـاً في محكمة البداءة (١٩١٨) فسكـرتيراً لأمانة العـاصمة (١٩٢٢).

ودرس في الوقت نفسه في مدرسة الحقـوق فنال إجازتها سنة ١٩٢٣ وكان في السنة نفسها سكـرتيراً للوفـد العراقي إلى مـؤتمر الكويت الـذي عقد لحسم النـزاع بين العراق ونجد والحجاز وشرقي الأردن.

بدأ بـالكتابة في جـريدة الإستقلال وغيرهـا من الصحف سنة ١٩٢٠ ولمّا تخرّج في مدرسـة الحقوق، طلّق الوظيفـة وانصرف إلى المحاماة والصحافـة. وكان مديـراً لجريدة المداعب التي أصـدرها حسين يحيى في كـانون الثـاني ١٩٢٦، ثم تولّى تحريـر جريـدة التقدم لسان حال حزب التقدّم (١٦ تشرين الثـاني ١٩٢٨). وأصدر بعد ذلك جريدة النّاقد (١٣ حزيران ١٩٢٩) وبريد الجمعة (نيسان ١٩٤٧).

وانتخب نـائباً عن الـديـوانيـة (شباط ١٩٣٧) فنـائبـاً عن بغداد (شبـاط ١٩٤٢) وتشرين الاول ١٩٤٣، فنائباً عن ديالي (آذار ١٩٤٧). وانتخب نائباً عن العمارة في آذار ١٩٤٩ وثم في حزيران ١٩٥٥. واعتقل في ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ وأطلق سراحه بعد أمد وجيز.

توفي سلمان الشيخ داود ببغـداد في صيف سنة ١٩٧٧ وكـان قد اعتقلتـه سلطات

الأمن أياماً بوشاية مغرضة، فاشتد عليه المرض وأسرع بإخلاء سبيله ولم يلبث أن قضى نحبه.

وهو كاتب سياسيّ واجتماعي لمع اسمه في أوائل سني العشرين. قاله فيه خالد الدّرة في مجلة الوادي (١٥ آذار ١٩٤٧): «صريح ومشاغب وبغدادي، وخطيب لبق رغم لثغته لمزاولته مهنة المحاماة أعواماً طوالاً. وإذا قلت بأن ابن الشيخ خطيب فأنا أعني ما أقول. لأنه لا يتوغل إلى هذه المقدمات المهلكة ولا يلجأ إلى المواقف الخطابية الرعناء، كما لا يعبأ بأن تكون جميع عباراته بالفصحى وهو القادر على الخطابة فيها، ولكنه يدخل إلى الموضوع رأساً ويعلن فكرته فوراً ويجلس بأسرع ممّا نهض. وسلمان إن لم يكن بارد الطبع فهو سكسونّي الدم».

كتب سلمان الشيخ داود في صدر شبابه نثراً عاطفياً جميلاً منه أقصوصة لطيفة بعنوان «العاطفة الذابلة» روى فيها حكاية فتاة «في الربيع الخامس عشر من عمرها لا يغمر قلبها سوى أنوار السرور ولا تعرف من الحياة غير الضحك والابتسام». كانت الزهرة الوحيدة لوالديها الموسرين فرمقتها أعين الشباب حباً بجمالها وطمعاً بثروتها، لكن راحت هي تبحث عن الحبّ الصحيح حتى وجدته. واقترنت بحبيبها وأنجبت طفلاً ثم مرض زوجها وقضى نحبه وداهمتها الاحزان وهي لم تتجاوز العقد الثاني من حياتها.

وتنازعت الأرملة الشابة عاطفتان: عاطفة الفتوة العارمة التي تدفعها إلى التمتع بلذائذ الحياة، وعاطفة الوفاء لذكرى قرينها الراحل. ويختتم الكاتب هذه القصة فيقول:

«فإذا ما هجعت تمّر أمام ذاكرتها أشباح كثير من الشبان الذين خطبوا ودّها، فيبتسمون لها ويسجدون أمام جمالها الفتان. وعندما تحاول أن تجزي الابتسامة بمثلها، يمّر من أمامها شبح زوجها فتمدّ ذراعها لتضمه إلى صدرها. لكنها لا تلبث حتى تنتبه مذعورة، فلا ترى في القرب منها سوى ولدها الصغير، فتأخذه صبيحة كل يوم إلى قبر والده حيث تنثر عليه الدموع والازهار. وقد ظلت محافظة على ذكرى زوجها عشرين عاماً.

ورغم أن ولدها قد بلغ مبلغ الرجال وتزوج وولد له ولد، لم تحفظ في مخيّلتها له سوى صورة الطفولة التي كان بها عندما لفظ والده النفس الأخير.

«وعندما بلغ حفيدها الشهر الثالث من عمره، انتابتها حمّى شديدة أفضت إلى موتها. وقبل أن تودّع أنفاسها الأخيرة مدّت يدها وقبضت على مهد حفيدها حاسبة انه مهد طفلها الذي خلّفه زوجها الراحل، لأنه لم تنطبع في مخيّلتها ذكرى جديدة منذ فقدت زوجها قبل عشرين عاماً. ولم تبتسم منذ ذلك التاريخ، لكن الذين وقفوا

حول جسدها الهامد في موقفها الأخير رأوها باسمة، على محياها علائم السرور، لأن أرواح المحبين لا يهدأ لها روع الاّ أن تتعانق في العالم الخالد، مقرّ النفوس الأبدي».

وكذلك ختم سلمان الشيخ داود أقصوصته الشجية خاتمة حزينة هادئة شأن شعراء الروما نتيكية وأدبائها في كل عصر ومصر.

سلمان الشيخ داود والرصافي:

كان موالياً للحلف والتعاون مع بريطانية العظمى، وقد ألقى في مجلس النواب في ١٩ نيسان ١٩٤٢ خطبة مسهبة مدح فيها بريطانية واستنكر حركة ايار ١٩٤١ ووصم القائمين بها بالخيانة والمروق. وقد حبّذ السياسة الموالية للأمم الحرة والاستفادة من خبرة الاستشارة الانكليزية. وقال إنه يرجح ادارة عالمة نظيفة متّزنة ولو يرأسها أجنبي على إدارة مذبذبة مترجرجة مفككة فاسدة يرأسها عراقي.

وقد ردّ عليه معروف الرصافي بقصيدة قال في مطلعها:

قل لسلمان، بعد ما كان حراً، كيف قد جاز رقّه والإسار؟
ان ماقلته من القول هُجر منكر لا تقوله الأحرار

حتى قال:

كيف نسعى إلى العلا في أمور ليس فيها رأي لنا واختيار؟
فبذا ركن عزّنا يتداعى وبذا صرح مجدنا ينهار
انّ للأجنبّي فينا لحكماً أسدلت دون جوره الأستار

محمد عبد الحسين

من رجال الصحافة العراقية الذين اشتهروا في فترة مابين الحربين العالميّين، محمد بن عبد الحسين بن أحمد الحسني، ولد في الكاظمية في سنة ١٨٩٩ من أسرة لها خدمة في الحضرة الكاظمية، وكان عمّه باقر سركشك (١٨٩٣ ـ ١٩٥٨) معاوناً لرئيس التشريفات الملكية (١٩٢٤) فمدير البريد والبرق العام (١٩٤٥) فمدير النفوس العام ١٩٥٠). وقد انتخب نائبا عن الكاظمية في مجلس النواب ايار ١٩٥٥ وايار ١٩٥٨

نشأ محمد عبد الحسين في الكاظمية وبها تثقّف، ثم مضى إلى النجف في ابان الثورة العراقية وأصدر جريدة «الاستقلال» (أول تشرين الاول ١٩٢٠)، وقد ظهر منها ثمانية أعداد. ولما اقتربت القوات الإنكليزية من النجف ذهب إلى البصرة وعمل في جريدة الأوقات البصرية.

وعـاد إلى بغداد، فأخـذ بـالتحريـر والكتـابة في صحفهـا، كـالعراق والاستقـلال والنهضة العراقية، وطارت له شهـرة، كاتباً سياسياً في رعيل الصحفيين الشبّان. وعيّن مفتشاً لمعارف منطقة الفرات في حزيران ١٩٢٢، لكنه لم يلبث أن عاد إلى الصحافة.

أنشأ جريـدة «الشعب» في ١٠ نيسان ١٩٢٤ فلم يطل عهدها أكثـر من اسبوعين. وقد وقّف جـريدتـه ـ كما قال رفـائيل بطي في محاضراته عن الصحـافة في العـراق ـ على مناقشـة المعاهدة العراقيـة البريطانية والـدفاع عن وجهة نظر المعـارضين لهـا، وكانت «الشعب» شديدة الوطأة في مقالاتها وبحوثها السياسية.

درس محمد عبـد الحسين الحقوق في الوقت نفســه، ونال إجازتها ومارس المحـاماة. وألّف كتاب «المعـارف في العراق على عهد الاحتـلال» (١٩٢٢) و«ذكرى فيصل الأول» أو «العـراق في اثني عشر عـاماً» (١٩٣٣). وانتخب نـائبـاً عن الحلـة في كانـون الأول ١٩٣٤

اعتقل في أثنـاء الحرب العـالمية في تشريـن الثاني ١٩٤١ وأُقصي إلى الفـاو. وأدركتـه الوفاة سنة ١٩٥٢

له أيضاً: محنة العرب (١٩٣٦).

سلمان الصفواني

الصحفي الأديب سلمان آل ابـراهيم الصفـواني القطيفي، ولـد في قريـة صفـوة من أعمال نجـد سنة ١٩٠٠، وجـاء إلى العـراق فتلقى دروس العربيـة والـدين في معاهـد النجف وكربلاء.

اشترك مع الشيخ مهــدي الخالصي في منــاهضــة انتخــاب المجلس التأسيسي في الكـاظمية، فأبعـد عن العـراق في حزيـران ١٩٢٣ وعاد إلى بغـداد فأصـدر جريـدة «اليقظـة» (٥ ايلـول١٩٢٤) فجريـدة «المنبر العـام» (كـانون الاول ١٩٢٥) فجـريـدة «المعارف» مع عبد الملك حافظ (ايلـول ١٩٢٦). وعيّن في سنة ١٩٢٧ سكرتيراً خاصاً لوزير المواصلات والاشغال، لكنه استقال بعد ذلك واستأنف إصدار جريدة «اليقظة» (تشرين الثاني ١٩٢٩) فجريدة «النهضة» (١٩٣٠).

وعاد إلى الوظيفة معـاوناً لسكرتير أمانة العاصمة، ونقل إلى وزارة الداخليـة فمديرية المحـاسبات العـامة. وكـان بعـد ذلك مدرسـاً للغـة العربيـة في دار المعلمين الريفيـة والمدرسة الثانوية المركزية للبنات ومدرسة التفيّض الأهلية.

ساهم في الحركة الـوطنية خلال الحرب العالميةالثانيـة فاعتقل في الفاو (تشرين الاول ١٩٤١)، إلى تموز ١٩٤٣، ثم أبعد إلى الهند وعدن.

وعـاد إلى بغـداد (آذار ١٩٤٦)، فـاستأنف إصـدار «اليقظـة» وكـانت من الجرائد العنيفـة في قوميّتهـا. ثم أصـدر جريـدة «صـدى اليقظـة» ايار ١٩٥٣). وقـد حطم مطبعتهـا الجمهور بعـد فشل حركـة العقيـد عبدالـوهاب الشـوّاف في الموصل في آذار ١٩٥٩

وسكن في القاهرة من ١٩٥٩ إلى ايلول ١٩٦٥، ثم عاد إلى بغداد إذ عيّن وزيراً للدولة في وزارة عميد الجو عارف عبدا الرزاق (٦ ايلول ١٩٦٥) ووزارة عبد الرحمن البزاز التي تلتها في ٢١ ايلول ١٩٦٥ إلى ٩ آب ١٩٦٦. واعتقل بعد ثورة تموز ١٩٦٨ البعثية، وأفرج عنه في شباط ١٩٦٩

وقد ألف: رواية الزرقاء(١٩٢٥) ذيول صِفّين (رواية) أذن وعين (١٩٤٧) محكوميتي (١٩٥٢) هذه الشعوبية. ونشر كتاب تاريخ الحروب العربية أو حرب البسوس لمحمد بن اسحق (١٩٢٨).

قالت مجلة «الأديب» البيروتية (ايلول ١٩٤٧) تذكر صدور كتابه «أذن وعين»: «. قلم، سيّال لكاتب جريء يعبّر عما يخالجه من احساسات وآراء جلا فيها مكامن الداء. ولعلّ الشيء الذي يتميّز به الكاتب هو نزعته العربية القوية ودفاعه المجيد عن الوحدة العربية فكأنّ سني الاعتقال لم تزده الا مضيّاً في الكفاح وروسوخاً في العقيدة. فيدعو القائمين على أمور العرب في الخروج من ميدان النظريات إلى ميدان العمل والاسراع في توحيد الثقافة العربية، بعد أن يعالج قضية القومية العربية معالجة دقيقة بأسلوب خطابي قويّ النبرات، واضح الغاية، عذب المنال».

توفي سلمان الصفواني في بغداد في تشرين الثاني ١٩٨٨

نوري ثابت

الكاتب العراقي الهزلي نوري ثابت المعروف باسمه المستعار «حبزبوز»، ولد في السليمانية في ٢٨ تشرين الثاني ١٨٩٧، وكان والده ثابت بك الكروي عقيداً في الجيش التركي، فانتقل معه إلى الأحساء حيث أتم دراسته الابتدائية. وكلف ثابت بك بتأديب أهالي السماوة لإخلالهم بالأمن على عهد والي بغداد جلال بك (١٩١٤). انتمى نوري إلى المدرسة الاعدادية ببغداد، ومضى إلى الاستانة فولج مدرستها العسكرية (آب ١٩١١) وتخرج فيها ملازماً ثانياً.

حارب في اثناء الحرب العظمى في الدردنيل والقفقاس، وجرح في المعارك فأعيد إلى الاستانة واستخدم ضابط استخبارات في مقر وزارة الحربية التركية حتى عقد الهدنة. وعاد إلى العراق سنة ١٩٢٣ فعيّن معاوناً لمدير المدرسة الجعفرية الأهلية (تشرين الأول ١٩٢٣) ثم انتقل إلى وزارة المعارف وكان مدرساً ومدير مدرسة ثانوية. وعين مفتشاً في ايلول ١٩٢٥ وأخذ يكتب نقداً اجتماعياً باسلوب طريف في الصحف المحلية، فلما أنشأ رفائيل بطّي جريدة «البلاد» سنة ١٩٢٩ كلفه بكتابة باب خاص بالهزل والتفكهة فيها.

فصل من الوظيفة في ٢٤ آب ١٩٣١، فأصدر جريدة فكاهية اسبوعية باسم «حبز بوز» (٢٩ ايلول ١٩٣١) ووالى اصدارها إلى وفاته ببغداد في ١٢ تشرين الاول سنة ١٩٣٨

قال رفائيل بطي في وصف اسلوبه : «وحبـزبوز كاتب خفيف الظل، أسلوبه محبّب إلى النفوس، تمازجـه تعابير دارجـة عند الـدهماء، مطعمة بـالأمثال السـائرة على ألسنة الناس على اختـلاف طبقاتهم وتحلّيهـا حكايات ونـوادر مما يتنـاقله الجمهـور من عهد العثمانيين، ويختـزن الكاتب في ذاكـرتـه منهـا محصولاً وافـراً». ونقل بطّي عن يـاسين الهاشمي قوله : «ان نوري ثابت خير من يصف أخلاق المجتمع وأهله وصفاً فيه الإجادة كلها والعبرة البالغة».

جبل نوري ثابت على روح فكاهية أصيلة، وتأثر بكتاب الأتراك الهزليين تأثراً بليغاً. وعني بالمأثورات والحكـايات الشعبية العراقيـة فوعاها وحلّل مـا تنطوي عليه من تهكم لاذع وحكمة فطرية.

ولقد أثر تأثيراً عميقاً في الجيل العراقي الذي كـان يقرأ كتاباته بلهفة واشتياق. وإذا كان أكثر الكتاب يحاولون رفع القراء إلى مستـواهم، فإنّ نوري ثابت وأمثاله من الكتاب الشعبيين يحاولون أن ينـزلوا بأدبهم إلى مستوى العامّـة ليؤدّوا رسالـة التثقيف والتهذيب التي اضطلعـوا بها. وكذلك وفّق «حبـزبوز» للتغلغل في المحـافل الشعبية وابـلاغ آرائه الإصلاحية إلى مختلف الطبقات.

وقد قال جميل صدقي الزهاوي في تحية جريدة حبز بوز:

الـــــــــهزل في الكــــــــلام   كـــــــالملح في الطعــــــــام
قليلـــــــــه كثــــــــير   ومـــــــــرّه نمــــــــير
ربَّ عتــــــاب حمــــــد   وربّ هـــــــزل جـــــدّ
طـــــرائف الهـــــزال   كـــــالـــدرر الغـــوالي.

وروى عبد القـادر المميّز الكاتب الهزّال صـاحب جريدة «أبي حمد» وصـديق نوري ثابت الأمين أنـه أبلغ تلفونيـاً في ليلة من ليـالي الشتاء القارسـة نبأ وفاتـه، فهرع إلى داره ووجده جالسـاً يطالع في ديوان المتنبي. فحياه وقبّله وعـاتبه عتاباً مراً على هذه الـدعابة القاسية، فأجابه نوري ثابت :

كان رفيق خـالد بك من كتاب الأتـراك المعروفين، نال منصب الـوزارة. ثم تقوّض عرش آل عثمان وهرب بقية الخلفاء والسلاطين وأرباب الدول، فلجأ صاحبنا إلى مدينة حلب وأنشأ فيها جريدة تركية. ورأى أن يـداعب الجرائد التركية فأبرق إليها ينعى نفسه بتـوقيع بعض أصحـابه، فخرجت الصحف في الغـداة تؤبّنـه وتشيـد بـذكره وتطـري مواهبه. ورأى في حياته كيف يكون منعاه بعد موته.

قال نـوري ثابت لصـاحبه المميّـز: وأنا أيضـاً دبّرت هذا النعـي التلفوني لأقف على موقعي من نفسك!

ولقد أشاع المرجفون موت الشاعر الشعبي عبّود الكرخي فخاطبه معروف الرصافي قائلاً:

أشاعوا نعّيك من غيظهم يريدون للشعر ما لايريد

ولما تبيّن إخفاقهم لدى لنّاس عادوا بغيظ جديد

فعش وادعاً رغم آنافهم بعمر جديد وعيش رغيد

قال مهدي مصطفى القزّاز ان نوري ثابت كان ضابطاً مقداماً في الجيش العثماني ينافح عن قوميته وبلاده ويعمل سراً وجهاراً على رفع شأن الأمة العربية وتعزيز مكانتها. ويوم أن كان مدرساً في المدارس الأهلية والرسمية في العراق يهذب ناشئة البلاد ويسدّد خطواته نحو المجد والسؤدد باثاً في نفوسهم روح الاقدام والفضيلة. ولقد كانت له من تجاربه في الجيش خير عون على قيادة الطلاب نحو الاقبال على الدرس وارتشاف مناهل العلم.. ولما كان بطبعه رياضياً فذاً فقد بثّ هذه الروح في نفوس طلابه، فخلق منهم شباباً قوياً جريئاً مقداماً ممتلئاً فتوّة ونشاطاً. وقد سماه بعض زملائه المدرسين «معلم عقل وبدن».

ثم أشار القزاز إلى حبزبوز الصحفي فقال انه اكتسب محبة الجماهير لأنه كان يكتب بلغة يفهمها الجمهور، باللغة الدارجة على الألسن وفي البيوت والمجتمعات ونوادي السّمر خالية من التكلّف وممزوجة بروح الدعابة والهزل والفكاهة ومطعّمة بالنقد اللاذع والتهكم المرّ، متناولة لما يجري من أوضاع في البلاد من سياسة واجتماع وأخلاق وأحداث كانت الدهماء من أبناء الشعب لا تعرف عنها شيئاً إلى أن صدرت جريدة «حبز بوز» فأخذت تنقلها اليهم بلغتهم الدارجة وأحاديثهم العادية مقدمة لها بمقدمة فكاهية تفهمها العامة وتعرف المقصود منها.

ميخائيل تيسي

ميخائيل نجاتي بن يوسف تيسي الكاتب الناقد الهزلي المعروف باسم «كنّاس الشوارع»، ولد في بغداد في ١٢ آب ١٨٩٥، ودرس في مدرسة القديس يوسف، وعمل في التجارة. ووظف في تموز ١٩١٨ مترجماً بنظارة المالية، ثم نقل إلى دائرة الاوقاف فوزارة الدفاع.

أخذ بكتابة نقدات اجتماعية في جريدة الرافدين ودجلة باسلوب فكاهي، وسرعان ما ابتكر لنفسه أسلوباً هزلياً خاصاً مطعماً بالعبارات العامية والحكايات الشعبية لقي رواجاً من القراء، فكان ميخائيل تيسي من روّاد الصحافة الهزلية في العراق. وأصدر سنة ١٩٢٢ كتاب «ماهيّة النفس وروابطها بالجسد» أحدث ضجة

في المحافل الدينية. وأصدر جريدة اسبوعية هزلية باسم «كناس الشوارع» في أول نيسان ١٩٢٥، ثم اغلقها بعد اطلاق النار عليه واصابته بجرح خفيف. وانشأ في تشرين الاول ١٩٢٦ سلسلة روايات باسم «مرآة الحال»، ثم أصدر في ١٧ كانون الاول ١٩٢٦ جريدة اسبوعية ادبية اجتماعية مع حسين الرحّال باسم «سينما الحياة»، فلم تدم طويلاً.

وعاد ميخائيل تيسي إلى الوظيفة مديراً لناحية تلكيف (١٩٣١) فقائممقاماً لقضاء الشيخان (حزيران ١٩٣٢) فمعاون رئيس تسوية حقوق الأراضي (شباط ١٩٣٤) حتى فصل من الخدمة في شباط ١٩٣٦ وعاوده الحنين إلى الصحافة فأصدر جريدة اسبوعية جديدة باسم (الناقد) (٦ ايار ١٩٣٦) وظلّ يصدرها إلى ٢٦ شباط ١٩٣٩، وكانت تجمع الجدّ إلى الهزل وتعنى بالإصلاح الاجتماعي والسينما والمسرح وغير ذلك من الشؤون.

ووظف بعد ذلك مميزاً في دائرة الإذاعة (آذار ١٩٤٢) ونقل إلى الديوان الملكي وأصبح مديراً فيه في تشرين الاول ١٩٤٩، واعتزل الخدمة سنة ١٩٥٧ وتوفي في كانون الأول ١٩٦٢ في بغداد. وقد جمعت طائفة من مقالاته الانتقادية في كتاب «نقدات كنّاس الشوارع» صدر منه ٥ أجزاء (١٩٢٢ ــ ٢٦). وألف رواية «ضحية العدالة» (١٩٢٩) الخ.

قال رفائيل بطي في محاضراته عن الصحافة في العراق: «سألته يوماً: لماذا اخترت «كناس الشوارع» اسماً قلمياً لك؟ فأجابني: أردت أن أختار شخصية آدمية كثيرة التجوال في شرايين المدينة وقلبها، دوّارة تقترب من الأبواب وتدخل البيوت، بيوت الفقراء وقصور الأغنياء، فلم أجد خيراً من كناس الشوارع. ثم وددت، واني أعتزم الانتقاد والحملة على العادات والنواقص في الناس والمجتمع، أن اختار اسماً يوافقه حمل سلاح للتهويش والضرب، ولسميّي مكنسة مشهرة دائماً يحملها على كتفه ويكنس بها وينظف، وقد يستخدمها للضرب والدفاع عن النفس عند الحاجة».

ثم يقول:

«وتدور أكثر ملاحظاته حول النظافة ووجوبها، والتشنيع بحركات الآخرين وأصواتهم المزعجة، وفضح جيل الباعة والدوارين، ثم تنبيه بعض الدوائر الحكومية ولا سيما البلديات إلى ما هو من واجباتها من تنظيف وانارة الطرق وتجفيف البرك في الشوارع. ويعمد كناس الشوارع أحياناً إلى النقد الأخلاقي والاجتماعي، فيعرّض بالعادات السيئة والطبع اللئيم، ويصف أمراض الحياة والبيئة ومساخرها وحيل النسوان وبلادة الرجال ـ وبتعبير محكم ـ الأزواج.

«وكتابات هذا الكاتب الهزلي طراز لتفكير طبقة كبيرة ممّن أصابوا حظاً من التعليم. ومع أنه يجيد الفرنسية ويحسن الانكليزية فلم يعنَ أن يسلك طريقة أحد الكتاب الفرنسيين أو الانكليز الهزّالين، بل اهتم بأن يفكر ويستوحي من الجوّ المحلي. وهذا سرّ اقبال الجمهور على قراءته..»

خلف شوقي الداودي

ينتمي إلى قبيلة الداودة الكردية التي تقطن في لواء كركوك، وكان أبوه أمين ضابطاً في الجيش التركي، وقد ولد خلف شوقي في بلدة الديوانية سنة ١٨٩٨، وقضى سني صباه في الحلة. ثم جاء إلى بغداد وانتمى إلى دار المعلين، وجنّد ضابطاً احتياطياً في اثناء الحرب العظمى، فحارب في جبهة العراق. وأسره الانكليز فاعتقلوه في الهند، وهيّء له فيها تعلّم اللغتين الانكليزية والهندية، إلى جانب التركية والفارسية والكردية التي عرفها في بلاده.

عاد إلى العراق فانخرط في سلك الوظيفة في ايار ١٩١٩ وعمل بعد ذلك في الصحافة، فكان محرراً في جريدة الاوقات العراقية في البصرة. وأصدر في تلك المدينة مجلة باسم «شط العرب» (كانون الثاني ١٩٢٣)، فلم يصدر منها سوى عدد واحد. وحرّر بعد ذلك في جريدة الاوقات البغدادية، وأصدر جريدة «شط العرب» في بغداد في آذار ١٩٢٤، فدامت نحواً من ستة أشهر.

عيّن مترجماً في وزارة المالية فمفتشاً مالياً (تشرين الأول ١٩٢٦) فسكرتيراً مالياً لوزارة الاقتصاد والمواصلات (حزيران ١٩٣٥) فمعاون رئيس تسوية حقوق الأراضي (كانون الثاني ١٩٣٨). وتوفي ببغداد في ٢ شباط ١٩٣٩

كان خلف شوقي ميالاً إلى الدعابة والفكاهة منذ صباه، فلا عجب أن أصبح كاتباً هزلياً فكهاً ينتقد المجتمع العراقي انتقاداً ساخراً لاذعاً. أما اسلوبه الكتابي فكان، كما قال جعفر الخليلي، اسلوباً صحافياً قليل الغور، لكنه مطبوع بطابع جذاب فيه الشيء الكثير من الحلاوة والمتعة على الرغم مما يعتوره من المآخذ اللغوية والنحوية. وكتب قصصاً جمعها في كتاب باسم «سفينة نوح» نشر بعضها في مجلة الهاتف النجفية وحال موت المؤلف دون طبعها.

وله مؤلفات أخرى، منها: قصص مختارة من الأدب التركي (١٩٣٦) الفلقة (١٩٣٨)، قضية فلسطين (مجموعة مقالات مترجمة، ١٩٢٤)، نقدات الملا نصر الدين (١٩٢٣) وساوس السلطان عبد الحميد (مترجم)، زاد المسافر (رسالة تاريخية للشيخ فتح الله الكعبي، حققها ونشرها سنة ١٩٢٤)، ذكرى سعد زغلول (١٩٢٧).

ومن مصنفاته المخطوطة : مائة فكاهة وفكاهة ، حقيبة الداودي ، الخ .

قال جعفر الخليلي مشيداً بأثر خلف شوقي في كتابه «القصة العراقية قديماً وحديثاً» :

«وبالاجمال فإنّ خلف شوقي من أوائل روّاد القصة العراقية الحديثة ومن الذين انفردوا بنوع خاص منها ، لا من حيث امتزاجها بالفكاهة فحسب ، وإنما من حيث جوهرها وسبكها وكونها قصصاً تحوم حول ذاته على الغالب» . وأشار إلى النقص الفني ، حسب رأيه ، في هذه القصص فقال إنه الإطالة أو الإيجاز في غير مواقفها ، وعدم مراعاة الخبن الفني الذي تقتضيه قواعد القصة ووضع الحوار. وقال : إن الداودي قد وفّق في الكثير من قصصه توفيقاً غير قليل من الناحية الفنّية .

مريم نرمة

الصحفية مريم نرمة بنت رفائيل يوسف رومايا ، ولدت ببغداد في ٣ نيسان ١٨٩٠ ودرست في مدراسها . وقد أخذت تكتب المقالات الاجتماعية في الصحف بعد الحرب العظمى الاولى ومارست التعليم . واقترنت بمنصور كلّوزي الموظف في دائرة الكمارك والمكوس ، ولم تنجب ولداً .

أصدرت صحيفة «فتاة العرب» في ايار ١٩٣٧ وواظبت على إصدارها نحواً من ستة أشهر. وقد أخبرني يوسف يعقوب مسكوني أنه ساعدها في تحرير صحيفتها . وعاشت بعد ذلك في عزلة هادئة ، لكن أقيم لها في ايار ١٩٤٥ احتفال في ذكرى اليوبيل الفضّي لمشاركتها في النشاط الأدبي . وكرّمتها وزارة الإعلام العراقية سنة ١٩٦٩ بأنها من رائدات الصحافة النسائية ، وذلك في أثناء الاحتفال بمرور مائة سنةعلى الصحافة العراقية وصدور جريدة الزوراء .

توفيت مريم نرمة ببغداد في ١٥ آب ١٩٧٢ واسمها «نرمة» كلمة فارسية تعني «لطيفة» .

كانت مريم نرمة في مقدمة الداعيات إلى نهضة المرأة العراقية وتعلمها . وقد كتبت سنة ١٩٢٤ مقالاً في مجلة المصباح البغدادية بعنوان «العيشة الزوجية» . قسمتها هذه العيشة إلى قسمين : هنية وشقية . وقالت ان العيشة الهنية ترتكز على الحب والطاعة والعفة والصفات المحمودة والاخلاق الحسنة . وقالت ان سعادة الزواج تكون بالمحبة واتحاد الزوجين بقلب واحد ونفس واحدة . وصاحب الأخلاق الراقية يجب ان يكون معلماً حاذقاً ومدبراً نشيطاً لزوجته يجد ويجتهد لاعالة زوجته واولاده .

وارتأت أن تكون الزوجة تلميذة ذكية فطنة تسمع نصائح زوجها وتنفذ أوامره ، وتقوم بجميع أعمال منزلها وتربي أولادها خير تربية وتمارس طرق الاقتصاد لتكون زوجة صالحة وأماً فاضلة .

ووصفت الشقاء الـزوجي وما يلابسـه من القسوة والشراسة والعجـرفة، ولا سيما في العوائل التي قـامت على الزواج طمعـاً بالمهـور العالية أو شغفـاً بالجمال الـزائل والمحبة الفاسدة. ولم تبخل الكاتبة في نهاية الأمـر بنصائحها في الزواج وتكوين الأسرة الصالحة القائمة على الأخلاق والحب والفضيلة.

يوسف هرمز

من رجال الصحـافة يوسف هـرمز جَمُّو ولد في بلـدة تلكيف سنة ١٨٩٢ وعمل في الزراعة والحيـاكة. وقدم إلى بغداد سنـة ١٩١١، ثم رحل إلى البصرة ودرس في المدرسة الأميركيـة (١٩١٥). وفي سنـة ١٩١٧ عيّن معلماً في نفـس المدرسـة فمارس التعليم ١٦ عاماً

أصدر جريدة «صوت الشعب» في البصرة (١٩٣٥) ثم نقلها إلى بغداد وواظب على اصدارها أعواماً طويلة.

وقد توفي سنة ١٩٦٥ في بغداد بحـادث سيارة. ألف كتباً منها: الضعفاء (١٩٢٧) آثـار نينوى أو تـاريخ تلكيف (١٩٣٧) ستـة أشهـر في أميركة (١٩٤٨). وتـرجم عن شكسبير «الضلالة» و«الكيل بالكيل».

عبد القادر المميّز

من كتّاب الصحـافة الهزلية، لازم نـوري ثابت (حبزبوز) أعـواماً طويلـة وسار على نهجه في كتاباته الفكاهية ونقداته الاجتماعية.

وهو عبـد القادر بن عبد الـوهاب بك بن عبـد القادر المميّز بن محمـد صالح بك. ينتمي إلى أسرة بغداديـة معروفة تتـولّى أوقاف عادلة خـاتون بنت أحمد باشـا والي بغداد وزوجـة الوالي سليمان بـاشا المتـوفّاة سنـة ١٧٦٧ وكان جـدّ الأسرة ابراهيم المميـز من موظفي الدولة العثمانية.

ولد ببغداد في نحو سنة ١٩٠٠، ودرس في المدرسـة السلطانية على العهد العثماني. وعمل في الحكومـة العراقية مـوظّفاً مالياً، وتنقّل في الألـوية، حتى اعتزل الخدمـة سنة ١٩٣١ ثم أصدر جريدة فكاهية في بغداد باسم «أبو حمد» (١٩ تشرين الاول ١٩٣٣) وظلّ يصدرها أعواماً.

أدركته الوفاة في بغداد في ١٢ تشرين الاول ١٩٥٤

يوسف رجيب

الصحفي الأديب يوسف بن حمود بن مهدي رجيب ولد في النجف سنة ١٩٠٠ من أسرة خفاجية متواضعة. وكان والده عطاراً، وقد توفي ويوسف طفل يحبو إلى الرابعة من عمره، فكفله عمه ناصر. مال إلى الدرس صغيراً، فأكبّ على تحصيل اللغة والأدب وواظب على المطالعة حتى كوّن لنفسه ملكة أدبية ومقدرة كتابية. وقد استهوته الآراء الإصلاحية والافكار الحديثة، فلما أسست مدرسة الغريّ سنة ١٩٢١، انتمى يوسف رجيب إلى قسمها المسائي ارواء لظمأ العلم في نفسه. وقد قال حسن الأسدي فيه: «وعاش ثورة النجف على الأتراك في عام ١٩١٥، وثورتها على الانكليز في عام ١٩١٨، وأحداث الثورة العراقية الكبرى على الانكليز في عام١٩٢٠ والتي كانت النجف مركزها الرئيسي، عاش كل هذه الأحداث، وهو يجمع بين عمله المعاشي في دكان العطارة، وبين دراساته الأدبية وتتبّعاته الثقافية في الصحف والمجلات».

وأصدر في نيسان ١٩٢٥ جريدة اسبوعية باسم «النجف» فواصل إصدارها نحواً من سنتين، وكان في الوقت نفسه يقوم بالتدريس في مدرسة الغريّ.

وترك النجف إلى بغداد سنة ١٩٢٧، وعيّن مدرساً في المدرسة الحسينّية. وشارك في تحرير جريدة «الزمان» التي ربطته أواصر الصداقة بصاحبها ابراهيم صالح شكر. ثم عهد إليه برئاسة تحرير جريدة «النهضة العراقية» التي أصدرها حزب النهضة في آب ١٩٢٧

واضطرته الحاجة بعد ذلك إلى قبول وظيفة مفتش استهلاك في الهندية والمسيّب (١٩٣٤) فمدقق ماليّ. وقد أوفد إلى سوق الشيوخ، فلما وقع التمّرد فيها سنة ١٩٣٥، اعتقل يوسف رجيب وأحيل على المجلس العرفي في الناصرّية. ثم أطلق سراحه وأعيد إلى الوظيفة منقولاً إلى الفلوجة، ونقل إلى بغداد سنة ١٩٣٨، وعيّن ملاحظاً للرسائل في ديوان وزارة المعارف. ثم عيّن ملاحظاً في المفوضية العراقية بدمشق سنة ١٩٤٥ وأصيب بالسّل فدخل مصح ظهر الباشق في لبنان، وقضى نحبه فيه في ٨ حزيران ١٩٤٧

كان كاتباً سياسياً واجتماعياً لطيف الأسلوب وجندياً مجهولاً من جنود الصحافة العراقية في سنوات العشرين. وألف قصة «المهادي الشمري» (١٩٤٢).

رثاه الشاعر عبد الحسين الأزري فقال:

قـــابلـتُ نعيك مـن ربــوع الشّـــام في مقلـــــــة عبرى وقلـــبٍ دام
أنكــــرتُ مـن جـــزعي عليـك سماعــه وظننتــــه مـن مُـــــرجـفٍ نمّام
ولَبثْـتُ بين مصـــــدّق ومكـــــذّب، والنفـس تغـــــري الشك في إيهامـي.

حتى يقول:

نم هـــادئاً، إنّ المنيــة فُـــرجــةٌ تُحمـى الأبـــاة بها مـن الإرغـــــام
مـــا قيمـــة الـــدنيـــا إذا جبلت على أن لا يعيـش الحرّ غير مُضـــــام؟
مـــــا العمـــــــر الاّ فترةٌ محدودة، يـــــا ليتهــــا لـــــو تنقضي بســـلام

محمد طه الفيّاض

محمـد طه الفيـاض العـاني ينتمي إلى قبيلـة المشاهـدة الحسينيـة، ولـد في عنة سنـة ١٨٩٨، ودرس على والده وفي المدارس الرسمية. وعيّن أميناً لصندوق البلدية، ثم جاء إلى بغداد سنة ١٩١٥ وولج دار المعلمين. وأخذ إلى الاستانة حيث أدخل دورة عسكرية منح على أثرها رتبة نائب ضابط.

اشترك في الحرب العظمى في صفوف الجيش التركي، فـرفّع ملازمــاً ثـانيـاً وشهـد معـارك الحجــاز وفلسطيـن. وأسره الانكليز فـاعتقلوه في مصر، حتى إذا مـا عقـدت الهدنة أخلي سبيله وعـاد إلى مسقط رأسه عن طريـق البصرة. وعمل كاتباً لناحية عنة، ثـم شخص إلى البصرة حيث مـارس التجـارة وعني بـالشـؤون الـوطنيـة والاسلاميـة، فاشترك في تأسيس جمعية الشبان المسلمين وجمعية الهدايـة الإسلاميـة وجمعية الدفاع عن فلسطيـن. وأبعـد إلى اربيـل في حـوادث سنة ١٩٣١، ثـم عاد إلى البصـرة واستأنـف نشاطـه. واقتحـم ميـدان الصحافـة، فأصدر مجلـة الشبـان المسلميـن سنة ١٩٣٤، وشفعها عنـد اغلاقهـا بمجلة صـدى الشبـــان المسلميـن وصـوت الشبان المسلمين. وأنشأ جريــــدة السجّل اليوميـــة سنـة ١٩٣٧، وكـــانت مـن الجرائـــد السياسيـــة الإسلاميـة.

وجاء بعـد ذلك إلى بغداد فأصدر جـريدة اللـواء، ثم اعاد اصدار جـريدة السجل (تشرين الاول ١٩٤٦). وبعد نشوب ثورة تموز ١٩٥٨ أنشأ جريدة «الفجر الجديد» في كانون الثاني ١٩٥٩

وفي آذار ١٩٥٩، بعـد انهيـار تمرّد العقيــد عبـد الوهــاب الشوّاف في الموصـــل، هاجم الجمهور مكتب جـريدته ومكاتب جريدة اليقظـة وغيرها وحطمت مطابعهـا. ثم أعاد طـه الفياض إصـادر جريـدة «الفجر الجديد» بعد انحســار المدّ الشيوعـي في تموز من تلك السنة.

وانتخب نقيباً للصحفيين في حزيران ١٩٦١ خلفاً لمحمد مهدي الجواهري وأعيد انتخابه في نيسان ١٩٦٢

أدركته الوفاة في بغداد في أواخر تشرين الاول ١٩٦٤ بعد جهاد صحفي طويل.

من مؤلفاته: صولة الحق على جولة الباطل، اللغة العربية رابطة الشعوب الإسلامية (١٩٣٥) الاعصار الشديد في تنفيذ سياسة السعيد (١٩٥٦) الظلم لا يدوم (١٩٥٩) عدوان الانكليز على واحة البريمي (١٩٥٥) كيف تحارب الشيوعية الخ.

عبد القادر السيّاب

من رجال الصحافة، ينتمي عبدالقادر السيّاب إلى أسرة عربية من عشائر ربيعة نزحت إلى البصرة منذ عهد عهيد. وهو ابن الشيخ سيّاب المرزوق، ولد في أبي الخصيب في نحو سنة ١٩٠٠ وأتم دراسته الثانوية في بغداد.

انتمى، وهو شاب، إلى الحزب الوطني العراقي وأصدر صحفاً أدبية مع أحمد جمال الدين كجريدة الحوادث (آذار ١٩٣٠). ثم انفرد باصدار جريدة الناس اسبوعية مصورة (كانون الثاني ١٩٣١). وأصبح في شباط ١٩٣٢ سكرتيراً لتحرير جريدة بهلول التي احتجبت سريعاً.

وعاد إلى البصرة فأسّس فرعاً للحزب الوطني في أبي الخصيب، وبعد ذلك في مدينة البصرة، ثم أسس فرعاً لحزب الاخاء الوطني فيها. وأعاد إصدار جريدته «الناس» سياسية يومية في البصرة (١٩٣٥) فعطّلت واعتقل صاحبها مراراً. وأبعد إلى كويسنجق في كانون الاول ١٩٣٨ مع فريق من رجال السياسة والشباب الوطني.

وقد انتخب نائباً عن البصرة في حزيران ١٩٣٩ إلى حزيران ١٩٤٣ وأصدر جريدة «الجهاد» (نيسان ١٩٤١)، ثم اعتقل خلال الحرب العالمية الثانية وأبعد إلى الفاو والعمارة. وأعاد إصدار جريدة الناس أعواماً طويلة، وتولّى بعد ذلك إصدار جريدة «الحياة».

أدركته الوفاة بالبصرة في ٢٠ شباط ١٩٧٠

محيي الدين أبو الخطّاب

محيي الدين الشيخ شهاب المعروف بـ «أبي الخطّاب»، الصحفي الحقوقي الأديب، ولد بالموصل سنة ١٨٩٦ وتخرّج في دار المعلمين سنة ١٩١٥، وألحق بمدرسة ضباط الاحتياط خلال الحرب العظمى فمنح رتبة ملازم ثانٍ في الجيش التركي.

ودرس بمدرسة الحقوق في بغداد فنال اجازتها سنة ١٩٢٦ ، وزاول المحاماة. ثم أصدر جريدة «الأديب» الاسبوعية في الموصل سنة ١٩٣٤ ، فثابر على إصدارها وجعل اسمها «الرقيب» (١٩٦٣).

توفي في مسقط رأسه سنة ١٩٧٠ وكان أبو الخطاب ظريفاً حسن الدعابة. وله مطارحات أدبية مع شعراء عصره ولا سيّما محمود الملاح الذي نظم فيه شعراً كثيراً على سبيل التفكهة. وداعبه عبد الجبار الجومرد يوم أصدر جريدته «الأديب» فقال:

لم يكن كـــاتبـــاً أبـــو الخطّـــاب	بـل طبيـب الأرواح والألبـــــاب
الكســـائي يستقي النحـــو منـــه	والحريـــريّ واقـف بـــالبـــاب

قال الدكتور أكرم فاضل: سئل عن علة وقوف الحريري بالباب فأجاب: لقطع التذاكر.

حدثني الدكتور أكرم فاضل قال: كنت، قبل أن أشدّ الرحال إلى باريس وأحصل على شهادة الدكتوراه في القانون، كاتباً في محاكم الموصل، فعرفت المحامي محيي الدين أبا الخطّاب الذي كثيراً ما كان يترافع أمامنا. وجاءني في يوم من أيام الربيع قبيل الظهر وقال لي: أتخرج معي في نزهة خلوية إلى ظاهر المدينة حيث العشب العطر والزهور والرياض؟ قلت: ولكن كيف أصنع وأنا مقيَّد بالدوام؟ فذهب إلى الحاكم واستأذن لي بالخروج.

وكانت سيارة فخمة في انتظارنا عند باب المحكمة، وفيها شاب وسيم من أبناء العشائر يرتدي حلة أنيقة من ثوب وعباءة وكوفية وعقال. فامتطينا سيارته، ومضى بنا بأمر من أبي الخطاب إلى السوق، فاشترى أطيب المأكولات والفاكهة.

وقال الشاب: والآن هل نذهب إلى حيّ العرب لأداء مهمتنا؟ فأجاب أبو الخطاب: بل نمضي أولاً إلى ضفاف دجلة حيث الماء والخضراء لنتناول الطعام ونتمتع بأفياء الربيع، ولدينا بعد ذلك متّسع من الوقت لانجاز العمل الذي أوكلته إليّ.

وكان الكلأ يمتّد بساطاً أخضر يصل الأفق بالنهر الرقراق. فجلسنا، ساعة وبعض ساعة نأكل ونشرب، وأبو الخطاب يقصّ علينا ما لذّ وطاب من نوادره وأخباره مرصّعاً قصصه بالأمثال والأشعار.

ثم ركبنا السيارة واتجّه الشاب إلى البّر حتى بلغنا بعد لأي حياً من البدو يخيمون في الأرض الملساء. ووقف بنا على مبعدة من الخيام، ونزل أبو الخطاب يتبعه الشاب وسارا يقصدان مضارب الأعراب، وصاحبنا المحامي يتلكأ في سيره، ويقدم رجلاً ويؤخر أخرى ويتلفّت إلى الوراء، والشاب يستحثّه ويستعجله. وسرعان ما نبحت الكلاب وخرجت نسوة من الحيّ لاستطلاع الخبر، ثم تبعها الرجال والاولاد، ورأوا أبا الخطاب

يأتي اليهم فتقدموا نحوه، ولم يروا صاحبه الشاب وراءه حتى علموا مغزى الزيارة، فصاحوا بالقادمين: ما لكم ولنا تجيئون إلى بيوتنا وتقلقون راحتنا؟ وأمطروهما بوابل من الشتائم وحصبوهما بالحصى والحجارة. وعاد أبو الخطاب أدراجه يجري كالكتيبة المهزومة، ولا تكاد تحمله رجلاه، والشاب يسير خلفه ويقول بأعلى صوته: انّ مقصدنا شريف، ولا غاية لي الا الزواج على سنة الله ورسوله!

بيد أنّ الكلاب بادرت بالهجوم وهي تنبح نباحاً مخيفاً، ووراءها الرجال والنساء يقذفون الشتائم ممزوجة بالحجارة. فجرى أبو الخطاب وصاحبه، ولم يصدّقا أن دخلا السيارة التي انطلقت تسابق الريح.

ولما ارتاح أبو الخطاب وسكن جأشه وهدأت نبضات قلبه، قلت: يا أستاذ، ما هذا المشهد المثير بعد تلك النزهة اللطيفة والغداء اللذيذ؟

فقال ضاحكاً: أنا وكيل هذا الشاب المترف النبيل. لقد رأى جارية حسناء من جواري ذلك الحيّ فشغف بها حباً، وخطبها الى أهلها فردّوا طلبه. وقد وكلني، وأنا المحامي الـمِدْرَه والخطيب المفوّه، لأقنعهم بمصاهرته، فرأيت من أمرهم ما رأيت.

قال أكرم فاضل: وكان ذلك آخر عهدي بنزهات أبي الخطاب.

كان أبو الخطاب أكولاً، وكأنه ذلك النهم الذي وصفه ابن الرومي في شعره الرائع. قال توفيق السمعاني:

جاء أبو الخطاب يوماً الى بغداد، فلما قضى أشغاله وودّع أصحابه، قال لي: إنني أزمع العودة مساء اليوم بالقطار، فأحضر لي عشاء يشبعني وأتِ به عصراً الى الفندق لتأخذني بسيارتك الى المحطة، وذلك أقلّ ما يقوم به الصديق. قلت: على العين والرأس.

أخذته الى المحطة قبل موعد قيام القطار، وقد أحضرت زنبيلاً كبيراً فيه عدد من كبّة الموصل يكفي لعدة أشخاص، مع الفاكهة وغيرها. ووصلنا الى المحطة مبكّرين، فاقترح أبو الخطاب أن نجلس في المقهى ونلعب النرد ريثما يحين موعد السفر. وقال: أين زاد الطريق؟ فجلب السائق زنبيل الطعام ووضعه عند قدميه.

وأخذ أبو الخطاب يرمي الزهر ويتناول شيئاً من الزنبيل ويضعه في فمه، وهو يواصل اللعب. ولم نسمع صافرة القطار حتى كان صاحبنا قد أتى على كلّ ما في الزنبيل من كبّة وفاكهة. فدفع بالنرد جانباً وقال ضاحكاً: خذ زنبيلك، يا رجل. وسنمضي الليلة جائعين، سامحك الله وأغدق عليك!

***

قلتُ: جاءني أبو الخطاب يشتري سيارة من طراز «شفروليت»، فألحّ في طلب السماح وتخفيض السعر. وقال: ليست هذه السيارة لي، وإنما هي لمساكين الموصل

وأيتامها وأراملها! قلت: وكيف ذلك؟ قال: إنني سأقف في شوارع الموصل صباحاً ومساءً وأنقل بها الضعفاء وأبناء السبيل مجاناً لوجه الله تعالى.

وابتاع السيارة بسعر متهاود وشروط سمحة، فأنشأ في جريدته «الأديب» مقامة يصف فيها السيارة وشراءها على طريقة الحريري وبديع الزمان.

وقد قلت فيه مداعباً:

أبو الخطاب، يا نعم المحامي! ... أبو الأيتام والرّهط الصِيَام
أديب كاتب فذ خطيب ... له في الصُحْف مرموق المقام
رؤوف بالمساكين الأيامَى ... وخصم المعتدين من اللئام
قنوعاً زاهداً تلقاه حقاً ... وطمّاعاً لإسعاد الأنام
فباسم العطف قد «ضرب» الأراضي ... ليبذل ماله بذل الكرام
فإنّ المال أودع في يديه ... لكي يحبو الأرامل بالطعام
ويركب مركباً رهواً سريعاً ... فيحمل من يدبّ من الطَّغام
ويأكل مأكلاً دسماً وفيراً ... ليدمغ آكلي السُحْت الحرام
يوافي الأصدقاء بغير وعد ... ويبدي الودّ رعياً للذمام
ويشكر نعمة الباري عليه ... فيلتهم الطعام مع الإدام
ويقضي بين أصحاب القضايا ... قضاء مقسّط سلس الكلام
يريد رضاءهم ليفوز منهم ... بأجر بزّ تَهْطال الغمام
وتلك خصاله: كرم وبرّ ... وإفشاء المروءة والسلام

إبراهيم الجلبي

من رجال الصحافة إبراهيم بن محمود بن عبد الرحمن الجلبي، ولد بالموصل سنة ١٨٨٢، وبدأ عمله الصحفي سنة ١٩٣١ في جريدة «العمال» لصاحبها سعد الدين زيادة. وأصدر جريدة «فتى العراق» سنة ١٩٣٤ وحرّرها ثلاثين عاماً، ثم استعاض عنها بجريدة «فتى العرب» (١٩٦٤).

وأسّس مطبعة «أم الربيعين» واشترك في جمعيات البرّ والإحسان والثقافة في مسقط رأسه. وساهم في تحرير جريدة «الرقيب» التي صدرت سنة ١٩٣٧

أدركته الوفاة بالموصل في ٢٥ تشرين الثاني ١٩٧٢

شفيق نوري السعيدي

من رجال الصحافة والقانون شفيق نوري السعيدي ينتسب الى أراضي السُّعَيْدة على نهر ديالى جنوبيّ بغداد. ولد ببغداد سنة ١٨٩٥ ودرس في مدرسة الحقوق فتخرج فيها سنة ١٩٢٣، واتّهم سنة ١٩٣١ بالاشتراك في قضية الرسائل السرية في عهد وزير الداخلية مزاحم الأمين الباجة جي مع أخويه رفيق وجميل وفاضل قاسم راجي وغيرهم.

وقبض عليه في كانون الثاني ١٩٤٠ إثر مقتل رستم حيدر وزير المالية مع إبراهيم كمال وعارف قفطان وصبيح نجيب الخ، ثم أطلق سراحه. وأصدر جريدة «الشهاب» اليومية في تموز ١٩٤١، فظلّت تصدر خلال الحرب العالمية الثانية، ثم أعاد إصدارها في تشرين الثاني ١٩٥٢ وكان شعارها:

إنّ الشهاب لنور يستضاء به حيناً، وحيناً رجوم للشياطين

وانتخب نائباً عن لواء بغداد في نيسان ١٩٤٢ خلفاً لعلي جودت الأيوبي، ثم أعيد انتخابه في تشرين الأول ١٩٤٣ الى تشرين الثاني ١٩٤٦

وقد توفي ببغداد في ٩ تشرين الأول ١٩٥٨

كان له مجلس حافل يحضره رجال السياسة والصحافة والأدب.

محمد علي البلاغي

من الصحفيين الألمعين، وهو محمد علي بن حسن بن مهدي ينتسب الى أسرة البلاغي الدينية النجفية المتحدّرة من جدّها الأعلى الفقيه المتبحِّر الشيخ محمد علي البلاغي المتوفى سنة ١٥٩٢م.

ولد محمد علي في النجف سنة ١٩١٣ ودرس في معاهدها. وأصدر فيها في شباط ١٩٣٢ مجلته «الاعتدال» الشهرية التي أصبحت من مجلات العراق الراقية واجتذبت أقلام أشهر الكتّاب والشعراء. واحتجبت المجلة سنة ١٩٤١ حين اشتدّت وطأة الحرب، ثم عادت الى الصدور سنة ١٩٤٦ سنة واحدة.

ترك البلاغي مجلته بعد ذلك، ثم لجأ الى ميدان الوظيفة فعيّن مديراً لفرع مصرف الرافدين في النجف (تشرين الثاني ١٩٤٩) وأقام في منصبه أعواماً طويلة.

توفي في ٢٢ كانون الثاني ١٩٧٦

نور الدين داود

من رجال الصحافة نور الدين داود سليم، ولد سنة ١٨٩٨ ودرس في مدارس بغداد، ووظّف في دائرة البرق في تشرين الثاني ١٩١٩ وأصدر بعد ذلك مجلّة «الحديث» (تشرين الثاني ١٩٢٧)، فدامت سنة واحدة.

وعاد موظفاً في مديرية الواردات العامة، ونقل معاوناً لمدير كمرك بغداد (حزيران ١٩٣٦). وعيّن مديراً عاماً للدعاية في حزيران ١٩٤١ فنهض بأعباء منصبه أشهراً، ثم أعيد في أواخر تلك السنة معاون مدير كمرك ومكوس. وأصبح معاوناً لمدير التموين العام (آذار ١٩٤٢) وعهدت إليه وكالة مديرية وسائل النقل العامة (آب ١٩٤٢). وكان بعد ذلك مفتشاً مالياً (شباط ١٩٤٣) فمعاون مدير انحصار التبغ العام (تموز ١٩٤٣).

واعتزل خدمة الحكومة فأصدر جريدة «النداء» اليوميّة (آب ١٩٤٤)، فجريدة «الرائد» (كانون ثاني ١٩٤٧). وانتخب رئيساً لجمعية الصحفيّن (١٩٤٧).

ألّف كتباً منها: حقوق الإنسان (١٩٤٩) محنة في الفردوس: بلاد كشمير (١٩٥٠) ضحيّة المكائد (١٩٥٠).

توفي ببغداد سنة ١٩٥٥

إبنته: الشاعرة أميرة نور الدين داود، ولدت ببغداد في تموز ١٩٢٥ وتخرّجت في كلية الآداب بجامعة القاهرة (١٩٤٧). وزاولت التعليم في المدارس الثانوية، ثم عادت الى القاهرة ونالت درجة «الماجستير» في شباط ١٩٥٧، وكان موضوع رسالتها «الشعر الشعبي في منطقة الفرات الأوسط». وعيّنت مدرسة في دار المعلمات الابتدائية في بغداد.

نظمت الشعر منذ حداثتها ودرست العروض على صديق والدها الشاعر جميل أحمد الكاظمي (١٩٠٧ ـ ١٩٧٠). ونقلت الى العربية نظماً «درراً من شعر إقبال شاعر الإسلام وفيلسوفه» (١٩٥١). قالت الشعر في المناسبات الوطنية والقومية، وطرقت أبواب الوصف والرثاء، وتمسّكت ـ كما ذكرت صبيحة الشيخ داود ـ بأهداب المدرسة الكلاسيكية القديمة.

قالت أميرة نور الدين في الربيع:

ربيع ولكن الفؤاد ملوع ... وفي العين في إثر الدموع دموع
ربيع ونار الحزن تحرق مهجتي ... كما احترقت للسّامرين شموع
ربيع وقد عزّ التصبر مطلباً ... وغادر منّي القلب وهو جزوع.
ربيع ألا ليت الربيع بما مضى ... يعود ففي قلبي اليه نزوع

وصرّحت أميرة نور الدين أنها تأثرت بطه حسين وأحمد أمين والدكتورة سهير القلماوي التي أشرفت على رسالة «الماجستير». وقالت، وهي من الشاعرات الملتزمات بالشعر العمودي، إن النتاج الأدبي الحديث فيه الغثّ والسمين، وإن التجديد في الشعر قسمان: مستساغ جيد ورديء ممسوخ. ونصحت من لا تتوافر له الموهبة الشعرية أن ينصرف الى كتابة النثر، ودعت الجيل الصاعد الى قراءة التراث القديم والإفادة منه. وقالت إنها لم تتأثر بالأدب العالمي إلا في نطاق محدود، لا يتجاوز ترجمة طائفة من القصائد من اللغتين الفارسية والانكليزية.

هذا وقد نظمت أميرة قصيدة في رثاء والدها مطلعها:

أبي، صدفت عن الدنيا على عجل   أبي، حنانيك قد حطّمت لي أملي.

سعد الدين زيادة

من رجال الصحافة والمحاماة والقضاء، أحمد سعد الدين زيادة ابن الشاعر الأديب داود سليمان الملاح المتوفى سنة ١٩١١

ولد بالموصل سنة ١٩٠١ ودرس الحقوق وزاول المحاماة. وأصدر في مسقط رأسه جريدة «العمال» (أيلول ١٩٣١)، ثم تولى تحرير جريدة «فتى العراق».

وبعد أعوام طويلة قضاها في الصحافة والمحاماة، انتمى الى سلك القضاء وعيّن مدوّناً قانونياً (حزيران ١٩٤٥). ونقل حاكماً بمحكمة استئناف حقوق الأراضي ببغداد (نيسان ١٩٤٩) فرئيس المنطقة العدلية في لواء ديالى (حزيران ١٩٥٤) فحاكم استئناف التسوية بالموصل (حزيران ١٩٥٦). واعتزل الخدمة بعد ذلك.

يونس بحري

يونس بحري الجبوري المعروف في شبابه بـ «السائح العراقي» كاتب وصحافي ومذيع كثير المغامرات والأسفار، ولد في الموصل سنة ١٩٠٤ لأسرة كادحة رقيقة الحال. وانتمى الى دار المعلمين الابتدائية في بغداد سنة ١٩٢١، لكنه لم يكمل دراسته والتحق بوظيفة كتابية في وزارة المالية.

وترك وظيفته سنة ١٩٢٣ ومضى الى خارج العراق في سياحة معتمداً على نفسه وسائراً في معظم الأحيان على قدميه، فجاب أنحاء أوروبة وآسية واشتغل في مختلف المهن. وعاد الى بغداد بعد سنتين، لكنه لم يلبث أن عاود السفر في السنة التالية في البلدان المختلفة فسجن في باريس وزار تونس وليبيا وحضرموت وجاوة والهند

والأفغـان وإيـران ورجع سنـة ١٩٣٣ ، نـاسجاً حـول أسفـاره قصصـاً تمزج الحقيقـة بالخيـال. وأصدر في أثناء سياحتـه، على ما رواه، صحفاً منها «الكـويت والعراق » و «الحق والإسلام».

أصدر في بغـداد جريـدة العُقاب في تشرين الثـاني ١٩٣٣ ، و «الميثاق» (١٩٣٤)، ففرض الأتاوة على التجار والموظفين. ثم سافر الى المغرب العربي سنة ١٩٣٧ ومضى الى باريس فكلفـه السيد قـدّور بن غبريط بتعهد شـؤون الجامع الذي أنشأه فيهـا سلطان مراكش سيدي محمد بن يوسف والمقهى والحمّام الملحقين به.

ولما بـدت سحب الحرب العـالمية ذهب الى بـرلين في نيسـان ١٩٣٩ وأصبح مـذيع محطتها العـربية الـداعية لهتلـر والنازيـة، واشتهر بحماستـه المثيرة وندائه اللاهـب «هنا برلين، حيّ العـرب!» لكنّه أخذ بالدسّ لمفتي فلسطين الحاج محمـد أمين الحسيني تارة ولرشيد عالي الكيلاني الزعيم العراقي أخرى، فأبعد الى بريسلاو مراراً. واندحرت ألمانية النازيـة فاستطاع أن يجد طـريقه الى عمّان بعـد أهوال شديـدة. إلتجأ الى الأمير عبد الله عاهل الأردنّ الـذي طالما نـدّد به وشتمـه من إذاعة بـرلين، لكن الأمير عفا عنـه وأكرم وفادته بما عرف عنه من سماحة وطيبة نفس.

وأقام بعـد ذلك في بيروت وأصدر كتبـاً مختلفة. ثم جـاء الى بغداد في تموز ١٩٥٨ ، فاعتقل عند قيـام الثورة. وأطلق سراحه فعمل طبّاخاً في بعض المطـاعم، ومنها الذي أنشأه عادل عوني عبد الله صاحب جريدة «الحوادث» المغلقة.

وعاد الى لبنان في آخـر سنة ١٩٥٩ وتنقل بينه وبين إمارات الخليـج العربي. وأدركه الحمام في بغداد في شهر نيسان ١٩٧٩

تزوج يونس بحري زيجات عديدة في مختلـف البلدان التي أقام فيها، لكنه كان يترك زوجاته وأولاده ويمضي ميمّماً شطر بلد آخر لمغامرة جديدة وزواج جديد.

من مؤلفـاته: العراق اليوم (بيروت ١٩٣٦) تـاريخ السودان (القاهـرة ١٩٣٧) هنا بغداد (١٩٣٨) الجامعـة الإسلاميـة (باريس ١٩٤٨) تـونس (بيروت ١٩٥٥) الجزائر (بيروت ١٩٥٦) الحرب مع إسرائيل وحليفاتها (بيروت ١٩٥٦) دمـاء في المغرب العربي (بيروت ١٩٥٥) ليبيا (بيروت ١٩٥٦) المغرب (بيروت ١٩٥٦) هنا برلين، حيّ العرب (٨ أجـزاء، بيروت ١٩٥٦) سبعـة أشهـر في سجـون بغـداد (بيروت ١٩٦٠) محاكمـة المهداوي (بيروت ١٩٦١) موريتانيا الإسلامية (بيروت ١٩٦١) ثورة ١٤ رمضان المبارك (بيروت ١٩٦٣) ليالي باريس (باريس ١٩٦٥) أسرار ٢ مايس ١٩٤١ (بغداد ١٩٦٨) الخ.

عـرفتُ يونس بحـري شخصياً لأول مرة سنـة ١٩٣٥ حين شرعنـا بإصدار الـدليل العراقي، فأخـذ يكتب عنه في جريدتـه «العقاب» وصار يهدّد بانتقـاد المشروع والتنديد

بـه. فـاسـتـدعينـاه ونفحنـاه بالمال وأعطينـاه إعـلانـات عن الـدليل فـانقلب يـؤيـده ويستحسنه.

ثم رأيته في المفـوضية العـراقية في باريـس سنة ١٩٣٧، وقد جـاء يفاخـر بأعماله في المشرق والمغرب ويطلب التوسط له في الحصول على وسـام جوقة الشرف الفرنسي. وقال إنه ذهب الى جاوة في الشرق الأقصـى، (وكانت آنذاك مستعمرة هولنـدية ثم أصبحت بعد الحرب العالمية الثانية جمهوريـة أندونيسية المستقلة) وشدّ أزر بعض الأحزاب المحلية بالمطالبة بالاستقلال وأصدر جرائد عربية تنطق بلسان الشباب الأحرار. وقال إنه ذهب الى الربـاط وأسدى الخدمات لسلطـان مرّاكش محمد بن يـوسف (الملك محمد الخامس عاهل المغرب فيما بعد) فمنحه وساماً. ورأينـاه بعد ذلك في جامع باريس وشاهدناه يضرب على الطبلة وينقر على الدفّ في المقهى ليلاً ويقف في باب الحمام الملحق بالجامع نهاراً.

وسمعناه خـلال الحرب يرغي ويزبد ويصرخ ويتـوعد من إذاعة برلين العـربية. ثم رأيناه في بغـداد سنة ١٩٥٩ لابسـاً المئزر في مطبخ مطعم «بـوران» الذي أنشأه صـديقنا الصحفي عادل عوني عبد الله. وكان يونس بحري الـذي عرفناه فيما مضى بديناً موفور الصحة قد رقّ بدنه واستدقّ وأصبح صورة كـاريكاتورية لشخصه السابق. وكان ذلك آخر العهد به حتى قرأنا نبأ وفاته في بغداد أخيراً.

عبد الرزاق الناصري

من رجال الصحـافة والتعليم عبد الـرزاق الناصري ولد بـالبصرة سنة ١٩٠٤ لأسرة تكريتيّـة الأصل نزحت الى جنوب العراق قبـل عهد بعيد. وقد عني والـده الشيخ عبد العـزيز النـاصري بتربيتـه، ثم مضى الى بغـداد وانتمى الى دار المعلمين العاليـة وتخرّج فيها.

عيّن مدرساً في المدرسة الثانويـة المركزية. ثم أصدر مجلة «النشء الجديد» في البصرة في شبـاط ١٩٢٧ ونقلها الى بغـداد في تموز ١٩٢٨ وتـولّى بعـد ذلك إصـدار جريـدة سياسية بـاسم «الأيام» ظهرت في البصرة في كانون الثـاني ١٩٣٠ ودامت نحواً من ثمانية أشهر.

وعاد بعد ذلك الى التدريس وكان مديراً للتحـرير بوزارة المعارف فمدرساً في المدرسة الثانوية في مسقـط رأسه. وطلّق التدريس مرة أخرى فاستقـرّ في البصرة وأصدر جريدة «الأنباء» في شهر تموز ١٩٣٦ وتوفي في البصرة قبل سنة ١٩٤٩

كان عبد الرزاق الناصري صديق الشبـاب للشاعر محمد مهدي الجواهري، ذكره في قصيدته «ليلة من ليالي الشباب» (١٩٢٩)، فقال:

ومعي صــاحـب تفــرّست فيــه كـلّ خير فلم تخّني الفَــراسـة
أريحيّ مـلء الطبيعــة منـــه عــزّة وانتبــاهــة وســلاســه
خـدن لهو. إني أحبّ من الشــاعـر (م) في هـــذه الحيــاة انغماســه.

فاضل قاسم راجي

من رجال الصحافة فـاضل قاسم راجي، ولد سنة ١٩٠٤ ومال إلى الكتـابة شاباً فكـان مخابـراً ومحرراً في جريـدة الاستقـلال وصـدى العهـد والـزمان. وحـرّر أيضـاً في الصحف الأدبية والهزليـة كالمداعب لصاحبهـا حسين يحيى (١٩٢٦) والصراحة لهاشم الرفاعي (١٩٢٨) والصرخة إلخ.

واعتقل سنة ١٩٣٢ بتهمـة التعرّض للحكم الملكي في قضيـة الرسـائل السريّة التي اتهم فيها مزاحم الأمين الباجه جي. ثم رئس تحرير مجلة المرأة الحديثة لصاحبتها حمدية الأعرجي (حزيـران ١٩٣٦)، صدر منها ٨ أعداد، ثم أصـدر بعد ذلك في تلك السنة مجلة فتاة العراق لصاحبتها حسيبة راجي، وظلت تصدر نحو ٤ سنوات، ثم عادت إلى الصدور أمداً قصيراً بعد الحرب العالمية الثانية.

وأصـدر سنة ١٩٤٧ صحيفتـه الهزلية «قـزموز» على نسق جـريدة حبـزبوز وكنـاس الشوارع وأبـو حمد، فكانت من الصحف التي تستهـدف الفكاهـة والنقد الاجتماعي، ودامت إلى ١٩٥٢ وأصدر أيضاً جريدة الصراع في تموز ١٩٤٨

توفي ببغداد في ٢٣ كانون الأول ١٩٥٤

قـال هـاشم النعيمي: «لقـد كان رجـلاً طيب القلب هـادئاً لطيف المعشر، وكـان صحفياً مطبوعاً وكاتباً هزلياً قـديراً. وقد ترك بعض الكتب، من بينها: ولدي أسامة، ومذكرات بائس. ودنيا الكمال في مملكة الخيال».

وكان بائساً صارع الحياة وذاق شظف العيش وسقط في معركة الداء والحاجة.

خالد الدرّة

من الكتاب الصحفيّين البـارزين، ولد خالد الـدُّرَّة ببغداد سنة ١٩٠٨، ودرس في معهد الحقـوق بدمشق، وتخرّج في كليـة الحقوق ببغـداد (١٩٣٨). وقد زاول المحـاماة وعمل في الصحافة أعواماً طويلة، وأصدر جريدة «الشعلة» سنة ١٩٣٠

أنشأ مجلـة «الوادي» سنة ١٩٣٦، وقـد صدرت سنين كثيرة وكـانت من الصحف الهادفة النـاقدة التـي عرفت بنـزعتها الحرة وخطّتها الجريئـة. ثم حـرّر الدرة في مجلات

وجرائد مختلفة منها «العهد الجديد» و «الفلقة» بعد ثورة تموز ١٩٥٨

وخالد الدرة من الكتاب الذين ترسّموا خطى إبراهيم صالح شكر في نقداته اللاذعة، ولا سيّما في تحليله للأحداث السياسية والصور القلمية البارعة التي رسمها لرجال السياسة والمجتمع. وهو إلى ذلك كاتب قصصيّ يدعو إلى الإصلاح ويحمل بعنف على الفساد والتقهقر الاجتماعي. قال الدكتور صفاء خلوصي في فصل «أدب القصة في العراق» (دليل الجمهورية العراقية لسنة ١٩٦٠): «. ولكن يجب أن لا ننسى أن الدرّة متأثر بالطريقة العربية القديمة في كتابة القصص، فطريقته ليست قصصية وإنما روائية على نحو ما نجده في ألف ليلة وليلة. ولذلك لم يعالج الأقصوصة لأنها تحتاج إلى قدرة فنية خاصة تختلف عن القدرة على كتابة الروايات. وكان أكثر ما كتب القصة الطويلة. وأبطال روايات الدرة في بعض الأحيان ـ كأكثر شخوص القصص العراقية ـ ليسوا أكثر من دمى تتحرك، ولكنها تفعل الأفاعيل».

من مؤلفاته: لقتل الضجر (١٩٣٥) المشعوذ (١٩٣٧) حول المنهج القومي العربي (١٩٤١) في قفص الاتهام (١٩٤٦) أفول وشروق رواية (١٩٥٣) طبيعة الأشياء (١٩٥٥).

توفي ببغداد سنة ١٩٨٠ (؟).

لطفي بكر صدقي

من رجال الصحافة لطفي بكر صدقي، وأبوه بكر صدقي أخو المؤرخ الصحافي علي ظريف الأعظمي. ولد ببغداد في ١٩ تشرين الثاني ١٩١٢ وأنجز دراسته الثانوية في مسقط رأسه. واشترك وهو طالب في المظاهرات الوطنية. ومال إلى الأدب والصحافة يافعاً، فكتب في جريدة الاستقلال والبلاد والزمان والأهالي.

وأصدر صحيفة «الوميض» في تشرين الثاني ١٩٣٠، فلم يطل عهدها. ثم اشترك في الحركة الوطنية في أيار ١٩٤١، وفرّ إلى طهران، فقبض عليه وأبعد إلى روديسية الجنوبية. وأعيد إلى بغداد في أوائل سنة ١٩٤٤ فاعتقل في العمارة.

وعاد إلى ميدان الصحافة بعد نهاية الحرب العالمية، ثم التحق بتحرير جريدة صوت الأحرار (١٩٤٦). وأصبح مالكاً لهذه الجريدة سنة ١٩٤٩، وأصدر عند تعطيلها جريدة العالم العربي والاخاء. وطلّق الصحافة بعد ذلك ليمضي إلى أوروبة ويقضي فيها سنوات.

عاد إلى بغدادبعد ثورة تموز ١٩٥٨ واستأنف إصدار جريدة صوت الأحرار أمداً، ثم اعتزل الحياة الصحفية.

نشر قصصاً في مجلة الوميض وجريدة البلاد والاخاء الوطني والأخبار وغيرها (١٩٣٠ ـ ١٩٣٤).

أخوه: عوني بكر صدقي من رجال التعليم والأدب ولد ببغداد سنة ١٩٠١ وتوفي سنة ١٩٦٨ وقد تخرّج في دار المعلمين (١٩٢٥) وزاول التدريس أعواماً طويلة، ثم نقل مديراً لمعارف لواء الدليم (١٩٤٥) فمديراً للمناهج والكتب بوزارة المعارف (١٩٤٦)، فمدير التدريس الابتدائي (١٩٥٠)، فمدرساً في مدرسة الصناعة (١٩٥٣). وكان من رواد الحركة الكشفية في العراق، أصدر كتاب «الكشاف العراقي» (١٩٢٢) واشترك مع محمود أحمد السيّد في كتابة «السّهام المتقابلة» (١٩٢٢).

عادل عوني

عادل عوني عبد الله، من رجال الصحافة، ولد بالموصل سنة ١٩٠٦، وترك الدراسة بعد أن وصل إلى الصفّ الثاني الثانوي. وقد أولع بالصحافة، فقدم إلى بغداد وعمل محرراً ومراسلاً في جريدة العراق والعقاب والبلاد. ورئس تحرير مجلة الميثاق (كانون الأول ١٩٣٣)، ثم أصدر مجلة الحديث وجريدة البعث (تشرين الأول ١٩٣٤) فجريدة الوحدة (١٩٣٥).

وأصدر جريدة الحوادث اليومية المسائية في أيلول ١٩٤١، فظلّت تصدر إلى ثورة تموز ١٩٥٨. واعتقل على أثر الثورة، ولما أطلق سراحه افتتح مطعماً في بغداد فلم يصب نجاحاً. وعاش بعد ذلك متنقلاً بين بغداد وبيروت.

وهو كاتب لطيف الأسلوب، ظريف الطبع، خفيف الظلّ، جعل جريدته أداة لتأييد نوري السعيد والحكم الملكي والحملة على المعارضة بشدة وقساوة.

توفي في بيروت سنة ١٩٧٩

عبد المجيد الونداوي

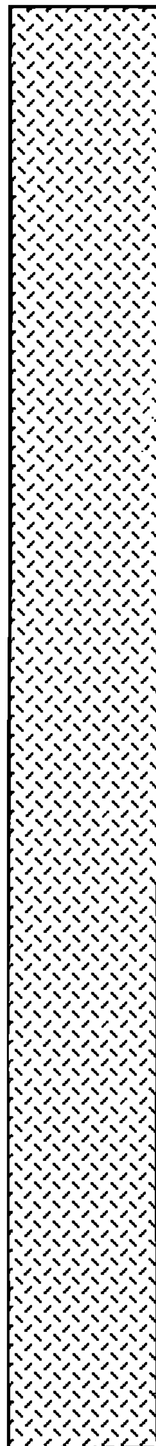
من رجال الصحافة والأدب، عبد المجيد عبد العزيز الونداوي، ولد في بلدة الكوت سنة ١٩٢٤ وتخرّج في كلية الحقوق ببغداد. ومارس المحاماة، لكنه انصرف إلى الصحافة فحرّر في جريدة الأهالي لصاحبها كامل الجادرجي. ثم تولّى التحرير في صحف متعددة أمداً يربو على ربع القرن، وكان في أعوامه الأخيرة محرراً في جريدة الثورة.

وقد أدركته الوفاة في بغداد في ٨ آب ١٩٧٤

كتب عبد المجيد الونداوي مقالات سياسية وأدبية عديدة. وألف: محاكمة كامل الجادرجي (١٩٤٩) الحلف التركي الباكستاني والمشاريع الاستعمارية في الشرق الأوسط (١٩٥٤) من يوم إلى يوم (١٩٥٤) المانية أخطر المشاكل العالمية القائمة (١٩٥٥). وترجم مختارات من همنغواي (١٩٥٧).

كان عبد المجيد الونداوي من الكتّاب الأحرار المؤمنين بالديمقراطية والمناضلين في سبيل مبادئها. قال عبد القادر البرّاك أن الونداوي تعرّض للاضطهاد والاعتقال والمطاردة خلال عمله الصحفيّ في العهد الملكي دون أن يصرفه ذلك عن المضيّ في خطه الوطني الديمقراطي الذي آمن به.

ثم قال: «فلقد كان في أحلك الظروف يكتب المقالة والخاطرة ويترجم الرأي والخبر، ويعدّ ما تتطلّبه منه طبيعة عمله كرئيس لتحرير عدد من الصحف، وهو مشرق الأسارير ساكن الجوارح، يشارك أصدقاءه وخلطاءه فيما هم فيه من أحاديث بعيدة عن هموم العاملين في حقول صحافة الكفاح الوطني، طاوياً ضلوعه على كثير من الشجون والآلام التي كان يأنف من إظهار جزعه منها. إن صحف الكفاح الوطني التي صدرت قبل اندلاع ثورة ١٤ تموز وبعدها طافحة بآثار الفقيد. وهي تسلكه في مقدمة رجال القلم والرأي الجديرين بالاعتزاز والتقدير...».



الموجة الحديثة
شعر

حافظ جميل

شاعر الغزل والخمرة حافظ بن عبد الجليل بن أحمد بن عبد الرزاق بن خليل بن عبد الجليل آل جميل. كان أبوه الشيخ عبد الجليل جميل (١٨٧٠ ــ ١٩٥٧) مدرس جامع العدلية الكبير والآصفية ومفتي الكاظمية وأستاذاً في جامعة آل البيت. وقد نفاه الإنكليز إلى الهند بعد احتلال بغداد (١٩١٧ ــ ١٩١٩)، ثم أصدر صحيفة الإرشاد في تشرين الثاني ١٩٢٦ ووضع مؤلفات منها: إرشاد العباد في علم الاعتقاد، تنوير الأذهان (في المنطق، ١٩٠٣) العجالة في النحو، المحاضرات في الأصول، إلخ.

ولد حافظ جميل في بغداد سنة ١٩٠٨ والتحق بالجامعة الأميركية في بيروت (١٩٢٥) فنال شهادة بكلوريوس علوم سنة ١٩٢٩ وتتلمذ في الوقت نفسه على أبيه وعلى منير القاضي فأخذ عنهما اللغة والأدب والشعر. وأصدر، وهو طالب لا يتجاوز عمره السادسة عشرة، مجموعة شعرية باسم «الجميليات» قدّم لها الأستاذ منير القاضي.

عاد إلى بغداد فعيّن مدرساً في المدرسة الثانوية المركزية (تشرين الأول ١٩٢٩) فدار المعلمين الابتدائية (١٩٣٠). واستقال من التدريس في شباط ١٩٣٢ ثم وظف في السنة التالية في وزارة المالية فكان مخمناً لضريبة الدخل فمميزاً بمديرية الريّ العامة (تموز ١٩٤٠) ونقلت خدماته إلى مديرية البريد والبرق العامة (آب ١٩٤١) فكان مدير التلفونات (آذار ١٩٤٩) فمدير دائرة البرق المركزية (نيسان ١٩٥٠) فمدير الحسابات فمعاون مدير البريد والبرق العام (نيسان ١٩٥٢) فمفتش البريد والبرق العام (شباط ١٩٦٢) حتى اعتزل الخدمة في حزيران ١٩٦٣ وقد منحته الحكومة اللبنانية وسام الأرز (١٩٧٤). وتوفي في بغداد في ٤ أيار ١٩٨٤

شعره وأدبه:

نشأ حافظ جميل في جوّ ديني متزمّت ودرس اللغة والأدب وقرض الشعر صبياً وهو لا يزال على مقاعد الدراسة الثانوية. لكنه لم يكد يبلغ السابعة عشرة من عمره حتى شدّ الرحال إلى بيروت وانتمى إلى الجامعة الأميركية وانصرف إلى دراسة العلوم، فتفتحت لعينيه، وهو الشاب الغضّ كالطين في يد الخزاف، آفاق رحيبة وعوالم جديدة لم يألفها في بغداد ولم يشهد مثيلها في بيئته الوقورة المحافظة. رأى الفتيات يزاملنه في الجامعة

ويلتقين به في الأندية والمجتمعات، ورأى معالم الحضارة طيّبها وخبيثها تغشاه وتحيط به وتسدّ عليه المنافذ. ورأى كؤوس الخمرة تترع وتكرع، وحلقات الرقص تنتظم وتندفع وتتقدم وتتراجع بنظام وغير نظام، فانطلق بحافز من روح الشباب ونظم الشعر في المرأة وبنت الحان، وتنفس ملء رئتيه الهواء الطلق الذي غمر روحه وفاض على لسانه.

عاد حافظ بعد ذلك إلى بغداد وانتظم في سلك التدريس والوظيفة، واختلف إلى مجالس صباه ومراتع شبابه، فظلّ حياته تتجاذبه عوامل متباينة متناقضة تقرن القديم بالجديد وتجمع روح التزمّت والجمود إلى الوثبة والتفتح والانطلاق. وظهرت آثار ذلك في شعره فطبعته بطابع خاص وشرّقت به وغرّبت، لكن شيئاً واضحاً بقي في هذا الشعر على ما عصفت به من عواصف المحافظة والتجديد، ذلك هو تقيّده بالطابع العربي الأصيل في مبانيه ومعانيه وترسّمه خطى السابقين من شعراء العربية الأقدمين وشعراء النهضة الحديثة. والغريب أن حافظ جميل الذي أتقن اللغة الانكليزية واطلع على آدابها وفنونها لم يتأثر بالأدب الانكليزي بصورة مباشرة ولم يحاول أن يصطنع أساليبه ومناهجه.

أصدر حافظ أربعة دواوين: الجميليات (١٩٢٤) نبض الوجدان (١٩٥٧) اللهب المقفى (١٩٦٦) أحلام الدّوالي (١٩٧٢). وله أيضاً: كتاب «عرفت ثلاثة آلاف مجنون» (١٩٤٤) نقله عن الانكليزية بالاشتراك مع الدكتور فائق شاكر، رسالة في القرآن (محاضرات ألقاها على طلبة دار المعلمين الابتدائية سنة ١٩٣١).

وشاعرنا غمر البديهة، طويل النفس، ينقد القصيدة التي ينظمها نقداً قاسياً ويزن كلماتها وأبياتها بميزان الدرّ والذهب، كما كان يفعل من قبله زهير بن أبي سلمى في حولياته ومروان بن أبي حفصة في أماديحه، وكما كان يفعل الأديب الفرنسي غستاف فلوبير صاحب «التربية العاطفية». وقد تأثر، على ما قال، بالشعراء أبي نواس وابن الرومي والمتنبي وشوقي والأدباء أحمد حسن الزيّات وطه حسين والمنفلوطي والعقاد.

يبرز حافظ جميل أكثر ما يكون تبريزاً في غزلياته وخمرياته التي يصدر فيها عن قلب فتيّ لا يؤمن بالهرم وعاطفة مرهفة مشبوبة.

لقد بلغ الشاعر سنّ الكهولة، لكنه لم يزل يعيش بـ(الآمال) ويترقب (بريد القبل) ويستذكر (ليالي لبنان) ويأنس إلى (كأسه). فلنستمع إليه يقول:

حيّي بما يحلو لديك وسلّمي ... بالعين إن أحببت أو بالمبسم
حسب الحبيبة لحظها إن سلّمت ... وشفاهها إن أومأت لمسلّم
أعيا بصمتك ناظراك فأفصحا ... عمّا بقلبك من جوى متضرّم
وتبلّجت شفتاك عنه، فما عسى ... تبغين من كتمان ما لم يكتم؟

وهو يكتئب للوعة الحبيبة فيهتف قائلاً:

مــــــاذا أردّ عـــلى اكتـــئابـــك　　إن كـــان مـــا بي فـــوق مـــا بك؟

وهو يسخط لجفاء الحبيبة فيخاطبها قائلاً:

ودّعـت عهــــــدك وانتهـــــــيت　　وخــــــرجت منــــــه بما اكتفيت

وهو يناجي الراح ويرتضي الخمرة دواءً لكلوم نفسه، فينشد قائلاً:

ألا مـــا كـــان أعظمنـي شقـــاءً　　وأكثـــرني بـــلا سكـــر عنـــاءَ

وأنــــزلنـي على أحكـــام دهـــر　　قضـى أن لا أرد لــــــه قضـــــاءَ

وهل كـــالـــراح من محمـــود عقبى　　لمن ســـاءت عـــواقبـــه وســـاءَ؟

وشعـر حـافظ جميل بعـد ذلك في لبنان وفي بغـداد سـائر على الألسنـة، محبّب إلى القلوب. فبغـداد مسقط الرأس وملعب الطفولـة ومدرج الصبا فـلا عجب أن يخاطبها الشاعر فيقول:

لغيرك، يــا بغـــداد، لم يهف جـــانحي　　ولا شـــاقني في غير ظلـك أن أشـــدو

ولا طـــاب لي في غير دجلـــة مـــرتع　　ولا لــــذّ لي في غير شـــاطئهـــا الـــورد

وكيف اصطبـــاري عن حنـــان ربيبـــة　　سريـــراي في أحضـــانها القبر والمهـــد!

أما لبنان فهـو كهف الشاعر الروحـيّ لا يفتأ يردد ذكره ويشيد بمحـاسنه ومحامده، فهو تارة يقول:

ذر الـــدمع الملـحّ يـــزيـــد وكفـــا　　فما لـك غير لبنـــــــان وتشفـى.

أظلّك في الشبـــاب فكـــان وكنـــاً　　وحـــاطك في المشيب فكـــان كهفـــا

ومـن لــك في النـــــــوازل إن ألمت　　بـأرعـى ذمّــــــة منـــــــه وأوفى

ويقول طوراً في ليالي لبنان:

ليــــــــــال بعثــت فيـك　　مـن النشــــوة أقصـــاهــــا

وزانـــت لـــك دنيــــــــــاك　　وأنستـك رزايـــــــاهــــــا

ليــــــــــال غسـل الطـلّ　　حـــواشيهـــا فنـــدّاهـــا

وجـــال الـــزهـــر في خضر　　روابيهـــا فـــوشّـــاهـــا.

أو يقول:

أيـن من أرضهـــا أديم سماهـــا　　أين وضّـــاح صبحهـا مـن دجـاهـا؟

ربـــوة من جنـــان لبنـــان حلّت　　من أعـــالي الشـــويـــر عـــالي ذراهـــا

أو يقول:

يقـــولـــون: مـــا شأني ولبنـــان كلّما — تغنّيت فيـــه جـنّ في الشعــر شيطـــاني
فقلت: هبــوني فخـــر بغـــداد محتـــدا — فمن غير لبنـــان رعـــاني وربّـــاني
ومن غير لبنـــان شكــــوت فــــرقّ لي — ومن غير لبنـــان بكيـت فـــواســـاني
ومن غير لبنـــان، إذا مـــا وهبتــــه — حيـــاتي، أحـــال الأرز قبراً فـــواراني؟

وقـد تقدم الشـاعر في العمـر، واعتزل الـوظيفـة، وزادت أوصابـه وآلامه، ونـزفت جراحـات جسمه وروحـه، فداواها بمـودّة وثيقة ربطتـه بأخ مواس أديب هـو الأستاذ يوسف يعقوب مسكوني الرجل الطيب البـاحث المحقق. وتوفي هذا الأخ فثارت لواعج الشاعر وأرسلهـا نفثة جسّمت الحزن واللوعة والشكـوى والإشفاق والمرارة والألم. حزن داود النبي قبل عصور طـويلة لمقتل شقيق روحـه يونـاثان فرثـاه بكلمات مؤثـرة وقال: «أسفاً عليك، يا أخي، لقد طابت مودتك لي فكانت أعجب من حبّ النساء». وفقد الشريف الرضيّ صـديقه الصابىء فقال: أرأيـت كيف خبا ضياء النادي؟ وقـديماً مزق كلكامـش ثيابـه وحثا التراب على رأسه حين مـات صاحبـه انكيدو وقـال: «من أجل انكيدو خلّي وصاحبي أبكي وأنوح نـواح الثكلى، فقد كان الفأس التي في جنبي وقوس يـدي والخنجـر الذي في حـزامي والمجنّ الـذي يـدرأ عني، وفـرحتي وبهجتي وكسـوة عيدي. . ».

وروى صاحب الألياذة حزن البطل آخيل على خدينه بطروكلس الذي سقط صريعاً في القتال على أسـوار طروادة ورثاءه له متمنيـاً لنفسه الموت لأنه تخاذل في نصرة صـديقة وإنقاذه.

أما حافظ جميـل فبكى في يوسف مسكوني طبيب نفسه وصديـق روحه وموضع سرّه وشكواه، بكى الـذي كان يشفي كلومه بلقـائه ويؤاسيه في البلـوى ويصرفه عن تشهّي طعم المنون. ثم قال:

غب حيـث شئت فما كـانـت مـودّتنـــا — لتنتهي عنـــد هـــذا الحدّ أو ذاكـــا
ولـح خيـــــــالاً فـإني رافـع بصري — وســامـع من وراء القبر نجـــواكـــا
لا تشكُ في الموت أحبـــابـــاً فجعتهم — وعشرة وألـــوفـــاً مـن يتـــامـــاكـــا
لا أوحـش الله قبراً أنت نـــــازلــــه — لـــو أستطيع جعلـت القلب مثـــواكـــا

إن رثاء حافظ جميـل ليوسف مسكوني صلاة على فم شاعـر مرهف الحس حلّق على أجنحة المودة والوفاء، وطاف في عوالم هيولية من الطيبة والصفاء.

* * *

ولا بدّ لنا بعد ذلك أن نقول كلمة في خمريات حافظ جميل. برع الأقدمون والمتأخرون في وصف الخمر. وجاء ابو نـواس فكان مجدداً في عصره، مبتكراً للمعـاني، متـنـرفاً في

أساليب البيان. وإذ وقف الشعراء قبله على الطلول وبكوا على المنازل والديار وحنّوا إلى ساكنيها الذين فرّق شملهم الدهر، وقف ابو نواس على مربع القصف واللهو، وذكر مجالس الشرب والندامى والأخلاء فقال:

ودار ندامى عطلّوها وأدلجوا   بها أثر منهم جديد ودارس

وابتدع أرباب التصّوف الخمرة الروحية فقال ابن الفارض سلطان المحبّين:

شربنا على ذكر الحبيب مُدامة   سكرنا بها من قبل أن يخلق الكرم

وجاء حافظ جميل فجدّد في بغداد عهد النواسيّ. وشعر حافظ في هذا الباب رائق لطيف تستسيغه النفس ويطرب له اللبّ لكنه لا يكاد يأتي بمعنى جديد أو وصف مبتكر كما فعل أبو نواس في عصره.

فحافظ يشرب قبل كل شيء لمداواة كلوم قلبه ونسيان همومه وأوصابه، وهو يردّد هذا المعنى فيقول:

عركت الليالي ساهراً وعركتني   فما راعني منها سوى مطلع الفجر
إذا دهمتني رعشة الصحو بغتة   فزعت لكأسي أدفع الشرّ بالشرّ
كأني، وما غير الكؤوس عصابتي،   أشاغل دهراً من نكال ومن غدر
يزايلني غمّي بجرعة خمرة   وأصحو وما غمّي سوى جرعة الخمر
وأبدو كمعلول به ألف علّة   وما بي من داء سوى تعب الفكر
ومن كان مثلي فكره الدهر متعب   فأخلق به أن لا يفيق من السّكر

وجد الشاعر في الراح مسلّياً ومسعفاً ومعيناً فتعاطاها، وكانت دواءه وداءه، وقال:

ألا ما كان أعظمني شقاء   وأكثرني بلا سكر عناءا
وهل كالراح من تلقاه عوناً   على البلوى ودرعاً واتّقاءا؟
وهل كالراح من محمود عقبى   لمن ساءت عواقبه وساءا؟
لئن عانيت صرعتها طويلاً   كفاني أن وجدت بها العزاءا
وكم في زحمة الآلام صاح   رأى في سكرة الموت انتشاءا
نظرت فلم أجد كالراح طبّاً   لمن فقد الطبابة والدواءا
ولا كجوارها للنفس أنساً   إذا برمت من الدنيا استياءا
ولا كدبيبها في الجسم لطفاً   وقد خدرت مفاصله ارتخاءا
ولا كأريجها في الطيب نفحاً   إذا راح النسيم به وجاءا
ولا كرضيعها نهماً وجوعاً   إن أتخمته لقد زاد اشتهاءا

ولا كطـــريحهـــا إن نـــام دهـــراً　　شكـــا من طـول صحــوتـه العيـــاءا
وهل كـــالصحـــو من كـــابــوس همّ　　لعـــانٍ لان بـــالسّكـــر احتماءا؟

وهذه الابيات، ولا ريب، جميلة أخاذة: كلماتها حلوة الرنين، متّسقة واضحة تتدفق كالجدول الرقراق. والغرض الـذي تفصح عنه وتـرمي اليه واضح أيضاً. فهـو اعتذار ضمنيّ عن شرب الخمرة، لولا أنها دواء لا مفّـر من الاستعانة به والخضـوع له. ولننظر بعد ذلك إلى ذكر محاسن الخمرة، فهي طبّ لمن بـرّح به الداء واستعصى علاجه، وهي سلوى النفس التي ضاقت بالدنيا ذرعاً، وهي مخدّر يسكّن الآلام ويولّد الأحلام. وكلّنا نعلم أن معاقرها يزيد ظمأً كلما زاد شرباً، وقد رأنيا طريحها لا يعبأ أين يسقط ليغفو في حلم هنيء.

ويهيب حافظ بكأسه أن ترعى له الودّ والذمّة فلا تهجره ولا تغدر به، فيقول:

دومـي دوام العمـــــر، يـــا كـأسي،　　يـــا كـــوثــري العـــذب وفـــردوسي
لـــولاك غـــام الكـــون في نـــاظـــري　　وعشـــــت في داجٍ مـــن اليـــــأس
وظلّ صـــدري جـــدثـــاً حـــالكـــاً　　لم يَـــــرَ لـــــولاك سنى الشمـس

وهكذا نـرى شاعرنا يـردّد هذا المعنى ويلبسه في كل قصيدة ثـوباً جديداً وينحـو به منحىً فـريداً: فـالخمـرة بيضـاء تحبّب حتى بياض الشيـب، وهي تدور في الـرؤوس فتمنح الرعديد بأساً وشجاعـة، وهي تميّز الشهم عمّن لا خلاق له ولا خير فيه، وهي بلسم الجراحات والأسقام.

ويخاطب المدام بعد ذلك فيقول:

وفيتِ، يـــا راح، فـــلا تغـــدري　　مـــــا دمـتُ في حبّك لم أكفـــــر
أفنيـت عمـــــــــــري فيـكِ لم أفترق　　عنـك ولم أسـأم ولم أضجـــــــــر

حتى يقول:

شهــــدتِ فـــرعـــون وأهـــرامـــه　　وعـــرش بلقيـــس فلم تكبـــري

وهذا المعنى افتتن به القدماء، فطالما ذكروا قدم الخمرة وشهودها عصوراً خلت ودولاً دالت واحتفاظهـا بشبابها ورونقها برغم مـرور الأجيال والأزمان. ثم يتطـرق حافظ إلى وفـاء الخمرة لأحبـابها، فهي ليست ممن يغـريه شرخ الصبـا ولا ممن يطوي كشحـاً عن الشيوخ الذين ذهب رواؤهم وذبلت أجسامهم. وهي لم تكن سلعة في سوق الغرام تباع وتشرى.

وأعرب حـافظ، ومن قبله أبو نواس، عـن عدم اكتراثه بالـلاحين والناصحين. ثم أغـرق في خمرياتـه فحسب النهار الـذي يخلو مـن الشرب يومـاً ضائعـاً من أيام العمـر

وصفحة بيضاء من صفحات الحياة . ثم يقول :

أَفَحَتْـــمٌ عليّ أن أهجـــع الليـــل ... وتــأبـى أن تهجـع الأوطـــار
ولِمَ النـــوم مـــا وجـــدت حبيبـــاً ... همّه الليـلَ شـــاعــــر وعقـــار؟
ولِمَ الصحـــــو، والحيـــاة شراب ... ونـــديـم وقبلـــة وحـــوار
ولِمَ الصبح إن تجهّـم يـــــومي ... واكفهـــرّت بـــوجهي الأنـــوار؟

كلاّ ، أيها الشـاعر، إنّ الليل حبيب الشعراء فتمتع به مـا شئت وارشف من قبلات الحبيبة والكأس ما وجدت إلى شفاههـا سبيلاً . ولتكن الحبيبة كما تشتهي وتتمنى ، جنّة في عينيك وجحيماً في أحـــداق ســـواك من النظّـــار. ولتكبح الشـــوق الجامح في فؤادك ، ولتتعرف إلى شعورك من وراء أبيات الشعر التي توحيها إليك .

أجل ، أيها الشاعر، أنشد أغانيك وتمتع بالحب والحياة ، وردّد قولك :

ربّ حسنـــاء مـن بنـــات الشقيـق ... يـــزدري حسن لـــونها بـــالعقيـق
مـــزجـت رطب لـــؤلـــؤ بـــرحيق ... وتحسّتـــــه من فـم الإبـــريـق
والحشـــا بعـــد ظـــامـىء حـــرّان
وصحـــا نـــائم القـــرنفـل فجـــرا ... فـــانبرى للـــزّقـــاق حلبـــاً وعصرا
كلما رقّصـت بـــه الـــراح سكـــرا ... خنـق الـــزّق وهـــو يقطـــر خمرا
فتنـــدّت شفـــاهـــه والبنـــان .

وهكـذا ينعت حـافظ الخمـرة ويثني عليهـا كما أثنى من قبلـه أبـو نـواس وغير أبي نواس . ومثلما قال أبو نواس :

يـــار بّ ، إن عظمـت ذنـــوبي كثـــرة ... فلقـــد علمـت بأن عفـــوك أعظـم

ومثلما قال أبو نواس في التوبة والندم ، قال حافظ جميل :

غفـــــــرانَـكَ ، اللّهـم ربي ... لكبير معصيتــــــي وذنبـــــي
تـــابعـت غيّـي ســــادراً ... بين الغـــــــواة فجـلّ خطبـي
وأمـــرتنـي بـــالصـــالحات ... فـأعمـت الشهـــــوات قلبـي
وتـــركتني ، وأنـــا الضعيـف ، ... حليـف أسقـــــامي وكـــربي
ومنحتنـــي الصبر الجميـــل ... فكنـت تعــــــزيتي وطبّـي
وجعلـت من فـــزعي لـــديك ... مـــزيـــد أشـــواقي وحبـيّ .

ومهما يكن في شعر شـاعرنـا وخمرياته من تجديـد وتقليد فإنه شـاعر غمـر البديهة ، صـادق اللهجـة ، عذب الجرس ، ناصــع البـيان ، وحسـبه ذلك مرتبـة بين شعـراء العصر.

علي الخطيب

الشاعر المبدع علي بن محمد جميل بن عبد القادر الخطيب، وهو أخو المفتي عطا الخطيب. كان أبوه رئيس بلدية بغداد أمداً قصيراً، وقد ولد شاعرنا في بغداد سنة ١٩٠١ ودعي «شوكت علي». درس في دار المعلمين الابتدائية (١٩١٩ـ ٢١) ثم تخرج في مدرسة الحقوق سنة ١٩٢٧ وظف في وزارة العدلية ومحكمة التمييز، وعيّن ملاحظاً للمطبوعات في وزارة الداخلية سنة ١٩٣٠ ونقل في السنة التالية ملاحظاً في ديوان مجلس الوزراء، لكنه ابتلي بمرض عصبي اضطره على ترك الوظيفة (١٩٣٣) وأقعده عن العمل وألزمه العزلة. وعين بعد ذلك موظفاً في مديرية الشرطة العامة (١٩٣٨) ودعي في ايلول ١٩٣٩ إلى الالتحاق بدورة ضباط الاحتياط. ثم انطلق من قيد الوظيفة فكان مديراً مسؤولاً لجريدة العراق وجريدة الاخبار.

وعاد إلى الوظيفة سنة ١٩٦٣ ملاحظاً للحقوق في مديرية السياحة والاصطياف العامة إلى ١٩٦٦ وانزوى في عقر داره في أعوامه الأخيرة حتى وافاه الأجل في بغداد في أواسط شهر ايار ١٩٧٧

نظم علي الخطيب شعراً رائقاً في الاجتماع والوطنية والوصف والغزل. وكم ألقى من قصيدة صارخة عرضته لسخط الحكومة ونقمتها وهو موظف في دوائرها العدلية.

علي الخطيب شاعر الغزل، من المرأة التي يصفها ويتغزّل بها؟ ــ انها ليست الفتاة الغامضة، الحيّية الجريئة، القابعة في خدرها والتي، على الرغم من ذلك، لا تخشى الحب والمغامرة، تلك التي يقول فيها عمر بن أبي ربيعة:

أشارت لأختيها: أعينا على فتى　　أتى زائراً، والأمر للأمر يُقْدَرُ

انها ليست القينة العابثة اللّعوب التي يقول فيها أبو نواس:

نضت عنها القميص لصبّ ماء　　فورّد وجهها فرط الحياء

ويقول:

يطمعني لحظها ويؤيسني　　باللفظ منها فؤادها القاسي

وهي ليست الفتاة الرمزية التي يردّد ذكرها الزهاوي، ولا الخطيبة أو الزوجة التي يومىء إليها الهنداوي في قصصه الشعريّ، ولا المرأة التي يدافع عنها الرصافي ويحكي مأساتها فيقول:

تَبَسّمُ حيناً ثم تجهش بالبكا　　فمن لؤلؤ تبدي ومن لؤلؤ تذري

كأنّ تلاميح الأسى في جبينها　　بقايا ظلام الليل في غرّة الفجر

وهي بعد ذلك ليست الكاعب الفاتنة المتحررة التي يهيم بها نزار قبّاني أو تهيم به في التعبير الأصحّ. فمن المرأة التي يتغزّل بها علي الخطيب؟

انها الفتاة العـراقية النافـرة الخفِـرة ـ فتـاة سنة ١٩٣٠ التي لم تكد تسفـر عن جبينها وتظهر أمام الرجال، فهي تخفي جمالها ودلالها تحت نقاب من الوقار شفّاف، وهي تدير وجههـا لتبتسم خوفـاً من النظـرات والأقاويل. هـي واحدة من سرب يخرجن معـاً إلى النزهة ليزددن جسارة ومنعة.

يقول علي الخطيب في موشحه «عند اللقاء»:

أقبل الغيد على الجسر مساءً سافرات

بقدودمائسات

وخطى متزّنات،

مشرقات القسمات،

فرحات، مرحات،

فانثنى الصحب وحيّوا الصاحبات القادمات

بوقار وأناة

ووجوه ضاحكات

وعيون خاشعات

وقلوب خافقات

فتلقّين تحايانا بأحلى الحركات

من رؤوس مومئات

وثغور باسمات

ناظرات، مغضيات،

فتهامسن ببعض الكلمات.

ثم تابعن الخطى في خفر محتشمات

لكنّ شاعـرنا يلقى الحسنـاء التي تعبث به وتُدِلّ عليـه، وتأخذه بـالجذب والدفع، وتطالعـه بالإعراض والرّضـا، وتبعده ثم تدنيـه، وتكلمه وتزورّ عنه، فيصفهـا قائلاً في «وصل وهجر»:

تكـــايـــدني الحسنـــــاء في شغفي بها ... فـــلا تتحــــامــــاني ولا هــي تسلس

تحاورني حتـى إذا مـــــا طلبتهـــــا ... تنـــاءت صـــدوفـــاً وهي بي تتفّـــرس

فأبهت، لا أعـــــدو مكـــاني، وتنثني ... إليّ، فـأستبقـي أنــــــــاتي، فتـأنـس

أقــــــــــاربها مستبشراً في تهيّـب، ... أمـــدّ يـــدي من عطفهـــا أتلمّس

وعيني بعينيهـــا تلـــوذ، ومهجتي خفـــوق، وفي نفسي التظنّـن يهجس
أتأبى، أتــرضى؟ لست أدري، وإنما أنطت يـدي الأخـرى بها أتحسّس
فـآنست من طلق المحيّا بشـاشـة فلما عـدت منهـا خيفـة أتـوجّس
فأدنيتهـا حتى ضممت قـوامهـا فـلان، وكـانـت عنـد ذلـك تهمس:
أخـاف إذا واصلت منك قطيعـة تهدّم مـا يبني الهوى المتحمّس
نظـرت إليهـا في عتـاب فـأعتبت وجـادت بما أخفى الـرضـا المتحـرّس
فكـان عنـاق وارتشـاف، ولم نـزل على ظمـأ، والشـوق أحلى وأنفس
وظلّ هـوانـا بين لقيـا وفـرقـة، فـلا الـوصل مـوصـول ولا الهجر مـؤيس

ان في هذه الأبيات لنفس من أنفاس ابن أبي ربيعة، لكنه نفس معطّر بشذا حضارة العصر. ولئن كان شوقي قد أوجز رواية الحب في بيت واحد:

نظـرة فـابتسـامـة فسـلام فكـلام فمـوعـد فلـقاء

انّ الخطيب قـد فصّلهـا في اثنى عشر بيتـاً مـن الشعـر الـرقيق الطـريف، المتهاوج المتوهج.

وقد قرأ علي الخطيب روايـة الزنبقة الحمراء لأنـاتول فرانس، وقرأ «أنـاتول فرانس في مباذله» في ترجمة شكيب أرسلان، فظل معجباً بالروائي الفرنسي العظيم وببطلات حبّه وقصصه، لا يفتأ يردّد ذكرهن ويكبر هيامهن ويشيد بمآثرهن ومحامدهن. ولست أعلم مقـدار أثـر ذلك في شعره، لكنني أعلم أن أثـر ذلك في نفسـه بليغ كبير: فهـو يعظّم الحبّ ويتهيبّه ويشفق على نفسه منه. ألا يقول في «تساؤلات»:

مـا للفـؤاد، إذا لاقيتني، يجبُ ومـا لنفسي، إذا مـا غبت، تكتئب؟
ومـا لجسمي إذا صـافحتني بيـد سرت بـه هـزة عجلى فأضطـرب؟
إن ضمّنـا مجلس فـالصمت يشملني مشتّت الفكـر مشـدوهـاً، فما السبب؟
إني أحسّ التيـاعـاً نـاره اتقـدت مـا بين جنبيَّ أخفيهـا فتلتهب
هـذا هـو الحبّ أو هٰـذي بـوادره ولست تـدرين مـا ألقى وأصطحب!

وهو ينصح قلبه أن يجتنب الحبّ فيقول:

هـو الحبّ لا يبقي على المرء قلبـه فـانّي أراه اليـوم للقلب قـاتـلا
فيـا قلـب، لا تحمل من الحبّ لـوعـة مخافـة أن تفنى بما كنت حـامـلا
أراك كفـرخ بين فـرعـاءَ والهوى كـريحِ إذا هبّت تطـوّحت عـاجـلا

وهو يرى الشاعر أسير الحبّ وضحيّته فيقول:

ومـا الشـاعـر المفـؤود الاّ متيّم	لـه شقـوة في حبّـه وحيـاة
فبينـا يـرى والـدمع ملء جفـونـه،	إذا الثغـر منـه تلمع البسمات
وبينـا يـرى بـالبشر يطفح وجهـه،	إذا الصـدر منـه تصعـد الـزفـرات
وكم نـوبـةٍ تنتـابـه عصبيّـة	يلطّف منهـا الشعـر والعبرات
وكـم تعتريـه حـدّة مـن صغيرة	مصـادرهـا نـاسٌ هُم النكـرات
إذا هَـم في خبـث تلكأ وافيـاً	وتمنعـه مـن نفسـه زجـرات
مـلامحه تبـدي كـواتم صـدره	إذا حـاول التمـويـه، والنّظـراتُ
فيـالـك من طفـل كبير يعـوزه	دهـاء بـه تستحضر الـرغبـات
لـه عـالم مـن نفسـه متحـدّر	تحفّ بـه الأحـلام والـذكـرات
خيـالاتـه شتّى إذا مـاعـددتها	وحسبـك منهـا أنها نـزعـات

الرقّص:

نظم علي الخطيب قصيدة لطيفة «في ردهة الرقّص» طبعت في كرّاس خاص سنة ١٩٥٠ والرقص فنّ قديم عرف في الشرق والغرب، وقال الشاعر الفرنسي ألفرد دي موسيه (١٨١٠ ـ ١٨٥٧) Alfred de Musset

«إنّ شهر آذار يشهد تفتّح الزهور، وحينئذٍ تزيد المراقص حبوراً وتطيل معازفها. فترتمي الراقصة بين يدي مراقصها في استرخاء أكثر، وتشتّد العيون جرأةً، وتقلّ الشفاه بخلاً، ويثمل الراقصون تعباً، ويطفح القلب هياماً».

ثم يقول: «أيتّها الجنيّة الألمانية ذات الحذاء الذهبي، يا قينة الرقص، يا زهرة الشعر، من ذا الذي يستطيع أن يتغنّى بقدميك الماهرتين في إيقاعهما وأسرارك الإلهية التي يجهلها السذّج؟ وأين في زماننا شاربو رحيق الآلهة الجديرون بنسيان أنفسهم بين ذراعيك المعبودتين؟ .»

وقال معروف الرصافي في قصيدته «ليلة في ملهى» يصف راقصة:

وتجلّت في مسرح الـرّقـص حتى	أرقصت بـالغـرام منّـا القلـوبـا
أقبلـت تنثني بقـدّ رشيـق	ألبستـه البُرد القصير قشيبـا
قصّرت منـه كُمَّـه عن يـديها	وأطـالـت إلى النهـود الجيـوبـا
حبس الخصَر حيث ضـاق ولكن	أطلق النحـر بـاديـاً والتريبـا
خطـرت والجمال يخطـر منهـا	في حشـا القـوم جيئـةً وذهـوبـا

وعلى أرؤس الأصـــــابع قـــامت تتخطّى تبختراً ووثـــــوبـــــا .

وقال خليل مردم بك شاعر الشام (١٨٩٥ ـ ١٩٥٩) من موشّح في الرقص :

نفـخ الصّــــــور فهبّــــوا مسرعين مثلما نفّـــــرت طيراً بـــــــالصفير
وعلى الصهبـــــاء كـــانـــوا عـــاكفين من رأى سرب قهـــاً حـــول غـــديـــر؟

* * *

كـم فتـــــاة فتنـــــةٍ بـــــالمقلتين واعتـــــدال القّـــــد والجيـــــد التّليـع
جمّت الشّعـــــــر إلى الســــــالفتين فـــاستبــدّت بـــابـن هـــاني والصريع
أخـــــذت مـن ذيلهـــــا للـــــرّكبتين ومـن الطـــــوق إلى أقصـى الضلـــــوع
ومـــــن الكمين حتـــــى المنكبين فبـــــدت في درعهـــــا غير المنيـع
مـن عـــــــراء واكتســــــاء بين بين بـل من الحسن بجلبـــــاب بـــــديـع
وفتـى من حسنـــــــه ملءُ العيـــــون حسن اللفتـــة كـــالظبي الغـــريـــر
هـــو لـــو لم يتخــــذ زيّ «الّـــذين» عُـــدَّ من حـــزب «اللـــواتي» في الأثير

* * *

كـلّ إلفِين انضــــــــــــوى شملهما أقبـــــلا فـــاعتنقـــا أيّ اعتنـــاق
لــــــو صببت الماء مـــــا بينهما لم يكـــد يخلصُ مـن فـــرط اعتـــلاق
علقـــــت كـــــفّ بكـــــف منهما شركـــــاً واختلفت ســـاق وســـاق
ودنــــــــــــا الخدّان مـن بعضهما حينما الجيـــــدان همّا بـــالتـــلاق
وعلى الانغـــــام كـــــانت لهما خطـــوات بـــاتـــزان واتّســـاق
رقصــــــا شتّى ضروب وفنــــــون مـن دبيب خـــافـت أو ذي صريـــر
بينما عــــــومهما عـــــوْم السّفين إذ هما بـــالحجـل كـــالطير الكسير

ثم يصف سكـرهما بـالمدام والغـرام والشبـاب وامتزاج الأنفـاس واعتـلاج تبـاريح الغرام .

أما ا لشاعر عدنان مردم ابن خليل مردم فيصف راقصة (الباليه) فيقول :

سطعت في عبقـــريّ مـن صبـــاهـــا أين منـــه الشمـس في رأد ضحـــاهـــا؟
فتـــنٌ في كـــل قلـــب أيقظـــت فتنـــاً للشرق مـــا أومـت يـــداهـــا
حـــركـــات الموج في أشكـــالـــه حققت أشكـــالـه نسجـــاً خطـاهـــا .
ضربـت كـــالنسر في أجنحـــة للهـــوى وانطلقت دون هـــواهـــا

وانبرت تفتـل في حلبتهــــــــا كــريــاح عصفت مـلء ربــاهـــا .
عمـــــدت تجري على ابهامهـــــا لمدىً يقصر شـأواً عن مــــداهـــــا
وانثنـت عــــاصفـــــة في قطـب عـــاصف يلهـب من حمّى لظـــاهـــا
كل عضـــو شعّ مـن أعضـــائهـــا كشعـــاع وانثنـى طـــوع منـــاهـــا
لطفـت أعضـــاؤهـــا واتّسقـت كـــدرارٍ يسحـــر العين سنـــاهـــا
تلتـــوي منســـابـــة في شـــاسع مثل أفعـى تتلـــوّى في سراهـــا .
حسبهـــا مـــا حققت من صـــور كست الفـنّ فتـــونـــاً وكســـاهـــا
ليس رقصـــاً مـــا جـرت تـرسمـــه بخطـــاهـــا ، إنـــه وحي صبـــاهـــا

وقال الشاعر الضابط المصريّ محمد توفيق علي (١٨٨٧ ـ ١٩٣٧) من قصيدته في «مصيف الرمل» :

ربّ مشغــــوف بغـــانيـــــة بـــــارك الـــــرقـص لها سببـــا
ضمهّـــا شـــوقـــاً مخاصرة ثــم دارا دورة خببَــــــــــا
كفّهـــا في كفّـــة سكنـت انما قلبـــــاهما ضربـــــا
كلما هــــاجـت لـــــواعجــــه وهي في أحضـــانـــه جـــذبـــا
صـــدره في صـــدرهـــا نشبـــا ثغـــره من ثغـــرهـــا قـــربـــا
واختــــلاســـــات حــــديثهما في خفــــوت يبعث الــــريبـــا
مـــا الــــذي قــــالـت وقــــال لها؟ ليـس الاّ مـــوعـــداً ضربـــا
ربّما قــــالـت تنــــاظـــره : أنـــا أهـــواك ، وقـــد كـــذبـــا
هــــويهوى كـلّ راقصــــة وهـي تهوى المال والنّشبــــا .

وقلت في وصف راقصة :

«فهي اذا ما اعتلت خشبة المسرح وانسابت في حلقـة الضوء المسلّط عليها في الظلام الخافت ، تجرّدت من ذاتها البشرية وأصبحت طيفاً نـورانياً متموجاً أبلغ في تعبيره وأدائه من الموسيقى التي تـرافق حركاتـه . وكان المشـاهدون يؤخـذون بسحر رقصهـا فينسون الـزمان والمكـان ويذهلـون عن سماع الأنغام الموسيقيـة ، ويشخصون بأبصـارهم وكل جارحـة من جوارحهم إلى ذلك الجسم اللّدن الذي يتمـدد ويتقلص ، ويتلوى ويتثنّى وينعطف ويعتـدل ، ويتقلب ويتراخى ، ويتـدافـع ويتماسك ، ويتهـافت ويتمايل ويتخـايل ويدور ، وإلى الـرأس المتعالي والمتهـاوي ، والجيد المشرئبّ والمتلّفت ، والنهـد النـافـر والضـامـر ، واليديـن المتموّجتين والسـاقين المترجـرجتين والـرجلين المتقـاربتين

والمتباعدتين، والأقدام المتطاولة والمتقوّسة والمنبسطة في ايقاع رائع أخاذ. لم يكن ذلك رقصاً بل تعبيراً فنياً ينطق تارة بالحزن، فإذا النظارة تنفطر قلوبهم كمداً وأسى، وطوراً بالفرح، فإذا هم لا يملكون نفوسهم بهجة وسروراً. ولقد ينطق أحياناً بسكرة الحبّ ولوعة الشوق وحرقة الوجد وعذاب الشك وسعادة الثقة والإيمان ومرارة الوحدة والحرمان وغباوة الذهول والنسيان وعبث الطفولة وغرور الشباب ووقار المشيب ولذة الحياة ووحشة الموت وفتنة الجمال وذلّة البؤس والشقاء وعذوبة الأحلام الجميلة وقسوة القوة الجامدة وحياة الفتاة البريئة وصلف الغانية المتغنجة. . »

وقال الشاعر الفرنسي ألفرد دي فنيي (١٧٩٧ ـ ١٨٦٣) Alfred de Vigny:

«ارتجف القيثار وأرسل المزمار أنينه، فقد انطلق الرقص في مملكته الدائرية.

وبهرت العيون الأزواج العابرة، وطاروا متشابكين في دوائر رشيقة.

وقفوا وقفات ينتظمها الإيقاع، وازدهوا بزينتهم إذ عكستها المرآة، ثم اندفعوا ثانية، وتعثروا بأذيال جمعهم الضاحك، فكانت حركاتهم أقلّ مهارة، وكان تزاحم وصخب وضجيج.

وثملت الراقصة بحماسة المهرجان، فبعثرت في مرورها الأزهار التي تكلل رأسها وسحقتها بالأقدام، واستسلمت إلى الذراع الذي يسندها، ودارت وقد شحب لونها، وخفضت أنظارها إلى صدرها الخافق. . »

وقال الشاعر الألماني هنريك هيني Heinrich Heine (١٧٩٧ ـ ١٨٥٦):

«يا ملاكي النبيل، لا تكفّي عن الرقص، فرقصك القادم من عالم الأحلام بلسم حاني لجراح نفسي وخير دواء لسقم جسدي الذي أنهكته الأعوام».

وقال أحمد شوقي يصف حفلة راقصة في قصر الخديو عباس حلمي الثاني (١٨٩٦):

يا ليلة (البال) ما خالوك راقصة	الاّ وأنت جمال الدهر والحقب.
أهاجها هائج الألحان فانعطفت	مثل النسيم سرى ساريه في القصب
ودارت الراح بالأجياد مثقلة	بالحلي فاستسلمت من شدة الوصب
وبالخصور فمن واهٍ ومن قلقٍ	ومن سقيم ومن فانٍ ومن تعبِ

ولكن لنعد إلى قصيدة علي الخطيب. ويصحّ القول ان هذه القصيدة تمثل فنّ شاعرنا، فهي شريط سينمائي بطيء الحركة يسجّل كل خطوة وسكنة ونأمة في حلبة الرقص. يدخل الشاعر إلى ندوة القصف واللهو فيرى الحسان يخطرن فاتنات ويعطّرن الجو بالبهجة والصّبا والجمال. شفاههنّ الحمر كالورود، وأعناقهن فوق الأكتاف العارية مشرئبة إلى المرح والاستمتاع:

تهادي حسان الحيّ في ردهة القصر ... منضرّة المرأى، مصفّفة الشَّعر
يفضن شباباً في فتونٍ وبهجة ... لدى أعين نجل، لدى أوجه غرّ
كأنّ الشفاه الجون بين صفيحها ... أزاهير حمر في أضاميم من نَوْر
نواهد أبدين الترائب والطّلى ... وكشّفن عن أعلى المتون إلى الخصر
وأبرزن أكتافاً وعرّين أيدياً ... وكنّ بما أظهرن في رونق مُغْر
على البشَرِ البضّ الغضير تألقّت ... أساور من ماسٍ، قلائد من درٍّ
جوارحهّن الكاسيات مواثل ... كما شاءت الأزياء من بدع العصر
محاسن أعضاء تناهى انسجامها ... نسبن القدود الفارعات إلى السّمر
تأنقن في زيناتهن عرائساً ... بنات خيال ماخطرن على فكر
فأشرقن والأنوار في كلّ جانب ... فولّى ظلام الليل من طلعة الفجر
وظلّت عيون القوم فيهن رُتّعاً ... تَنَقّلُ بين البيض والسّمر والشّقر

وقد جلس حول الموائد الغيد والفتيان، وتلامست الاقداح، وتمايل الندامى بين الصحو والسكر، وتبودلت الأحاديث العذبة كقطرات الطلّ المتساقط، وتردّدت الألحان وتماوجت في رقة وانسجام تدعو السّامرين إلى الرقص على نغم الموسيقى الذي يعلو ويهبط، ويشتد ويلين، ويئن ويهدر. وانتظمت الحلقات، وسلّمت كل غادة قامتها إلى صنوها في نشوة من الفرح والحبور.

وما اتّحد الصّنوان حتى تدافعا، ... فطوراً بها يجري وطوراً به تجري
يمور بها، والصدر بالصدر لائذ، ... وكفّ إلى كفّ، وكفّ إلى الظهر
ويقبل حيناً ثم يدبر تارة ... تسايره الهيفاء بالكرّ والفرّ
يرى الحفل فوضى بين غادٍ ورائح ... فهذا على طور وهذا على طور
عجبت لفوضى يستتبّ خلالها ... نظام يسود الراقصين بلا أمر
يدورون مثنى والخطى تتبع الخطى ... تشايع ايقاع المعازف والنقر
يجولون جولاً يبتدي حيث ينتهي ... يروح مع الأنغام كرّاً على كرّ
فمن دوران يستقيم ويلتوي ... إلى جولان يستديرعلى حذر

ثم يرى الشاعر بين جمع الراقصين زوجين يسترعيان نظره فيصفهما قائلاً:

وصنوين جدّا فاستقلاّ بحيّز ... توقف منه الراقصون عن السّير
وشيكاً ومهلاً يمضيان، سراهما ... طليق على قيد، يسير على عسر
وبينا بها يرتدّ عجلان ينثني ... بها ذاهباً نحو الأيامن واليسر

ويفصلهـــا عنـــه فتنأى وتـــدّني، فنشر إلى ضـــــمّ وضـــــمّ إلى نشر
تـــدور حـــواليـــه فيرعـى مـــدارهـــا فكيف اغتــدت يغــدو وأنّى سرى تسري
يعلّـق احـــدى راحتيهـــا بكفّـــه ويطلقهـــا تفتنّ في رقصـــة بكـــر
ومـــا انفلتـت الا استــدارت حبـــائكـاً شراشر ذيل مـن حـــرائرهـــا الخضر
تلفّ بســـاقيهـــا الـــذلاذل ان ونت عن الفتـل حتى تسحـب الــذيل في كبر
إلى صنــوهـــا السّـاعـي اليها مــراقصـاً فكــانـــا كبيت الشعـر شطـراً إلى شطـر

ويلحظ الشاعر حركات الراقصين ونجواهم فلا يفوته تسجيلها :

تـــرى حـــركـــات الـــراقصين كثيرة فمنهـــا على سّر ومنهـــا على جهـــر
فمـن همســـات لست تبلـغ كنههـــا ومـن بسمات ينطـــــويـن على سرّ
أبقيـــا على ودّ؟ أوعــــداً، أدعـــوة؟ أم أن ابتســـام الخود لـــون مـن المكــر؟
ومن لفتـــات تستبيـك رشـــاقـــة ومـن نظـــرات لا لجّد ولا هـــزر
ســـواحــــر تبــدي المبهمات مـن المنى وتـأبـى عليـك المفضيـــات إلى الحزر
غمـــــوض كأطـــوار الملاح محيّر فأنـت بتيـــهٍ من غـــوامضهـــا الكثـــر
إذا لم تحد عّما أسرّت وأبهمــــــت بليت بحـــال من مكـــايـــدهـــا وعـــر

ولا ريب ان هذه القصيـدة من القصائد الفـريدة في موضـوعها وسلسـالها ووصفها الطلّي الدقيق لا في الأدب العربي وحده ولكن في الآداب العالميّة قاطبة .

في الطريق :

ان شعر علي الخطيب لا يمثل مرحلة من مراحل تطور الشعر العراقي فحسب، بل يمثل ايضاً مرحلة من مراحل التطور الاجتماعي : فقد لقي ثلاثة شعراء - كل في عصره - فتاة في الطريق، وهو يسير الهوينا في بغـداد، تلك المدينة التي فيها للمشاة دروب، كما قال جميل صدقي الزهاوي . قال أولهم، معروف الرصافي :

لقيتهـــا في الطـــريق عـــابـــرة يهِصِرُ مـن قـــدّهـــا تبختُرهـــا
أعجبهـــــا منظـــــري وأعجبني بـــالحسن عنـــد اللقـــاء منظـــرهـــا
فصـــار قلبـي بـــالحّب يـأمـــرني وقلبهـــا بـــالغـــرام يأمـــرهـــا
وحين مـــرتّ والشـــوق يسكـــرني بخمــــرة تـــارة ويُسكــــرهـــا
لَفَـتُّ جيـــــدي أرى أتنظـــرني والتفتـت لي تـــرى أأنظـــرهـــا
فقلـتُ، والشـــــوق فيَّ ملتهـب : إن عـــذرتني فســـوف أعـــذرهـــا

وقال الثاني، علي الخطيب:

لعيني لاحت غادة، فتلكّأت خطاي أراعي ما لها من روائع
على النظر العجلان هزّت مشاعري ملامح وجه للمفاتن جامع
أرى الشَّعرَ المركوم فوق جبينها تراوح لوناً بين قانٍ وفاقع
تجاعيده كالتاج من فوق بعضها تراكبن في حسن من الصنع بارع
لها الأعين النجّل اللواتي، إذا رنت، أثار فؤادي ضجة في أضالعي
على شفتيها رفّ روحي محوّماً كأن لم يجرب جامحات المطالع
لقد خطرت تحت العباء فعبّرت عباءتها عمّا لها من بدائع
تجلّي المحيا في دجاها، فزانه كما زان عرض الليل إيماض طالع
تلفّعتِ صوناً أم تلفّعتِ فتنة؟ وما أنت لو غادرت سود الملافع؟

وكان الثالث مير بصري (مؤلف هذا الكتاب) فقال:

بسمت لي مدلّةً في الطريق فكوت مهجتي بنار حريق
ومضت تحمل الفؤاد أسيراً بلحاظ العيون ذات البريق
انّ قلباً يهتاجه اللحظ وجداً لهو قلب في الحبّ غير عريق الخ.

وقال أيضاً:

لبست سراويل الرجال تأنقاً ومشت كما يسري النسيم رخاءا
هيفاء أولتها الأنوثة رقة والحسن يقطر فتنة ورواءا
خشع الطريق، كأنما هو أعين ترنو وأفئدة ترف رجاءا
أجيلتي، رفقاً بفتنة كاعب أن ترتدي حُلل الرجال رياءا
فأجابت الحسناء، وهي مدلّة، والثغر يبسم خيلة وحياءا:
إنّي رأيت من الزمان خشونة فطلبت في خشن اللباس وقاءا

وقد طرق هذا المعنى شاعر الحماسة القديم، رأى الحبيبة الحسناء تعرض عنه وتمضي في سبيلها، ثم تلتفت إلى الوراء لتنظر اليه، فقال:

ومّما شجاني أنّها يوم أعرضت تولّت، وماء العين في الجفن حائر
فلما أعادت من بعيد بنظرة إليّ التفاتاً أسلمته المحاجر

وروى شاعر الغزل الرقيق عبد الله بن الدمينة، المتوفّى في نحو سنة ٧٤٧م، أنه لحق بالحبيبة ودونها صاحبها الجبار الغيور، فلما دنامنه وسلم عليه ردّ السلام مغتاظاً كارهاً.

ثم يقول :

فسايرته مقدار ميلٍ، وليتني ... بكرهي له ما دام حياً أرافقه
فلما رأت أن لا وصال وأنّه ... مَدَى الصُّرم مضروب علينا سُرادقه
رمتني بطرف لو كمياً رمت به ... لبُلَّ نجيعاً نحره وبنائقه
ولمحٍ بعينيها كأنّ وميضه ... وميض الحيا تُهدى لنجد شقائقه

ويا لها نظرةً تفتك كالسّهم القاتل وتحيي كالغيث الهاطل.

أطلال بابل :

أكثر الشعراء العصريون في العراق ومصر وسائر الأقطار العربية من وصف الآثار القديمة والاشادة بذكرها والتغنّي بالأهرام وأبي الهول وبابل ومدائن كسرى. وقد ثار علي الخطيب على هذا الشعر كما ثار أبو نواس على الوقوف في الأطلال الدوارس والبكاء عليها. قال أبو نواس :

ودار ندامى عطّلوها وأدلجوا ... بها أثر منهم جديد ودارس
مساحب من جرّ الزقاق على الثرى ... وأضغاث ريحان جنيّ ويابس

لقد سخر أبو نواس من الباكين على الطلول وسفّه أحلامهم وذكر مغاني الانس وملاعب البهجة والسرور ودور الخمر التي جمعت الندماء والظرفاء، ثم خلت من أصحابها وتفرّق شملهم، فحنّ إليها وردّد ذكرياتها ورسم صورها وأخبارها.

واستعار الخطيب الوزن والقافية وكسر الرويّ المضموم فقال :

أممنا ديار الغابرين ببابل ... فلم نَرَ فيها غير خاوٍ وطامس
ولم توحِ لي ما كنت أرجو وإنما ... عرائس أحلامي انطوت بالدّوارس
ركام من الأحجار فوضى شتيتة ... عرضت لها ما بين ضحل ويابس
وقفت أراعي ما استقرّ وما عفا ... وبالنفس قامت موحشات الهواجس
كأنّ نجاد الأرض دون وهادها ... غضون بوجه الحادثات العوابس
كأنّ ركود الماء أصفر آسناً ... صديد بجسم الأرض قنْد الملامس
ولم أر من صرح أقيم ممرّداً ... ولا من ميادين ولا من مجالس
وما لنتت ذهني إليها عجيبة ... ولا راقني فيها بديع النفائس
هنالك أنقاض ترامت على الثرى ... وحيطان قامت مثل سور المحابس
وذو أربع من تحته نام ذو ثُنىً ... وما لهما من سحنة وتجانس
تعاودنا الريح السّموم خلالها ... وقد عفّرت حتّى خبيء الملابس

فـأسماعنـــا مخدوشـــة بصفيرهــــا ولم تتعّـــود غير همســـة هــــامس
طلـــول وإعصـــار وشمـس ووحشـــة ونحـن بها مــــــــابين لاهٍ ودارس
لقــد أقفـرت حتى خلت من أنـاسهـا فليس بها من مــــونـق أو مـــؤانس
ومــا هلك السكّـــان لكن تــرحّلــوا إلى غيرهـــا مـن طيبّـــات المغـــارس
فظلّت خــلاءً في تقـــادم عهــدهـــا إلى أن عفت مطمـــورة في البســـابس
ولـــولا فضـــول بـــالطّبـــاع مــركّب لما نُبِشَـتْ آثــــار مـــاضٍ ودارس

وكذلك خـالف علي الخطيب شعراء عصره، فلم ير في اطـلال بابل عظة نـافعة ولا ذكـرى جاذبـة، لم توح إليـه بعظمـة الماضين ولا تطلع الحاضرين. وقد استغـرب كيف تُنبش آثار الماضي المندرس وتخرج إلى النور بقايا الـدول المنقرضة، فكأنه فكّر، كما فكّر من قبله معروف الرصافي، ان الدهـر جدّد للموتى مناقب لم تكن لديهم، فعظّم الناس القبور وتناولوا سكانها بالمدح والاطراء. قال الرصافي:

سقى الـدهـر لـلأموات غـرس منـاقب بِمَيْنٍ فظـل الغـــرس ينمـــو فيبسُـق
أرى كلّ ميـت مـــا تقـــادم عهـــده تقـــام لـــه ســـوق الثنــــاء فتنفُق
فأقـــربهم عهـــداً أقـلّ غضـــاضـــة وأقـــــدمهم عهـــــداً أغضّ وأسمـق
إذا شطّ جيـل خطّ مـن جـــاء بعـــده أكـــاذيب عنـــه بـــالثنـــاء تُــزَوَّقُ

من غزليات علي الخطيب:

إلى الحبيبة

أحبّـك حبّـــاً ليس ينسـى ويجحـــد ومهما يكن فـــالحبّ عنـــدي مخلـــد
أحبـك حبـــا في فنــــون كثيرة وأزيــــاء في ألــــوانها تتعـــدّد:
أحبك لـــو أقبلـت خُـــوداً رشيقـــة لها مثل مـــا للــــورد طيب ومشهـــد
محيّـــاك ميمـــون المطـــالـع مشرق تحوم حـــواليــه عيـــون وأكبـــد
ولحظك فتّـــــــان وأنفـك أسنـع وثغـــرك مفتر وجيـــدك أغيـــد
وشعـــرك مصفـوف الأفـــانين مـــرسل غـــدائر سبـط بعضـــه ومجعّـــد
أحبك لـــو لـفّ القـــوام غـــلالـــة تـــريني مـن الأعضـــاء مـــا يتجسّـــد
أحبـك غضبى في فنــــون ورقّـــــة فأسعـى إلى استرضـــائهـــا أتـــودّد
أحبّك لـــو وليـت وجهك جـــانبـــاً كـأن لم يكن بيني وبينك مـــوعـــد

أحبك حبـــاً زاده البين لـــــوعـــــة	فكـــان عنيفـــاً ثـــائراً يتجـــدّد
كأني وهـــذا الحبّ يشتـــدّ صـارخـــاً،	خضم بـــه هـوج الـريـاح تعـربـد
أحبّك حبـــــاً تخوفت أن يُـــــرى	فيغمـــزه الـــواشي الـــذي يترصّـــد
فكنت حــــريصـــــاً في التكتّم، انما	ينم على المكنـــون مـــا ليس يجحـــد:
نحــــول بجسمي واصفـــــرار بسحنتي	وآهـــات أشـواقـي تصـوب وتصعـــد
أحبك حبـــاً مـــــا ارتشفت رحيقـــه	على أنـــه زادي الـــذي أتـــزوّد
أحبك حبـــاً سلسبيل فـــــراتـــه	يثـــرّ واني الظّـــامىء المتـــوجّـــد
أحبك حبـــاً دانيـــات قطـــوفـــه	على قـــربها منّي تنـــاءى وتبعـــد
وقفت على حبّيك مــــا ملكت يـــدي	ومـــا يحتـــوي أمسي ويـــومي والغـــد
أحبك حبـــاً جلّ شأنـــــاً عـن الهوى	بـــــه النفس من أدرانها تتجــــرّد
أحبك حبـــاً عبقـــريـــاً مـــؤاتيـــاً	بـــوضع من الأوضـــاع لا يتقيّـــد
وحبـــاً وديعـــاً هـــادئاً مترفّقـــاً	وحبـــاً جنـــونيـــاً يغـــار ويحقـــد
تـــريـــدينني أن ألـــزم الصبر وادعـــاً	ومـــا أنـــا ممّن للسّكينـــة يخلـــد
لئن تصرمي حبلي ففي الـــذكـر مـــوئل	يخفّف من حـــزني الـــذي يتجـــدّد

حـال ومـآل

جلّ خطبي ومـــــا إليك سبيـل	فلمـن أشتكي ومـــــاذا أقـــــول؟
كـــم مشير إليّ يســـأل عنّـــي:	أفهـــــذا متيّـم متبـــــول؟
لست أدري مـــــا راعــــه غير أني	ســاهـم الـوجـه قـد بـراني النحـول
أتهادى في مشيتـي كـــالسّكـــارى	يعتريني كـــآبـــة وذهـــول
لي من طيفك الحبيب مـــــلاذ	من شجـــون على فـــؤادي تصـول
انّ يـــومـــاً لقيـــاك تسنح فيـــه	غـــرر الـــدهـر دونـــه والحجـــول.

قـضـي الأمـر

قضي الأمــــر وانتهت أيـــامـي	وتـــلاشى مـا كـــان من أحـــلام.
أنـــا من ظلّ في الحيـــاة شقيـــاً	يتـأسّى بـــالـــوحي والإلهام
أنـــا من ظلّ عـــاشقـــا يتفـــانى	بـــالهوى الجهـم والهوى البسّـــام
أنـــا من أنشـــد الحبيبـــة شعـــراً	رائع النّسج، عبقـــري الغـــرام

ثم صــــار الـــزمـــان غير زمــاني ومقــــامي لـــديك غير مقــــام

وتـــوالــت عليّ ســـود الليــــالي أنـــــا منهـــــا أشفى عليّ حمامي

ثم ســـاءت مع الـــزمـــان شـــؤوني وابتـــلاني بــــالفقــــر والأسقـــام

ثم لان الــــزمــــان شيئـــاً فشيئـــاً واشتـــــداد الخطـــوب في إيـــلامي

فتنفّست في صبـــــاح الأمـــــاني وتبيّنـت مــــــوطـىء الأقـــــدام

وتماسكت في مجال المنــــــايـــــا وتـــــرفعت عـن لجاج الخصـــام

وتـــــدافعت في زحـــــام المعــــالي وطـــريقـــاً شققت وسـط الـــزحـــام

وإذا بي مضيع، لا المســــــــاعي نـــــاجحـــــات ولا بلغت مـــرامي

غير أني أقـــــــــــول، والقلب دام لــك منّـي تحيتي وســــــــــلامي

كيـف الحـال؟

حـــــال. كما شــــاء اللئـــام بليـــدة لا تعـــرف الأفـــراح والأحـــزانـــا

مـــا ميّـــزت شرّ الـــورى وخيــــارهم تستقبـل الأحــــرار والعبــــدانـــا

بلهــــــاء ســــائرة بغير رويّـــــة تستصحب الجبنـــــاء والشجعـــانـــا

سحقـــاً لها مـا استحسنت مـــا استقبحت تقبّل الأضـــــداد أيّــــاً كـــانـــا

من حـــولها الأحــداث في ضـــوضـــائهـــا تترى فما مسّـــت لها آذانــــــــــــــا

كــــالطّـــود راسخـــة فقـــرّ قـــرارهـــا لم تلتفــت يسراً ولا ايمانـــــــــــــا

العيـش عيش ليـس تبلــــو طعمــــه سيّـــان إن هـــو قـــد قســا أو لانـــا

مغمــــورة فيـــه على عــــلاتــــه مــــا إن تبــالي عـــزّ أو إن هـــانـــا

وإذا تجمّعـت الشكـــــوك حيــــالها لا تطلب الإيضـــــاح والبرهـــــانـــا

قـــــد تستقيـم صريحة لا تلتـــــوي والـــوضع يستـــدعي لها البهتــانـــا

مغـــــرورة لا تتّقي مــــــا يُتقى فبقيت منهــا مشفقــاً خشيـانــا.

شمطـــاء عـــاطلـــة وكنت أريـــدهـــا حسنـــاء حـــاليـــة حلىّ أفنـــانـــا

بخــــــلالها ومقـــــالها وفعــــالها ووصــــالها وصــــدودهــــا أحيـــانـــا

بــــرواحهـــا وغـــدوّهـــا وقــــرارهـــا تتعـــرّف الأحـــوال والأزمــــانـــا.

مـــا كنت أحسبُني أنــاضل حـــالـــةً قـــــد أتعبتني فكـــــرة ولســــانـــا

فلكم رأيـت المخــــزيــــات وأهلهـــا فظللـت منهــــا واجماً حيرانــــــا

لـــو لم تكن لي في النضـــال بقيّـــة للـــزمت حـــالاً فـــاتت الحسبـــانـــا

ظلـــم

تخبّطت في ليل مـن الظلـم حـــالـك فلـم أتبين مسلكـــاً في المســـالـكِ
إذا ســـدّدت لي ضربـــة واتّقيتهـــا فقـــد دفعتني غيرهـــا للمهـــالك
فإن أنْـــأَ عن ســـوح الخصـــام مسـالماً ففي أثـــري شر الخصـــوم الفـــواتك
إذا نـــافســـوني في طـــريقي تـــركتـــه دعـــوت لمن يحويـــه : ربي بـــارك
لعلّي أغـــــدو من أذاهـم بنجـــوة وأصبح مـن أفعـــالهم غير هـــالك.
كبحـت جماح النفس حتـى ملكتهـــا ولما ابتغـــــاني الهون لم أتمالـك
فأرسلتهـــا هـوجـاء غضبـة حـانق إذا قـــال : مـــا بـــالي، ولم يتـــدارك
أرى النـاس مـا عـاشـوا نفـوسـاً ضعيفـة إذا رغبـت هـــــانـت ولم تتهاسـك
أرى النـاس مـا عـاشـوا نفـوسـاً ضعيفـة إذا رغبـت عفّـت ولم تتهـــــالـك
تلمّست في دنيـــاي سلماً فلم أجـــد ســوى ســافك يمشي على إثـر سـافك
أخـوض غمار النـــاس لـو كنـت مثلهم على أنني لا حـــول لي في المعـــارك
وحيـد غـــريب لا صحـــاب ولا حمى طـــريـــد شـــديـــد بين شتّـى المهالك
وأعجـب شيء في بـــــلادي رأيتـــــه عمار الأراضي في خـــــراب المدارك

وزن وقافيـة

لم يبق عنـــدي مـن حـــول أذود بـــه إلا كـــلامـــاً مقفّى وهـــو مـــوزونُ
مـــا يصنع المرء في وزن وقـــافيـــة، والظلم مـن حـولــه والكيـــد والهون؟
ولا قـــرار لــــه في ظـل مـــوطنــــه وليس تـــؤويـــه دور أو ميـــاديـن
يسعـــى ولا أمـــل يحدوه في عمـــل مصيره بيـــد الأقـــدار مـــرهـــون
مـــا شـــاء مـن عمل الاّ وضعضعـــه مـن المصـــــاعـب تحريـك وتسكين
فـــالعيش مضطـــرب والكسـب ممتنع والعقـل في حيرة والجسم مـــوهـــون
بلـــواه بـــالغـة شكـــواه صـارخـة لم يلفـــه النـــاس الا وهـــو محزون
حـــرّ ينـــاضل دون العـــزّ مضطهـــداً ولا قـــــوانين تحميـــه ولا ديـن
خـــابت مطـــامحه، ســـاءت عـــواقبـه، صفـــر اليـــدين وفي دنيـــاه مغبـون
فما انتفـــاعيَ مـن وزن وقـــافيـــة؟ حتى المقـــاييس ضـــاعـت والموازين
أين المفـــرّ، ومـــالي مـن يعـــاضـــدني لي الملائك خصـم والشيـــــاطين

لا ينفع المرء أمــــوال ومـــــوهبــــة ولا المجــــــالس تجدي والــــــدواويـن
أعيــذكـم، أهل ودّي، من مشـــاطـرتي حــــالاً تحيط بها الأخطــــار والــــدون
حسبي وحسبكـم مــــا كـــان من خبري إن كـــــان تعـــــوزكم بعــــدُ البراهين

أسائـل نفسـي

إلامَ خطـــوبي تستفـــزّ شعـــوري ويكبـت حلمـي مــــا يجنّ ضميري
تــــردّدت بين الصمت والنطـق حقبـة أقـــــول لعلّي تستقيم أمــــوري
وضـــاعفت صبري في سراهـــا تعلّـة ولكنهـــا ســـاءت فســـاء مصيري
ولست ألـــوم الـــدهـــر أكبر شأنـــه بلـــومي على مـــا كـــان غير جـديـــر
ولكن ألـــوم الحلـم عنــــدي وحكمتي وطـــول أنـــــاتي وانعــــدام شروري
فإني رأيـت القـــــوم يخشــــون بعضهم إذا مـــــا استـــــووا في شرة وغـــــرور
وجـــاروا ومـــا عفّـــوا وكـــادوا وزوّروا إلى أن تـــــراءى الــــزور ليس بـــــزور
وقـــــد عظّمــــوا مـن لم يكن بمعظّـم وقـــــد صغّـــــروا من لم يكـن بصغير
وليـــــــــــس صغير دائماً بصغير وليـــــــــــس كبير دائماً بكبير
ولكن هـي الأهــــواء تعمـي صحــــابها تعيـــــد بصير القـــــوم غير بصير
كم استمــــرأوا حلـــواً ومــــراً ولم أكن لأحسبهـم يستسهلـــــون وَعـــــور
إذا مــا ادلهمّ الخطب عــانيت مــوضعي فـألفيتنـــي وحـــــــدي بغير ظهير
تلفتُّ حــــولي لا أرى لي مخرجـــــاً كـأني مـــــوكــــــول بكـلّ عسير
أكـــابــــد عيشـــاً مثـل حظي ســـواده شغلـت بـــــه عـن بهجتـي وسروري
وأدمت يمينـي شـــائكـــات زهـــوره تعـــودت منهـــا أن أعـــاف زهـــوري
وأمسكت عـن هـــزل الكـــلام وجـــدّه أســـائل نفسي: مـــا يكـــون مسيري
وبعـــد اللّتيـــا والتـي سرت مطـــرقـــاً أتمّـم ألفـــــاظ الأسـى بـــــزفير:
سـأبقى وحيــــــدا مـــــا حييت محاولاً تنـــاسي آمــــالي وكبـت شعـــوري

الشعر الذي أريد

أحـــاول قــرض الشعـــر، وهـــو جموح وبـــالنفس تغـــدو حـــاجـة وتـــروح
أجـــاذبـــه حبل القـــوافي أروضـــه فينصـــاع منـــه بـــارع وفصيـح
يفيض على عضـب اللســـان بـــلاغـة يـــرفّ عليهـــا مـن كيـــانيَ روح
إذا كـــان آمـــالاً تفتـح بـــاسماً كما افتّر زهــــر بـــالعبير يفـــوح

يمسّ شغاف البائسين بلطفه — فيجلو هموماً ما لهنّ مزيح
وإن يك آلاماً سكبت عواطفي — أكاد بها أبكي أسىً وأنوح
وان يكُ عشقاً فالفؤاد خلاله — صريع هوى قد أثخنته جروح
يشير ويومي لا يبين، وتارة — يهّم بمكتوم الغرام يبوح
ويعرب عما يعتريه فإنّه — حليف ضنى ممّا أصيب طريح
وان يك إيقاظاً هببت أصوغه — وفي كل بيت وازع ونصيح
إذا استنهض الوانين قمنا جميعنا — خفافاً وما بالناهضين طليح
وفي معرض الشورى حكيم أخو نهىً — يسود له رأي أغرّ رجيح
وينقد أغراض الزمان وصرفه — متون له ما تنقضي وشروح
يروعك كالبحر الخضم مهابة — وليس به الاّ الضّليع سَبوح
شديد على الأخصام يكبت بأسهم — وعنهم إذا زال الخصام صفوح
ولوع بتبيان الحقائق نصَّعاً — ولو كان من جرّائهن ذبيح
أُتحت له صدق الشعور، وفاتني — بدنياي من صدق الحظوظ متيح
وما همني فوت المنى، وقريحتي — بكل مجالٍ في القريض تشيح
فللّه شعر لم يسعه زمانه — وبعض دناه للزمان فسيح .
عجبت له في السعد والنحس عاملاً — على جانبيه سانح وبريح
بعيد عن النقصان فيما يرومه — نزوع إلى المجد الأثيل طموح
رفيع، عزيز ما أسفّ وما وهى — عليه كمال النّابغين يلوح
ونزهته عن أن يكون بضاعة — مداه هجاء أو مداه مديح

السياسة

من قصيدة :

تسلمت السياسة ما ملكنا — فما أحيت لنا أرضاً مواتا
ولا شادت لنا مجداً رفيعاً — ولا عن حوضنا ذبّت عداةَ
وكافحت المواهب واستمرت — تحطّم أهلها ذاتاً فذاتا
إليك القوم عاينهم تجدهم — عيوناً أو سعاةً أو جباةَ
فما نبغ النوابغ في ذراها — ولا ضمّت عباقرة هداة
وكل مفوّه أمسى عيّاً — تضايقه وما يبدي شكاة

عجبت لأمـــرهـــا قبـــلاً وغبـــاً تخال المرجفين لها دعـــــــــــــاة
ومــــا اختطّت تصــــاميم المعــــالي وعن أهـــدافهـــا الإصـــلاح فـــاتـــا
وأفســـــدت الخلائق، وهـي غـــرّ، وصـــــار العقل ميـــــلاً أو بـــــداة
قضـت ظلماً على جلّ الأمــــــاني وعـــاشـت في تنطّعهـــا افتئـــاتـــا
وضـــاهـت في تبرجهـــا الغـــواني وبـــزّت في بهارجهـــا الغـــواة
فما اجتـــذبت ســوى نـــاس أتـوهـــا عبيـــداً يـــرفعـــون لها الصـــلاة
وصـــــــارت للضعيـف سبيـل رزق وفي دنيـــــا التحكم مشتهــــاة
فضلّـت في تخبطهـــــا سبيــــــلاً وطـــاشـت في تقلبّهـــا حصـــاة
ومـــا غـــرست بحقـل العلم غـــرســاً وفي الآداب مـــــا بـــذرت نـــواة
ومــــــا اتخذت لـ ـــــذي داءٍ دواءً ولا جعلـت لمرضـــــانـــــا أســـــاة
إذا مـــا الجدّ جـــدّ مضى خفـــافـــاً مـــريـــدوهـــا يـــرومـــون النجـــاة.
ألا ويـح المواطـن مـن بنيهـــــــــا إذا أضحـى الجنـــــــــاة لها حماة
ويـــا ويل السيـــاســـة مـن رقيب يـــريها الموت أحيــــانـــاً حيـــاة
يسيّرهــــــا على نهج قـــــويـم يثقفهـــا ويمنعهـــا التفـــاتـــا
والاّ فـــــالمواطـن في ظـــــلام يعيـث المفســـــدون بها عُتـــــاةَ

وقال في انتماء العراق إلى عصبة الأمم (١٩٣٢):

أأعــــلام نصر مـــا أرى في الشـــوارع ولا نصر الاّ للهــــوى والمطـــــامع
يقـــولـــون: نلنـــا لامع الفـــوز عـــاجـــلاً ومــــا لامعـــاً شمنـــا ولا غير لامع
ولكـن رأينــــا كـلّ مبـكٍ ومضحـك فـــدلّـت على العقبى شكـــول الطـــلائع

وله:

وكـم هنـــا وطنّي في مظــــاهـــره بـــالمكـــر ملتفع، بـــالـــدسّ مقتبع
يقـــدم البعض رجـــلاً ثـم يـــرجعهـــا فكـــان أول مـن لبّـــوا ومـن رجعـــوا
وتلـك شعـــوذة جـــازت على وطـن أحــــوالــــه فتن، أبنـــاؤه شيـع
يـــا ليت أذنـــاً إلى الأحـــرار مصغيـــة أو ليـت عينـــاً على الظّـــلام تطّلـع

أنور شاؤل

الشاعر الأديب القاصّ المحامي أنور شاؤل ولد في الحلة سنة ١٩٠٤ وتوفي في ١٤ كانون الأول ١٩٨٤ أصدر مجلة الحاصد الأسبوعية أكثر من ست سنوات. قال أحمد حسن الزيات في مجلة الرسالة المصرية أن أنور شاؤل ثاني اثنين مهّدا لكتابة القصة الحديثة في العراق (أما الأول فكان محمود أحمد السيد). وأثنى عليه جعفر الخليلي في كتابه «القصة العراقية قديماً وحديثاً» فقال إنه من أوائل ممارسي أدب القصة الحديثة وأن مجلته الحاصد كان لها أبلغ الأثر في تشجيع كتابة القصة والفنون الأدبية الأخرى.

ترجمت لأنور شاؤل ترجمة وافية في كتابي «اعلام اليهود في العراق الحديث» الصادر سنة 1983 وقد نشر مجموعات قصصية، منها: الحصاد الأول (١٩٣٠) في زحام المدينة (١٩٥٥) أربع قصص صحية (١٩٣٥) قصص من الغرب (١٩٣٧).

كان شاعراً مطبوعاً نشر من الدواوين: همسات الزمن (١٩٥٦) وبزغ فجر جديد (١٩٨٣). وله أيضاً: قصة حياتي في وادي الرافدين (١٩٨٠) عليا وعصام (قصة سينمائية، ١٩٤٨) وليم تل (مسرحية مترجمة، ١٩٣٢) الطباعة العامة: فنونها وصناعاتها (١٩٦٧) إلخ.

شارك في الحياة الأدبية العامة بشعره ونثره أعواماً طويلة، فحيّا في قصيدته «عذراء أثيوبيا» جهاد الأحباش ضد الغازي الإيطالي سنة ١٩٣٥ وجلجلت قصائده خلال الحرب العالمية الثانية تشجب النظام النازي:

نظام أقاموه على النار والدم ... وفيه استباحوا كل فعل محرّم

وحيّا انتصارات الحلفاء ودعوتهم إلى الحرية واستقلال الشعوب وسيادة القانون والنظام. وقد قال:

إن كنت من موسى قبست عقيدتي ... فأنا المقيم بظل دين محمّد
وسماحة الإسلام كانت موئلي ... وبلاغة القرآن كانت موردي
ما نال من حبي لأمة أحمد ... كوني على دين الكليم تعبّدي
سأظل ذياك السموأل في الوفا ... أسعدت في بغداد أم لم أسعد!

أكرم أحمد

شاعر الشباب الذي ظلّ شاباً بالروح بالرغم من كهولته وتمرّسه بالوظائف والأعمال.

وهو أكرم بن أحمد أفندي محاسب لواء المنتفق ابن توفيق من عشيرة الكرخية. ولد في البصرة سنة ١٩٠٦ ونقل رضيعاً إلى بغداد فنشأ بها وترعرع في كنف خاله فؤاد أفندي

الموظف بالدائرة السنّية. وقد أتم دراسته الثانوية واضطرّ إلى الانصراف إلى العمل لوفاة والده. ولازم عبد الوهاب النائب فأخذ عنه طرفاً من علوم اللغة العربية، واتصل بجميل صدقي الزهاوي وكان من أشياعه ومريديه.

انتظم في سلك الوظيفة كاتباً في مديرية السجون العامة في ١٠ تشرين الثاني ١٩٢٦، ثم نقل معاون مدير التحرير في متصرفية لواء البصرة فمدير تحرير لواء ديالى (أيلول ١٩٣١) فالحلة فالبصرة (١٩٣٥). وعيّن بعد ذلك مدير ناحية فتنقل في أنحاء العراق حتى أصبح مدير ناحية الأعظمية، ثم رفّع قائممقاماً لقضاء عفك (كانون الأول ١٩٤٢) فأبي صخير (تموز ١٩٤٣) فالصويرة (آذار ١٩٤٤) فالحيّ (أيار ١٩٤٦) فخانقين (١٩٤٦) فعنة (كانون الأول ١٩٤٧) فالحيّ ثانية (نيسان ١٩٤٨) فالمحمودية (نيسان ١٩٥٠) فالصويرة أيضاً (شباط ١٩٥١) فالكاظمية (تشرين الأول ١٩٥١). ورفّع مفتشاً إدارياً (أيلول ١٩٥٢) فمتصرفاً للواء المنتفك (آذار ١٩٥٣) فمتصرف الدليم (كانون الأول ١٩٥٣) حتى أحيل على التقاعد في تشرين الثاني ١٩٥٦، بعد خدمة ثلاثين سنة تدرج خلالها من كاتب صغير إلى موظف إداري كبير.

وقد توفي ببيروت في ٢٨ تشرين الثاني ١٩٦٨ أثر نوبة قلبية لم تمهله سوى أيام.

شعره وأدبه:

بدأ أكرم أحمد ينظم الشعر شاباً، وكان شعره في أول الأمر تقليدياً جامداً، فمن ذلك رثاؤه لأستاذه عبد الوهاب النائب المتوفى سنة ١٩٢٧

جفا الحياة وجدّ السّير مضطعنا عن معشر حالفوا الأحقاد والإحَنَا
رأى غمار المنايا وهي ثائرة فخاضها غير هيّاب وما جبنا
لم يدفنوا ذكره بل ظلّ منتشراً وإن هُم دفنوا في قبره البدنا

ثم قرأ عيون الشعر العربي القديم والحديث واتصل بالزهاوي وشعراء المدرسة الحديثة، فصار يقرض الشعر الرقيق ويتصرّف في فنونه وأغراضه، وبرّز في الغزليّات حتى لقّب بشاعر الشباب، ولازمه اللقب سائر حياته.

زاره خيال الحبيبة بعد هجر وفراق، فسرّ به واحتفى وقال:

رسول من خيالك زار وهناً وما غير النجوم له رقيب
فقلت، وقد هتفت به حفيّاً أعانقه: تذكرني الحبيب
أبحت لك الفؤاد فَحُلَّ فيه ففي جفني مقامك لا يطيب
أخاف عليك من جفن قريح تؤرقه الطوارق والخطوب
نعمت بقربه أشكو إليه صوادع في الفؤاد لها ندوب
وخلت الليل مثل الروض يندى به من نشرك الفوّاح طيب.

وحنّ إلى ليالي السعادة والصفاء فتأوّه وتلهف وقال :

حننت إلى الليـــــالي البيض ولّت | وطـــاف بخـــاطــــري منهـــا خيـــال
وأنـت بجـــانبي فـــردوس حـبّ | تبسّـم كـــالــــربيع بـــه الجمال
تضـــوّع مـن مُقَبّلَـكِ الغـــوالي | ويغمـــــر عينك السّحــــر الحلال
ومجلسنـــا حيـــال الشـــام تحنـــو | علينـــا من خمائلهـــا الظـــلال
تنـــاولنـــا الـــوشـــاة بها أحبّـــوا | فتمّ لهم لما قصــــدوا منـــــال
دعينـــا نغنـم اللـــذات هـــوجـــاً | وخلّيهم ومـــا زعمـــوا وقـــالـــوا
ألفـت الحبّ تيهــــــــــاً أو دلالاً | فهل أغنـــاك تيهك والـــدلال؟

هام أكرم أحمد بالجمال فقال :

الهوى نعمــــة الطبيعـــة فـــاضت | في قلـــوب تحسّ معنى الـــوجـــود
هتفت بـــاسمـــه الليـــالي وغنّـت | بـأنـــاشيـــده حيـــاة البيـــد
أيّ سر قـــد طلسم الحسـن فيــــه | ففتنّـــا بمقلـــة أو بجيـــد؟
أي سحــــر يبـــدو لعينيك حتـى | تنثني والهاً بقلـب عميــــــد؟
رسـم النـــاس للجمال كما شـــاؤوا | حـــدوداً ومـــا لـــه من حـــدود

وفكّر في مصير الجمال، وهو العاشق المغرم بالجمال، فقال :

سـألتني ودمـــــــوع العين | بـــالشكـــــوى تبــــوح
عـــــــانـس رقّ لها لفـظ | كما قـــــــد رقّ روح
نـــاطق بـــالشجـن الخافي | بعينيهـــــا وضـــــوح
في محيّـــاهـــا بقـــايـــا | من مـــلاحـــات تلـــوح
أتـــرى الحسـن نـــزيـل | مثلما جـــــاء يــــروح؟
قلت: لا يغــــررك وجـــــه | لـك كـــــالصبح مليـح
وشعـــــــاع مـن جمال | كسنـــــــى البرق لموح
وعيـــون فـــاتـــرات اللحظ | بـــالسحــــر تليـح
وأريـــج الطيـــب مـــن مبسمـــك | العــــــذب يفـــــوح
وكقطـــــر الطـلّ دمـع | فـــوق خـــدّيك سفـــوح
عنـــدمـــا يعتلج السهـم | وتهتـــــاج الجروح
إنّ هـــذا الحسن مثل الـــروض | ينـــدى ويصـــــوح
وغـــــداً إذ يهجم الشيـب | ويعتـــــلّ الصحيــــح

وتعـــــــرّي غصنـك المورق للعــــــــــاصـف ريـح

يتســـــاوى في حَشـــا الأرض مليــــــح وقبيـــــح

حيـث لا يغنـي جميـــــلاً كبريــــــــاء وجموح

لقد عبّر أكرم أحمد في هذه المقطوعة عن معنـى عزيز على الشعراء تفنّنوا في الإفصاح عنه وبـالغوا في ذكـره على مرّ الـزمان، معنـىً مآلـه أن الشعر خـالد والجمال زائل. ألم يخاطب رونسار الشاعر الفرنسي فتاته الحسناء المدلّة قائلاً:

«حينما تبلغين من العمـر عتيـاً، وأنت جـالسـة تصطلين بـالنـار مسـاءً، تنسجين وتحوكين على ضوء الشموع، ستقولين إذ تنشدين شعري في زهو وخيلاء: إن رونسار قد أشاد بـذكري يوم كنت رائعـة الجمال. سوف أكـون آنذاك راقداً تحت الثـرى، طيفاً تائهاً في الظلال الهيوليّة. أما أنتِ فسوف تكـونين عجوزاً شمطاء قابعة في الدار، نادمة على حبّي وما أسلفتِ من صدّ وكبرياء. . ».

ويردّد رونسار نفس هذه الفكرة في مقطوعة أخرى من شعره فيقول: «أيتها المليحة، لنذهب ولنـرَ الوردة التي نشرت في الصباح غـلالتها الأرجوانيـة في ضياء الشمس، هل فقدت في المسـاء أفواف ثوبها الـزاهي وبَشَرتها المضاهية لحسن طلعتك؟ فيـا أيتها المليحـة، اقطفي شبابك الغـضّ، وأنت في ميعة الصبـا وغضـارة البهاء قبل أن يـذبل جمالك كهذه الوردة في ظلّ المشيب!».

وقديماً قال المتنبّي شاعر العرب:

زوّدينـــــا من حســن وجهك مـــــا دا م، فحسن الــــوجـــوه حــــال تحول

وصلينـــا نصلـك في هـــذه الــدّنيـــا فـإنّ المقــــام فيهـــــا قليـل

وقـال بيير كورنـاي (١٦٠٦ ـ ١٦٨٤) يخاطب ممثلـة شابّـة: «لئن كان وجهي قـد شابت خطوطه، اذكري أنك حين تبلغين عمري لن تكوني خيراً مني.

فالزمان الذي يسرّه إهانة الأشياء الجميلة كفيل بأن يذبل زهورك كما غضّن جبيني.

ولكن لي مـزايا بـاهـرة تقيني صروف الـدهر. ولك مـزايـا يعبـدها النـاس. غير أن سجاياي التي تستهينين بها سوف تدوم بعدما تبلى محاسنك. . ».

***

لقد تألم شـاعرنـا لتأخّر أمتـه وجهلها والأخطار الملمّـة بها وتغافل المسـؤولين عنها، فقال:

نحـن في معـــــــــرض الأمـم كقطيـــــع مــــــن الغنــــم

نـــام عنـــه الـــرعـــاة والـــذئب يقظـــــــــــان لم ينـم

شغلتهـــــم عـــن الحمـــــى متـــع العيـــش والنعـــم

مـــدهقـــات كـــؤوسهـم قـــد حســوهـــا على نغم

لا يحسّــــون صرخـــــة الشعـب   مـن لـــــــذعــــــة الألم
ولأمـــــر تصـــــامـمـــــوا   مـــــا بـــــآذانهم صمـم
مـــــا عليهـم وقـــــد خبـت   فيهـم جـــــذوة الهمـم
أن أبيحـت ديـــــارهـم   واستبيحـــــت بها الحرم.

حتى يقول:

إن للظلـم ســــاعـــــة   تتـــــوارى بمـن ظلـم
ســـــوف تشقى حيـــــاتها   أمـــــة تعبـــــد الصّنم

وأكرم أحمد يوالي تحذير رجال الحكم ويدعوهم إلى العدل والبرّ بالشعب، فيقول:

قل لـلألى استهتروا بـالشعب حكّـامـا   لا تسرفـوا، إن لـلأقـدار أحكـامـا
غيظ الشعـوب إذا مـا ثـار ثـائره   كـالسّيل يجتـاح جبّـاراً وظـلاّمـا
مغبّـة الظلم بـالبـاغين عـاصفـة   وإن تطـاول عمـر الظلم أعـوامـا

ووقف على قبر معروف الرصافي مؤبّناً، وقد أودع لحده، فقال:

أبعـد الـروح تـرسـل منـه شعـراً   تكـــون لـك الحفيرة مستقـــرّا؟
عجبت لحفـــرة في الأرض ضـــاقت   مجالاً كيـف تحوي منـك بحـــرا.
هـمُ خطّـــوا ضريحك في تـــرابٍ   ولكنّـي جعلـت حشـــــاي قبرا
بـــررت بمـــوطـن سبعين عـــامـــاً   فســـامـك بغضـــة وأذى وغـــدرا
وحسبـك فيـــه أنك عشـت حـــرّاً   على رغـم الخطـــوب ومُـتَّ حـــرّا

ومن شعره في الهجاء:

بليـت بثعلـب يبـــــدي ولاءً   ويخفي في مطـــاوي النفس ضغنـــا
جبـــان يحسب الأشبـــاح ليـــلاً   إذا بصرت بها عينـــــاه جنّـــــا
وإن سمـع الـــرعـــود لها هـــزيـم   نهاراً ريـع مـن فـــزع وجُنَّـــــا
كحـــربـــاء يبـــدّل كـلّ آن   مخادعـــة من الألـــوان لـــونـــا

وشعره متفـرق في الصحف والمجلات لم يجمع في ديوان. وقد وضع أكـرم أحمد رواية غرامية سماها «ذكريات المدرسة»، وكتب مقالات أدبية أكثرها في الدفاع عن الزهاوي.

من شعر أكرم أحمد:

رويـــــدك قلبي أطلت الـــولـــوع إلامَ اضطــــــرابك بين الضلـــــوع؟
حملت مـن الـــوجـد مـــا لا يطـاق ومن لـــذعـــات النـوى مـــا يـــروع
تنــــــــــاءوا وشطّت بهم دارهــم وأقفـــــرن ممّـن تحبّ الـــربـــوع
تسيـل دمـــوعـك في إثــــرهـم، فهل تــرجـع الظــاعنين الــدمــوع؟

وقال:

يــا صحـوة الفجـر، هل عـود فأغنمهـا والكـــفّ تعصر لي خمراً فـــأرتشـــف؟
أروي من الحبّ عينـــاً ملـــؤهـــا نهم وخـــافقـــاً من تبـــاريح الجوى يجف
أضمّهـــا وهـي مثل النـــار لاهبـــة وأضلعي بعصـــوف الشـــوق تـــرتجف
تفتح الحسـن بسّـــامـــاً بطلعتهـــا، أهـــذه طلعــــة أم روضــــة أُنُفُ؟
أمعنت في وردهـــا نشـــوان أقطفـــه: ورد الجمال بلحــــظ العين يقتطـــف
يـا فتنــة الشـاعـر الحسّاس قـد لمست فيك العـــواطف شيئاً فـوق مـا وصفـوا
عينـــاك خمري والنهـــدان خـــابيـــة وهـل لمثلي عـن هــــذيـن منصرف؟
يـا سـاقي الخمـر عَـدِّ الكأس صـافيـة عن الــذين على خمر اللّمـى عكفـــوا

نعمان ثابت عبد اللطيف

الشاعـر الضابط الرئيس الركـن نعمان ثابت عبد اللطيف ولد ببغـداد سنة ١٩٠٥، وانتمى إلى المدرسة العسكرية (١٩٢٤) فتخرج فيهـا ملازماً ثانياً سنة ١٩٢٧ واشترك في دورة الأركان سنة ١٩٣٦ فرفع إلى رتبة رئيس (نقيب) في الجيش. وساهم في الحركات العسكرية في أنحاء بارزان والفرات.

مال إلى قـرض الشعر فتتلمـذ على منير القاضي وأمضـى أوقات فـراغه في الـدراسة والتتبّع. وقد وضع كتبـاً ورسائل عديـدة، وقام صديقـاه إبراهيم أدهم الزهـاوي وعبد الستار القراغـولي بعد وفاته بنشر ديـوانه «شقائق النعمان» (١٩٣٨) وكتابـه «الجندية في الدولة العبّاسية» (١٩٣٩). ومن مصنفاته المخطـوطة: الألغاز العربية، الجاسوسية، جـواسيس الميـدان، وسائط الاستخبـارات في الحرب، قضـايا التجسّـس الفاصلـة في التاريخ، ورسائل في الحمام الزاجل والحبر السرّي والشطرنج إلخ. وألّف روايات منها: مصرع المتوكل، مأساة القائد السجين، آخر بني سراج.

قتل برصـاصة طـائشة، في أثنـاء حوادث السماوة، في ١٢ حـزيران ١٩٣٧، فـرثاه إبراهيم أدهم الزهاوي قائلاً:

مـــــا عـــــزائي الجميل عنك جميل   وقصير عليك حـــــزني الطـــويل

وقال أيضاً :

يـــا دولـــة السيف عـــزّي دولـــة القلم   كلتـــاكما فجعـــت بـــالمفـــرد العلم

وقال عبد الستار القراغولي :

لا تقل لي : بـــالله أجمـــل عـــزاءا   إنّ رزئـــي قـــد جـــاوز الأرزاءا

وممّن رثاه أيضاً عبد الرحمٰن البناء وحسين الظريفي وكمال نصرت وخضر الطائي وجميل أحمد الكاظمي وغيرهم .

شعره :

كان نعمان ثابت من شعراء الجيش كمحمود سامي البارودي وحافظ إبراهيم وعبد الحليم حلمي المصري، لكنه امتاز بحسّه المرهف وعاطفته المتقدة، فكان الشاعر الوجداني الأصيل . قال متغزلاً:

ليست النـــار كـــآلام يـــؤججن ضلـــوعي
تهطل الأمطـــار مـــدراراً وليست كـــدمـــوعي
وولـــوع البلبل الصـــدّاح لا يحكي ولـــوعي
فـــاذكـــريني عنـــدمـــا أسقى بكـــاســـات الفنـــاء
كلّما النيران شبّـــت
كلما الأمطـــار صبّت

وقال :

لست أخشى رمـــاحك السمهـــريـــة   ورصـــاصـــاً تصبّـــه البنـــدقيّـــة
بـل خـــدوداً ورديّـــة ولحاظـــاً   مصلتـــات على رقـــاب البريّـــة

غلبت على شعره مسحة من الحزن، فهو إذا ذكر الحبّ والهيام راودته فكرة الموت فقال :

حنـــــانيـــك إذا مـــتّ   فبـــــالأوراد غطّيـنـــي
فـــزهـــر النـــرجس الغضّ   يحيّينـــي فيحيينـــي
وغنّيني بـــأشعـــاري   فـــأشعـــاري تعـــزّيني
فـــإنّي شـــاعـــر يهوى   عيـــون الخُرَّد العِينِ

وغمرت نفسه اللوعة والكآبة فقال :

بـــذمّـــة بـــاريها الـــذي تتجـــرّع فكـم تلتظي شـــوقـــاً وكم تتفجّـع
كـأنّ بجنبيهـــا الكـــآبـــة تصطلي ومعتلـج الآلام فيهـــا مـــودّع
وتأرق لا تـــدري المنـــام جفـــونها إذا مـــا نجـــوم الليل في الليـل تطلع
وتسجع كـــالـــورقـــاء غـــادرت الحمى إذا سمعـت ورقـــاً على الأيك تسجـع
وإن نهل الأمـــواج مـن وابـل الحيـــا تسـحّ على وجنـــاتها الصفـــر أدمـع
كـأن أوار الحبّ يحيـي مـــــواتها إذا التهبـت فيـــه قلـــوب وأضلـع
وقـــد تعتريها هـــزّة تلـــو هـــزّة لـــذكـــرى أويقـــات مضت ليس تـــرجع
زمـــان بـــه تسقـــى السّـــلافـــة، والهوى يجلّلهـــا، والعيـش فينـــان ممـــرع
ألا هي نفسي، يـــا أحبّـــاي، فـــارفقـــوا بنفسي التي آمـــاقهـــا الـــدمـع تهمع

وذكر وطنه وأحبّاءه فقال:

أمـــا للنـــوى نـــأي يـــرقّـــه خـــاطـــري فنـــوحي على الـــزوراء أدمى محاجـــري
ســـلامـــي على مثـــوى أمـــانيّ عنـــدمـــا تميل الصَّبـــا بـــاليـــانعـــات النّـــواضر
ســـلامي عليهـــا مـــا تهادى نسيمهـــا على بسـط حيكت بتبر الأزاهـــــر.
أحبّـــاي في الـــزوراء مهما ديـــاركم تنـــاءت فأنتم ملء سمعـي ونـــاظـــري

وعشق آله وقومه فقال:

عـــــربيّ يعشـق العـــــربـــا لا تلـــــومـــــوه إذا انتحبـــا
أســـــد كلّـــت مخالبـــــه وجـــــواد في السبـــــاق كبـــا
نـــــادراً تلقـــــاه مبتسماً ولكـم تلقـــــاه مكتئبـــــا

ومن جميل شعره قصيدة مترجمة عن الإنكليزية في رثاء طفل:

الكـــوخ رغم بســـاطـــة الأريـــاف جلّت محاسنـــه عـــن الأوصـــاف

إلى أن يقول:

والطفل أنحلـــه السّقـــام وهـــدّه همّ يـــدكّ رواسيـــاً وبحـــارا
قـــد أظلمت عينـــاه، أمّـــا خـــدّه فـــذوى، وأمـــا حسنـــه فتـــوارى
والأم قـــد ركعـت بجنـب سريـــره تبكي بهمس في الظـــلام الـــدامس
كي لا يحسّ وحيـــدهـــا ببكـــائهـــا يـــا ويح من يـــؤذيـــه صـــوت الهامس
صلّت بخـــاطـــرهـــا وأعـــرب دمعهـــا عن حـــرقـــة في نفسهـــا ومـــرارة
ومن المصيبـــة أن تفيض دمـــوعهـــا عنـــد الصـــلاة بلهفـــة وحـــرارة.

قال محمود الدرّة في كتابه «الحرب العراقية البريطانية ١٩٤١» إن النقيب نعمان ثابت الأعظمي من ضباط الاستخبارات الأكفاء، وكان قومياً عنيفاً يعمل في مقر قيادة الفريق بكر صدقي خلال الحركات العسكرية في الفرات (١٩٣٦). وقتل برصاصة من الوراء، ونسب قتله إلى مؤامرة دبرت بأمر بكر ونفذها ضابط من قوة الشرطة السيارة.

نديم الأطرقجي

ثلاثة وعشرون ربيعاً وأحلام وشعر قليل: تلك حصيلة نديم الأطرقجي من الحياة. أما المرض والألم والحرمان فذلك حظّ النفس الحسّاسة المرهفة والشباب الفوّار.

وماذا نعلم عن نديم محمّد الأطرقجي؟ لقد ولد ببغداد سنة ١٩١٤ لأسرة موصلية النجار، ودرس اللغة الإنكليزية التي ترجم عنها شيئاً من الشعر والنثر. وهام بالتمثيل، فانتمي إلى جمعية أنصار التمثيل التي كانت تضمّ أقرانه من الشبّان الهواة برئاسة عبد الله العزاوي. وارتقى خشبة المسرح في بغداد وبعض الألوية. قرض الشعر يافعاً فأفرغ نفسه في كؤوسه رضاباً نديّاً، وابتلي بالفقر والسلّ فتوفّي في مستشفى العزل ببغداد في نيسان ١٩٣٧

ذلك ما نعلمه عن حياة نديم، ونعلم أنّه كان شاعراً وجدانياً مترسّماً خطى شعراء المهجر الذين اتخذوا من آلامهم ومشاعرهم قيثارة يعزفون عليها أناشيد الوجود والعدم. كان نديم مثال الفراشة التي تمنحها الطبيعة أيام الربيع القلائل لتزور الرياض وتسامر الزهور وتسكر بالعطور. وكان نديم مثال الشعراء الذين قضوا في ميعة الشباب، مثل طرفة بن العبد والشاب الظريف التلمساني وشاترتن وشيلي وكيتس وهيجيسيب مورو، ومثل محمّد تيمور الذي ضاق ذرعاً بثروته وجاه آله ودراسته العالية، فانصرف إلى التمثيل وأنس برفقة المحرومين والبائسين، وشعر بأجله القريب فقال:

هيّئوا لي في باطن الأرض قبراً ... ودعوني أنام تحت التراب
في ظلام القبور راحة نفسي ... ومن النور شقوتي وعذابي

وإنّنا نحسّ لذكرى نديم بمودّة عاطفية، كتلك المودة العاطفية التي نحسّ بها ـ كما قال الأديب الفرنسيّ جول ساندو ـ لذكرى الأصدقاء الشبّان الذين حصدهم الدهر قبل الأوان، وإنّ ذلك الحسّ لينمو في الحشاشة كما تنمو الزهرة الغريبة الغامضة.

كانت حياة نديم كالقطار الذي ركبه ووصفه قائلاً:

صفـــر القطـــار فأسرعـت عجــلاتـــه		تطـــوي السّهـــول وعـــالي الأنجـــاد
فــــوجمتُ أنظـــر بـــاسماً بمــــرارة		لمدينــــــة فيهـــــا قبرت فــــــؤادي
لا الطبّ بعــــد اليـــــوم يشفـي علّتي		ويــــزيـل عنّي لــــوعتـي وسهـــادي
فــالجسم لا يـــرجـى الشفـــاء لـــدائه		إنْ قلبُـــــه أضحى صريـع عــــوادي

أجل، لقـد اشتـدّ عليـه الداء وزايلـه الأمل ورأى شبح الموت ينظـر إليـه كما ينظـر الوحش إلى فريسته، فقال:

أقضي الليــــالي بين أحضـــان مضجعي		أنــــادي، ومـــا من راحـم يتقـــرّب
مـــريـض أذاب الـــداء قلبـي، ولم أهن		ومــا كنـت أدري في كفـاحي ســأُغْلَبُ
فبــــــؤت كسير النفـس أحمل خيبـتي		وقلبــــاً غـــــدا فيـــــه دمي يتصبّـب
وأصبحت وحـدي في ابتعــادٍ وعـزلـة		أنــاضل كــالمسجــون حين يعــذّب
وليس سميري في الـــدجى غير شمعـــة		تـــذوب اشتعـــالاً مثل قلبـي وتنضب
فأشعـــــر أن الليل طـــال ظـــلامـــه		فأبقـى لنـــور الفجـــر أسعـى وأرقب
وأسمع في طـيّ الظـــلام هـــواتفــاً		وأنظـــر أشبــاحـــاً تلـــوح وتغـــرب
فأفـــزع من تلك المشــاهـــد خــائفــاً		وتسرع دقّــــات الفـــــؤاد وتضرب

رأى نديم شبح الموت، وكان في وسعه أن يخاطبه كما خاطبه من قبله الشاعر الفرنسيّ أندره شنييه (١٧٦٢ ـ ١٧٩٤) فيقول:

«أيها الموت، إنك تستطيع أن تنتظر، فابتعد، ألا ابتعد.

اذهب واذرف بلسم العزاء في القلوب التي يأكلها العار والفزع واليأس الشاحب.

أمّا أنا فالطبيعة تمدّ لي بسطها السندسيّة، والحبّ يحفظ لي قُبَلَه، وربّة الشعر معازفها.

إنني لا أريد الموت بعد. . .».

لقد كان في وسعه أن يقول، كما قال أندره شنييه أيضاً:

«ليمضى الفيلسوف الرواقي ذو العينين الجامدتين وليسع إلى معانقة الموت.

أما أنا فأبكي وأتشبّث بأذيال الرجاء.

وإذا هبت رياح الشمال القاتمة، أحني هامتي ثم أرفعها.

ولئن كانت الأيام مرّة، إنّ ثمة أياماً حلوة بهيجة.

آه! فأيّ عسل لم يترك قطّ طعماً مريراً، وأيّ بحر لم تزعزعه قطّ العواصف؟ . »

لكنّ شاعرنا الشاب لم يجد بدأً من الاستسلام والارتماء في حضن الموت، فرثته مجلة الحاصد التي طالما نشرت شعره على صفحاتها قائلة: «توفّي . بعد صراع عنيف بين جسمه الواهن وبين مرض السلّ الوبيل، فقضى نحبه وحيداً في مستشفى العزل. بكاه الشعر الفيّاض الحيّ، بكته النجوم اللوامع التي طالما حاكى شعره عقودها الزاهية».

إننا لا نعرف شيئاً عن طفولة نديم الأطرقجي وصباه، لكننا نسمعه يقول في قصيدته «ابن الشقاء»:

قد حرمت العطف من أهل قسوا ... وأنا طفل رضيع وسط حضنِ
فرضعت البؤس من مهد الشّقا ... وذوى من قلّة الإرواء غصني
ليس لي ثوب يقيني في الشّتا ... زمهرير البرد أو يدفع عنّي
أرتدي سملاً إذا هبّت به ... نسمة طار، فتذري الدمع عيني
ولثقل الفلس جيبي لم يزن، ... ورنين الفلس لم تسمعه أذني
يضحك الناس ولا يرثون لي ... وأرى أطفالهم تسخر منّي

ولقد اختار الفتى البائس الشعر وهفا إلى الحبّ، فهل حظي بهما ووجد فيهما السّلوة والعزاء؟ قال:

يشكو الحياة ويشدو ... مثل الحمامة شاعر
يبكي فؤاداً خليّاً ... قد بات في الحبّ عاثر

للغاب سار بناي ... ألحانه ذات روعه
فأصبح الغاب يبكي ... وأكسب الدّوح لوعه
وحمرة الورد غاضت ... والغصن أرسل دمعه
وقام يبكي عليه ... فوق الأريكة (؟) طائر
وحلّ بالغاب صمت ... يحكي سكون المقابر

ولاحت للشاعر عروس الغاب فعاهدته أن ترعى مودّته. لكنّها غدرت ولم تعرف الوفاء ومنحت حبّها سواه، فطوى صدره على الحزن والأسى، وأطلق نغماته الشجيّة تردّدها الرياح وينشدها المحبّون المتيّمون.

وعلّل الشاعر نفسه بالطيوف والأوهام، وتراءت لعينيه أخيلة الهناء كالسراب الخادع، فقال:

ألهو وأعبث في الحيـــــــاة لعلّني أسلـــو هومـــاً في الفـــؤاد خفيّــه
فـأضـــمّ ليلى أو أزور عفيفـــــــــة أو أشتكـي ضرّ الهوى لنجيّــــــــه
لكــنّ همّي لم يـــــــــزل متحكّماً في القلب يــــذكي لـــوعـــة منسيّــه
قـالــوا: الخمـور تـزيل عنك شــواغـلاً فشربتهـــا بـــالأكـــؤس الخزفيّـــه
فأذاب كـأس الخمـــــر حبّـــة مهجتي وكـأنّ شربي كــــان كـأس منيّـــه
فسكبت فـــوق الأرض خمر زجـــاجتي وتـــركـت كأسي في الثـرى مـــرميّــه
مـــا زلت أبحـث في الحيـــاة مفتّشـــاً عـن نشـــوة تنسي الحزيـن بليّــه
فضللـت في طـــرق الحيـــاة مشرّداً وتخذت أخيلـــة الهنـــاء مطيّـــة.

ورأى فتـاة أحلامـه تطلّ من الشبّاك. هـل كان أوّل شـاعر يـرى الحبّ في النافـذة البعيدة؟

إنّ روبرت برنز شاعر اسكوتلاندة الوطني (١٧٥٩ ـ ١٧٩٦) قد دعا حبيبته أن تطلّ من نافذتها، فقال:

«يا ماري، اجلسي إلى نـافذتك، فقد أزفت الساعـة الموعودة المؤكّدة، وأريني تلك البسمات وهاته النظرات التي تجعل من كنوز البخيل عنوان الفقر.

إنّ حبي ليشبه وردة حمراء قانية قد تفتحت براعمها في حزيران.

إنّ حبي كاللحن الذي تصدح أنغامه في لطف واتّساق. . ».

وجيرار دي نرفال (١٨٠٨ ــ ١٨٥٥) الشاعر الفرنسيّ المجـذوب قد تخيّل في شعره قصراً من قصور الإقطـاع في القرون القديمة، طلي زجـاج نوافذه باللـون الأحمر الصارخ وأحاطت به الـرياض الزاهرة، وغسل قدميه النهـر الجاري بين الورود. وأطلّت السيّدة من نافذتها العـالية شقراء ذات عينين سوداوين، متّشحة بثياب العصـور الخالية. لقد تذكّرها الشاعر، فقد رآها من قبل في حياة سالفة!

أما شاعرنا الأطرقجي فلم ير صاحبته من قبل، فقال:

هيفـــــاء قـــد ملكت نهاي بحسنهــــا مـن غير معـــــرفــــــة وغير لقــــــاء
بـــانـت من الشبّـــاك تنظـر فـــاكتـوى قلبـي بحـبّ زاد في إيــــــــــــذائي
فــــوقفـت مبهــــوتـــــاً أمـــام جمالها مـن روعــــة كـــالصّخـــــرة الصمّاء
فتعجّبـــــت مــــن وقفتـــي وتحيّرت وبقيت مصعـــــوقـــاً بــــلا إبـــداء
غمـــزت بعينيهـــا تســـائل: يـــا فتى، مـــاذا دهــــاك، فهل أُصَبْتَ بـــداء؟
لم أستطع قـــــولاً، وبعــــد هنيهـــــة كلّمتهـــــا بــــــالغمــــز والإيماء:
إنّي قتيلـك، فـــارحمينـي وانظـــــري حــــالي فقـــد أصبحـت في بلــــواء

فجمال وجهك قـد أضـاع مشـاعـري ... وغـدوت، يـا حسنـاء، في بيـداء
فـاحمرّ مـن خجل لقـولي وجههـا، ... غضبت لـذاك وأطـرقت بحيـاء
وبـلا جـواب أغلقـت شبّـاكهـا ... في قسـوة كـالنّـافـر المستـاء
فـوقفت أنظـر مـا جـرى من غـادتي ... والتعتُ مـن صـدّ وكثـر جفـاء
كم مـرّة حـاولت في طـرق الهوى ... صيـداً فبـؤت بخيبـة وعنـاء

وظلّ شاعرنا باحثاً عن جنّة الحبّ، فقال:

هيّـا معي للـروض، وابتسمي ... فهنـاك ننسى مـا نعـانيـه
نصغي لشـدو الطير في فـرح ... وبشـدونـا السّـامي نناجيـه
والماء يجري فـوق أرجلنـا ... كـالتبر يبـدو في مجاريـه
والـزهـر تخفينـا خمائلـه ... عـن كـلّ واشٍ لا نصـافيـه
نجني الهوى غضـاً ونهصره، ... يـا هنـد، مـن بعـد الملمّات

***

إنّ الهوى سرّ سنعـرفـه، ... يـا هنـد، من ضمّ وتقبيـل
فـالحبّ لم يفقـه حـلاوتـه ... مـن تـاه في أقـوال تضليـل
ولينقل الـواشـون مـا عـرفـوا ... عنّـا، ولـو شـاؤوا بتهـويل
لسنـا نخـاف اليـوم كيـدهم ... فليـذهبـوا في كـلّ تـأويـل
ولنقطـف اللـذّات دانيـةً، ... يـا هنـد، من غصـن المسرّات

لقد ابتلي، كما ابتلي شعـراء الغزل من قبلـه، بالـواشي ينغص عليه سروره والـرقيب يقضّ مضجعه، فيا له من محبّ بائس.

ولازم الشقاء شـاعرنـا وحفّت به الأحـزان، فدعا نفسـه الأسيّة إلى انتهـاب ملذّات الحيـاة الفانيـة وعدم المبـالاة بما كان ومـا سيكون. وعصفت الأشجـان قبله بـالشاعـر الإنكليزي برسي شيلي (١٧٩٢ ـ ١٨٢٢)، فطلب الراحة في الموت وقال:

«إنّ الشمس دافئـة والسماء صـافيـة، والأمـواج تتراقص سريعـة متألقـة. والجزر اللازورديّة والجبال المكسوّة بالجليد تأتزر ببأس الظهيرة الأرجوانيّ الشفّاف.

ونسمة الأرض النـديّة خفيفـة حول أكمامهـا التي لم تتفتّح. وقـد توحّـدت في نداء واحد من البهجة والسرور، أصوات الرياح والأطيار وأمواج البحر الخضمّ.

وا أسفاه! ليس لي من أمـل ولا عافية ولا راحـة في قرارة نفسي ولا هـدوء حواليّ، ولا الرضا، تلك الثروة الزاخرة التي يجدها الحكيم في التأمّل والتفكير.

وحتّى اليأس نفسه قد أصبح الآن لطيفاً كالرياح والمياه الهادئة الوديعة. وإنّ في وسعي أن أرقد كالصبيّ الذي أنهكه التعب فأبكي على حياة الشجون التي حملت أعباءها، ولا أزال، إلى أن يأتيني الموت خلسة كالنعاس، فأشعر في الجوّ الدافىء بصفحة خدّي تصبح باردة هامدة وأسمع البحر ينفخ في فكري المائت نغماته الراتبة الأخيرة».

ذلك ما فعلته الهموم بالشاعر الإنكليزي ودفعت به إلى هوّة الفناء. أما شاعرنا الفتى المنذور للموت فقد حاول، على نقيضه، أن يتمسّك بأذيال الحياة ويفوز بمباهجها، فقال:

لا تبتئس عندما تبلى بأحزان	واهنأ بلذّات عمر زائل فان
دعهم يقولون: بعد الموت وقفتنا،	وخلّني في ضلالي شبه سكران
أنظر: قصيدي من اللذات أنفقه	لأنّ يوم غدٍ في طيّ نسيان
فكم لثمن شفاه الغانيات، وكم	بالقرب منهنّ قد واريت أشجاني
وكم رميت بقلبي بينهنّ، وما	خفت العيون التي تصمي باتقان
فما ارتويت وكأس الحبّ ما فرغت	فلذّ لي في الهوى إنفاق أزماني
لا أستقرّ على غصن ولا سرر	مثل الفراشة تلهو لهو نشوان
هذي الحياة جنان الخلد، كوثرها	شهد اللّمى في كؤوس صنع رضوان
والحور هذي الغواني، إن عقلت، فلا	تضيّع العمر في زهد وخسران

واشتدّ على شاعرنا الداء فلم يغن عنه الشعر ولا أجداه اهتبال الملاذّ. وحار في أمره الطبيب:

قال الطبيب: دع القريض ونظمه	فالشعر يجهد قوّة الأعصاب
هذا نحولك لا يفيد له الدّوا،	إنّ الكتابة مبعث الأوصاب
ماذا استفدت من القريض ونشره	في كلّ مطبوع وكلّ كتاب؟
إنّي أراك بلا رداء لائق	وبلا فراش ناعم وثياب
تضني دماغك هاصراً أفكاره	فتذوب ملتهباً كعود ثقاب
إنّ السّقام، إذا بقيت معانداً،	يرديك أو يرميك دون صواب
فأجبته: بالشعر أسلو بلوتي	وبه أسطّر شقوتي وعذابي
إنّي سأسكب مهجتي ومدامعي	لقصائدي وأصبّ ذوب شبابي

وكانت حشرجة المحتضر فقال:

قلبي من الأمراض بات ممزّقا ... وأمضّني مرضي وجسمي أُزهِقَا
فعرفت أنّي سوف أرحل تاركاً ... دار الضيافة، قاصداً دار البقا
ففزعت من هول النذير ووقعه ... لضياع قصد رمت أن يتحقّقا
قد كنت أرجو أن أعيش لفَيْئَة ... حتى أحقّق ما أردت من البَقَا
لكنّما حلمي الجميل قد اختفى ... لما رأى شبح المات محلّقا
فذويت في روض الحياة كزهرة ... ماتت جفافاً قبل أن تتشقّقا
هذي هي الدنيا فلا تأمن بها، ... فرحيقها سمّ وخمرتها الشَّقَا
أرثيك، يا نفسي، فقد أزف النّوى ... ودنا البعاد وبان يوم الملتقى

وكذلك قضى شاعرنا كما قضى من قبله الشاعر الفرنسي جوزيف جلبرت Joseph Gilbert (١٧٥١ ـ ١٧٨٠)، ذلك الذي قال:

«لقد جئت يوماً إلى مأدبة الحياة ضيفاً شقياً، ثم علقت بي حبال الموت.

إنني أموت، وعلى قبري الذي أمضي إليه وشيكاً، لن يأتي أحد ليذرف الدموع.

فسلام عليك، أيتها الحقول التي أحببت، وأنت، أيتها السهول السندسية الجميلة، أيتها الغابات الضاحكة في عزلتها.

أيتها السماء، مظلّة الإنسان، أيتها الطبيعة الزاهرة.

عليك سلام الوداع الأخير!

آه، وليتمتع بمرأى جمالك المقدّس طويلاً كلّ أولئك الأصدقاء الذين لا يصل وداعي إلى أسماعهم. ولينامـوا في أحضان الموت بعد حياة حافلة، ولتهطل الدموع في مماتهم، وليقم بعض الأصدقاء بإغماض جفونهم!».

ذلك نديم الأطرقجي الشاعر، أما الناثر فكتب قصصاً قصيرة منها: اللقاء بعد الموت، عشيق الجنّيّة، العناق الأخير. ووضع مسرحية الثورة العربية التي مثّلت ببغداد في تموز ١٩٣٦ وقام هو نفسه بتشخيص بعض أدوارها.

ونظم في تلك السنة مسرحية شعرية بعنوان «مصرع السّلام» متأثراً بالأحداث العالمية آنذاك، من تغلّب الدكتاتورين هتلر وموسوليني وتعكيرهما لصفو السلم والاستيلاء على الحبشة وتفجير الحرب الأهلية في إسبانيا. جمع الأطرقجي في مسرحيته الخير والشرّ وإله الحرب وربّة السلام، فتبجّح الشر بفرض سلطانه على العالم ودحره لجيوش الخير والإحسان. ويبرز له الخير واهناً مرذولاً، لكنه قويّ الإيمان بنفسه وخلوده. ولاحت في الأفق المدافع والدبابات والرشّاشات والجنود تسير إلى القتال. ثم ظهر الطاغية الجبّار

تعنو له الملوك والشعوب، فرفع عقيرته مفتخراً بصولته ومجده، وكان له الفوز على ربّة السلام.

ووضع نديم الأطرقجي مسرحيّتين أخيرتين هما: الاعتراف وابن الدلال، مثّلتا في حياته وبعد مماته ـ على ما قال الممثل القديم علي الأنصاري.

إن شعراء كثيرين اخترمهم الدهر كالزهرة اليانعة قبل أن يتيح لهم، مثل نديم الأطرقجي، إبراز مواهبهم الكامنة. وكان ذلك حظ الشاعر الفرنسيّ جاك دي لا تاي Jacques de la Taille الذي ألف مسرحية ديدون (١٥٦٠) وشفعها بعد سنتين بمسرحية دارا والإسكندر، ثم لم يلبث أن توفّي في العشرين من عمره. لقد هوى التمثيل ومارسه مع أخيه جون، ثم طوى الزمان صفحتهما وعفّى على أثرهما، كما قال أبو ذؤيب الهذلي:

هل الدهر إلاّ ليلةٌ ونهارها وإلا طلوعُ الشمس ثم غيارها؟

أو كما قال الجرهمي القديم:

كأنْ لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيس ولم يسمر بمكّة سامر

عبد القادر رشيد الناصري

الشاعر عبد القادر بن رشيد بن إسماعيل، ولد في السليمانية سنة ١٩٢٠ من أبوين كرديين. ونزح والده إلى الناصرية فاستوطنها ولقّب بالناصري. وأتم عبد القادر دراسته الثانوية في بغداد، وأخذ ينظم الشعر، واتصل بمحمد مهدي الجواهري وغيره من أساطين الأدب. ودرس البلاغة والمنطق على الشيخ عبد القادر عبد الرزاق الخطيب (خطيب جامع الإمام الأعظم توفي في أيلول ١٩٦٩).

عمل محرراً في الصحف كجريدة الرائد والنداء والأوقات البغدادية، ووظف في دار الإذاعة العراقية سنة ١٩٤٨ وأوفد سنة ١٩٤٩ لإكمال دراسته في باريس، لكنه عاد بعد سنة واحدة لأسباب اضطرارية.

ووظف في أمانة العاصمة في وظيفة لا تكاد تسدّ رمقه. وقد أدركته حرفة الأدب، واستبدّت به الآلام النفسية، وطلب في الخمرة عزاءً فملكت لبّه وأوهنت أعصابه وأهانت عزة نفسه. وتوفي ببغداد في ١٥ أيار ١٩٦٢

مؤلفاته وشعره:

كان الناصري شاعراً مطبوعاً، كثير الحياء، جمّ الأدب. أصدر ديوان «ألحان الألم» سنة ١٩٣٩، ومسرحية ضحايا المجتمع (١٩٣٧)، وديوان صوت فلسطين (١٩٤٨). و «الأسفار» (١٩٤٩). وأصدر كامل خميس «ديوان عبد القادر رشيد الناصري» سنة

١٩٦٥ ـ ٦٦ في جزءين. وترك دواوين مخطوطة لم يتيسّر له طبعها، منها: «الآثام» و «الأفعى» و «غزل» و «أغاني السندباد» و «عرائس ومآتم» و «الأعماق» و «زينب» (ملحمة شعرية) و «قصة حبّي» (ملحمة شعرية) و «شموع تحترق» و «خمريّات الناصري» و «الفاكهة المحرّمة» (مسرحية منظومة). وله مقالات نشرها في الصحف العراقية والعربية.

وقد تفوّق عبد القادر رشيد الناصري في الغزل فنظم فيه فنوناً وألواناً، ولهج بذكر المرأة والخمرة، وتنقل في الحبّ كالفراشة تنتقل بين زهور الرياض. خفضته أرزاء الحياة وأعباؤها، ورفعه الشعر إلى المحلّ السّامق، وخلّده خلود المحبّ الوامق.

إنّ حظّ شاعرنا الناصري ليذكرنا بالشاعر الإنكليزي المحبّ جون كيتس (١٧٩٥ ـ ١٨٢١) الذي أصيب بداء السلّ وقضى نحبه في ريعان الشباب قبل أن يروّي ظمأه من الحياة والحبّ والشعر. كان الناصريّ حالماً كشقيقه الروحيّ الإنكليزي الذي قال: «إنّ الحالم وحده يسمّم كلّ أيامه ويحمل من العذاب أكثر مما تستحقه كل آثامه». ورفع الناصريّ المرأة إلى مرتبة الآلهة، ثم وصمها بالغدر والخيانة وشبّهها بالأفعى. أما كيتس فقد روى في شعره قصة «لاميا» أو «لامعة» المرأة الأفعى التي ذابت أمام عيني محبّها، وحديث «السيدة الجميلة التي لا ترحم» تلك الحسناء التي رآها الفارس الصنديد وسحره جمالها، فعمل لرأسها إكليلاً ولمعصمها أساور، وأظهرت له الحبّ ثم تركته وانياً مضنى سليب الفؤاد.

وقد غبط كيتس في آخر شعر له النجم المتألق في الرقيع وتمنّى لو كان ثابتاً مثله، لا منفرداً في عزلته السامية تحت جناح الليل، ولكن ناعماً بحب الحبيبة الجميل، نشوان بأنفاسها العذبة، فيحيا كذلك إلى الأبد أو يغشى عليه في سكرات الموت.

وغرّد الناصريّ بقلب كليم فقال:

أحبّكِ، والهوى وتر صدوح، ... وأنسام معطّرة وروح
ومجمرة دم العشاق فيها ... بخور كلما احترقت تفوح
وفردوس من المتع الغوالي ... على شطآنه يحلو الصّبوح
أحبّكِ، هل علمت، سلي دموعي ... على كفّيك لو سئلت تبوح
أحبّكِ، هل علمت بأن روحي ... على شفتيك ذائبة تنوح
وإني قد عصرت دمي غراماً ... فأزهر من دمي طلح وشيح
وإني لو أبوح بسرّ حبّي ... لناح على فمي الوتر الذبيح
وهل تدري الشقائق في الروابي ... بأن دمي بمبسمها يلوح؟
أحبكِ، يا سهيل، فكل عرق ... من الأشواق ملتاع جريح

تنـــــاهـى في هـــــواك، فكـل آهٍ يضيق بنـــارهـــا الصـــدر الفسيح
إذا عـــانقـت طيفـك في خيـــالي، وطيفـك بـــاللّقـــا أبـــداً شحيـح
فإني قـــد نـــذرت إليـك عمـــري وعمــــري في هـــواك سنىً لَموح
ومـــا رتّلـت أشعـــاري غنـــاءً ولكـن غـــــــــرّدت فيـكِ الجروح

وقال في أشواقه الحائرة:

سكـرنـــا، يـا سهيلـة، من هـــوانـا فخلّي الكأس يـــرشفهـــا ســـوانـــا
دعيهـــا للنّـــدامى يحتســـوهـــا كفـــانـــا خمر صبـــوتنـــا كفـــانـــا
ألسنـــــــــا بلبلين بكـلّ دوح لنـــا عـشّ مـــلأنـــاه حنـــانـــا؟
زرعنـــا الحبّ في الـــدنيـــا دمـــوعـــاً فأزهـــر واحـــةً وزهـــا جِنـــانـــا
فـإن نبخل على العشّـــاق فيـــه فما قطفـت أزاهـــره يـــدانـــا.
شـــدونـــا، والهوى وتـــر حنـــون، وخمر عتّقـت فصفـت دنـــانـــا
وعـــرس كـــالـــربيع يفيـض حسنـــاً ويسخـــو بـــالشـــذا آنـــاً فـــآنـــا
وعيـــــد للمنـى مــــــا لاح إلاّ أجـــدّ لنـــا مبـــاهجنـــا الحســـانـــا
فمـــن عينيـــك في عينـــيّ نبـــع تـــدفّق بـــالحنين ومـــا سقـــانـــا
ومـن ذاتي وذاتـك بيـت شعـــــــر رقيق كـــالهوى يـــزهـــو افتتـــانـــا

وقال في كرمة الهوى:

أيـــا كـــرمـة للحـبّ يـزهــو بها الصّبـــا، تبـــاركت عنقـــوداً وظـــلاًّ وملعبـــا
سألتـك بـــالحرمـــان يأكـل خـــاطـــري وبـــالجوع يستلقـي بعينـيّ مُتْعَبَـــا
وبـــالجرح ظمآنـــاً وبـــالسهم غـــائراً وبـالـــدمع مسفـوحـــاً وبـالعمـــر مجدبـا
أمـــا هـزّك الشـوق الـــذي هـزّ خـــافقي فبـــــاح بأسرار الجمال وشبّبـــــا؟
ونضّر لي حقلي فـأينع غـــــرســـــه ومسّ ثـــرى عمـــري الجديب فـأخصبـــا
وطـــار بأحـــلامـي وجنّح خـــاطـــري وأطلع في آفـــاقيَ السّـــود كـــوكبـــا
وجـــدّد أعـــراس الشبـــاب وسحـــره ومـــا العمـــر إلا الحبّ واللهـــو والصّبـــا

وفني الناصريّ في الحبّ وذاب في شخص محبوبته فقال في مقطوعته «أنت» ناعتاً إياها بأكوابه ودنّه وندامه وفنّه وقيثارته ولحنه وقمره وضميره. ثم قال إنه يتملاّها في ثغر الصباح الباسم وخرير الجدول الحالم ونسمة الروض وبلبل الدوح، حتى يقول:

أنـــــتِ في قلبـــــي حنين ودمــــــوع مــلء عينـــــــي
أنـتِ في روحـي ابتهـــــــــال وصــــــــلاة مــــــــلء أذني
فكـأني أنــــــا جـــــــزء منـك أو جـــــزءتِ منـــــتي[1]
بـل أنــــــــــا أنـتِ التـي أبصرهــــــــــا أو أنـت أنّي

وهكـذا تغنّى النّـاصريّ بـالحبّ واللهـو والصبـا، ومضى لم يمتّع بـالحبّ واللهـو والصبا، ذلك الشاعر الذي قال:

جـف نبعـي وشـف روحـي الغليـل وتمشى على حطـــامي الـــذبـــول
وغــــدا قلبـي النـــدي يبــــابـــاً مــــا بــــه واحـــة ولا سلسبيـل
وارتضـت نفسي الجريحة بـــالـــوهـم وللـــــوهم يـــركن المخـــــذول
فـــزع صـــــارخ يلـف حيـــاتي فحيــــــاتي تلفـت وذهـــــول
وفـــراغ كـــوحشـــــة القبر ازجيـــه فــــلا فـــرحـــــة ولا تـــرتيل.

من قصيدة:

إلى الخالـدة

غـــــدائرك السّـــــود، يــــا فتنتـي، عنـــاقيـــــد لم تحْوِهـــــا داليـــــة
أفـــــاعٍ تـــــدلّـت على منكبيـك فَجُنَّـت بها المقل الـــــرانيـــــة
غـــديـــر من العطـــر هـــذا الحريـــر تنفّس عن ليلــــة ســــاجيــــة
إذا قبّلتـــــــه شفـــــــاه النّسيم سرى الطيب في النّسمـــة الســاريـــة
فـــدى نـــاظـــريك جـــراح الهوى تفجّـــرت شـــوقـــاً بـأعـــراقيـــة
فسهمـك إن غـــــــــار في مهجتـي حنـــوتُ على السّهـم، يــا قــاسيـــة
وإن عـــربـــدت حـــول روحـي الجحيم تلمّسـت جنّـتك الغـــــاويـــــة
أحـــــــواء، لمّا يـــــزل آدم يفتّش عن جنّـــــة ثـــــانيـــــة
سـألتكِ، كيـف أعـــرتِ الـــدّجى ســـواد غـــدائرك الـــداجيـــة؟
فكـم غـــاب في ظلّهـــا عـــاشـق تخدّره الفتنـــــة الطّـــــاغيـــــة
أخـــالـــدة الحسن، لـــولا الجمال لمــا غـــرّدت بـــالهـــوى قـــافيـــة
فمن سحـــر عينيك سحـــر الغنـــاء وأصــــداء قيثــــارتي الشّـــاديــــة

[1] تِ مخفّف أنت لضرورة الشعر.

كمال نصرت

شاعر البؤس والأسى، كمال نصرت وهو كمال الدين نصرت بن توفيق بن طٰه بن ياسين بن طاهر بن السيد عثمان، ولد في كربلاء سنة ١٩٠٧، وتعلم في مدارسها. وانتمى الى كلية الإمام الأعظم، لكن انصرف عن الدراسة بعد أمد.

وأصدر مجلة الرصافة الأسبوعية في كانون الثاني ١٩٣٠، وأعاد إصدارها في حزيران من السنة نفسها، فلم تعمّر طويلاً. وكان محرراً في صحف مختلفة كجريدة الزمان والفرات والرائد وحبزبوز. وعيّن موظفاً في أمانة العاصمة.

نشر شعره في الصحف والمجلات، ثم جمعه في ديوان طبع سنة ١٩٦٨ ووضع مسرحية شعرية بعنوان «وفاء العرب» (١٩٦٩).

سجل ترجمة حياته بقلمه في تموز ١٩٣٥، فقال:

«ونشأت يتيماً محروماً من حنان الأم وعطف الوالد. توفيت والدتي وأنا ابن سنتين، واتّبعها أبي ــ وهو في ريعان الشباب ــ وأنا لم أتجاوز إذ ذاك الربيع الثالث، فكفلتني جدّتي والدة أبي. فنشأت في حجرها، وقد عكفت على تربيتي، فقرأت عليها القرآن الكريم ومبادىء العلوم الأولية والكتابة باللغتين العربية والتركيّة. ثم انتقلت جدّتي الى جوار ربّها، فكفلني عمي المرحوم عزت بك القائمقام المتقاعد، إلا أنني عشت مهملاً في هذه البيئة الجديدة لا يسأل عني ولا يعتني بي أحد. وقد قاسيت من ضروب العذاب والشقاء مالم تحتمله نفسي الكبيرة وجسدي الواهن الصغير. وكم كنت أتألم كلما رأيت الأولاد الصغار غادين رائحين الى المدرسة، فرحين مستبشرين، ولا أستطيع مشاركتهم بالجلوس معهم على رحلة التدريس، لأني كنت مهملاً كما ذكرت، ولم يعتنِ أحد بتربيتي وتهذيبي التهذيب الصحيح. غير أني وجدت من نفسي حافزاً لدخول المدرسة، فذهبت الى أحد كتاتيب البلدة، فسرعان ما قبلني بعد محاورة قصيرة. فدرست مبادىء الحساب والفقه وشيئاً من التاريخ والجغرافية.

«وفي رأس السنة الدراسية دخلت المدرسة الابتدائية، وكان التدريس باللغة التركية طبعاً، وكنت أتقنها إتقاناً جيداً لأنها كانت لغة العائلة التي نشأت بين ظهرانيها. ولهذا تقدمت جميع رفاقي في الدروس وظهرت عليهم في الامتحانات وأحرزت الشهادة الابتدائية. وبعد الاحتلال قبلت في الصفّ الأخير من المدرسة البارودية، ثم تركتها وانتقلت الى كلية الامام الأعظم. فدرست فيها العلوم العربية أربع سنوات. ولكن بعض الظروف القاسية حالت بيني وبين أخذ الشهادة، فتركتها مضطراً ودرست على بعض العلماء

«ومنذ هذا العهد صار لي ولع شديد بقرض الشعر، فعكفت على مطالعة بعض

الدواوين لمشاهير شعراء العرب كالمتنبيّ وابن الرومي والبحتري وأبي تمام وبشّار وأبي نؤاس، كما عكفت على قراءة كتب الأدب القديمة منها والحديثة، وحفظت قسماً كبيراً من شعر المتنبّي والشريف الرضي، إلا أنني الى شعر الرضي أميل منه الى المتنبي لسهولة لفظ الأوّل وتعقد ألفاظ الثاني. وإني ميّال بطبيعتي الى فخامة اللفظ في الشعر ومتانة التركيب فيه، وقد نظمت الشعر في شتى المواضيع، وجلّ ما نظمت في الشكوى والوصف والغزل. ونشر قسم كبير من قصائدي في مختلف الجرائد والمجلات. وأما اليوم فإني في شاغل عن قرض الشعر بأمور العيش في هذه الحياة التي لا تفتأ تناوىء كل أديب حرّ، فهو منها في جحيم لا يخمد أواره».

من شعره، قال في رثاء سعد زغلول:

أنظر الى المجد كيف اليوم ينهدم ... وعروة الملك كيف اليوم تنفصم
وكيف غال الردى طوداً سما شرفاً ... في المكرمات وكيف الموت يخترم
وكيف أودع قلب الشرق نار أسىً ... فقد الزعيم الذي باهت به الأمم.
إنّا سنذكر سعداً، والفؤاد به ... نار تشبّ وفي الأحشاء تضطرم
إنّا سنذكر سعداً كلما طلعت ... شمس النهار ووافت بعدها الظلم
قد كان في مصر خير الناس كلهم ... وكان أحسن من تسعى به قدم
وكان سيفاً على الأعداء منصلتاً ... وكان بحراً به الأمواج تلتطم
وكان للعرب عوناً في مصائبهم ... وكان ذخراً وفيه الشمل ملتئم.
يا سعد، شعبك آلى أن يقيم على ... عهد الولاء ويبقى وهو يلتئم
وسوف يظفر بالآمال أجمعها ... وسوف يخفق في عليائه العلم
وسوف يبقى على الأيام متّحداً ... والإتّحاد به الأقوام تعتصم
وسوف يقتحم الأخطار مزدرياً ... وسوف عن ساحتيه الضيم ينهزم

وله في الغزل:

أيحول فيما بيننا أن نلتقي، ... في الله والحبّ الطَّهور، عذول؟
مالي وما للعاذلين، فليتهم ... بُكْمٌ فلا دجل ولا تضليل
أهواك لا عن مطمح أو مطمع: ... إنّي امرؤ عفّ الضمير نبيل.

وقال في سنة ١٩٢٨

أرى كلّ يوم في العراق وزارة ... تقوم وأخرى بعدها في تَثَبُّتِ
فلا هذه ترجى لدفع ملمّة ... ولا هذه تسعى لتحرير أمّتي

وقال:

ألا مـــا لهذا الغــرب يستعبـــد الشرقـــا فبعـــداً لـــه بعـــداً وسحقـــاً لـــه سحقـــا
لـــه الـــويـل من مستعبـــد قـــدّ قلبـــه من الصمّ لم يعــرف بأحكـــامـــه الـــرفقـــا
تعــاني شعــوب الشرق من جــور حكمــه مكـــائد ســـدّت دون غـــايـــاتها الطـــرقـــا
تـــروم انطـــلاقـــاً مـــن قيـــود اعتســـافـــه ويأبـــى ســـوى أن تستضـــام وأن تشقى
أقـــام عليهـــا حـــاجـــزاً من عيـــونـــه فلم تستطـع فعـــلاً ولم تستطع نطقـــا
وسخّـــرهـــا تسخير عبـــد مـــذلّل يحاول عتقـــاً وهـــو لا يجد العتقـــا
وســـام بنيهـــا الخسـف في جبروتـــه وبـــاغتهم قتـــلاً وبـــادرهم محقـــا
وجـــرّعهم كـــأســـاً من الـــذل علقماً تكـــاد بـــه تنشق أحشـــاؤهـــم شقّـــا

وقـد أصيب كمال نصرت بمـرض عضـال أقعده في داره أعـوامـاً حتى قضى نحبـه ببغداد في ٣٠ كانون الثاني ١٩٧٤

محمود الحبّوبي

ورث الشعر عن عمّه الشاعر المجتهد المجاهد محمد سعيد الحبوبي. وقد ولد محمود بن حسين الحبـوبي في النجف سنـة ١٩٠٤، ورضع لبـان معـارفهـا ونشأ وتـرتـرع في معاهدها. وكان أحد مؤسسّي الرابطة الأدبية سنة ١٩٣٢، وأصبح أميناً لسرّها.

ثم انتقل الى بغداد سنة ١٩٤٨ وأقام فيها حتى أدركته الوفاة بها في أول أيّار ١٩٦٩ كـان رضيّ الخلق، أبيّ النفس، إنسـانيّ النزعـة، حلـو الحديث، مشرق الابتسامـة، لم يعمل في تجارة ولا وظيفة، بل عـاش عيشة تقشّف وقناعة على إيراد عقـار له في مسقط رأسه.

وقد عني بجمع ديوان محمد رضا الشبيبي (المطبـوع في القاهرة سنة ١٩٤٠) وديوان محمد جواد الشبيبي وديوان محمد سعيد الحبـوبي. وأصدر الجزء الأول من ديوانه (ديوان محمـود الحبـوبي) سنـة ١٩٤٨، وربـاعيات محمـود الحبـوبي (١٩٥١) شـاعـر الحيـاة (موشح، ١٩٦٩).

شعره

محمود الحبوبي شاعر عربي وطني علقت روحه بالعراق وتوزعت بين فلسطين ومصر ولبنان وسورية وسائر أقطار العروبة، فشعره يـزخر بذكرها ويتألم لألمها ويفرح لفرحها. وكانت آخـر قصيدة نظمها قبيل وفـاته في فلسطين، أعـدها لتلقى في مهرجـان الشعر المقام في بغداد آنئذٍ.

إن وطن الحبوبي حبيبه ومعشوقه، فهو يقول:

ليت الألى فتنتهم الأحداق ... باتوا وهم لبلادهم عشّاق
ما خير حسنٍ لا يدوم وصبوة ... تفنى وهجرٍ ما يكاد يطاق؟
أنا إن فتنت ففيك، يا وطني، وكم ... هزّت لذكرك قلبيَ الأشواق
غذّيت حبّك والتمائم في يدي، ... وألفته وبجيديَ الأطواق
يجري هواك محبّباً مجرى دمي ... مني إذا ذكر الهوى مشتاق
إن كان خمرته الشفاه فإنّما ... خمري الشهيّة ماؤك الرقراق
أو راقه الخدّ الأسيل فلم يرق ... عينيَّ إلاّ الحقل والأوراق
وإذا هناه شذاً يضوع فقد هنا ... هذا الفؤاد نسيمك العبّاق
أو بات يطربه الغناء ففيك لي ... من كلّ ورقاء شدت إسحاق
وإذا ابتغى الخلق الجميل فبغيتي ... أن تزهر الآداب والأخلاق

وهو إذ يحبّ وطنه يريد نهضته وتقدّمه ورخاء أهليه من عامل وفلاح. فهو يندب حال الريف المهجور:

خلت المنازل والمرابع ... فاكفف فليس بهنّ سامع
ماذا وقوفك وهي قفرى ... من أماجدها بلاقع
لم يبق منهم نهشل ... بين البيوت ولا مجاشع

وهو يأسى للكادح المحروم:

أيّها الكادح المرزّأ عيشاً، ... خلِّ هذي البلاد وَأْوِ القفارا
خلّها هازئاً بها وبمن فيها ... عبيداً تستخدم الأحرارا
خلّها وانتزع هوىً لك فيها ... من قديم وأسدل عليه الستارا
خلّها فالكهوف أرحب صدراً ... لك منها والوحش أوفى ذمارا.
لست حراً إن ترضَ أن تلبس القوم ... حريراً وتلبس الأطمارا
لست حراً إن ترضَ أن تجني الشوك ... ويجنوا ممّا غرست الثمارا

وهو يخاطب الأغنياء ويدعوهم الى العطف على المعوزين وإطعام الجياع وتجفيف دموع اليتامى، فيقول:

أيّها المثقل الخِوان طعاما ... راق للعين منظراً ونظاما
حوله صفّت الفواكه أنواعاً ... وقد فاضت الكؤوس مداما

كـل هنيئـاً واشرب هنيئـاً ولا تعبـأ بمن قـال: قـد فعلت حـرامـا
أيطيب الطعـام أكـلاً وتهنـا الخمـر شربـاً على أنينِ الأيـامى؟
أم يلـذّ الإفطـار من قـوت قـوم قـد طـووا يـومهـم اليك صيـامـا؟
لا تُصِغ مسمعـاً لنصحِ كهـذا واهْنَ واتـرك للبـائسين الـرغـامـا

وهو يهيم بالحرية ويناشدها الرفق بالناس:

أكثيرة العشّـاق في الأمـم قـد طـال هجـرك فـارفقي بِهِمِ
الـوضع أظلم فـابـزغي قمـراً وتجهّم القـانـون فـابتسمي.

ومحمـود الحبوبي بعـد ذلك شـاعر عـاطفي يتألم لـلانسان والحيـوان، بل يتألم حتى للنملة تدبّ على الأرض. وله رثاء يفيض باللوعة والدموع، منه رثاؤه لأبيه إذ يقول:

لا شعّ منبلجـاً لعين الـرائي صبحٌ بـدا وطـلائعَ الأرزاء
أأبي، وعـزّ عليّ أنك لم تجب صـوتي ولم تسمع لـديك نـدائي
سرعـانَ مـا سـاء النـوائب جمعنـا فمشت ببينِ بيننـا وتنـائي
لـو كنتُ أُعْطَى مـا أودّ وأشتهي لـوددتُ بعـدك أن يـزول بقـائي.

لقد أدركتـه حرفة الأدب، فلم يعجب لـلأمر ولم يستغربـه، وهو الذي عـرف حال الأديب في وطنه وقال:

بلـد يعيش بـه الأديب غـريبـا أشقى الـورى من عـاش فيـه أديبـا
يجلـو الكـروب عن الأنـام، ولم يـزل من كـربـه أوفى الأنـام نصيبـا
ويـذوب قلبـاً كي يـرى شركـاءه في الشعب أهنـأ أنفسـاً وقلـوبـا
ولـع بإنماء الحيـاة لقـومـه. حتى تجفّ حيـاتـه وتـذوبـا

قال محمود الحبّوبي من قصيدة بعنوان «عاصفة»:

يـا نفسُ، حسبك مـا لقيت فـودّعي عهـد الهوى والى رشـادك فـارجعي
عـودي الى مـا كنتِ فيـه سعيـدة ـ أعني السّلـوّ ـ وبـالحيـاة تمتّعي
وخـذي نصيبك من هنـائك، فـالهوى لا يستقـرّ مع الهنـا في مـوضع
شرط المحبّين الشقـاء، ومن خـلا، يـا نفس، منـه فإنّما هـو مـدّعي
فـدعي التصـابي لـلألى لم يحسبـوا خلقـوا لغير صبـابـة وتـولّع
وتيقّظي، يـا نفـس، سكـرى واغسلي درن الأنـام بطـاهـرات الأدمع
صونـي مواهبـك الثمينـة واحـرصـي أن تغـرسي الأوراد في مستنقـع
وعلى شعـاع العلم والأدب اسلكي نحـو الحقيقـة في طـريق مهيع.

خضر الطائي

شاعر سمّاه غازي عبد الحميد الكنين «الجنديّ المجهول في سماء الأدب العراقي الحديث». ولد خضر عباس الطائي في بغداد سنة ١٩١٠، وأصل أسرته من سنبس القبيلة الطائية النازلة في أراضي شهامك بقضاء مخمور بين الزابين. وقد أتمّ دراسته الابتدائية، ثم لازم الشيوخ قاسم القيسي وعبد الوهاب النائب ونجم الدين الواعظ وغيرهم ودرس عليهم علوم العربية والدين. وانتمى الى جامعة آل البيت (١٩٢٦) فتخرّج فيها سنة ١٩٢٩ وعيّن مدرساً في البصرة. وعمل بعد ذلك في سلك التعليم في المدارس الابتدائية والثانوية في عنة وبغداد والحلة حتى اعتزل الخدمة في حزيران ١٩٦١

وقد أدركته الوفاةفي بغداد في ٢ تشرين الثاني ١٩٦٩

مؤلفاته وشعره:

كان الشاعر خضر الطائي هادئاً منزوياً لم يسع الى الشهرة حتى انطبق عليه قول عبد الله بن عمر العَرْجي (المتوفى في نحو سنة ٧٣٨م) الذي تولّى تحقيق ديوانه مع رشيد العبيدي:

أضاعوني، وأيّ فتى أضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغر

نظم الطائي الشعر يافعاً، واختلف الى مجلس جميل صدقي الزهاوي وندوات الأدب، واقتفى آثار أحمد شوقي في مسرحياته المنظومة. قال عبد القادر البرّاك (جريدة الجمهورية البغدادية، ٧/ ١١/ ١٩٦٩):

«ولقد كان اعتزاز الطائي بانتسابه لطيء مصدر إعجابه وتخليده للشاعر العربيّ الكبير حبيب بن أوس الطائي المعروف بأبي تمّام، فكان يترسّم خطاه في كل ما نظم من شعر في مناسبات عديدة. وبلغ من وفائه لهذا الشاعر أن تقصّى كل ما كتب عنه، فخرج على الناس بكتاب فنّد فيه الكثير من آراء الدكتورين طه حسين وعمر فرّوخ في هذا الشاعر، وقد أحسنت وزارة الثقافة في طبع هذا الكتاب.

«لقد نظم خضر الطائي قصائد رائعة في مناسبات وطنية وقومية ودينية عبّر فيها عما يدور في نفوس الأمة من الانفعالات والدوافع والآمال والمطامح في شعر محكّك أفقده التحكيك والمعاودة ما كان يجب أن يكون فيه من تدفق وانسياب، فهو من بقايا مدرسة العمود الشعري في مبانيه ومعانيه. وكان التزامه الجامد بآراء هذه المدرسة حائلاً دون تحليقه فيما نظم من مسرحيات شعرية استحق أن يكون لها رائداً للمسرحية الشعرية في العراق. ذلك أن مسرحية قيس لبنى وأهل الكهف الشعريّتين كانتا أسبق المسرحيات

الشعرية التي أنتجها الشعراء العراقيون بعد أن نالت مسرحيات أمير الشعر شوقي إعجاب كافة أدباء وشعراء العرب» .

حقق الطائي بالاشتراك مع رشيد العبيدي ديوان العرجي وطبعاه سنة ١٩٥٦ ، وألفّا معاً «دليل النحو الواضح» ، وهو كتاب مدرسي .

وللطائي عدا ذلك : مسرحية قيس لبنى (١٩٣٤) مسرحية أصحاب الكهف والرقيم (١٩٦١) أبو تمّام الطائي (١٩٦٦) ، الخ . ومن آثاره المخطوطة ديوان شعره ومسرحيته سيف بن ذي يزن ودراسة عن الحطيئة ونقد لديوان محمد بن عبد الملك الزيات وديوان الشيخ صالح التميمي .

قال في روعة الشعر:

ابتغِ النجم للخلود مكانا ... واجعل الفنّ سلّماً والبيانا
وتأمل زهر الطبيعة في ربوتها ... تلقَ روعة وافتتانا
كوّنته يد الربيع من الفنّ ... ومن سحره البديع فكانا
كلما طافت العيون عليه ... شاهدت فيه منظراً فتّانا
يتهادى على الزمان ويزهو ... في نواحي الحياة آناً فآنا
هبة من مواهب الله جاءت ... لتغذّي العقول والوجدانا
ملأت ساحة البسيطة تبراً ... ولجيناً ولؤلؤاً وجمانا
فربت مثل جنّة الخلد في الزهو ... وأحيت بروحها الأذهانا
نسج الفنّ جانبيها ووشّاها ... فرفّت خمائلاً وجنانا
طاف فيها براحتيه ابتداعاً ... فأقامت لشكره مهرجانا
فالتمس في نسيمها روعة الشعر ... وحسن الخيال والألحانا
وكن البلبل الذي إن تغنّى ... سحر الكون صوته والزمانا
وتلقّ المعانيَ الغرّ منها ... تلقَ أبكارهن فيها حسانا

وقال في التمثيل :

كلّلوا هامة الممثل غارا ... وانثروا في طريقه الأزهارا
وأقيموا من الفنون صروحاً ... خالدات تغالب الأقدارا
أظلم العيش في الحياة فلمّا ... سطع الفنّ في الحياة استنارا
وهدى القلب للجمال فغنّى ... بالقوافي وحرّك الأوتارا
نغمات تسري بهنّ الأماني ... صبوة وانبساطة وادّكارا
ما على القلب أن يخفّ بسحر ... يستخفّ العقول والأفكارا

حتى يقول :

ايـــه يـــا أيها الممثل هـــذا مسرح الـــدهـــر فـــارفع الأستـــارا
قم ومثـل فيـــه الحيـــاة كما تبـــدو بشتـى شـــــؤونها أطـــــوارا
قم ومثّل فيـــه الحيـــاة ابتســـامـــاً أو دمـــوعـــاً تسيلهـــا مـــدرارا
قـم ومثّل فيـــه الحيـــاة جـــلالاً قـم ومثّل فيـــه الحيـــاة صغـــارا
قـم ومثّـل فيـــــه الحيـــــاة نعيماً أو جحيماً تـــؤجّـج الأرض نـــارا
قم ومثّـل فيـــه الحيـــاة ومـــا فيهـــا لكـي ننظـــر الحيـــاة جهـــارا
قـم ومثّـل لنـــــا الحيـــــاة الى أن يســـــدل الموت دونها الأستـــــارا

وقال يرثي أباه :

عـــزاؤك ، يـــا قلبي ، وكيف عـــزائيـــا وقـــد غـــاب عني مـــوئلي ورجـــائيـــا
نقمت الـــرضـا عـن بهجـة العيش بعـــده فلم أُلْـفَ إلا عن دمـــوعـيَ راضيـــا؟
هـــل البرّ إلاّ أن أردّد ذكـــــــــره خـــواطـــر يتركن المنـــايـــا أمـــانيـــا؟
يحبّبـن للقلـب الحنين الى الـــــــرّدى حنينـــاً الى من بـــات في اللحـــد ثـــاويـــا
فـــديـت بنفسي نـــائماً في تـــرابـــه وقـد كـــان في المحراب يطـوي اللّيـاليـا
لـــه الله مجهـــوداً مـن السّقم مـــا رأى ســـوى الصبر ممّـــا قـــد ألمّ مـــداويـــا
شفتـــه من الـــداء المنيّـــة بعـــد مـــا تحدّى بـــه حكم القضـــاء النّطـــاسيـــا
سأبكيـــه لا أبقي من الـــدمع بعـــده لعينـيَ حتّى ألفـظ النفس بـــاقيـــا
بقيّـــــة مـن يحنـــــو عليّ فـــؤاده وأكـــرم من يهفـــو إليـــه فـــؤاديـــا
ثـــلاثين عـــامـــاً عشتهـنّ بظلّـــه فلم أرهـــا في العمـــر إلاّ ليـــاليـــا
ومن لـــذّة الـذكـــرى أردّد عهـدهـــا دقـــائق أحصي حسنهـــا وثـــوانيـــا .
أيـــا ســـاكنـــاً تحت التراب ، تحيّـــة تعـــوّدت فيهـــا أن تـــردّ جـــوابيـــا
ستبقى لك الـذكـرى وإن أبعـدت بنـــا وهيهـــات لا نـــرضى عليهـــا التّنـــاسيـــا

وقال من قصيدة نظمها في رثاء زعيم مصر سعد زغلول :

لا الحزن ينفعـــــــــه ولا الصبر شعب مضـى بسعـــوده الـــدهـــر
آمـــالـــــه أمست مضيّعـــة وطـــريق نيـل مـــرامـــه وعـــر
قـــد كـــان ينصره أخـــو ظفـــر واليـــــوم لا ظفـــــر ولا نصر

ليت الــــزمـــــان يـــدور منقلبـــــاً فيعـــــود مثل قـــــديمـــــه الأمـــــر
مـــــاذا على الأيـــــام لــــو تـــــركت سعــــــداً تنـــــال بـــــه المنى مصر؟
بــــــالأمس ضـــمّ اليـــــه نجـــــدتها واليــــــوم ضـــمّ عظـــــــامـــــه القبر

وقد سار في هذه القصيـدة على نهج جميل صدقي الزهاوي فوحّـد الوزن ونوّع الرويّ طلباً للتجديد.

***

نظم خضر الطـائي قصصاً من التاريـخ العربي كقصيدة «معن بـن زائدة الشيباني» التي يقول منها:

مـن كمعن في حلمـــــــه، من كمعـن في نـــداه، مـن مثلـــه في الطعـــان؟
عـــــربيّ كأنّ أخـــــلاقـــــه الغـــرّ نجــــــوم السماء في اللّمعـــــــان
قـــدّمتـــه خــلائف من بني الـــ (م) عبّـــــاس حتّى سما بـأعلى مكـــــان
وحبتـــه ولايـــة البصرة الفيحـــاء (م) لمّا رأتــــــه طـــــوع البنــــــان
فمشى العــــــدل والأمــــــان بها في ظلّـــــــه وازدهـت على البلـــــدان

***

مـــرّ يــومـــاً بـــه رجـــال أحــاطـــوا بفتـى مـن ســـــلائل الأعيـــــان
وضعـــوا القيـــد في يـــديـــه ورجليـــه (م) فـأمسى في ذلّـــــــة وهـــــوان
زعمـــــوا أنـــــه أديـن بــــذنـب فـــوشـــوا بــــالفتى الى السلطـــان
والـــوشـايـــات طـــرق كلّ كـــذوب عـــاجـــز أو ســـلاح كـلّ جبـــان

استنجد الفتى الأسير بمعن فأجاره وأمّنه. وسخط الخليفة حين بلغه الأمـر، فدعا معناً وأنّبه عل فعله وتحدّيه لأعوان السلطان، فاعتذر معن.

قــال: عفــواً، يـا سيّـدي، أنـا عبـد لم أكـن بـــــالمخـــــــالف الخوّان
إنّ عــذري، يـا سيّــدي، إن عـذري أن ألبـيّ نـــداء من قـــد رجـــاني
كيف ألـــوي عمّن ينـادي: أجـرني، وهـــو دون الـــرجـال طـــراً دعـــاني؟
عــــوّدتنـي على الجميل كما كـــانت (م) حماة الضعيـف مــن شيبـــــــان
إننـي ذلـك الحســـــــام، فصُلْ بي تــــــــرني ذائداً عن الأوطـــــان
كـم عـــــدوّ قتلتـــه بحســـامـي، كـم خصيم طعنتــــــه بسنـــــاني؟
أولم أستحـقّ في خـــــدمـــــاتي أن تـــراني أهـــلاً لفخـــر أتـــاني؟
يـــا كثير الهبـــات، هب لي فـــرداً واحـــــداً عـن جميع صرعـي طعـــاني

ورضي الخليفة عنه فقرّبه وأدنى مكانه وعفا عن جاره وأكرمه .

حسين علي الأعظمي

من رجال الأدب والفقه والقانون، ولد حسين علي الأعظمي بضاحية الأعظمية شماليّ بغداد سنة ١٩٠٧ ودرس في كلية الإمام الأعظم وجامعة آل البيت . وتخرّج سنة ١٩٢٨ فعيّن مدرساً في كلية الإمام الأعظم نفسها .

وانتمى الى كليّة الحقوق (١٩٣٢)، فلما تخرج فيها مارس المحاماة أمداً وجيزاً، ثم عيّن مدرساً معيداً في تلك الكلية (آذار ١٩٣٦) . وظل يدرس في كلية الحقوق ببغداد حتى أصبح أستاذاً (كانون الثاني ١٩٤٧) ورئيساً لقسم الشريعة وعميداً للكلية .

وقد توفي ببغداد في ٥ أيلول ١٩٥٥ وضع مصنّفات كثيرة في الحقوق، منها : علم الميراث (١٩٣٨) والوصايا (١٩٣٩) الوجيز في أصول الفقه وتاريخ التشريع (١٩٤٢) أحكام الزواج (١٩٤٦) أحكام الأوقاف (١٩٤٧) الأحوال الشخصية (١٩٤٧) أصول الفقه (١٩٤٨) الوصايا والمواريث (١٩٤٨) .

كان حسين علي الأعظمي شاعراً أديباً تفرقت قصائده في الصحف والمجلات . وقد نشر: أناشيد وأدبيات الفتاة (١٩٢٦) مع ابن سينا (١٩٥٢) .

أهدته صبيحة الشيخ داود مسبحة فقال فيها قصيدة، منها :

جاءت إليّ بسبحة من أدمع … أو سبحة من أكبد وقلوب
من جيد راهبة تسبّح ربّها … في الدير باسم مسيحها المحبوب
خلعت بها ثوب الذنوب بزحلة … وخلعتُ في بغداد ثوب ذنوبي
وعكفتُ في محراب قلبي خاشعاً … لأنال في محرابه مطلوبي
متعلقاً بالله جلّ جلاله … متشفّعاً بحبيبه وحبيبي
متوسلاً متأملاً متضرّعاً … متطلعاً في لوحه المكتوب
مترقّباً عند الغروب شروقه … لتدور بي شمس بدون غروب،
وتسير في بحر الوجود سفينتي … بشراع روحي أو بخار لهيبي
وتطوف حول حبيبها هيمانةً … بجماله من غير عين رقيب
فهو القريب لهائم في قربه … ولمن جفا ونأى فغير قريب
وهو المجيب لعاشقيه سُؤلهم … ولمن طغى في الأرض غير مجيب
الخ

محمّد هادي الدفتر

الشاعر الصحفي محمد هادي بن علي الدفتر. ولد بالبصرة سنة ١٩٠٤ ونشأ بها. وتعلّم في مدارسها. نزع منذ فجر صباه الى الأدب، فقرض الشعر وكتب المقالات وعمل في القضايا الوطنية.

وجاء الى بغداد فحرّر في صحفها. ، ثم أصدر جريدة «الدفتر» (١٩٤١) واشترك بعد ذلك في إصدار جريدة «النهار». ومضى في سنيه الأخيرة الى الكويت، فأدركه الحمام فيها في ٨ أيلول ١٩٦٦

عرف شاعراً أجاد في وصف الطبيعة ونظم ديوان شعر بعنوان «من وحي المصايف» (١٩٤٥). وألف أيضاً: نظرة اليقين (١٩٢٩) أمرؤ القيس وأشعاره، صفحة من رحلة الإمام الزنجاني وخطبه في الأقطار العربية والعواصم الإسلامية (في جزءين ١٩٤٧) الخ.

من شعره في قرية بنجوين:

قضى الله أن يرمي برحلي لقرية ... توهمتها خلداً فماثلها الخلد
بصوّرها فكري لعيني جنّة ... بها الحور والولدان والراح والشّهد

وقال في شلّال:

مررت بشلال فقلت بنعته ... وقد كان مرفضّ الأفاويق ينبع
تغذّيه أثداء الجبال بدَرّها ... وترفده الوديان فيها وتترع
فتحسبه، والماء ينساب جارياً، ... تعاريج برق في سحاب يلعلع
يلجلج ما بين الجلاميد هازجاً ... بلجّته والموج للموج يقرع
فتسمع منه تارة صرخاته ... وآونة جرس الغناء يرجّع
يمدّ به نهر تلاطم ماؤه ... وينصبّ في نهر به العين تولع
وقد ثجّ من بين الشمام عبابه ... فصبّ على نهر من البرق أسرع
وغيّب أعلاه عن العين بعده ... وأظهر أدناه لدى القرب منبع
جرى مثل فجر سال من جوف ليله ... على جدول كالصّبح بالماء يلمع
يمرّ به تيّاره متدفق ... على الصخر لا يعيا ولا يتكعكع

نعمان ماهر الكنعاني

الشاعر الضابط نعمان ماهر الكنعاني ينتمي الى أسرة حسينية، ولد في بلدة سامراء في نيسان ١٩١٧ وأتم دراسته الثانوية في بغداد، فالتحق بالكلية العسكرية وتخرج فيها

ملازماً ثانياً (١٩٣٩). وساهم في حرب فلسطين سنة ١٩٤٨

تدرّج في مراتب الجيش حتى أصبح مقدماً وأحيل على التقاعد في نيسان ١٩٥٧، ثم أعيد الى الخدمة بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ برتبة عقيد. وأخرج من الجيش ثانية في نيسان ١٩٥٩ بعد ثورة عبد الوهاب الشواف في الموصل، فلجأ الى سورية وانتقل منها الى القاهرة. وحكم عليه بالإعدام غياباً بتهمة التآمر على الجمهورية (أيار ١٩٦٠).

عاد الى بغداد بعد الإطاحة بحكم عبد الكريم قاسم، فعيّن مديراً عاماً بوزارة الثقافة والإرشاد (١٩٦٤) فوكيلاً لنفس الوزارة (١٩٦٧) حتى استقالته في ٢١ تموز ١٩٦٨ وقد انتخب نائباً للأمين العام لاتحاد الأدباء والكتاب العراقيين (للشؤون العامة) سنة ١٩٨٦

مال الى الشعر والأدب منذ صباه. وقال إنه تأثر أكثر ما تأثر بأبي تمام والبحتري والمتنبّي وأبي فراس الحمداني، ومن الشعراء المعاصرين أحمد الصافي النجفي ومحمد رضا الشبيبي. ولازم معروف الرصافي في أواخر أيامه فوضع عنه رسالة «الرصافي في أعوامه الأخيرة» (١٩٥٠) بالاشتراك مع سعيد البدري.

من مؤلفاته الأخرى: شعراء الواحدة (١٩٤٥) في يقظة الوجدان (١٩٤٣) شاعرية أبي فراس (١٩٤٧) الشعر في ركاب الحرب (١٩٤٩) المعازف (١٩٥٠) لهب في دجلة (١٩٦٠) ضوء على شمال العراق (١٩٦٥) من شعري (١٩٦٦) مختارات الكنعاني (١٩٦٦) مدخل في الاعلام (١٩٦٨) من القصص الانكليزي (١٩٥٤)، الخ.

من شعره:

أطياف

سكر الليل بالسّنى والعبير ... فاستثارت ذكراك همس الضمير
وأطلت من عهدنا حائرات ... ذكريات عصيّة التعبير
يا حبيبي، أراك في رافل البدر ... سنيّ فاتناً فيشرق نوري
ويضوع الشذا فأستاف نجواك ... عبيراً من أمسنا المهجور
فرّقتنا ما فرّقت أنجم الليل ... شؤونٌ وأوغلت في المسير
عاودتني من ذكرياتك أطياف ... فحنّ الظما لذاك النمير
وتمّنت، والشوق يهتف بالحبّ، ... ليالِيك في شذاها الغمير.
يا فؤادي، ولم تعد ذِكَرُ الماضي ... سوى آهة الحنان الكسير
هل أثار الليل المضمّخ شوقاً ... لليالي عهد الصبا المغرور

وشعره في الغالب عموديّ قوميّ النزعة، وله شعر غزلي جميل. وهو معارض للشعر الحرّ الجديد، وقد قال: «إن الاستهانة باللغة تعني فقدان الأداة، والجنوح نحوالطلسمة يعني الضياع، ورسم الصورة بغير ما تحتمله من الألوان نوع من العبث المرفوض. والتجديد والخلق صفة الأصالة الشعرية».

ناجى بغداد فقال:

بغداد، يا نجوى الخيال ... غنّتك أحلام الليالي
يا طلعة اللألاء مُشر ... قةً على أفق المعالي
يا كبرياء المجد يرفل ... بالفتوّة والصّيال
أقسمتُ بالعزمات ما ... ترتدّ في الشوط الطُّوال
بسماحة الكفّ الخصيب ... بنشوة العفّ المغالي
تدري الحضارة أنها ... بكِ قد علت عرش الجمال
وروت عن المنصور للأ ... جيال ملحمة الجلال.

رباب الكاظمي

الشاعرة رباب الكاظمي ابنة شاعر العرب عبد المحسن الكاظمي، ولدت في القاهرة في ٢٢ آب ١٩١٧ فكانت عزاء أبيها في كبره وسلوته في شقائه، قال فيها:

رباب لنفسي زهرة طاب غرسها ... فلا ذبلت نفسي ولا ذبل الزهر

وقال:

فداء رباب داء قلبي ومهجتي ... وإنّ شفاها، لو علمت، شفائي
رجوت بقاها في الأنام، وإنما ... بقاء رباب في الأنام بقائي

وقال:

إذا سألوني: من رباب؟ أجبتهم ... هي الروح والعقل المدبّر والشعر

إن شعر الكاظمي في ابنته رباب لا يضارعه سوى شعر فكتور هوغو الذي قال يذكر ابنته مخاطباً الله:

ألا ترى، يا مولاي، إنّ أبناءنا ضروريون لنا، فحينما نرى في حياتنا، ذات صباح، وسط المتاعب والرزايا والشقاء وفي الظلّ الذي تنشره علينا يد القدر،

حين نرى ظهور طفل، رأس عزيز مقدّس، مخلوق صغير بهيج، قد بلغ من الجمال أننا نتوهم حين يأتي أن باباً قد فتح من أبواب السَّماء. . ».

نشأت رباب الكاظمي في كنف أبيها ورتعت في بحبوحة أدبه وفضله. ولم تكد تبلغ العاشرة من عمرها الرطيب حتى فقدت أمّها، فذاقت مرارة اليتم. وكان أبوها يرعاها بحنانه ويعلّمها شدو الشعر، لكنه لم يلبث أن قضى نحبه وهي في الثامنة عشرة. وفي حزيران ١٩٣٥ دعيت الى بغداد لحضور حفلة تأبين أبيها، فزارت لأول مرة موطن آبائها واكتحلت عيناها بمرأى شطآن الرافدين ومنائر الأئمة الذهبية، وكانت موضع العطف والرعاية.

وعادت الى القاهرة فأكملت دراستها الثانوية في حزيران ١٩٣٧ وعقد قرانها سنة ١٩٣٦ على حكمت أحمد الجادرجي (المولود سنة ١٩١٢)، وكان موظفاً في المفوضية العراقية بمصر.

والتحقت بكلية طبّ الأسنان في القاهرة سنة ١٩٤٦، وواصلت دراستها في الاسكندرية وباريس، حيث انتقلت مع قرينها في وظائفه الدبلوماسية، وحصلت على إجازة طب الأسنان في العاصمة الفرنسية سنة ١٩٥٠ ثم نالت شهادة الاختصاص بأمراض أسنان الأطفال من جامعة جورج تاون في واشنطن عاصمة الولايات المتحدة (١٩٥٣).

وعادت أخيراً الى بغداد في آب ١٩٥٤ برفقة زوجها الذي أصبح مديراً عاماً للدائرة العربية في ديوان وزارة الخارجية. وعينت طبيبة أسنان في مستشفى الطلاب، ورفعت سنة ١٩٥٥ رئيسة لقسم طبابة الأسنان في صحة المعارف. ثم نقل قرينها مستشاراً للسفارة العراقية في تونس في تموز ١٩٥٦، فصحبته إليها. وعادت معه الى بغداد في شباط ١٩٦٢ عند نقله وزيراً مفوضاً في ديوان الوزارة وتعيينه على الأثر مفتشاً عاماً في السلك الخارجي.

وقد أحيل حكمت الجادرجي على التقاعد في تشرين الأول ١٩٦٢، وتوفي في لندن في تموز ١٩٧٠ وعيّنت الدكتورة رباب طبيبة للأسنان في مستشفى الطفل العربي ببغداد في تشرين الأول ١٩٦٤

شعرها:

نظمت رباب الكاظمي شعراً منذ صباها، ونشرت قصائدها في المجلات والجرائد المصرية والعراقية. وقد أثبتت نماذج طيبة منه في كتاب أدب المرأة العراقية لبدوي طبانة (١٩٤٨) وشاعرات العراق المعاصرات لسلمان هادي الطعمة (١٩٥٥). ووضع عبد الرحيم محمّد علي كتاباً فيها باسم «رباب الكاظمي: دراسة وشعر» (النجف ١٩٦٩).

إنّ شعر رباب صلة متأخرة لأدب عائشة تيمور (١٨٤٠ ـ ١٩٠٢) ووردة اليازجي

(١٨٣٨ ـ ١٩٢٤) وملك حفني ناصف (باحثة البادية ١٨٨٦ ـ ١٩١٨) وأخواتهن من الشاعرات القديمات اللواتي حملن لواء النهضة الأدبية النسائية قبل الحرب العظمى الأولى. ويكاد شعر الكاظمية يقتصر موضوعه على مطالب قومية ومصرية وشخصية مما عالجه والدها وشعراء عصره.

قالت عائشة تيمور:

بيـد العفـاف أصـون عـزّ حجـابي ... وبعصمتي أسمـو على أترابي
وبفكـرة وقّـادة وقـريحة ... نقّـادة قـد كُمِّلَتْ آدابي
مـا ضرّني أدبي وحسن تعلّمي ... إلا بكوني زهـرة الألبـاب.

وقالت رباب:

أنـا الـربـاب في الـورى ... لقـولِيَ انسجـام
جـواد فكـري مطلق ... ليس لـه لجام
قـريحتي سيّـالـة ... وفكـرتي سجـام..

وقالت أيضاً:

أنـا ربـاب الشـاطـرة ... الى الامـام سـائرة
بـالعلم أدرك المنى ... والجدّ والمثـابـرة
أجـدّ لا أخشى العثـار ... يـوم غيري العـاثـرة
أذود عن كـرامتي ... وعن بـلادي الطـاهـرة
مـن دونها لي أذن ... تصغي وعين سـاهـرة.
بغـداد لي إذ أنتمي ... مجدي ومصر القـاهـرة
إن نسبـوا أخـلاقنـا ... فهي الـريـاض الـزاهـرة
أو ذكـروا أنسـابنـا ... فهي الشمـوس السـافـرة
إذا مشينـا وقفت ... لعـزّنـا القيـاصرة
وإن بـدينـا سجـدت ... لنـورنـا الأكـاسرة.

وقالت باحثة البادية:

أعملتُ أقـلامي وحينـاً منطقي ... في النصح، والمأمـول لم يتحقّق
أيسـوؤكم أن تسمعـوا لبنـاتكم ... صـوتـاً يهزّ صـداه عطف المشرق؟
أيسرّكم أن تستمـرّ بنـاتكم ... رهن الإسـار ورهن جهل مطبق؟

وقالت الكاظمية:

يا أيّها النفر الألى ... فتنوا ببداعية الفتون
إنّي أسائلكم، ومن ... حولي البلاد لها أنين :
ما يصنع الجهّال إن ... جهل الهداة العالمون؟
أجهلتمُ آلامنا ... أم أنتُمُ لا تعبأون؟
هل أنتمُ في مأمن ... مما له تستهدفون
هلاّ أخذتم أهبة ... لمطامع المتأهّبين
إن بعتم استقلالكم ... يوماً فماذا تشترون؟

وقالت :

أدبي لدى الأيام جرمي ... وجريرتي في الدهر علمي
أظما ولا أحظى بغير ... موارد في الناس تظمي
أصغي الى زمني وطيب ... كلامه حَرَقات كلم
غودرت بين حقيقة ... حيرانة أمشي ووهمي
وبقيت ما بقيت يد ... بقيت بها آثار وشم
أغدو على حرّ الجوى ... وأروح في غيظي وكظمي
يهني المجاهد غنمه ... وغنيمتي في الجهد غَرمي
أكذا المصائر كلّها ... إمّا لغرم أو لغُنْم؟

ثم قالت :

أنا من أناس كلّهم ... بدر ولكن عند تمّ
كرموا ولمّا يلبسوا ... لعداتهم جلباب لؤم
لأبي وأمي أنتمي ... والأطيبان أبي وأمّي
أما أبي فلقد أبى ... عند القوافي غير حكمي
لم يألُ جهداً سعيه ... فمن المهّم الى الأهمّ
ويظلّ في حلّ الأخصّ ... من المشاكل والأعمّ
يبكي على أوطانه ... وينوح في نثر ونظم
في أضلع تذكو جوىً ... أو أدمع في الوجد سجم
يقضي الليالي حائراً ... ما بين إفلاس وسقم
يلقى حوادثها بخيل ... من عزائمه وجم
إن أثقل الخطب الملمّ ... يخفّ بالخطب الملمّ

وكـأنّـه في يـومـه ... في جنح ليـلٍ مـدلهمّ
فـإذا فـررت الى حمـاه ... فـررت مـن همي لهمّـي .

وربـاب الكاظمي بعـد ذلك شاعـرة وطنية مصريـة تعلقت بأهداب الـوفد وسعـد زغلول وزوجه أمّ المصريين وخليفته مصطفى النحاس وقالت فيهم خير شعرها وأصدقه عاطفة وحماسة ومودّة . قالت في ذكرى سعد :

مـا بـال لـون الشرق حـائل ... وجـوانب الـدنيـا زلازل؟
مـا للعيـون الـداميـات ... كـأنها ديـم هـواطـل؟
مـا للقلـوب كـأنها ، ... والـوجـد يـذكيهـا ، مشـاعل؟
مـا للكنـانـة والخطـوب ... طـوارق فيهـا نـوازل
مـا للقـوافـل ذاهبـات ... للبلى تلـو القـوافـل
لم أنـسَ يـوم البين إذ ... جـدّ النعـيّ فقلـت : هـازل
حتـى إذا الشـكّ انجلى ... أيقنـت أن الأمـر هـائل
وعلمـت مـن طـول النـوى ... أنّ المسـافـر غير قـافـل

ثم قالت :

لا قـرّب الله الألى ... هضمـوا الحقـوق بكلّ بـاطـل
وسطـوا على أوطـاننـا ... سطـو اللصـوص على المنـازل
إنّ المهـازل جمّة ... وحيـادهـم إحـدى المهـازل
خلـف الحيـاد تستّروا ... والقصـد لا يخفى لعـاقـل
ليـس الحيـاد كما ادّعـوا ... إنّ الحيـاد لـه دلائل
ودليلهـم فـرسـانهم ... في كـل ميـدان جـوائل
يـا أيّها الـرامي ، أرح ... رنّـت سهـامـك في المقـاتـل
واستبـق قـومـك للـزمـان ... فهـم حصـونك والمعـاقـل
وهـم وقـاك مـن البـلاء ... وهـم فـوارسك البـواسـل
النيـل يظمـأ أهلـه ... والعـابثـون بـه نـواهـل
غفـل الـزمـان فـأدركـوا ... حكماً ولكـن غير فـاصـل

وقالت :

يـا بني مصر ، رفعتـم شـأنها ... يـا بنـات النيل ، زنتـنّ العصـورا
هـذه الأهـرام ، فليفخـر بها ... كلّ مـن كـان على الـدهـر فخـورا

جـاهـدوا أو تـدركـوا غـايـاتكم | أو تـروا العـزّ الى النيل مشيرا
وسلـوهـم كيف كـانـوا ومتى | كـانـت الأعجـاز في النّـاس صـدورا
سجّلـوا المجـد وأشتـات العلى | كلمات طيّـبـات وسطـورا
كلمات نسّقـت أحـرفهـا | فتلـونـاهـا وروداً وزهـورا

ولقد ذهب بعض النقاد الى أن شعر رباب من نظم والدها أو من تنقيح قلمه، فقال كمال إبراهيم متحدثاً عن عبد المحسن الكاظمي أنه كان يتلو القصائد الطوال من شعر ابنته رباب وارتأى أن شعره والشعر الذي رواه لابنته كان نمطاً واحداً وروحاً واحدة ولغة واحدة لا تكاد تحّس بينهما اختلافاً. والمعتقد أن شعره ينسبه اليها، إذ كان ينشر باسمها القصائد الطويلة في الصحف المصرية، وهي لمّا تـزل في دور الطفولة. ودفع هذه الريبة نقّاد آخـرون، منهم عبد الرحيم محمـد علي مؤلف كتـاب «رباب الكاظمي» والـدكتور بدوي طبانة وغيرهما. وقـال الشاعر المصريّ صالح جودت: «تأثـرت بروح أبيها، لولا تلك الأنوثة الرقيقة التي تبدو في شعرها. ولكن ديباجتها العربية هي من النماذج العالية للشعراء لا للشاعرات فحسب. . .».

إنّ عصر الشاعرة رباب الكاظمي. قـد انتهى ليهلّ عصر أدبي نسائي جديد لمعت في سمائه نجوم نازك الملائكة وعاتكة وهبي الخزرجي وأميرة نور الدين داود وصواحبهنّ.

الدكتورة عاتكة وهبي الخزرجي

شاعرة الحزن والنجوى والتأمل والتقوى عـاتكة وهبي الخزرجي، ولدت في بغداد في ١٤ تشرين الثاني سنـة ١٩٢٦، وكان والدها وهبي الأمين الخزرجي ضـابطاً في الجيش التركي بـرتبة قـائممقام (عقيد) وأصبـح متصرفاً للموصـل سنة ١٩٢١ فمتصرفـاً للواء ديالي. وتوفي بعد ذلك وعمر ابنته لا يتجاوز ستة أشهر.

ذاقت عاتكـة مرارة اليتم طفلـة فنشأت ميّالـة إلى الشجو والأسى. وانتمت إلى دار المعلمين العـالية فتخـرّجت فيها سنـة ١٩٤٥ وعيّنت مـدرسة للغـة العربيـة في بعض مدارس البنـات الثانـوية. وأرسلت بعـد ذلك لإتمام دراستها في جـامعة السـوربون في باريس (١٩٥٠) فحصلت على شهـادة الدكتوراه في الآداب (١٩٥٦)، وكان مـوضوع أطروحتها العبّاس بن الأحنف الشـاعر الغزلّي الرقيق، وكانت عاتكـة قد حققت ديوانه ونشرته في القاهرة سنة ١٩٥٤

وعادت إلى بغداد فعيّنت مـدرسة بدار المعلمين العاليـة التي أصبحت فيها بعد كلية التربية، وواصلت الدكتـورة عاتكة التدريس في كلية الآداب بجامعـة بغداد. وسافرت إلى باريس في صيف سنة ١٩٧٠ للقيام ببحوث أدبية وعادت إلى بغداد بعد أمد قصير.

قال الدكتـور صفاء خلوصي في كلمته عن هـذه الشاعرة في مجلة الجمعيـة الأسيوية

الملكية الصادرة في لندن (١٩٥٠) ما ترجمته: «ان عاتكة بدأت حياتها فتاة حييّة لم تكن لتتغلب على خجلها الا حين كانت تلقي خطاباً أو تتلو بعض أشعارها. وكانت تضع الحجاب حتى في ساعات الدرس، لكنها سرعان ما تبدلت حالها ورأى العراق فيها امرأة حرة ثائرة».

نظمت عاتكة وهبي الشعر صبيّة، وكانت باكورة شعرها صرخة مدوّية تترجم عن اليتم والذّل والشقاء فقالت:

وألقت عليّ الأم نظرة أيّم — قرأت بها يتمي وتاريخ حرقتي
وكم كنت آسى إذ أشاهد طفلة — تصيح: أبي أذ يتبديها بطفلتي
فأسرع في ذلّ ويأس ولهفة — أسائل أمي إذ أغالب دمعتي:
حنانيك يا أمي، أمالي من أبٍ؟ — أمالي من كفّ تكفكف عبرتي؟

وشعرها قويّ رصين التزمت فيه الطريقة العمودية الأصيلة وغلب عليه الحزن والتفجّع والألم. ونزعت إلى التصوّف فنظمت في الزهد والعشق الإلهي قصائد من عيون الشعر. وقد أشبهت الشاعرة الصحابية عاتكة بنت زيد العدوية التي رثت قرينها عبد الله بن أبي بكر الصدّيق قائلة:

فآليتُ لا تنفكّ عيني حزينة — عليك ولا ينفك خدّي أغبرا

وأعادت على طريقة العصر سيرة رابعة العدوية الشاعرة الناسكة الصالحة التي سكرت بخمرة الهيام الالهية وزهدت في الحياة الدنيا وقالت: «اكتموا حسناتكم كما تكتمون سيّئاتكم».

نشرت عاتكة مسرحية شعرية بعنوان «مجنون ليلى» (١٩٦٣) ودواوين: أنفاس السّحر (١٩٦٣)أفواف الزهر (١٩٧٦) لألاء القمر (١٩٦٥).

ان شعر الخزرجية الحزين الرقيق ليشبه في أمواجه المتضارية ونغماته الساجية شعر مارسلين ديبورد فالمور Marceline Desbordes Valmore

(١٧٨٥ ـ ١٨٥٩) التي رتلّت أناشيد الأسى والحبّ الصوفي ولواعج النفس على قيثارة الشعر الفرنسي. ولدت هذه الشاعرة في أحضان أسرة مرفّهة، لكنّ الثورة الفرنسية التي نشبت، وهي طفلة، حملت إلى آلها البؤس والشقاء. وأرسلت الفتاة إلى جزيرة الغادلوب النائية في بحار أميركة الوسطى لاستيفاء إرث عائلي، بيد أنها عادت من رحلتها المضنية أشدّ فقراً. وتوفيّت والدتها، فقست عليها الحياة، وشرّدتها، وقسا عليها الحبّ فأورثها السقم والعناء. ثم لقيت شريك حياتها في بروكسيل، فكانت مثال الزوج الصالحة والأم الحنون، وهدهدت أطفالها وأطفال فرنسة عامة بألحان شجيّة تفيض رقّة وعذوبة. ان مارسلين ديبورد التي عرفت بشقيقة الشعراء الروحية قد بلغت ـ

كما قيل ـ قمّة الشعر الوجداني بـلا تكلفّ، وكانت وسيلتها نفسها المرسلة على سجيّتها وعواطفها المرهفة. وقد ودّعها الشاعر تيودور دي بانفيل قائلاً

«ايتها الميتّة العزيزة، التي جاعت روحها وظمأت إلى سماء اللازورد،

يا مارسلين، هل ترقدين في تربة التلّ الباردة؟

هل وجدت الهدوء أخيراً؟»

قرأت الشـاعرة الفرنسيـة قصيدة الشاعـر الفارسي عبـد الرحمن جامي الـذي سبقها بثلاثة قرون، تلك القصيـدة التي يتغزّل فيها بحبيبة مجهولة لم ترهـا عيناه واشتاقت إليها روحه عبر الأثير، فأجابته بقصيدة تقطر لوعة وتلهفاً وتشوقاً. قالت:

«حينما تتعذّر عليّ رؤياك، يرهقني الزمان وتثقل الساعة كاهلي بعبء أنوء بحمله.

وأشعر بقلبي يذوب وكأنه يـزمع مغادرة ضلوعي، وينحني رأسي، فأشقى وانخرط في البكاء.

وحين يهتف صـوتك المدوي في قرارة ذاكـرتي، أرتجف وأصغي بلا حـراك، ويمتلك الرجاء قيادي.

وكأنّ الله يمسّ قصبة واهية، وأنا بكل حواسّي أجيب قائلة: اللّهم، فليأت!!..»

وقالت عاتكة وهبي:

أهـــــواه، هــل يبغــي على	صــــدق المحبّـــة من شهــــود؟
إيماض ألحاظــي واطـــــــراقـي	وصمتــــــــــــــي أو جمودي
ووجيـب مـــــا بين الضلـــــوع	وحيرتي بين الشهــــــــــــود
مـــولاي، رفقـك قــد قســوت	ومــــا قســـوت على جليـــد
زحماك هـــــذي مهجـــــة	وأضـــــالـع لا من حـــديـــد
ولئـن غـــــدوت وبينـنــــا	بحـــر تـــرامـى إثـــر بيـــد
فــلأنــت أدنــى ـ رغــم ذاك ـ	إليّ مـن حبـل الـــــوريـــــد

وقالت:

كـن مـن تشــــاء فــــانني	لــك مــــــا حييـت ولا لغيرك
أحيــــــــا لعليّ أن أراك	وأجتلي لألاء فجـــــــــــــرك
يـــــا سيـــــدي، كيـف السبيـل	إلى سلــــــوّك أو لهجــــــرك؟
قلبــي بحبّـك مـــــــــؤمـن	وانـــــــــا بحبّـك لسـت أشرك

ووصفت حبيب الخيال فقالت:

فسمـــرتـــه من سهـــوم الـــرمـــال وطلعتـــــــه الفجـــــــر أو أنبـل
كـأن بعينيـــــــه سرّ النجـــــــوم إذا مــــــا دجى ليلهــــــا الأليـل
وفي قــــدّه من شمــــوخ السيـــوف معــــانٍ بها كلّ مــــا يـــــذهـل

انّ تأمّلات الشاعرة الخزرجية وشطحـاتها الصوفية فيها كثير من الألم والحبّ والنزوع وسائر ما يطفح به شعر مارسلين ديبورد من الاشواق الروحية. قالت الخزرجية:

بلـــوت مـن الأيـــام كـل عظيمـــة، وحسبـي أنّي قـــد ولـــدت بمأتـم!
وكـــانت أغـــاني المهـــد لي رنّـــة الأسى ووقـع نحيب قــــد بــــرى قلب أيّـم
ولقنـت في مهــــدي سجـل مـــآتمي وكم هـــالني فصل الشقـــاء المجسمّ

وردّت عليهـا الشـاعرة الفـرنسيـة من وراء حُجب السنين، بقصيـدتها «إلى اللـواتي ينتحبن»، قائلة:

«أنتن اللواتي يتعـذّبن، لقد اخترتكن لي أخوات، واليكن تتـوجه أحلامي السـاجية والحلاوة المرة لدموعي المغنّاة.

ففي هـذا الكتـاب روح تكمن أسيرة. افتحن واقـرأن، واحسبن الأيـام التي حملت لنفسي الألم.

ايتها الباكيات في هذا العالم الذي مررت به مجهولة، احلمن على هذا الرماد واغمسن فيه قيودكنّ.

أطلقن اصواتكن في الغناء، فألحان المرأة تشجي العذاب.

أحببن، فالبغض يؤلم أكثر من الحبّ.

وامددن أيديكن بالعطاء، فالصدقة تحيي الأمل،

فمن يستطيع العطاء لا يريد الموت! .»

والدكتـورة عاتكـة وهبي بعد ذلك شـاعرة قـومية تكنُّ الحبّ لأمتهـا وتعتزّ بقـومها فتقول:

علمّـــــوا الأيـــــام أنّــــا أمــــة تنقـل الخطـــــو على هـــــذي نبـي
تستمـــــد الـــــوحي من قـــــرآنــــه ســــوراً مكتــــوبــــة بـــالـــذهب
وتـــرى الموت لـــــذيــــذ المجتنى إن دعـــــا داعي القنــــا والقضُـب
وتخطّ العـــــزّ في تـــــاريخهــــا بـــــدمــــــاء الشهـــــداء النُجُبِ

وتتغنّى بحبّ وطنها فتقول:

قفي أنشـــديني من لحونك مـــا يصبي فأنـت ابنـــة الآلام والشعـــــر والحبّ
حنـانيك، يـا ورقـاء، كفّي عن البكـا وغنّي لحون البشر في غصنك الـــرطب
حنـانيك، مـا يشجيك إذ أنت حـرّة تطير بك الأنسـام في العـالم الـرحب؟
ألا ليت لي جُنحـــاً فـأهجـــر بقعـــة فشا اللـؤم فيهـا في الأقـارب والصّحب
وأصعب مــا يلقـى الفـؤاد إذا قضت صروف الهوى سلـــوان حبّ إلى حـبّ
وكيـف بقلب قـــد تملّكـــه الهوى فأضحـى ومــا يصغي للـــومٍ ولا عتب
هـــوى بقع فيهـــا رُفـــات أحبّتـي وفيهـــا أحبّ الـــذكـريـــات إلى قلبي
هـــوى بقع فيهـن مهـــدي ونشـأتي ومسرح جـــدّي في الشبيبــــة أو لعبي
هـــوى بقـع فيهن قلـت قصـــائداً أحبّ إلى روحي مـن البـارد العـذب.

وتحنّ إلى بلادها فتتذكر نخلها وشطآنها:

تبـاركتِ، يـــا نخلـة الشـاطئين، ويـــا آيــــة الأعصر الخاليــــه
نهلـت الخلـــود من الـــرافــــدين فبــــوركت مسقيـــة ســـاقيـــة
تــــرفين في أفقك الشــــاعـــريّ رفيف الـــزهـــور على الـــرابيـــة
وتضفين مـن لــــونك السنـــدسيّ شفـــوفـــاً مفـــوّفـــة الحاشيـــة
وتسقين مـــــن خمرك المشتهــــى حـــلالاً من الأكـــؤس الصـــافيـــة
وفي طلعـــك النّضر كـــم تنشريــن على الكـــون أنفـــاسك الـــزاكيـــة
وفي ظلّـك الـــرحب عنـــد الحرور وأكنـــافـــه العيشـــة الـــراضيـــة
تبـــاركت في أرضنـــا جنّـــة قطـــوف عنـــاقيـــدهـــا دانيـــة

وقالت من قصيدة لها تشكو الدهر:

ضللتُ، فهـل في غيهب العيش شمعـة وهـل في دجى الأيـــام لمح بـــريـق؟
أنحن بعصر النــور أم عصر ظلمـــة وظلم وإجـــرام وهـــدر حقـــوق؟
أدنيـاي هـذي خـدعـة إثـر خـدعـة يُضلّ فـــريقـــا مـن وراء فـــريق؟
أبحــــــر مـن الأسرار خضت غماره وحـــالي فيـــه اليـوم حـــال غـــريق
إلى أين، يـــا دنيـــاي، أسري وأنثني أمـــا مـــال نجم السّعـد نحـو شروق؟
ألا مـــا أغلّ الـدهــر، مـا أضيع المنى، ومـــا أخيب المسعى بجـــوف مضيق!
أكـاد من الأشجـان أخفـى عن الـورى وأشرق من فـــرط السّقـــام بـــريقي

من شعر عاتكة الصوفي الرقيق مقطوعة عنوانها «الطيف العاتب» قالت فيها:

الطيف يطـــرقني إذا جنّ الـــدجى — متحــــذراً من رقبـــة السمار
يختـــال في بـــرد الشبـــاب كـأنّـــه — غصن يميل بـــه النسيم السّـــاري
متـأزراً بــــالليـل، يسري ســـادراً — بكـــؤوس تيــه لا كـــؤوس عقـــار
والجيـــد تضنيـــه العقـــود فينثني، — والكـفّ يلـــويها رقيـق ســـوار
فتشعبـت سبـل الحديـث، ولا تسـل — عـن رقـــة في العتب والأعـــذار
وبلـــوعـــة مكتـــومـــة تصف الجوى — نـــاشـــدتـــه بترفّـع ووقـــار:
أتـــزورنـــا عنـــد الظـلام هنيهـــةً — وبـــذاك فقت كـــواكـب الأسحـــار؟
ويـــروعنـــا بـــالعتب، وهـــو جنـــايـــة — أخـــرى، وتـــرفـض أفصح الأعـــذار؟
أتجود بـــالطيـف الملمّ بنـــا دجى — وتـــريـــد زورتنـــا بـــرأد نهار؟
والليـل يكتم كـل سرّ ســـافـــر — والصبـح يفضـح كـلّ ذات ستـــار؟
فأجـــابني والسّخــر ملء جـــوابـــه: — إنّ الحيـــاة مطيّـــة الأقـــدار
ومضى وخلّفنـي أطـــارد في الـــدجى — قلبـــاً تشرّد في رحـــاب قفـــار

وقد حيّا الاديب الشاعر المصريّ محمّد عبد الغني حسن شاعرتنا الخزرجية فقال:

أيتهـــا الشـــاعـــرة الـــوفيـــة — في أمّـــة نبيلـــة سريـــة
عـــاشقـــة للمجـــد والحريـــة — ليـس عجيبـــاً هـــذه الحميـــة
والعـــزّة الغـــاليـــة الفتيّـــة — وهـــذه الخلائق الـــرضيـــة
فـأنـت في أشعـــارك الطليّـــة — وأنـت في ألحانـك السحـــريـــة

عـــاتكـــة، وأنت خـــزرجيـــة!

وقال أحمد حسن الزيات: «ان الينابيع الصافية الثرة التي ارتوى على فيضها واغتدى على جناها شعر الدكتورة عاتكة هي: الله والطبيعة والنفس. والينبوع القدسي هو أندى على كبـدهـا وأروى لشعـورهـا من الينبـوع النفسي والينبـوع الطبيعي لأنها حين تصف النفس أو تصـور الطبيعة يتمثل فيهـا بـديع السموات والأرض الـذي أحسن كل شيء خلقه ومنح كل جميل جماله.

«ان الشبابـة من قصب، ولكن اللحن من نار، فكلما نفخت فيهـا من روحها ذاب قلبها في حبّهـا، فتئن أو تحنّ أو تشكو أو ترجو أو تثـور بألفاظ منسّقة كالنغم، مـونقة كالزهر، منمقة كالوشي، تسري فيها المعاني الشاعرة سريان النشوة في الرحيق أو الفوحة في الطيب. فأسلـوبها نسق مطّرد من الفكـر والخيال والعـاطفة، يصقلـه طبع وذوق،

ويقوّمه درس واطلاع . »

تحدّثت عاتكة وهبي الخزرجي فقالت انها تستمد موارد أدبها من الشعر العربي الأصيل قديمه وحديثه، وان اساتذتها فيها كثر أولهم البحتري. وهي معجبة أشدّ الاعجاب بالشريف الرضيّ وأحمد شوقي. وقد مارست النقد الأدبي والقصة القصيرة. وعلى الرغم من اطلاعها الواسع على الآداب الغربية، لم تخرج على نظام القصيدة العربي القديم.

قال عنها خالد القشطيني إنها شاعرة محافظة فكراً واسلوباً، وقد التزمت بالأشكال الكلاسيكية للشعر العربي، ودعت إلى التمسّك بالقيم الإسلامية والتقاليد العربية. وقال: «ومما يذكر انها حين تمضي إلى القاهرة، وكثيراً ما تزورها، تقيم في دير وتمتنع عن النزول في محلّ أكثر ترفاً».

وقال انها بالرغم عن حبها العميق لبلادها وشعبها ودينها وثقافتها وتقاليدها لم تستطع عاتكة إلاّ أن تشعر بشعور الخيبة، شأن سائر المثقّفين المعاصرين للضعف والنقص اللذين يتسم بهما المجتمع الجديد. وقد عبرت عن هذا الشعور مراراً في قصائدها.

كمال عثمان

الشاعر الضابط كمال عثمان ولد في بغداد سنة ١٩٠٧ لأسرة كردية أربيلية الأصل. وقد انتمى إلى المدرسة العسكرية فتخرج فيها ملازماً ثانياً (١٩٢٧). وكان ضابطاً خيالاً، فدخل في دورة طيران لأجل الانتقال إلى القوة الجوية، لكن طيارته الصغيرة سقطت به وهو يقودها في أثناء التدريب، فأصيب بعطل في رجله وأحيل بعد ذلك على التقاعد برتبة مقدم سنة ١٩٤٧

له شعر رائق وخطّ جميل، (لا يزال حياً، ١٩٨٨)

لازم المقدم كمال عثمان الاب أنستاس ماري الكرملي سنوات طويلة ورثاه عند موته بقصيدة مطلعها:

شقّ «اللسان» عليك جيب بيانه ونعاك فانصدع العلى بكيانه
والرافدان توجّدا وتشاكيا هذا بحرقته وذا بحنانه.

كان قومياً في نزعته صوفياً في مشربه.

أخبرني كمال عثمان انه، عند تخرجّه من المدرسة العسكرية ضابطاً صغيراً، أرسل إلى

الموصل. وكان شهر رمضان فكلف بالإشراف على اطلاق مدفعي السحور والفطور.
سهر ليلتين أو ثلاثاً لإطلاق مدفع السحور في وقته المعين. وقال له العريف:

يا سيدي، لماذا ترهق نفسك بالسهر؟ ألا تعتمد عليّ، وقد خدمت في الجيش أعواماً، للقيام بهذه المهمة على وجهها الصحيح؟ واقتنع الملازم الشاب بكلامه، فأوصاه بالاهتمام وتدقيق الوقت ومضى إلى فراشه. وفيما هو مستغرق في نومه شعر بدوي المدفع فاستيقظ مذعوراً وفرك عينيه. ماذا؟ كانت الشمس ترسل أشعتها وقد طلع الصباح منذ ساعات. فاستدعى العريف وأنبّه وقال له: كيف تطلق المدفع في هذا الوقت؟ فأجابه: انني غفلت عن اطلاقه في وقت السحور، وخفت أن تبقى لدينا قذيفة زائدة فتداركت الأمر!

وهبّ أهل الموصل مستنكرين اطلاق المدفع في غير أوانه، فأحيل كمال على لجنة تأديبية قضت بتغريمه راتب عدة أيام والإيعاز بنقله إلى وظيفة أخرى.

أخبرني كمال عثمان ان اباه عثمان بك كان ضابطاً في الجيش التركي من أقران صبيح نشأت. ولما أنشئت الحكومة الوطنية في العراق عرضت عليه مناصب مختلفة، لكنه رفضها اعتقاداً منه بأن الأتراك سيعودون.

وقد أنفق كلّ ما يدّخره من مال وقاسى شظف العيش حتى قضى نحبه وهو لايزال يأمل عودة الحكم التركي.

وأخبرني كمال عثمان انه، حين تقدم لأداء الامتحان النهائي في المدرسة العسكرية تعطل فكره فجأة وصار يدرس يومه وليله فلا يعي شيئاً من درسه. ودلّه بعض أصحابه على شيخ ذي كرامات، فذهب إليه وحدثه بما كان من شأنه، فكتب له ورقة فيها اسم الله وقال له: اشتر كعكاً واغمس قطعة منه في الماء مع هذه الورقة وكله فينتعش فكرك. وفعل كما أوصاه الشيخ وأقبل على الدرس، فإذا به يفهم الموضوع بسهولة. وأدى الامتحان فكان النجاح حليفه.

فؤاد عبّاس

من رجال التربية والأدب، وهو محمد فؤاد بن عباس حبّابة بن محمد حسن ولد في دلتاوة التي تعرف الآن باسم الخالص سنة ١٩١١ ودرس في دار المعلمين الابتدائية في بغداد. وعيّن معلماً في بعض المدارس الابتدائية في تشرين الأول ١٩٣١ فتنقل في مدارس بغداد والبصرة والناصرية. ثم أوفد في بعثة حكومية لإكمال دراسته في الجامعة الأميركية في بيروت (١٩٣٣) فنال شهادة البكالوريوس في التربية سنة ١٩٣٨

عـاد الى بغداد فتنقل في الـوظائف التعليميـة مدرسـاً ومديـراً في المدارس المتوسطـة والثـانويـة حتى عيّن سنـة ١٩٦٠ مفتشاً للّغـة العـربية في وزارة المعـارف. وأحيل على التقاعـد سنة ١٩٧٣ وقـد نظم شعراً رقيقـاً منذ أيـام دراسته في بيروت، لكنـه اشتهر محدّثاً لبقاً في الإذاعة والتلفزيون وعرف بأدبه وسعة إطلاعه وحلو فكاهته. قال الدكتور صفاء خلوصي: «كـان فؤاد أميل الى الحديث والخطابة الارتجالية البليغة منـه الى الكتابة والتأليف. ولعلّ لسحـر صوته الـذي لا يمكن أن يدوّن على قـرطاس أثـراً في هذا المنحى الذي انتحاه».

توفي ببغداد في ١٠ أيار ١٩٧٦

من شعره: من قصيدة «رأس بيروت»:

تهادين مـن كل الجوانب كـــالقفـــر[1] على رأس بيروت الى ســـاحـل البحـــر
كـــواعب أتـــراب كـأنّ وجـــوههـــا يفيض بها مـــاء الملاحـــة والبشر.
خـــرجـن ليستروحن طيب نســـائم ويشخصن بـالأبصـــار في مسرح الفكـر
وفي جـــانـب منهن شيـدت مســاكن: قصـــور وأكـــواخ لمثـــرٍ وذي فقـــر
فثمّـــة قصر قـــائم شـــامخ الـــذرى وثمـــة كـــوخ جـــاثـم واطىء الجدر
وبـالقــرب منــه دوحـة قـام فـوقهـا حمام بـوكـر كم شجى النّـاس بـالهزر
وقـــد طـرزت أيـــدي الـربيع ونمّقت بســـاطـاً من الـريحان والعشب والـزهـر
وفي جـــانـب منهنّ بحـــر وشـــاطىء عليـه من العشـاق طير بـلا وكـر.

وله:

وفتـــاة لا أقصـــد الشمس، لا بـل فضلتهـــا بقـــامـــة وبجيـــد
أرأيـت الغـــزال يبـــدي نفـــوراً، أرأيـت انعطـــافـــة الأملـــود؟
مـــا ائتـلاق اليـاقـــوت من شفتيهـا، مـــا الثنـــايـــا بلـــؤلـــؤ منضـــود
تلك أحيـــاء، هـــذه جـــامـــدات، أفحـــيّ كميّـت ملحـــــــــود؟
لبست مثـل طهـــرهـــا حلّـــة بيضـــاء تـــــزري بنـــاصـع مـن جليـــد
وبـــدت والـــدلال يعبث فيهـــا كجنـــاح الملاك عنـــد الصعـــود
يثب النهـــد تحتهـــا، أسجين بـــاذل جهـــده لكسر القيـــود؟
أم كقلبـي لما دنـت وتـــدلّت بعـــد حـــرّ الجوى ومـــرّ الصـــدود.

(١) لم أعرف ماذا يقصد بـ القفر ولعله يريد قفير النحل أي خليته (وهي عامية).

ورثى جعفر الخليلي فؤاد عباس فقال :

نم ، يـــا فـــؤاد ، فقـــد والله عـــزّ على نفسي منـامـك ، لكن مـا الــذي بيـدي؟
إن ضـــاق صـدري ولم تسكـن لـواعجـه لأنّ كـلّ صـــــديـق راح لم يَعُــــــدِ

وقال الخليلي إن لفـؤاد عباس في مكتبـة تسجيلات الإذاعـة والتلفزيـون وفي أشرطة الأندية ما يؤلف خمسين مجلداً أو أكثر لو أردنا أن ننقله على الورق .

حسين مردان

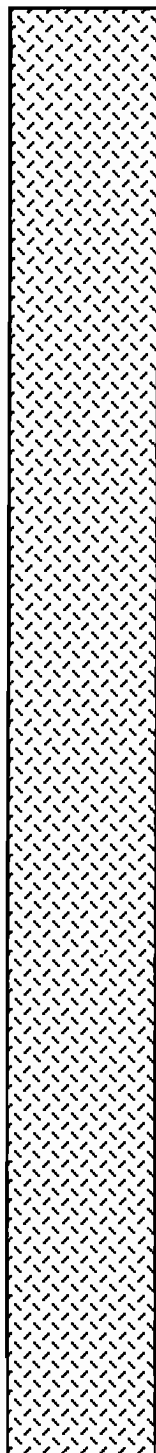
شاعر البـؤس والحرمان ورائد الأدب المكشوف ، ولد حسين مـردان في بعقوبا لأسرة كردية الأصل سنة ١٩٢٧ وانقطع عن الدراسة صبياً ، فجاء الى بغداد وعمل في حقل الصحافة سنة ١٩٤٧ طبع أول مجموعة شعرية له سنة ١٩٤٩ بعنوان «قصائد عارية» فجاءت تعبّر عن نفسـه القلقة المحـرومة التي تضطرم فيهـا الشهوة وتعتلج بـالعواطف الهائجة . وعقبهـا بمجموعات نرى فيهـا لفحات تذكـرنا بأزاهر الشرّ للشاعـر الفرنسي شارل بودلير. وقد حوكم حسين مردان سنـة ١٩٥٢ بسبب ما سمي بالبذاءة في قصائده العـارية كما حـوكم بـودلير في بـاريس في منتصف القرن التـاسع عشر بسبب أشعـاره المتحررة . وقضى شاعرنا أمداً في السجن ضريبة أدبية فرضت عليه .

عاش شاعرنا بائساً يتبلّغ براتب ضئيل يدرّه عليه عمله في الصحف مخبراً ومحرراً حتى أدركه الحمام في بغداد في تشرين الأول ١٩٧٢

قال الدكتـور داود سلّوم «إن مادة «قصائد عارية» و «اللحن الأسـود» . قد أثارت بعض النقاد من ذوي المقـاييس الخلقية وبعض المحافظين من رجال الـدين والحلقات الاجتماعيـة . وإن مقاسـاة حسين مردان في حقلـه ومقـاساة الآخـرين في حقول أخـرى مختلفة يظهر فيه تحديد الحرية في التفكير والتأليف للذين يريدون أن يقولوا ما يرغبون أو يعتقدون أنه الحقيقة» .

وقال الدكتور سلوم أن حسين مردان بالـرغم من جرأته في الموضوعات الشعرية التي عالجها لم يتحرر من الوزن القديم والقافية المتكررة إلا في مواضع قليلة .

مؤلفاته : قصـائد عارية (١٩٤٩) عزيزتي فلانـة (١٩٥٢) نشيد الأنشاد (١٩٥٥) هلاهل نحو الشمس (١٩٥٥) الربيع والجوع ، مقالات في النقد الأدبي (١٩٥٥) رسالة من شاعر الى رسّام (١٩٥٦) الأرجوجة هادئة الحبال ، طراز خاصّ ، العالم تنّور.



الموجة الحديثة
النثر - التأريخ
القصص

عبد المسيح وزير

عبد المسيح جبر وزير ولد في ماردين سنة ١٨٨٩ ، ودرس في مدارسها ، ثم تخرج في كلية عينتاب الأميركيـة وأتقن اللغتين العربية والانكليزية . وقد عمل مـدرساً في ماردين ولبنان ، وكان محرراً لمجلة مدرسة التهذيب في الشويفات (١٩١٣) ثم رحل الى مصر عند نشوب الحرب واشتغل مترجماً فيها .

وجاء الى العـراق فعيّن مترجماً في وزارة الدفاع (شباط ١٩٢١)، وسميّ مـديراً لقسم الترجمة بها في آب ١٩٣٣ وقـد خدم في هـذه المهمة أكثـر من ٢٢ عامـاً، ووضع آلاف المصطلحات العسكـرية بـاللغة العـربية ، وألف قـاموسـاً عسكريـاً باللغتين العـربية والانكليزية أصبح مرجعاً في بابه .

وتوفي ببغداد في ٢٠ أيلول ١٩٤٣

كـان عبد المسيح وزيـر أديباً عـربيـاً لطيف الأسلوب ألف روايـات ، مثل «الصنم المحطّم» ، وأنشأ بحـوثـاً ومقالات كثيرة . وتـرجم الى اللغـة العـربيـة طرفـاً من الشعـر الانكليزي والعالمي ، كـ «ريفيّات» فرجيل شاعـر اللاتين وأشعار طاغور، وكتاب عبد الرحمن الناصر (١٩٣٩)، وخواطر طاونزند أو محاربتي في العراق (١٩٢٣) .

ومن مترجماته أيضاً شريعة حمورابي ، وروايـة القيصرة في مقصورتها لوليم ليكيو نشرتها جريـدة العراق البغداديـة تباعـاً (١٩٢٣)، وكتاب الثورة العـربية من تـأليف ت . أ . لورنس (طبعت منه كرّاستان فقط) .

وكتب في مـوضـوعـات متنـوعـة بحـوثـاً نشرتها المجـلات والصحف العـراقيـة كمجلةالحرية ، منها مقالاته عن نظرية اينشتين والذرّة الخ .

وطبعت قصّتـاه «الصنم المحطّم» و «عجـوز تتصـابى» في مجلّـد صـدر سنـة ١٩٧٢ . ونقل مع مسـاعديه في وزارة الـدفاع عـدداً عديداً مـن الكتب الفنيّة ، ونهض بعبء سبك المصطلحات العربيةالتي تناظر المصطلحات الغربية في الفنون الحربية .

وكان في طليعة المترجمين الذين رافقوا فجر النهضة العراقية في المائة العشرين ، فأحيوا

في بغداد بعد ألف ونيّف من الأعوام عهد يوحنا بن ماسويه وحنين بن إسحٰق وأضرابهما من مترجمي عصر الرشيد والمأمون. و «صناعة المترجم» ليست بالهيّنة ولا اليسيرة»، وقد عرّفها وزير نفسه في محاضرة ألقاها في نادي القلم العراقي، قال: «فالترجمة والمترجمون كانوا ـ وما يزالون ـ عماد كل نهضة علمية ثقافية قائمة على ناموس تفشّي الثقافات باقتباس كل أمة ممّا عندها من عناصر العلم والفنّ والحكمة والأدب، فضلاً عن عناصر السلوك والعادات وغيرها...»

ثم قال: «وأقول في الترجمة: لا يعرف انسان حلو الترجمة ومرّها إلا من يعانيها، فهي صناعة وفنّ في غاية الدقّة. والمترجم كالشاعر والأديب والمصوّر والموسيقيّ والفيلسوف والرياضيّ والمهندس مخلوقة قابليته معه لا مختلقة، هذا فضلاً عما تقتضيه له صناعته من الاطلاع الواسع مع العلم الغزير بلغته واللغة التي ينقل منها أو إليها. والمترجم الحقيقي فيه ذوق الفنّان ودقة الرياضي واطلاع المؤلف. وليس كلّ من نقل نبذة أو كتاباً من لغة الى أخرى عدّ مترجماً، بل المترجم هو الراز الفرد والمهندس النابغة ـ راز اللغة التي ينقل اليها ومهندس صرح الأفكار التي يصبّها في قوالب الكلام. . .».

وقد كان عبد المسيح وزيرا معروفاً بالذهول وشرود الذهن. فمن النوادر التي تروى عنه في هذا السبيل أنه وقف صباح أحد أيام الجمعة على باب داره، وهو في مباذله، فرأى عربة تمرّ في الشارع، فما كان منه إلا أن استوقفها وركب مشيراً الى الحوذيّ بالذهاب الى وزارة الدفاع. ونظر الحوذي اليه ملياً، ثم قال ضاحكاً: «وماذا تفعل في وزارة الدفاع، يا أستاذ، واليوم جمعة، وأنت لم ترتدِ ملابسك؟ . .».

وانفضّ إجتماع نادي القلم ذات مساء، وكان يعقد في دار بعض أعضائه، فقام عبد المسيح وزير يهمّ بالخروج ورأى كتباً على الأريكة، فقال ضاحكاً: من نسي كتبه، يا سادة؟ وظهر بعد التحقيق أنها كتبه، ولم يفطن أنها له.

وروى خيري العمري أنه دخل ذات مرة الى وزارة الدفاع قاصداً مكتبه، لكنه دخل الى الغرفة المجاورة، وكانت غرفة مدير الأمور الطبية، فجلس الى المنضدة. واستغرب وجود الآلات الطبية والأدوية، فاستدعى الحاجب وصرخ في وجهه يسأله عن كتبه وقواميسه.

وليس من ريب أن عبد المسيح وزير لو أدرك عهد الكاتب الفرنسي لا برويير (١٦٤٥ ـ ١٦٩٦) صاحب كتاب «الطبائع» لسلكه في عداد أبطاله: فقد حدّثنا هذا الكاتب الشهير عن «مينالك» عنوان الذهول الذي يهبط سلالم داره ويفتح الباب ليخرج الى الشارع فيجد نفسه في ملابس النوم وقد حلق نصف لحيته فقط. ويبحث عن قفازه وهو يحمله في يده. ويدخل الى إحدى المقاصير فيتعلّق شعره المستعار بالثريا التي يمرّ تحتها، فيضحك مع الضاحكين ويبحث عن الرجل الذي يكشف عن صلعه ولا يفطن أنه هو نفسه ذلك الرجل، وهلم جراً.

***

دبّت المنافسة والتنابز بين عبد المسيح وزير والأب أنستاس ماري الكرملي، فكانت موضوع حديث المحافل الأدبية سنين طوالاً. وقال الأب إن عبد المسيح وزير لا يحسن الترجمة وهجاه هجاءً مقذعاً مراً حتى في بعض الفهارس السنوية لمجلة لغة العرب في عهدها الأخير. أما وزير فقد عرّض بالأب في محاضرة له ألقاها في نادي القلم العراقي فقال:

«وقبل سنوات نشرت مجلة في بغداد اشتهر صاحبها ومنشئها في العالم العربي بكونه علماً من أعلام اللغة العربية واشتقاق مفرداتها مقالاً طويلاً يبحث في ضرورة الألعاب الرياضية للأمة. وفي معرض البحث استشهد الكاتب بولع الانكليز بالرياضة البدنية، فقال إنّ شغف الأمة الانكليزية بالألعاب الرياضية حملها على تخصيص يوم جعلته عيداً قومياً سمّته «يوم الملاكمة». ونشر الكاتب الأصل الانكليزي مع هذه العبارة وهو Boxing day! ولكن المسكين فاته أن المراد بهذا اليوم ليس «يوم الملاكمة» بل «يوم الهدايا»، وهو عند الانكليز أوّل يوم في الأسبوع بعد عيد الميلاد يقدم فيه أصحاب البيوت الهدايا الى مستخدميهم وسعاة البريد وغيرهم. فنبّهت حينئذٍ صاحب تلك المجلة على غلطته الفاحشة، فأصلحها معتذراً في العدد التالي من مجلّته».

ذكر رفائيل بطي أن عبد المسيح وزير نشأ في جوّ مشبع بتعاليم الكتاب المقدّس فكان ذلك مردّ خلقه الوادع اللطيف. إلاّ أن إدمانه قراءة أصحاب العقول الثائرة والمتشككّة من الفلاسفة وسّع آفاق ذهنه وأنشأ في رأسه هذا الصراع المشبوب بين الشكّ واليقين.

ثم قال: «وقد غنمت الثقافة العسكرية العربية من مساعيه وكفايته وعلمه وانكبابه آناء الليل وأطراف النهار على التنقيب والتحقيق والبحث في المعاجم ودواوين اللغة والأسفار العربية والانكليزية هذا «المعجم العسكريّ» البكر في اللغتين. . » وقال عن أسلوبه الكتابيّ: «ونهجه أن يكون الأدب أرستقراطياً يصون فنونه عن الاسفاف والابتذال. . ». وقال: «أما طريقة عبد المسيح في الترجمة فدقة في النقل ومتابعة الأصل بما يقرب من الترجمة الحرفية، مع مراعاة الفروق في التعابير بين اللغتين وعناية بالغة بفصاحة المفردات و إفراغ العبارة في ديباجة مشرقة وتركيب محكم».

كان عبد المسيح وزير ينفق راتبه بسخاء وقد أثر عنه أنه لا يدّخر شيئاً من المال. وجرت المناقشة ذات يوم في نادي القلم بشأن بناء عمارة للنادي، فشكا الأعضاء أن الحكومة لا تمنح أية إعانة لهذا الغرض.

فقال عباس العزّاوي؛ أقترح أن نستلف المبلغ اللازم للبناء من عبد المسيح وزير.

فردّ عليه وزير قائلاً: إن جميع ثروتي تحت تصرّف النادي. وأضاف ضاحكاً: يحقّ لنادينا أن يعتزّ بكنزين: ثروة عبد المسيح وزير وجمال عباس العزاوي!

وقد سمّى عبد المسيح وزير ابنته إيَنس باسم قدّيسة إسبانيّة معروفة. وكانت تربطه صداقة وثيقة بمعروف الرصافي، فقال في الفتاة إينس أو ـ كما سمّاها ـ إيناس:

إخـــــــال بيتـي، لمّا جئتِ زائرةً، | كـأنّ وجهك فيـــــه نـــــور نبراس
كـم أوحشتني الليـــــالي في تصرّفهــــا | فـــزال إيحاشهـــا عنّي بـإينـــاس
أدامك الله، يـــا إينـــاس، تـذكـــرة | لـــوالـــد فـــات فضـــلاً كلّ مقيـــاس
قـــد كـــان يأســـو جـروحـــاً فيّ داميـــةً، | واليـــوم عنـــدي جـــروح مـــا لها آس

عرفت عبد المسيح وزير، وأنا في مطلع الشباب، وأفدت منه فوائد جمّة. وقد أطلعته على ترجمة لي عن الانكليزية، فنبّهني إلى أمـور تتعلق بصميم نقل أسماء الأعلام ومعاني الجمل الخاصة بكـل لغة. من ذلك أنني كتبت اسم حـاكم فلسطين الرومـاني في عهد السيّد المسيح «بـونطيوس بيلاطس» كما جـاء في اللغة الانكليزية، فقـال لي: اسمه في العربية: بيلاطس البُنْطي نسبةً الى بُنْط بالضمّ (أو بونط) وهو الجسر.

وحدث بعد عدة أعوام، قبيل وفاته، أنني وجدت منه شيئاً من الجفوة، فاستغربت الأمـر لأنني لم أعلم بصدور أي تفـريط في حقّه من جـانبي. ثم عرفت السبب: كـان مديـر الأنواء الجوية الانكليـزي قد رغب في ترجمة كتـاب في هذا الموضوع الى العـربية، فكلّم الأب أنستـاس ماري الكـرملي الذي قـال له: إنّ خير من يقـوم بهذه الترجمة مير بصري، أما عبد المسيح وزير فلا يفقه شيئاً لا من العربية ولا الانكليزية. وقد راجعني هـذا الانكليزي في غـرفة تجارة بغـداد، فاعتـذرت عن ترجمة الكتـاب لكثرة مشـاغلي، وقلت له: إن عبد المسيح وزيـر شيخ المترجمين، فإذا وافق على تولّي الترجمة فقد ربحتم ربحاً عظيماً.

وأفهمت عبـد المسيح وزير بما جـرى، فسرّ بها كان وعـادت صلاتنـا الى الصفاء لا يعروها كدر.

قال الدكتور طه حسين:

«. إن الناقل ملزم حينئـذٍ أن يكون من القدرة والكفايـة بحيث يستطيع أن يقوم مقام المؤلف الأول، فيشعر بقلبه ويحس بحسّه، ويرى الأشياء بتلك العين التي رأى بها المؤلف، ويصفها بهذا اللسان الـذي وصفها. فإنّ الترجمة في الفن والأدب ليست وضع لفظ عربي موضع لفظ أجنبي، إذ الألفاظ شديدة القصور عن وصف الشعور في اللغة الطبيعية، فكيف بها من لغة أخرى؟ إنما الترجمة الفنية والأدبية عبارة عن عملين مختلفين كـلاهما صعب عسير: الأول أن يشعـر المترجم بما شعـر به المؤلف وأن تـأخذ حـواسّـه

وملكاته من التأثر والانفعال نفس الصورة التي أخذتها حواسّ المؤلف وملكاته إن صحّ هذا التعبير. والثاني أن يحاول المترجم الإعراب عن هـذه الصورة والإفصاح عن دقائقها وخفاياها بأشدّ الألفاظ تمثيلاً لها وأوضحها دلالة عليها.

وخـلاصة القـول إن المترجم يجب أن يجتهد مـا استطاع، لا في أن ينقل إلينـا معنى الألفاظ التي خطتها يد المؤلف، بل في أن ينقـل إلينا نفس المؤلف جليّة واضحة، نتبيّن فيها من غير مشقة ولا عناء ما أثر فيها من ضروب الإحساس والشعور».

جواد الدجيلي

المحـامي الكاتب الأديب الشيخ جـواد بن حسين الـدجيلي، أخو الشـاعر كـاظم الدجيلي، ولد بجانب الكرخ من بغداد سنة ١٨٨٨ درس علوم العربية والفقه، حتى إذا مـا نشبت الحرب العظمى سنـة ١٩١٤، لجأ الى البصرة وعمل معلماً في مـدارس أبي الخصيب والناصرية. وعـاد الى بغداد فزاول التعليم حيناً في عهـد الاحتلال البريطاني. ثم سافـر الى الهند فتنقل في أنحائها زهـاء ثلاث سنوات، وكتب في أثنـاء ذلك مقالات عن شؤونها ومللها ونحلها في مجلة المقتطف المصرية (١٩٢٠). وذهب الى مصر فحضر الدروس في جامعتهـا، ثم عاد بعد سنة الى بغـداد ووظّف في وزارة العدلية. وانتمى الى مدرسة الحقوق سنة ١٩٢٤ وتخرّج فيها (١٩٢٧) ومارس المحاماة.

كتب مقالات كثيرة في الصحف العراقية في الأدب والاجتماع، أهمها سلسلة مقالاته في جـريدة «الاستقـلال» بعنوان «الانسـان همجيّ الطبع: لا تـوجد أخـلاق وإنما هي حاجات» (١٩٢٧).

وقد كان في مبدأ أمره متديّناً متـزمّتاً، ثم وقعت في يده مؤلفات الدكتور شبلي شميّل وفرح أنطون وغيرهما من رجال النهضة الحديثة في مصر ولبنان، فمال الى حرية الفكر.

أدركته الوفاة ببغداد في ٢١ آذار ١٩٥٩

كان غريب الأطوار، مسالماً صريحاً بعيداً عن المجاملة، متقشّفاً في معيشته، متهاوناً في شأن نفسـه، سمحاً حلو الفكـاهة يتقبّل دعـابة أصـدقائه القـاسية بـرحابـة صدر وسلامة طويّة. وكان الى ذلك دؤوباً على المطالعة، وقد اعتاد السير على قدميه ساعات طويلة كلّ يوم للرياضة والتفكير، ولم ينقطع عن تلك العادة الى سني شيخوخته.

رثاه أخوه الشيخ كاظم الدجيلي بقصيدة، قال منها:

قضـى نحبـــــاً وآل الى الخمـــــود	وســـــــــاوى الميّتين مـن الجدود
ونـــام بقبره نـــــومـــاً عميقـــاً	وأضحـى لا يفيق مـن الـــرقـــود
وشيّعنـــاه بـــــالعبرات حــــرّى	وقـــد تهمي الـــدمـــوع على فقيـــد

وعــدنـــا منــــه نـــذكـــره بخير وشرّ مـن قـــــريـب أو بعيـــــد
وكـــان أسير جيلـــــه في هــــواه وفي رأيٍ لعـــــالمه جـــــديـــــد
يــرى في جيلـــه مكـــراً وختـــلاً وبهتـــانـــاً ونقضـــاً للعهـــود
ودينـــاً ليس فيـــه ســـوى ريـــاءٍ وجهـل بـــالعبـــادة والحدود
يــرى بـــالموت للعـــاني نجـــاة إذا مـــا ظلّ يــرسف في القيـــود
كثير الظـنّ سيّئــــــــه يماري بما عنــــــد المقلّـــــد مـن جمود
قضـى الأيـــام في دنيـــاه يسعى لمعـــرفـــة الحقيقـــة في الـــوجـــود
وأسعـــــده التبتّل في حيـــــاة خلت منهـــا السّعـــادة للـــوحيـــد
ففـــارقهـــا ولم يحسـب حســـابـــاً لأخــــراه ولا يـــوم الـــوعيـــد
ولم يـأسف على الـــدنيـــا بشيء ولم يــــؤمن بفلسفـــة الخلـــود .

وهو رثاء أخ لأخيه نادر المثيل، خالٍ من العاطفة، فلسفيّ النزعة، واقعيّ السّمات.

روى جعفـر الخليلي في كتـابـه «هكـذا عـرفتهم» (الجزء الثـالث) عن الشيخ جـواد الدجيلي أنه كـان معروفاً برحابة الصـدر والسذاجة وحرية الفكـر، قليل الإيمان بالأديان وفلسفة الوجـود. واستغلّ زملاؤه المحامون وأصدقـاؤه المقرّبون طيبته وبساطتـه فراحوا يداعبـونه وينسبون إليه على سبيل الفكـاهة مالم يقلـه ولم يفعله. وزعموا أنه وقف يـوماً أمام المحكمـة يدافع عن متّهم بالقتل. وعـرضت البندقية التي أطلق منها الـرصاص، فقال الدجيلي: إن هذه البندقية التي يقدّمهـا الإدعاء العام أداة إثبات للجريمة ليست إلا حديدة لا ينطلق منها الرصاص.

وظلّ الدجيلي يؤكد ويكرّر البندقية عاطلة، فقرّر الحاكم تجربتها على الفور في ساحة المحكمة ووضع فيهـا الرصـاص، وضغط على الزنـاد، فانطلقت الـرصاصـة وأصابت السقف.

قال الحاكم: والآن ماذا تقول؟

فاعتذر الدجيلي وقال: كنت أحسب البندقية عاطلة!

هـذا وقد رأيت الشيخ جـواد الدجيلي في بعض الأمـاسي يسير متمهلاً في شـارع أبي نواس على شاطىء دجلة وهو يأكل خبـز شعير. فسلّمت عليه وقلت له مداعباً: كيف تأكل في الطـرق، أيّها الشيخ؟ إن شهادتك لن تقبل إذا رآك النـاس. فقال: أرجـو أن لاتقول لأحد. أرجوك. ثم شاهد كلبـاً يجري فناداه: يا أخي، يا أخي! وأعطاه كسرة من الخبز.

كان جواد الدجيلي حرّ الفكر كما تدل عليه كتاباته وأحاديثه. قال له عباس العزاوي ذات يوم:

إنك لا تدين بدين أو مذهب فلماذا تتمسك بطائفتك الشيعية وتتعصب لها؟

قال الدجيلي: إن المجتمع العراقي لم ينصهر في بوتقة وطنية ولا تزال طبقاته منتمية الى الأديان والمذاهب. فإذا تركت طائفتي نبذتني ولم تقبل بي الطوائف والمذاهب الأخرى، ففقدت قاعدتي الاجتماعية.

عبد الرزّاق الحصّان

الكاتب العربي القومي عبد الرزاق بن مجيد بن حميد الحصّان الكرخي، ولد في بغداد سنة ١٨٩٥، ودرس في المعاهد القديمة ثم أقبل يطالع أمّهات الكتب وينهل من موارد الثقافة العربية حتى أصاب حظاً وافراً من اللغة والتاريخ. ومارس تجارة الخيول في الهند، وهي - كما قال سليم طه التكريتي - حرفته التي اشتقّ منها لقبه، فتعلّم شيئاً من اللغة الانكليزية.

وأضاف التكريتي قائلاً: «ولقد دفعه حبّه لعروبته الى أن يساهم في الحركة العربية في مطلع القرن الحالي وأن يوثق علاقاته مع روّاد تلك الحركة سواء في الاستانة عاصمة الخلافة العثمانية أم في العراق».

مال الى الصحافة بعد الحرب العظمى وإقامة الحكم الوطني في العراق فكان من كتّاب المعارضة في جريدة الاستقلال. ثم رئس تحرير جريدة صدى العهد الصادرة في ٧ آب ١٩٣٠، ولم يلبث أن تخلّى عنها. وعمد الى إصدار كتب ورسائل شديدة اللهجة أثارت المشاعر فحوكم سنة ١٩٣٣ إثر صدور كتابه «العروبة في الميزان» وأودع السجن أشهراً.

وواصل إصدار كتبه ونشر مقالاته، داعياً الى التربية القومية والأخلاق الإسلامية، ومنادياً بالوحدة العربية، ضارباً الأمثال بخالد بن الوليد وسواه من أبطال العروبة والإسلام، مندّداً بالشعوبية التي تنتقص من مآثر العرب ومواهبهم، مستخرجاً من التاريخ العربيّ القديم نماذج للتنظيم العسكري والدعاية وبعث الروح الحربية وتوحيد الكلمة.

من مؤلفاته التي صدرت في تلك الحقبة: ما العلاج؟ (١٩٣١) العروبة في الميزان (١٩٣٣) نحن (١٩٣٥) بين الأمس والغد (١٩٣٥) عربيّ المستقبل (في ثلاثة أقسام، صدر القسم الثالث سنة ١٩٣٨)، ربيعة العراق (في قسمين ١٩٣٦ - ٣٩) نظرة عابرة

في شماليّ العراق (١٩٤٠) المهدي والمهدويّة (١٩٥٧) الخ. وحقّق كتاب «الحسبة» (١٩٤٦).

وقد عيّن بعد الحرب العالمية الثانية مديراً لمكتبة الأوقاف (١٩٤٨) فتولّى هذا العمل أعواماً الى صيف سنة ١٩٥٨، وهجر بغداد بعد ذلك فأقام في الزبير، ثم مضى الى الكويت حيث أدركه الحمام في أواخر نيسان ١٩٦٤

قال سليم طه التكريتي: «لقد أزاح الاستاذ الحصان عن تاريخنا العربي كلّ ما علق به من أدران، فأخرجه صافياً رائقاً يبهر الدنيا بعظمته ويثير الإعجاب بروائعه ويحظى من تقدير المنصفين من المؤرخين مالم ينله تاريخ آخر في الدنيا». ثم قال: «كانت عقيدة الحصان الراسخة وعفة نفسه ترفعه عن الدنيا والتزامه الصدق في القول والعمل من أسباب نكبته في رزقه. وكان إباؤه قد جعله يرتضي العيش الخشن ويعاني الحاجة والجوع دون أن يقبل منّة أو يسأل صديقاً».

أحمد عبد الغني الراوي

السيد أحمد بن عبد الغني بن محمّد بن حسين بن عبد اللطيف الراوي، ولد في عنة في حزيران ١٨٩٠، وكان والده مدرساً بها. وقدم الى بغداد فدرس في المدرسة الرشدية، ثم تركها وأخذ يدرس علوم العربية والدين، فتتلمذ على أخيه الشيخ محمد سعيد وعبد الوهاب النائب ومحمود شكري الألوسيّ وعباس حلمي القصاب ومحمد سعيد النقشبندي وغيرهم.

وعيّن سنة ١٩٠٩ مفتياً ومدرساً في قضاء الهندية، ونقل الى قضاء بدرة (١٩١٥) فظلّ يدرّس فيه الى احتلال بغداد سنة ١٩١٧ وأسند إليه بعد ذلك التدريس في جامع حسين باشا ودار المعلمين، ثم عهد اليه تدريس البلاغة في جامعة آل البيت (كانون الأول ١٩٢٤). ودرس الحقوق في هذه الأثناء فنال شهادتها سنة ١٩٢٥. وانتخب نائباً عن الحلة في أيار ١٩٢٨

وعيّن عضواً بمجلس التمييز الشرعي في تموز ١٩٣٦ ثم نقل قاضياً شرعياً في كركوك (آب ١٩٣٧)، لكنه استقال بعد أمد وجيز. وعيّن مدوناً قانونياً (أيار ١٩٤٦ ـ كانون الأول ١٩٤٧).

وقد توفي ببغداد في أول آذار ١٩٦٢ كان عالماً فاضلاً صلب الرأي شديداً في المساجلة والنقاش وكاتباً له مقالات كثيرة نشرت في الصحف.

ومن شعره، وقد ظهرت براءته مما نسب إليه من التخابر مع السيد طالب النقيب بغية إنشاء حكومة عربية في عهد الوالي سليمان نظيف بك:

أرقت وساورت قلبي همومي عشيّة قيل هيّا بالظّلوم
يقلّبني الأسى ظهرا لبطن كفعل السمّ في جسم السليم
فما عثرت على فكري هنات بها أدعى، وربّك، بالأثيم.

وقال في نفي يوسف السويدي من بغداد خلال الحرب العظمى:

نأيت عن المنازل والربوع وبنت فبان قلبي عن ضلوعي
منازل قد عهدت بها قديماً حبيباً لا يزال به ولوعي
لها أصبو إذا ما لاح برقاً، وكم أصبو الى البرق اللّموع
ذوى روض الشباب، وكان غضاً و وخط الشيب تخضبه دموعي.

وذكر عباس العزاوي أن الشيخ حسين بن عمر الراوي، وهو أخو الشيخ عثمان الجدّ الأعلى لأحمد الراوي، كان امام الجيش في عهد والي بغداد أحمد باشا سنة ١٧٢٤

إبراهيم الدروبي

ابراهيم بن عبد الغني الدروبي ولد ببغداد سنة ١٨٩٤، ودرس في معاهدها الدينية، وأتقن الخطّ فنسخ بيده مصنّفات عديدة. وظف كاتباً بالمحكمة الشرعية، وألف: الباز الأشهب الشيخ عبد القادر الكيلاني (١٩٥٥) البغداديون أخبارهم ومجالسهم (١٩٥٨).

توفي في مسقط رأسه في ٢ تشرين الثاني ١٩٥٩

كانت له صلة بآل الكيلاني نقباء الأشراف ووقوف على أخبار بغداد وأسرها وعلمائها ومعاهدها، كما كان ضليعاً بالعلوم الشرعية.

وقد ألّف كتاباً في «قضاة بغداد» (من أبي يوسف قاضي المهدي والهادي والرشيد الى محمّد نافع المصرف)، وآخر عن نقباء بغداد، ولم يطبعا.

قال عبّاس العزاوي: وخطّه تحفة نادرة. والدروبي خال الأديب الوزير مصطفى علي.

محمّد رؤوف الغلامي

من رجال التعليم والتأليف، ينتمي الى أسرة علمية معروفة في الموصل اشتهر منها الأديب الشاعر محمد بن مصطفى الغلامي صاحب «شمامة العنبر» (المتوفى سنة ١٧٧٢)، وعلي الغلامي مفتي الشافعية، وكان أحد المفاوضين الذين أوفدهم الوالي حسين باشا الجليلي سنة ١٧٤٣ الى نادر شاه لفك الحصار عن الموصل. ولد بالموصل سنة ١٨٩٠ تخرج محمد رؤوف الغلامي في دار المعلمين بمسقط رأسه سنة ١٩١٢

وزاول التعليم أعواماً طويلة. وواصل دراسته على علماء بلده، فنال الإجازة العلمية سنة ١٩٣٤

سعى في العهد التركي لنشر العلم في الموصل والدعوة للحركة العربية، وثابر على نشاطه الوطني خلال الحرب العظمى الأولى وابّان الاحتلال البريطاني وكان معتمد حزب العهد السري سنة ١٩٢٠ في الموصل. وشارك في تأسيس مدرسة دار النجاح والنادي الأدبي في سنة ١٩٢١ ــ ٢٥ وأصدر جريدة صدى الأحرار في الموصل (١٩٤٩) فواصل نشرها حتى سنة ١٩٥٤

وقد توفي سنة ١٩٦٨

ألف: العلم السامي في ترجمة الشيخ محمد الغلامي (١٩٤٢) التحفة البهيّة (١٩٤٤) المردّد من الأمثال العامية الموصلية (١٩٦٤).

ومن الكتب التي حقّقها ونشرها: الجمان المفنّد (١٩٤٠) وتخميس همزية البوصيري (١٩٤٠)، وكلاهما للشيخ محمد الغلامي، المعتقد الإيماني لأبي البقاءالأحمدي (١٩٦٢) أصحاب بدر للشيخ حسين الغلامي (١٩٦٦) الخ.

* * *

أخوه عبد المنعم الغلامي ولد في الموصل سنة ١٨٩٩ وتوفي عام ١٩٦٧ كان مدرّساً وألف كتباً كثيرة منها: السوانح (١٩٣٢) خروج العرب من الأندلس (١٩٤٠) مآثر العرب والإسلام في القرون الوسطى (١٩٤٠) بقايا فرق الباطنية في لواء الموصل (١٩٥٠) الضحايا الثلاث (١٩٥٥) أسرار الكفاح الوطني في الموصل ١٩٦٢) جغرافية جزيرة العرب (١٩٦٢) الأنساب والأسر (١٩٦٥) ثورتنا في شمال العراق (١٩٦٦).

محمد صالح السّهروردي

من رجال الدين وأصحاب البحوث التاريخية محمد صالح بن محمد سليم بن عبد الرحمن السهروردي، وأسرته عباسية النسب سهروردية الطريقة أنجبت علماء دين وكان جدّها الشيخ محيي الدين قاضي تكريت والدور وسامراء.

ولد محمد صالح ببغداد سنة ١٨٩١ ودرس على عبد الوهاب النائب وقاسم القيسي وأسعد الدوري وغيرهم من مشايخ العصر وعيّن مدرساً في المدرسة الطبقجلية في محلة العاقولية من بغداد. وقد تولى تدريس اللغة العربية في مدرسة الأليانس سنة ١٩٢٣ وأصدر في ٢٩ تموز ١٩٢٤ جريدة «الضاد» الاسبوعية فظهرت أمداً. وانخرط في سلك موظفي دائرة الأوقاف في تشرين الأول ١٩٢٥ فكان مفتشاً للمساجد ومديراً لأوقاف الحلة الخ. وعيّن مفتشاً للمعابد والمعاهد الدينية (ايلول ١٩٤٧) ونقل في حزيران ١٩٤٩ مديراً لأوقاف ديالى. واعتزل العمل بعد ذلك وتوفي ببغداد في كانون الثاني سنة ١٩٥٧

وقد نشر بحوثاً تاريخية كثيرة في الصحف والمجلات، وألف: الأجوبة السهروردية (١٩٢٧) لبّ الألباب (في جزءين ١٩٣٣).

وعرف أخوه المقدم محيي الدين بن محمد سليم السهروردي ضابطاً ونائباً ولد ببغداد سنة ١٨٧٩ وتخرج ملازماً ثانياً في المدرسة الحربية بالاستانة (١٩٠٤)، وخدم في الجيش التركي في العراق ونجد وحارب في اثناء الحرب العظمى في ساحة الفلوجة والرمادي. إشترك في الحركة الوطنية سنة ١٩١٩ ـ ٢٠ واعتقل أمداً يسيراً. ثم ألحق بالجيش العراقي أوّل تأسيسه، وعيّن مديراً لشرطة لواء ديالى (نيسان ١٩٢٢) وعاد إلى خدمة الجيش ضابط ركن في الناصرية وآمراً للانضباط العسكري، وأحيل على التقاعد سنة ١٩٣١ وانتخب نائباً عن بغداد في ايار ١٩٣١ إلى ١٩٣٢، ثم نائباً عن لواء ديالى (١٩٣٩ ـ ٤٣). وكان مديراً مسؤولاً لجريدة الطريق سنة ١٩٣٣

عمّر محيي الدين السهروردي طويلاً فتوفّي ببغداد في ٨ تشرين الثاني ١٩٧٠

ابراهيم الواعظ

ينتمي إلى أسرة دينية حسينية النسب تعرف بآل الأدهمي، واشتهر جده محمد أمين (١٨٠٨ ـ ١٨٥٧) ابن محمد بن جعفر بن حسين بن محمود الأدهمي بالواعظ.

وكان والد ابراهيم: مصطفى نور الدين (١٨٤٧ ــ ١٩١٣) من رجال الدين المعروفين في عصره، تقلد رئاسة محكمة الجزاء في البصرة (١٨٨٠ ـ ٨٢)، ثم كان مفتياً للحلة من ايلول ١٨٨٣ إلى تشرين الثاني ١٩٠٨ حين انتخب نائباً عن الحلة في مجلس المبعوثين العثماني (١٩٠٨ ـ ١٢). وقد توفي في ٣ حزيران ١٩١٣

ولد ابراهيم أدهم بن مصطفى نور الدين الواعظ في الحلة في ١٩ كانون الثاني ١٨٩٣، ودرس في المدارس الدينية والرسمية. ورافق والده إلى استانبول (١٩٠٨) ثم عاد إلى بغداد سنة ١٩١٢ وانتمى إلى مدرسة الحقوق. ونشبت الحرب العظمى في أواخر سنة ١٩١٤ فأخذ جندياً كاتباً وعمل في ساحة الكوت، ثم انسحب مع الجيش التركي إلى الموصل عند احتلال بغداد ومكث فيها إلى الهدنة سنة ١٩١٨

تابع دراسة الحقوق بعد ايابه إلى بغداد، فتخرج فيه سنة ١٩٢١، ومارس المحاماة. وانتخب نائباً عن الحلة في تشرين الثاني ١٩٣٠، ثم ناب عن اللواء المذكور للمرة الثانية من كانون الأول ١٩٣٧ إلى شباط ١٩٣٩

وانخرط في سلك القضاء فعيّن رئيساً لمحكمة بداءة الموصل (ايلول ١٩٤٤) فرئيساً لمحكمة الاستئناف بها (حزيران ١٩٤٥). ونقل مدوناً قانونياً في ايلول ١٩٤٦، ثم أعيد رئيساً لمحكمة استئناف الموصل في كانون الاول ١٩٤٧ وعيّن مدوناً قانونياً في تشرين الثاني ١٩٥٠ وانتدب مديراً للادارة القانونية في جامعة الدول العربية بالقاهرة.

وعاد إلى بغداد في ايار ١٩٥٢ وتولى رئاسة التفتيش العدلي حتى اعتزل الخدمة في آخر حزيران ١٩٥٨ وقد توفي بعد أيام قلائل في بغداد في ٨ تموز ١٩٥٨

مؤلفاته وأدبه

لابراهيم الواعظ شعر كثير وخطب ومقالات. ومن مؤلفاته: خرّيجو مدرسة محمد (الجزء الأول، ١٩٣٧، الجزء لثاني ١٩٣٩) الروض الازهر في تراجم آل السيد جعفر (١٩٤٨) اسبوعياتي (١٩٥٠) الزّباء (مسرحية شعرية) فتح مصر (مسرحية) عبد الرحمن بن عوف، العباس بن الأحنف، ديوان شعر (مخطوط) المعّري كما هو لا كما عرفه الناس، الخ.

من شعره:

أتحنو عليك قلوب الورى إذا حلّ رزء وخطب عرا
فكن يابس العود صلب القناة بعيد المنال شديد القرا
وكن رابط الجأش ثبت الجنان قويّ المراس متين العرى
ولا ترتجي من لئيم وفاء وكن كاسراً قبل أن تكسرا
ونفس الأباة تدكّ الجبال وشقّ على العاجز أن يفخرا

لعلّ شعر ابراهيم الواعظ ونثره يتسمان بالركاكة والخطأ اللغوي شأن الكثيرين ممن درسوا في المدارس الدينية القديمة، ولكن هذا النثر وذلك الشعر لا تعوزهما الأصالة والاخلاص. وقد كتب فصولاً في سيرة صحابة الرسول الكريم ضرب فيها مثلاً أعلى لأسمى صفات البطولة والتضحية والمودّة والكرم والعدالة والجرأة والدهاء، وهي في حماستها وصدق عاطفتها تصحّ أن تكون دروساً للنشء الناهض. ولم يفته أن يصوّر الهزل والدعابة في موقعهما، كما فعل عند الكلام على نعيمان بن عمرو الذي كان نسيج وحده بين رجال الجدّ والديانة والحرب، حتى أضفى عنصراً من الفكاهة البريئة المحبّبة على ذلك العهد الصارم الشديد.

ومن شعره:

وطني، بكيت شجى عليك، ولم أزل أبكيك من نفسي ومن أعلاقي
وطني، فذا قلبي يذوب وأدمعي تجري بحرقتها من الآماق.
انّي إلى مصر العزيزة شيّق فابعث لها ولنيلها أشواقي
ولقد هويت الفضل في أرجائها حباً يفوق على هوى العشّاق
اني، وحقك، في الهوى متمصّر هل أنت مثلي في هواك عراقي؟

وله في ذكر الوثبة الوطنية سنة ١٩٤٨

هــذا العــراق، وهــذه وثبــاتــه، ودفــاعــه عن حقّــه وثبــاتــه
ان كنـت تجهل صبره ونضــالــه تـأتيك بــالخبر الصحيح رواتــه
فتيــانــه لا يصبرون على الأذى والضيم لا يحملنــه فتيــاتــه
يــا هــازلاً بــالشعب، لا تهزل فقــد أعطــاك درسـاً في الحيــاة أبــاتــه

وقال في وفاء الكلاب:

الكلـب أوفى من الإنســان في خلـق وهـــو الصّبــور على الآلام والمحن
والكلب يشكــر إذ أعطيتــه منحــاً وان منعـت فثنّـــاء على المنن
والكلـب يمنع مــولاه وسيّــده وذاك يعــدو على الأعــراض في السّكن

عرفت ابـراهيم الواعظ وصحبتـه أعواماً طـويلة، فوجـدت لديه، مجسّمـة إلى أبعد حدود التجسم، تلك الروح الغيورة الودودة التي تعتـزّ بالأدب وتحبّ الأدباء وتأخذ بيد الناشئين والمتأدبين. لقـد نشر كتاب «الـروض الازهر» وفاءً لأجـداداه وأسرته، ولا سيما لأبيـه وأخيـه إسماعيل، فجعل منه صـورة رائعـة للحيـاة الاجتماعية والأدبيـة في الأيـام السالفة. وانتخب عباس العزاوي عضواً مراسلاً بالمجمع العلمي العربي بدمشق، فلما رأى رجال الأدب والتاريخ متقاعسين عن الاحتفاء بـالرجل الذي سجّل عصور العراق وأحداثـه في سلسلة كتب تعجـز عن اخراجهـا المجامع بَلْـهَ الأفراد، نشط إلى تكـريمه باسم نقـابة المحامين. وأمضى في الموصل سنـوات، فأوجد ندوة أدبية وشعـرية وخلق حركـة جميلة بالرغم من ضحـل أدبها ودورانها في حلقةمفرغة. وكـان كثيراً ما يكتب إليّ ويكتب إلى غيري في بغـداد يسأل معـارضة «يـا ليل الصبّ» أو تشطير أبيـات أو نظم شعـر في موضـوع يقترحه، لتـلاوته في النـدوة العمـرية ووصل تيّـار الفكر بين الـزوراء والحدباء.

وسافر إلى القاهـرة للعمل في ادارة الجامعة العربية، فاتصل بـالشعراء والادباء وكان همزة الوصل بينهم وبين زملائهم في العراق. ثم اشترى عشرات النسخ من ديوان محمد الأسمـر وغيره، فأهـداهــا إلى أصـدقـائه في بغـداد ودعـاهم إلى مــراسلـة أصحـابـه المصرّيين.

أما تشجيعه للناشئة وشداة الأدب فـالكثير من الشباب يذكرون يده البيضاء عليهم ويحمدون لـه وساطته لتوظيفهم وتـرفيعهم أو طبع آثارهم أو ارسالهم في بعثـة دراسية. وكان مجلسـه في داره ومكتبه على السّواء منتـدى ترى فيـه رجال الأدب والفضل وتسمع أحاديث الشعـر المحبّبة إلى النفوس. لقد كـان فوّار الحماسة، دائم الابتسامـة، شديد الاخلاص، فمهما تأزمـت الأمور وتعقدت، كنت مـوقناً أن تحظى لـديه بما تـريده من بشاشة ومشورة ومعونة وتفهّم.

كان المرض يترصّده ويتربّص به الدوائر، فلم يكد يعتزل العمل الحكومي ويتطلع إلى حياة الدعة والهدوء، حتى اغتاله الموت بلا مهلة ولا انذار، وطوى سيرته خبراً من الأخبار. وماذا أقول فيه الا أن أردّد أبيات عبدة بن الطبيب التميمي :

عليك سلام الله، قيس بن عاصمٍ، ... ورحمته ما شاء أن يترحّما
تحيّة من غادرته غرض الرّدى ... إذا زار عن شحطٍ بلادك سلّما
فما كان قيس هلكُه هُلك واحد ... ولكنّه بُنيان قومٍ تهدما

وقد رثاه خاشع الراوي، قال :

أفراق إلى أمد ... أم رحيل إلى الأبد؟
أفل الكوكب الذي ... شعّ بالأمس واتقّد
وخبا ذلك السّنا ... والمنى أصبحت بدد

محمد سعيد الجليلي

ينتمي إلى الأسرة الجليلية المعروفة وهو محمد سعيد بن حسين آغا آل عبيد آغا الجليلي، ولد بالموصل سنة ١٨٩٦، ودرس في معاهدها وشغل وظائف حكومية مختلفة، وكان كاتباً في مجلس النواب. وقد برز بين كتّاب الشباب بعد الحرب العظمى الاولى، ووضع كتباً منها : الأناشيد الموصلية للمدارس العربية (١٩١٤) كيف نجد السعادة (١٩٢٤)كيف يرقى العراق (١٩٢٤) خواطر ويوميات في مشاريع مجلس الاعمار (١٩٥٤) من صميم الواقع (١٩٥٦).

أدركته الوفاة سنة ١٩٦٣

محمد بهجت الأثري

الأديب العالم الشاعرمحمد بهجت الأثري، وهو ابن التاجر محمود بن عبد القادر بن أحمد بن محمود، وأصل أسرته من عرب ديار بكر، هاجر جدّه الثاني أحمد إلى أربيل ثم استوطن ببغداد وزاول التجارة فيها.

ولد في بغداد في تشرين الأول سنة ١٩٠٢، ودرس في المدارس الرسمية ومدرسة الأليانس الأهلية، ثم عيّن كاتباً في ديوان محكمة الاستئناف وهو دون سنّ التوظيف. ومال إلى دراسة الثقافة الإسلامية والادب العربي فلازم علي علاء الدين الألوسي ومحمود

شكري الألوسي وتخرج عليهما في علوم اللغة والتاريخ والتفسير والحديث والأصول والمنطق والحكمة الأهلية.

بدأ بالكتابة في الصحف البغدادية ثم تولى تحرير مجلة «البدائع» الاسبوعية سنة ١٩٢٥، وعين في الوقت نفسه مدرساً في مدرسة التفيّض الأهلية. وانتدب في السنة التالية مدرساً في المدرسة الثانوية المركزية ببغداد فثابر على التدريس فيها عشر سنين. وقام بسياحة في البلاد العربية وتركية واليونان سنة ١٩٢٨, ثم عاد وساهم في تأسيس جمعية الشبان المسلمين وتولى بعد ذلك رئاسة تحرير مجلتها «العالم الإسلامي».

وانتخب عضواً في المجمع العلمي العربي بدمشق سنة ١٩٣١ واشترك في المؤتمر الإسلامي العام المعقود في القدس الشريف في كانون الاول ١٩٣١، فألقى في حفلة الافتتاح قصيدة مطلعها:

لمن الوفود تفيض فيض الوادي ملء الحمى منها وغصّ النادي
ألقت بثالثة العواصم رحلها لجلاد غائرة ورمّ فساد

وعيّن في تموز ١٩٣٦ مديراً لأوقاف بغداد فمفتشاً في وزارة المعارف (١٩٣٧) إلى تشرين الأول ١٩٤١ حين فصل من وظيفته واعتقل في الفاو والعمارة وسامراء ولم يطلق سراحه إلا في آب ١٩٤٤ وقد أعيد تعيينه مفتشاً بوزارة المعارف (نيسان ١٩٤٨)، ثم أصبح استاذاً في دار المعلمين العالية (تشرين الأول ١٩٥٦) فمديراً عاماً للاوقاف من تموز ١٩٥٨ إلى شباط ١٩٦٣

وانتخب عضواً في لجنة الترجمة والتأليف والنشر العراقية سنة ١٩٤٧، فعضواً في المجمع العلمي العراقي عند تأسيسه (كانون الثاني ١٩٤٨). وانتخب نائباً ثانياً لرئيس المجمع (نيسان ١٩٤٩)، فنائباً أول للرئيس (تشرين الأول ١٩٥٣) إلى حلّ المجمع في حزيران ١٩٦٣. واختاره مجمع اللغة العربية بالقاهرة عضواً مراسلاً له (ايار ١٩٤٨) فعضواً عاملاً في آذار ١٩٦١

مؤلفاته:

لمحمد بهجت الأثري مؤلفات عديدة منها: أعلام العراق (١٩٢٧) المجمل في تاريخ الأدب العربي (١٩٢٩) تهذيب تاريخ مساجد بغداد (١٩٢٧) المدخل في تاريخ الأدب العربي (١٩٣١) مجموعة رسائل عبد المحسن الكاظمي (١٩٤٦) وضّاح مأساة الشاعر متبادلة مع أحمد حسن الزيّات، ١٩٣٥) الاتجاهات الحديثة في الإسلام (١٩٥١). وله مقالات وبحوث عديدة نشرت في مجلة المجمع العلمي العراقي وسائر المجلات والصحف العربية.

وله: محمود شكري الألوسي وآراؤه اللغوية (١٩٥٨)، وهي محاضرات ألقيت في معهد الدراسات العربية العليا بالقاهرة، الآلة والأداة (١٩٦٢) ملامح وأزهار (شعر، ١٩٧٤).

نشر وحقق معظم مؤلفات شكري الألوسي ووقف على طبعها، منها: كتاب بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب (١٩٢٤) تاريخ نجد (١٩٢٥) الضرائر وما يسوغ للشاعر دون الناثر (١٩٢٣) عقوبات العرب في الجاهلية، رسالة المسواك.

وحقق كتباً كثيرة من التراث العربي، منها: مناقب بغداد لابن الجوزي (١٩٢٤) كتاب الكتّاب للصولي (١٩٢٣) ولوح الحفظ في حساب عقد الاصابع (لعبد القادر ابن شعبان)، وكتاب النغم لابن المنجم (١٩٥٠) وبعض أقسام خريدة القصر وجريدة العصر. واشترك في ترجمة كتاب الخطاط البغدادي ابن البوّاب (عن التركية) (١٩٥٨) كما اشترك في وضع كتب مدرسية منها: الأساس في تاريخ الأدب العربي (في جزءين)، ديوان الأدب (في ستة أجزاء)، المطالعة العربية (في ثلاثة أجزاء)، القراءة العربية (في أربعة أجزاء) الخ.

وله ديوان شعر طبع في القاهرة سنة ١٩٧٤، ومن مصنفاته المهيأة للطبع: شيخ الإسلام عارف حكمت، عماد الدين القرشي الاصبهاني الكاتب، شرح مقامات ابن ماري الطبيب المصري، أشهر مشاهير العراق، الردّ على الشعوبية ونقض كتاب المثالب لابن الكلبّي، ديوان ظلال الأيام، ديوان وراء الأسلاك الشائكة، الأدب المعاصر في العراق الخ.

شعره:

الأثري الشاعر ذو ديباجة مؤنقة جزل العبارة نقيّ الأسلوب، وقد نظم في المواضيع الوطنية والإسلامية والوجدانية.

قال يتلهف على وفاء الأصفياء:

صبوت، وهل في الناس مثلك من يصبو، … وهل منزل اللذات يعمره الحبّ؟
مضت بالذي تهوى المقادير فاختفى … فلا كرم يبدو لعين ولا صحب
وقد فاتك الحظ الذي أنت طامح … اليه، وأقصتك المودة والقرب
فواعجباً كيف السبيل إلى العلى … إذا كان حظّ الناصح المنع والحجبُ؟
وكيف يرجّى أن ينال مغامر … منىً عقدت بالنجم أوضاحها الشّهب
كأن مسير الحظ عكس مسيره … فوجهة ذا شرقٌ ووجهة ذا غرب

وقال يصف الطبيعة في الريف العراقي:

تملَّ من الحسن في الضاحية … وحيّ بها العيشة الهانية
متاع الحياة وريحانها … ومبدى مباهجها الزاهية
هدوء كما يبتغي المتعبون … سجو على اليقظة البادية

يـــد الله قـــد بـــاركت أرضهـــا ... ووشّت خمائلهـــا الحاليـــة
وألقـت من السحــــر في حسنهـــا ... أرقّ مـن السحـــــر في الجازيـــة
أصيـل الملامـح لا لـــــونـــــه ... الـــدهـــان ولا طيبـــه الغـــاليـــة
ولكنـــــه وشي خـــــلاقـــــه ... وروح ريـــاحينـــه الـــزاكيـــة

وقال في فيضان دجلة :

يـــا نـــوح، قـم دارت بنـــا الأزمـــان ... عبـــد الهوى وتجدّد الطـــوفـــان
قـــد غبت عنـــه فـأين منك سفينـــة ... يـــا نـــوح، يفـزع نحـوهـا الإنسـان؟
كـــانت مـــلاذ الـــلاجئين، ومـــالنـــا ... يـــا نـــوح، مـــا ينجـــو بـــه الحيران.
من عـــاصـم للخلق من متـــوعّـــد ... جـــاشت غـــواربـــه وهنّ رعـــان
البّر عـــاد بـــه عبـــابـــاً ثـــائراً ... كـــالشعب حـــرّق غيظـــه الطغيـــان
غطّـى الأديـم فليس إلا مـــــاؤه، ... أرأيت بحـــراً مـــا لـــه شطـــآن؟
فإذا سجـــا خـرق القلـــوب تفـزعـــاً ... وإذا تحرّك زاغـت الأذهــــــــان
غـــرثـــان وهـــو يكـــاد يبتلع الـــدّنى ... وكـأنها أمـــــواجـــــه الحيتـــان
هـــــو والسماء كـــــلاهما متغضّب ... متفجّـــــر وكـــــلاهما هتّـــان
بـــاتـــا على وعـــد، فليس بمنقضٍ ... يـــوم إذا مـــا لم يكـن حـــدثـــان
والنّـــوء يأتي بـــالصـــواعق منـــذراً ... ومن العـــواصف مـــارج ودخـــان
وكـأنها بغـــــداد في أثبـــاجـــه ... فلـك ولكن مـــا لـــه ربّـــان

ومن رقيق شعره في الفراشة :

أفـــراشـــة الـــروض المنّـــور، شـــاقني ... ثـــوب كنـــور الـــروض زانك منظـــرا
نفضت عليـــه الشمس مـــذهـب لـــونها ... ووشـى الـــــــربيع رداءه المتخيّرا
حســن يمـــوج على الفضـــاء منشّراً ... أنّـى يمـــور بـك الجنـــاح تموّرا
كأخي الصبـــابـــة، وهـــويتبـع قلبـــه، ... من بـــات رهـن غـــرامـــه أنّى جـــرى
مـــا أنتِ؟ هل طير يـــرفـــرف في السّنـــا، ... أم وردة سكـــــرى تـــــرفّ تفتّرا؟
أم من جنـــان الخلـــد روح نـــاسم ... شـــاقتـــه أطيـــاف الحبيب فأبكـــرا؟
روحي، كـــروحك، بـــالصبـــابـة هـــائم ... يصـل الأحبّـــة رائحـــاً ومبكّـــرا
ولهان يبعثـــه الهوى متـــذكـــراً ... أبـــداً، ويطلقـــه الخيـــال مشمّـــرا
يسري أرقّ مـن النسيم بسحـــــرة ... ويـــرفّ أنظـــر مـن نبـــاتٍ نـــوّرا
طـــربـــاً إلى وجـــه الحبيب، وانها ... يشتـــاق من صـــدق الصبـــابـــة مخبرا

وقال في رثاء سعد زغلول زعيم مصر المتوفى سنة ١٩٢٧

جـلّ الأســى فلكـلّ نفـس مجزع ... وكـأنما في كـل بيـت مصرع
شمل المصـاب فما القـريب بـداره ... أبكى من النـائي الـديـار وأجـزع
الأرض دانيهـا وقـاصي ربعهـا ... لبست ثيـاب مـآتم لا تخلع
فمن الليـالي الحالكـات سـوادهـا ... ومن الثكـالى الموجعـات الأدمع
ومن النـوادب شجـوهـا وأنينهـا ... ومن الصـوادي قلبهـا المتقطّع
مـا كـان سعـد غير سعـد بـلاده ... ورجـاء أمّتـه التي تتطلّع
أفيـوحش الأوطـان وهـو أنيسهـا ... ويضيّع الخلّان وهـو مجمّع؟
أسفي على سعـد، وكم من ميّت ... يمضي ولست لموتـه أتـوجّع
مـا إن رأيت كمثلـه من مخلص ... لبـلاده ومجاهـد لا يهجع
بطل لـه في كل يـوم حـادث ... يعلي إلى العليـاء مصر ويـرفع

ثم يقول:

يـا مصر، إنّك للعـروبـة مـوئل ... وعلى يـديك نجـاحنـا متـوقع
سيري على النهج القـويم وجـدّدي ... صرح العـروبـة إنـه متضعضع
وتجنّبي التقليـد في تشييـده ... انّ المقلّـد مفسـد لا يبـدع
من رام حكم الـذات وهـو مقلّـد ... للغـاصبين فـإنـه لمضيّع.
بـؤسـاً لأوطـان يسـود بها الألى ... أوطـانهم صـارت بهم تتهـوّع
انّ الـدخيل إذا أقـام ببلـدة ... ثـارت بها فتن وهبّت زعـزع
فتبصّري فـالشرق خلفك سـائر ... وإذا عثـرت فعـاثـر هـو أجمع

وقال محمد بهجت الأثري من قصيدة في رثاء إمام اللغة أحمد تيمور باشا:

يـا نـاعيـاً من مصر خير سراتها، ... أعلمت أنك قـد نعيت النيّـلا؟
الخطب مضّـاض، فهـلّا كنت ذا ... رفق بنقل الفـاجعـات بخيـلا؟
فلقـد سرى نبأ المصـاب كما سرى ... سمّ يـدبّ إلى القلـوب فعـولا.
إنّ المصـاب بمثل «أحمد» إنّما ... يـذر النفـوس تسيل منـه مسيـلا
علم رعى الفصحى وأحيـا مجدهـا ... وأحلّهـا فـوق اللّغـات مقيـلا
نشراً وتحقيقـاً وكشف غـوامضٍ ... وبيـان أسرار يـرعن عقـولا
بـراً بها وبأمّـة مغلـوبـة ... فقـدت سـواهـا الثغـر والأسطـولا

أعيد تعيينه عضواً بالمجمع العلمي العراقي على أثر اعادة تأليفه في مايس ١٩٧٩ وانتخب سنة ١٩٨٠ عضواً بأكاديمية المملكة المغربية. ومنح جائزة الملك فيصل السعودي للأدب العربي سنة ١٩٨٦ ثم منح في كانون الأول ١٩٨٩ جائزة صدّام (حسين) للانتاج الأدبي الموسوعي.

أحمد حامد الصراف

لو كان للصداقة مساوىء ـ والصداقة كلها فضائل ومحاسن ـ لكان من مساوئها أنها تمنع الصديق من إيفاء حق صديقه والإشادة بذكر محامده وشمائله ومزاياه. وماذا عساي أقول في الصديق الكريم الأديب الألمعي والمحدث الساحر والراوية اللبق ذي الذوق الأنيق والطبع الرقيق الأستاذ أحمد حامد الصراف وكيف أصف عذوبة حديثه وإشراق ديباجته وصفاء جهيرته وسريرته؟

أحمد حامد الصراف شخصية ذات جوانب متعددة: فهو حقوقي بارع شغل وظائف إدا رية وقضائية كثيرة وجاب معظم ألوية العراق رسولاً للعدالة، وهو أديب يصول قلمه ويجول، ضليع بآداب العربية والفارسية والتركية وله حافظة قوية تختزن بدائع المنظوم وروائع المنثور، وهو باحث محقق أولع بأخبار المتصوفة والدراويش وأرباب الطرق واستقصى سيرهم وآثارهم، وهو بعد كل ذلك رجل إنساني ذو عاطفة ملتهبة تتوقد وتتمرد وتثور، وله قلب شديد الخفقان يفيض باللوعة والحنان ودمع سريع الهميان يرثي لحال الانس والجان.

أول ظاهرة تجذبك إلى الصراف أناقة ملبسه فهو يعتني بهندامه أشد العناية ويشدّ رباط رقبته شداً خاصاً ويهيم بالمسابح والفصوص والعطور. عرّف الظرف في العهد العباسي المتأخر فقيل «من تختّم بالعقيق وقرأ لأبي عمرو وحفظ قصيدة ابن زريق (لاتعذليه فإن العذل يولعه. .)» فقد استكمل الظرف. ولا ريب أن الصراف يعتبر ظريفاً في عرف هذا القياس. وقد خلّد لنا التاريخ أديبين كانا يتأنقان بملبسهما وإنشائهما على السواء أولهما بوفون الفرنسي قائل الكلمة المأثورة «الأسلوب هو الرجل»، والآخر الكاتب المصري مصطفى لطفي المنفلوطي «صاحب النظرات والعبرات». ولا يقل الصراف عنهما أناقة في ملبسه وكتابته.

وصديقنا الصراف كما قلنا رجل عاطفي إن تذكر له حادثة مشجية أو أمراً مؤسياً لتستثير كوامن لواعجه وتمس من قلبه وتراً حساساً. وقد بلي قبل ربع قرن بوفاة أمه التي يكنّ لها أسمى معاني الحب والحرمة وبلي قبل سنوات بوفاة خالته وأخيه محمود فسكب عليهم الدمع الغزير ولا يزال كلما ذكرهم يردد الحسرات والزفرات. أما أبوه الحاج

موسى فقد فجع به وهو غلام يافع فظل في ذهنه مثالاً للرجولة والمروءة وسموّ النفس .

إن توقد عاطفة الصراف وإرهاف حسّه قد دفعه ـ على ما أعتقد ـ الى حبّ التصوف وأصحابه فدرس الخيام والحلاج وأضرابهما وتتبع أخبار الدراويش والغلاة وشدّ الرحال الى إيران بحثاً عن شؤونهم وآثارهم . وكتب اليّ ذات مرة من كركوك ـ وهو آنذاك حاكم بداءتها ـ يقول أنه عثر على ديوان مولانا خالد النقشبندي (شيخ الطريقة المبجّل في شمالي العراق المتوفى في دمشق سنة ١٨٢٧) فهو منصرف إليه مكبّ عليه منشغل به عن كل ما عداه .

فكتبت إليه من أبيات :

وجد الاستاذ شعر النقشبندي فتناسى حافظاً جامي وسعدي

وارتضاه دون أهل الودّ خلاً واصطفاه إلف إغراق ووجد .

والصراف يحب شخصيات تاريخية كثيرة في مقدمتها الامام علي والسيد المسيح . فهو يحب في علي البطل الصنديد والرجل العادل النبيل فيفيض في ذكر محامده ويتمثل بالأبيات الشهيرة :

حب علي بن أبي طالب أحلى من الشهد الى الشارب

لو فتشوا قلبي لألفوا به حرفين قد خطّا بلا كاتب

العدل والايمان في جانب وحب آل البيت في جانب

ويحب في يسوع اللطف والطيبة والوداعة ويرى في خطبة الجبل أسمى تعبير عن المحبة الإنسانية والأخوة البشرية . إن الصراف يدين بدين الحبّ فهو يكاد ينطق بلسان محيي الدين ابن عربي هاتفاً :

لقد كنت قبل اليوم أنكر صاحبي إذا لم يكن ديني الى دينه داني

وقد صار قلبي قابلاً كل صورة فمسرح أظباء ومرعى لغزلان

وبيت لأوثان وكعبة طائف وألواح توراة ومصحف قرآن

أدين بدين الحبّ أنىّ توجهت ركائبه فالحب ديني وإيماني

والصراف ذكي الى حدّ الإفراط وهو يعلم ذلك ولا يصطنع التواضع في الإشارة الى ذكائه . وقد قال ذات يوم : سبحان الله فاطر السموات والأرضين ، خلق أخوين لأب وأم فخصّ أحدهما بالذكاء الفارط وجعل الثاني في الحضيض الأوهد من البلادة والغباء . وقيل إن عمر بن الخطاب كان إذا رأى الرجل يتلجلج في كلامه قال : خالق هذا وخالق عمرو بن العاص واحد!

ويمكن القول إن ذكاء الصراف قد جنى عليه فدعا الى فصله من الوظيفة مرتين : ففي المرة الأولى عيّن أديبنا سكرتيراً لإحدى القنصليات العراقية في ايران ، وبدلاً من أن

يشخص الى بلد الفردوسي وسعدي طلب إجازة وسافر الى ربوع الشام. وفي ذلك الصيف نفسه مضى الى الاصطياف نفس القنصل الذي عيّن الصراف سكرتيراً له فالتقى هناك الرئيس والمرؤوس. وكان القنصل رجلاً عظامياً كبير المقام قليل الكلام، وكان السكرتير الأديب ينتقل في سورية ولبنان من ناد الى ناد ومن مجلس الى مجلس فيلقي المحاضرات ويأسر الألباب بأحاديثه ولطائفه ومحفوظاته ولا ينسى في أثناء ذلك أن يقدم رئيسه الصامت بعبارات التفخيم والتبجيل، حتى إذا ما انتهى موسم الصيف وعاد القنصل وسكرتيره الى العراق ذهب الأول الى مقرّ منصبه في إيران وآب صاحبنا بالفصل والحرمان.

وفي المرة الثانية ـ وبعد زهاء عشر سنين ـ جمح بالصراف حصان اللسان فقال في نشوة الحديث «ثلاثة في العراق لا يعرفون كتابة سطرين متصلين، وصرّح بالأسماء فإذا ثالث الثلاثة الوزير الذي يعمل صاحبنا في وزارته. وسرعان ما نمي الخبر الى الوزير الخطير فلم يغمض له جفن حتى أطلق المتكلم من قيد الوظيفة.

وأحمد حامد الصراف محدث لبق تسعفه ذاكرته بمئات الشواهد والقصص والروايات والأشعار. وله منطق عذب وخيال خصب يوسع لحديثه الآفاق ويسبغ عليه صفات الامتاع والإشراق. ولعله من النفر القليل الذي يحفظ النثر فيروي المقدمات والفصول بطريقة فذة. أما روايته للشعر فتختلف باختلاف مزاجه: فإذا رغب في مدح الشاعر ورفع شأنه روى شعره بأسلوب ساحر خلاب يضفي عليه معاني اللطف والرواء، وإذا شاء غير ذلك روى الشعر بأسلوب هازل لاذع يحط من قيمته وينزل به الى دركات الابتذال والاسفاف.

والصراف يلمع في المجالس والدواوين فيأخذ بمجامع الحديث ويستهوي النفوس والألباب. وقد حدث مرة أن اجتمع نادي القلم في إبّان عزه لسماع محاضرة للصراف في الدراويش. وكان الاجتماع حافلاً برجال الفضل والقلم، وقد حضره بدعوة خاصة سرب من المعلمات اللبنانيات. لم يكد الصراف يمضي في إلقاء محاضرته حتى نسي أنه في مجلس علم وأدب وخال نفسه متصدراً نادياً من أندية مدام ريكاميه الجميلة أو مدام دي ستال الذكية الفطنة فترك النصّ المكتوب جانباً. وأخذ يفيض في حديث الدراويش ويروي نوادرهم وأخبارهم وينشد أشعارهم وأذكارهم والعيون متطلعة إليه والاسماع مصغية والاعناق مشرئبة. وإذا بصوت يشق السكون الشامل، ذلك صوت الصديق الاستاذ عباس العزاوي يقول: «يا أبا شهاب، ليست هذه محاضرة بل هي «تكويكات». فما كان من أبي شهاب إلا أن مد يده الى جيبه وأخرج ورقة نقدية قدمها الى أبي فاضل وقال: «هاك ديناراً و «كوّك مثلها»، وضجّ المجلس بالضحك.

كان الصراف في صدر شبابه يحضر مجالس الأدب والفضل في بغداد ويصيخ بسمعه الى أحاديث الشيوخ وأرباب الكمال. وقدم بغداد الشيخ عبد العزيز الثعالبي

فأصبحت داره ندوة يقصدها الناس كبيرهم وصغيرهم يحفون بالزعيم الوطني التونسي ويلتقطون نفثات علمه الزاخر وقريحته الوقادة .

قال الصراف : كان الشيخ رحمه الله يعلم جميع العلوم حديثها وقديمها ويتصرف في فنون القول ، غمرِ البديهة حلو البيان مطواع اللسان ثابت الجنان لا يردّ سائلاً ولا يعفي من التعقيب قائلاً . قال الصراف : فعجبنا لأمره كيف لا تعجزه مسألة ولا يعييه موضوع وقلنا : لنمتحننّه امتحاناً عسيراً . وأزمعنا أمرنا أنا وبعض رفاقي من أدباء الشباب فمضينا الى منتداه الحافل وجلسنا نصغي بأدب ووقار حتى إذا ما سنحت الفرصة تنحنحت وقلت : «يا أستاذ، سمعنا بكتاب نفيس مخطوط اسمه «قلائد النحور في بدائع وشي المنظوم والمنثور» لابن بيكال النباري (أو ما جرى مجرى ذلك من الاسماء التي اتفقنا على تلفيقها) فهل وقفتم عليه في سياحاتكم وتحقيقاتكم؟ ولم تطرف للشيخ عين بل أجاب على البداهة : أجل . إن هذا مخطوط جليل القدر وقد وجدت نسخة منه في مكتبة الاسكوريال في مدريد وأخرى في مكتبة الفاتيكان ومؤلفه أندلسي فاضل من أبناء القرن السابع الهجري . .) وأفاض في ذكر سيرة المؤلف وفحوى المؤلف حتى حسبنا أنه يقرأ في كتاب مفتوح . وقمنا وقد أيقنا أن للشيخ على جلالة قدره وجزالة فضله قريحة تسعفه حيث يعجز العلم وقلنا لعله خلط مخطوطنا بآخر مما وقف عليه ونظر فيه من وفير المصنفّات . والله أعلم .

وقد لازم الصراف جميل صدقي الزهاوي أعواماً طويلة وروى أخباره وأشعاره وكتب عنه صفحات ممتعة . ورافقه سنة ١٩٣٤ الى طهران لحضور مهرجان الفردوسي . لقد أقامت الحكومة الايرانية احتفالاً عظيماً بالذكرى الألفية للشاعر الفردوسي . وفي الحفلة الكبرى التي شهدها رضا شاه بهلوي وأركان دولته والعلماء القادمون من مختلف بقاع المعمورة ألقى شاعر العراق قصيدة باللغة الفارسية أشاد فيها بذكر شاعر الأمة الايرانية ورفع منزلة الملك البهلوي الذي عرف قدر الفردوسي أكثر من معاصره الملك محمود الغزني . وكان لهذه القصيدة وقع عظيم حتى أن رئيس وزراء ايران لم يتمالك نفسه عندما فرغ الزهاوي من الإنشاد أن سحب يده وقبلها على ملأ من الحفل . قال الصراف «كان ذلك يوم الزهاوي المشهود هنأه الشاه واحتفى به الناس . فلما عدنا الى الفندق دعاني الشاعر الشيخ وقال «يا ولدي أحمد ، هل رأيت رئيس الوزراء يقبل يدي؟ قلت «نعم يا استاذ ، وقد رأى ذلك كل من حضر الاحتفال . فقال الزهاوي «احفظ ذلك جيداً يا ولدي أحمد لترويه في بغداد ، فأنت شاهدي الوحيد هناك فلتؤد الأمانة ولتوف بالعهد» .

واتصلت أسباب المودة بين الصراف والشاعر التركي الفيلسوف الدكتور رضا توفيق . فلما جاء الدكتور رضا الى بغداد في أوائل سنة ١٩٤٠ بدعوة من صديقه الاستاذ الجليل محمود صبحي الدفتري وزير العدلية آنذاك وحلّ ضيفاً على الحكومة العراقية حفل مجلسه في فندق زيا بالزوار من مختلف المشارب والطبقات . كان الدكتور رضا توفيق

يتحدث بلغات متعددة شرقية وغربية ويخوض في مواضيع شتّى من الفلسفة والطب والتاريخ الى الموسيقى والشعر والأدب والتصوف. وكان يحب أن يستأثر بالحديث دون جلاّسه ـ ولعله لم ينفرد بهذه الصفة بل شاركه فيها أحمد حامد الصراف نفسه ـ فإذا جرى بحث موضوع من المواضيع، تسلّمه الدكتور رضا فتكلم عنه ووفاه حقه باللغة التركية مثلاً ثم أعاد الحديث نفسه باللغة الانكليزية أو الفرنسية أو العربية الفصحى لفائدة من يعرف إحدى هذه اللغات من الحاضرين. وكنّا نحضر مجلس الدكتور رضا توفيق مع الصراف والصديق الدكتور مصطفى جواد وسرعان ما صار الصراف يتهرب من حضور هذا المجلس الذي قطع عليه صاحبه سبل الكلام. ثم سافر الدكتور رضا توفيق وسمح له بالعودة الى تركية التي زايلها عشرين سنة أو أكثر وأدركته منيته فيها، فكتب الصراف صفحات مشرقة عن الأديب التركي الكبير نشرتها صحيفة «الزمان» البغدادية في شهر آذار ١٩٥٧ وكان قد كتب عنه فصولاً حيّة قبل نحو من ربع قرن في ملحق «البلاد» الاسبوعي.

وارتبط الصراف بوشائج المودّة وصلات الأدب بشعراء البلاد العربية وأدبائها، وفي طليعتهم بشارة عبد الله الخوري المعروف بالأخطل الصغير الذي حيّاه قائلاً:

بدأ الكأس وثنّى وسقى الشعر فغنّى
طائر من دجلة الخلد الى لبنان حنّا
كم لسحر الشرق في عينيه من معنىً ومعنى
كلّما أنشد قلنا عمر الخيّام معنا
ينثر الأنس على المجلس من هنّا وهنّا
يا رسول الأدب العالي، سلام الشعر عنّا
قل لبغداد، متى عدت الى بغداد، إنّا.

إن الصرّاف شجاع مقدام وقد روى عن نفسه أنه استدرج أحد أصدقائه من الأدباء الى بعض البساتين النائية وأوسعه لكماً وضربا لتناوله بالنقد اللاذع المرّ كتاب «عمر الخيام» عند صدور طبعته الأولى. ومن ذكريات الصبا التي حدثنا عنها أنه اتفق مع نفر من رفاقه التلاميذ على التغرير بأصحاب الحمير الذين كانون يقومون في بغداد القديمة بدور أرباب سيارات الأجرة.

كانت بغداد في ذلك العهد البعيد تنتهي عند باب «المعظم». فإذا أراد امرؤ أن يذهب الى الأعظمية وقف عند الطاق في آخر محلة الميدان واستكرى حماراً يركبه ليقطع به الطريق الضيقة الممتدة بين البساتين الى جامع الإمام الأعظم. وجاء الفتى أحمد واصدقاؤه فاستأجروا الحمير، ولم يكن أصحابها يرسلون أحداً مع دوابهم لأن الطريق واحدة لا تنحرف يميناً ولا شمالاً بل تنتهي حيث يكون رفاقهم الذين يتسلمون الحمير

من الراكبين في ساحة الأعظمية ويؤجرونها ثانية الى المسافرين الى بغداد. لكن فتياننا المكارين الأبرياء أوقفوا الحمير في منتصف الطريق وسحبوها سحباً في داخل البساتين الى ساحل دجلة وعبروا بها في «قفة» الى الجانب الغربي حيث تركوها ترعى في الحقول حرة طليقة. وظلّ الحمارون أياماً طويلة يبحثون عن دوابهم التي لم تصل الأعظمية ويتساءلون أين ضلّت سبيلها.

لكن الصراف يخشى ركوب الطيارة ولم يستطع أصدقاؤه أن يحملوه على السفر جواً واستنفدوا في ذلك وسائل الإغراء والإقناع فكأنه يقول بلسان أحمد شوقي:

أركب الليث ولا أركبها وأرى ليث الشّرى أوفى ذماما

وقد استطاع الدكتور مصطفى جواد مرة أن يزين له السفر بالطيارة مسافة قصيرة من بيروت الى دمشق. فلما ارتفعت بهما سفينة الفضاء أخذ الصراف يبسمل ويحوقل ويتعوذ ويخاطب نفسه قائلاً: «يا أبا شهاب، ما حملك على ركوب هذا المركب وترك الأرض الثابتة وكيف تأمن على نفسك فوق الغمام؟ فلما وصلت الطيارة الى الشام وهبط الأستاذ في المطار بسلام جسّ الأرض الثابتة تحت قدميه وحمد الله مقسماً ألا يعود الى التصعيد في الفضاء. وكذلك حرم رواد الفضاء الكوني من أمثال غاغارين وشبرد سلفاً زميلاً لهم لن يغريه مغر بالانطلاق في الصواريخ وارتياد مجاهل الكواكب والأقمار.

ولقد حدّثنا الجاحظ عن أعرابيّ شيخ أركب فيلاً، فلما علاه صاح: الأرض، الأرض. وأنزل فقال منشداً:

وما كان تحتي يوم ذلك بغلة ولكنّ تحتي من رفيع السّحائب

ودعي الصراف قبل سنين عديدة الى دورة ضباط الاحتياط وهو آنذاك مفتش عدلي فكتب اليّ من مقره في وزارة العدلية في ١٦ أيلول ١٩٣٩ يقول: «أنا يا أخي في كرب عظيم ومحنة ما بعدها محنة. إن الكاشحين الحاقدين غمزوا قضية إعفائي من دورة الاحتياط، فتجدد الخطب وما زلت أعانيه، ولست أدري ماذا ألاقي في هذه الأيام التي شوّه جمالها هتلر ألف لعنة عليه.

«سأزوركم يوم الخميس إما مودعاً إياكم وذاهباً الى دورة الاحتياط وإما ناجياً من هذه المحنة. لئيم ونذل من يقصّر في خدمة بلاده. لكن أين أنا من القراع والصراع والكفاح وحمل السلاح؟ لقد أصابني الأرق منذ ليال وفي استطاعتي الآن أن أرسم خريطة السماء. . ».

ولم يكن من الأمر بدّ فمضى أحمد حامد الصراف الى الدورة وكان معه في التدريب الدكتور مصطفى جواد وفريق آخر من الأدباء والمحامين. وأوكل بهم عريف شديد صارم فكان يوقظهم قبيل الفجر ويتولى تعليمهم الرياضة والهرولة والجري والرمي،

ذلك العريف الذي ابتلى به معهما مصطفى علي فقال :

وذّعت عقـــلي وآرائـــي وتفـــكيـــري وسرت طـــوع عـــريـف الجيش عـــاشــــور

وضاق أصحابنا بالأمر ذرعاً فلم تمض أيام قليلة حتى أعفي الصراف لتصحيح سنّه وأعفي مصطفى جـواد لإصـابتـه بـالتهـاب في العصب فـانصرف الأديـان الى البحث والدرس والتحقيق والتنميق .

الصرّاف : حياته

ولد أحمد حامد في كربلاء سنـة ١٩٠٠ ، وكان أبوه الحاج موسى بن أحمد من ضباط الدرك العثماني وأصله بكتـاشي ، أما أمه فامرأة كـريمة من أهل المسيّب . ونشأ أحمد في الحلة وبغداد حيث تنقل والده بحكم وظيفته ، ثم تـوفي عنه وهو صبّي في نحو العاشرة فكفلتـه أمه وكـانت من فضليـات السيـدات الحافظات المتكلّمات . ولـج أحمد حامـد المدارس الرسميـة ، وعلى أثر الاحتـلال الانكليزي ، إلتحق بـدورة للمعلمين وعيّن بعد نجاحه فيهـا معلماً في مدرسة الباروديـة في بغداد (شباط ١٩١٨) . ولم يلبث أن نقل في السنة نفسها معلماً في مدرسـة الحلة فمديراً لمدرسة علي الغربي (١٩١٩) فمـدير مدرسة الحلة (١٩١٩) فمدير مدرسة كربلاء (١٩١٩ ـ ١٩٢١) . ونقل في سنة ١٩٢٢ مدرساً في المدرسة الثـانويـة في بغداد فكاتبـاً في دائرة نائب مدير المحاسبـات العام (١٩٢٢) فكاتبـاً في دائرة خزينـة بغداد (١٩٢٣) . وانتمى في الـوقت نفسـه الى مدرسـة الحقوق (١٩٢٢) وتخرّج فيها سنة ١٩٢٦

نقلت خـدماتـه سنة ١٩٢٣ الى وزارة العـدلية فعيّن كاتبـاً فيها فمـلاحظ التحـرير (١٩٢٦) فمـدير المطبـوعات في وزارة الـداخلية (أيلـول ١٩٢٨ ـ ١٩٣٠) فمـلاحظ مكتب المطبـوعات حين خفضّت درجـة المديـريـة نفسها (١٩٣٠) . وصحب تـوفيق السويدي في تموز ١٩٢٨ الى مؤتمر جدّة المعقود مع الملـك عبد العزيز آل سعود سكرتيراً للوفـد العراقـي . ونقل بعد ذلك سكـرتيراً لقنصلية العـراق في كرمنشـاه (١٩٣٠) لكنه استقال وامتهن المحاماة .

وأعيد تعيينه مدعياً عامـاً للواء البصرة (ك أول ١٩٣٣) فمعاون رئيس تسوية حقوق الأراضي (آذار ١٩٣٦) فنائب المدعي العام في الموصل (ك ثـاني ١٩٣٧) فمفتشاً عدلياً (آذار ١٩٣٩) حتى ألغيت وظيفته (تموز١٩٤٠) . ثم عيّن حاكماً منفرداً للناصرية (آب ١٩٤٠) فحـاكم تحقيق الرصـافة (نيسـان ١٩٤١) فحاكم صلح الأعظميـة (حزيـران ١٩٤١) فحـاكم الكـوت المنفـرد (تموز ١٩٤١) فنـائب المدعي العـام في بغـداد (آذار ١٩٤٢) فحاكم بداءة كركـوك (حزيران ١٩٤٢) فحاكم الصلح الأول في الموصل (تموز ١٩٤٣) فنائب رئيس إجـراء الموصل (ت ثاني ١٩٤٣) فحـاكم كربلاء المنفـرد (نيسان

١٩٤٤) فحاكم بداءة الحلة (حزيران ١٩٤٥) فالرمادي (أيلول ١٩٤٦). ونقل من ثمَّ عضواً في المحكمة الكبرى في بغداد (ت أول ١٩٤٧) ولم يداوم أياماً حتى نقل نائباً للمدعي العام للواء بغداد (ت أول ١٩٤٧) فحاكم بداءة الكاظمية (ت ثاني ١٩٤٧). وعيّن مديراً عاماً للدعاية (أيار ١٩٤٨) فرئيساً لتسوية العمارة (١ ت ثاني ١٩٤٨) فرئيساً لتسوية بغداد (آذار ١٩٥٠) فمدوناً قانونياً (أيلول ١٩٥٢) حتى أحيل على التقاعد برغبة منه في أيلول ١٩٥٤، فأخذ يزاول المحاماة.

وقد انتخب عضواً بالمجمع العلمي العربي في دمشق (ت ثاني ١٩٤٧)، وعضواً بالمجمع الايراني في طهران (فرهنكستان) (١٩٥١). وله مقالات وبحوث ومحاضرات كثيرة نشرت في الصحف والمجلات العربية. من مؤلفاته المطبوعة: عمر الخيّام (١٩٣١)، وقد أعيد طبعه مرتين موسّعاً، الشبك (١٩٥٤). أما مؤلفاته المخطوطة فكثيرة، منها: بين بغداد وطوس، الدراويش، رسالة في الحلاج، رسالة في ابن سينا وأدبه الفارسي، الزهاوي شاعر العراق، الخ.

توفي أحمد حامد الصرّاف في بغداد في ١٨ شباط سنة ١٩٨٥ بعد مرض طويل.

* * *

كان لأحمد حامد الصرّاف مساجلات ومداعبات مع أكثر أدباء عصره.

قال ذات يوم: أشهد على رؤوس الملأ أن الشبيبي (محمد رضا) شاعر كبير، أجل، شاعر كبير أشعر من البنّاء (عبد الرحمن)!

وغضب ذات يوم من عباس العزاوي فحفظ مقدمته للجزء الأول من «تاريخ العراق بين احتلالين» وصار يقرأها في الدواوين والمجالس الأدبية بأسلوب عابث مزرٍ. ثم يقول: أسمعتم مثل هذا الخلط والخبط؟ إنها مقدمة تاريخ العزاوي مؤرخ العراق!

ونقل العزاوي في تاريخه أخباراً كثيرة عن «دوحة الوزراء»، وهو كتاب مخطوط نادر باللغة التركية القديمة المشوبة بالفارسية. فقال الصراف: وهل يعرف العزاوي التركية ليترجم أخبار دوحة الوزراء؟

ونقل الحديث الى العزاوي فقال: وهل رأى الصرّاف بعينه نسخة من دوحة الوزراء ليستطيع الحكم في الموضوع؟

ولكم نشب الخلاف بين أحمد حامد الصرّاف ومصطفى جواد وعباس العزّاوي وغيرهم من الأدباء والشعراء واشتدّ الخصام والجفاء، فكنتُ أقيم لهم المآدب والحفلات إصلاحاً لذات البين وجمعاً للشمل ورتقاً للفتق. وفي ذات مرة عاد الخلاف الى الاستحكام بين الصرّاف والعزاوي وتراشقا بسهام الكلام، فقلت لهما مداعباً: إنكما تعملان هذا عمداً لتفوزا منّي بمأدبة الصلح، ولكن سأخلف ظنكما هذه المرة وأترككما تتنابذان وتتنابزان ما شئتما وشاء لكما الظرفاء من الحسّاد والشامتين!.

والتقى الصراف والعزاوي في المجمع العلمي العربي بالشام وكانا على جفاء لا يكلم أحدهما الآخر، فقال العزاوي: لا بأس من التحدث بيننا ما دمنا في سورية حفظاً للمظاهر على أن نعود الى القطيعة في بغداد!

رشح الصرّاف مديراً للتشريفات فرفض قائلاً: إن مدير التشريفات خادم مؤدَّب.

ذهب أحمد حامد الصرّاف في إحدى زياراته الى طهران لتفقّد مكتبة الفرهنكستان. قال: وجدت وأنا أقلب في المخطوطات مخطوطة قديمة في الطبّ فقرأت فيها ما يلي معناه: «فصل في خضاب اللحية: خذ المواد كذا وكذا (وقد عدّدها المؤلف وأكثرها من الأعشاب) ودقّها في الهاون، ثم اعجنها بماء الورد واخضب بها لحيتك فلا تتحكم بها النار». قال الصرّاف: ووجدت في الحاشية بخط وحبر مختلفين كلاماً يظهر أنه أحدث عهداً من المخطوطة الأصلية مآله: «كذبت ولعنت، أيها الملفّق ـ عملت بوصفتك فاحترقت لحيتي وشوّه ذقني. فحذار حذار من الأفّاق الجاهل النصّاب».

وقد عيّن الصرّاف حاكماً مدنياً في الكوت فجيء الى المحكمة بأحد أفراد رئاسة عشيرة الميّاح متهماً بقتل عبد له، وقيل له: أرفق به فالقتيل عبد لا قيمة له.

قال: لا عبد ولا حرّ أمام القانون! ودعي الى وليمة فخمة وبذلت له الأموال فلم يرتدع. وأخيراً هدّد بالقتل فلم يسعه إلا الهرب الى بغداد وطلب نقله الى لواء آخر فنقل.

حدثني أحمد حامد الصرّاف انه أصدر كتابه عن عمر الخيام فقال له الشيخ جواد الدجيلي: لقد جمعت كتابك من شتى المصادر فلفقته حتى خرج كالثوب المرقع. قال الصراف: موعدنا في المساء في مقهى الباب الشرقي لنتكلم في الموضوع.

وفي المساء التقيا، وكان الباب الشرقي آنذاك مجموعة من البساتين الملتّفة الأشجار لم يصلها العمران، فسارا والشيخ جواد يشرح وجوه الانتقاد والمآخذ على الكتاب. وفجأة وقف الصراف وأخذ بتلابيب الشيخ وقال له: أتنتقد كتابي الذي تعبت في تأليفه؟ وانهال عليه ضرباً ولكماً والشيخ يستغيث ولا مغيث. وتركه أخيراً على أسوأ حال وعاد أدراجه.

وفي صباح اليوم الثاني جاء الشيخ جواد يشكوالصراف الملاحظ في وزارة العدلية الى مديرها العام توفيق السويدي. فاستدعى السويدي الصراف وقال له: كيف تعتدي على الشيخ بالضرب؟ فأجاب: هل اعتديت عليه في الدائرة؟ قال الشيخ: لا. قال السويدي: إذن فارفع شكواك الى الشرطة.

مصطفى علي

الأديب الحقوقي الوزير، راوية الرصافي ومؤرخه، مصطفى علي محمد الكُرْوي القيسي، ولد في بغداد سنة ١٩٠٠ وانتمى الى دار المعلمين الابتدائية (١٩١٩) فتخرّج فيها وعيّن معلماً في أيلول ١٩٢١ ودرس بعد ذلك في مدرسة الحقوق

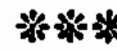
فنال شهادتها سنة ١٩٢٩

وقد ترك مهنة التعليم فعيّن كاتباً في ديوان مجلس الأعيان (١٩٢٥)، فرئيساً للكتاب، فكاتباً عدلاً (١٩٣٢)، فملاحظاً للأمور الذاتية بوزارة العدلية (١٩٣٤) وانتخب في شباط ١٩٣٧ نائباً عن بغداد في مجلس النواب.

أولع بالأدب منذ فجر شبابه، فكتب المقالات في الصحف والمجلات، ولازم الرصافي أعواماً طويلة حتى أصبح راوية شعره ومؤرخ حياته والملّم بأموره دقيقها وجليلها. واشترك مع حسين الرحال في تحرير مجلة «الصحيفة» في كانون الأول ١٩٢٤، وكانت من الصحف التقدمية التي تدعو الى تحرير الأفكار وسفور المرأة والأخذ بأسباب التقدم والنهضة، ولم تعمّر طويلاً. ثم أصدر مجلة «المعول» في أيلول ١٩٣٠ فحجز عددها الأول وصودرت نسخه. وكتب مصطفى علي في جريدة «الأيام» البغدادية (٣١ كانون الأول ١٩٦٢) فصلاً ممتعاً عن قصة هذه المجلة الموؤودة في مهدها، فقال إن معروف الرصافي، حين علم بعزمه على إصدار «المعول»، إرتجل بيتين كانا شعاراً للمجلة:

حال جدار من تقاليدنا دون الذي نحن به نعتلي

فنحن نحتاج الى هدمه، والهدم يحتاج الى المعول.



إمتهن مصطفى علي المحاماة بضع سنوات، وتولّى التدريس في المدرسة الثانوية بالبصرة سنة ١٩٣٨/ ٣٩. ثم عاد الى الوظيفة فعيّن مفتشاً للطابو (آذار ١٩٤٢) فمدوناً قانونياً (أيار ١٩٤٨) فمديراً للحقوق بوزارة المالية (كانون الثاني ١٩٥٠) فحاكماً بمحكمة استئناف البصرة (تشرين الثاني ١٩٥٠) فنائباً لرئيسها (أيلول ١٩٥٤). ونقل رئيساً للمنطقة العدلية في لواء ديالى (حزيران ١٩٥٥) فمفتشاً عدلياً (تشرين الثاني ١٩٥٦). وتفجّرت ثورة تموز فاختير وزيراً للعدل في الجمهورية العراقية (١٤ تموز ١٩٥٨)، وشغل هذا المنصب الى ١٤ أيار ١٩٦١ واعتقل بعد ثورة رمضان (١٩٦٣)، ثم أطلق سراحه بعد أسابيع قلائل واعتزل الحياة العامة، منصرفاً الى الكتابة والأدب.

مؤلفاته وأدبه:

مصطفى علي في طليعة كتّاب النثر العرب في عصره، جريء القلم، مشرق الديباجة، ناصع البيان، يتحرّى في كتابته اللفظ الفصيح والقول الصريح. وقد كان منذ عهد الشباب الباكر داعياً الى التقدم وتحرير المرأة ومكافحة الآراء الرجعيّة، وتعرية الأدب الجامد والمتحذلق والمتحجّر. وأثبت في كتابه «جرائم مرّت أمامي»، وهي

قصص مستلهمة من عمله في محكمة الجزاء الكبرى بالبصرة، إنه يحسن سرد القصة وحبك عناصرها وسلسلة وقائعها بأسلوب جذاب يأخذ بمجامع القلوب.

ومن مؤلفاته المطبوعة: رسم الخطّ العربي (في تبسيط قواعد الإملاء ١٩٣٠)، في هامش السجل(١٩٣٧)، وهي مجموعة مقالات قصيرة نشرها في الصحف سنة١٩٢٧ ـ ٢٨ و ١٩٣٢ ـ ٣٤، أدب الرصافي (١٩٤٧)، كتاب «الرصافي»، وقد نشر منه الجزء الأول (١٩٤٨)، جرائم مرّت أمامي (١٩٥٨)، محاضرات عن معروف الرصافي (ألقاها على طلبة معهد الدراسات العربية العالية بجامعة الدول العربية، ١٩٥٣).

وقد وضع دراسة موسّعة عن الرصافي وسيرته ومؤلفاته وشعره وشرح قصائده وذكر مناسبات نظمها وغير ذلك من شؤون الشاعر الكبير تستوعب مجلدات عديدة، فكان من الرصافي مثل جيمس بوزويل (١٧٤٠ ـ ١٧٩٥) الذي سجل سيرة الأديب الانكليزي الكبير صموئيل جونسون (١٧٠٩ ـ ١٧٨٤) ودوّن حركاته وسكناته وذكر أقواله وأحاديثه وعظاته.

قابل بوزويل معبوده الأدبي لأول مرة في سنة ١٧٦٣، وكان محامياً ناشئاً قنّاصاً لأسود الشهرة. جاء الى لندن من مسقط رأسه في اسكوتلاندة وسعى للقاء جونسون الذي بلغ آنذاك قمّة مجده الأدبي إذ نشر معجمه اللغوي قبل ذلك وتنافست المحافل الأدبية والأندية الاجتماعية على دعوته والاحتفاء به. وتمّ لقاء الرجلين ـ كما رواه مترجم جونسون نفسه ـ في مكتبة تجارية فتحدّثا، ولم يحظ الشاب بكبير اهتمام من العلاّمة الكهل. ولم يخف بوزويل خيبة أمله بعد خروج الرجل العظيم، لكن الكتبيّ طمأنه وقال له: «لا تنزعج، لقد رأيت أنه مال إليك كثيراً». وكذلك كان، فلم يمض شهر واحد حتى كان الرجلان يتعشّيان جنباً الى جنب ويتسارّان في بعض المطاعم، فكان ذلك بداية صحبة العمر وحدثاً أدبياً له شأنه في التاريخ الانكليزي.

وروى لنا مصطفى علي في الجزء الأول من كتابه «الرصافي» أول عهده بالشاعر: سمع الفتى مصطفى باسم الرصافي، وقرأ شعراً له، واقتنى ديوانه، وتنسّم أخباره وتتبع سيرته وتعقب خطواته، فلما عاد الشاعر العراقي الى رصافته بعد الحرب العظمى فكر جمع من طلاب دار المعلمين، ومصطفى علي بينهم، أن يقصدوه زائرين مرحّبين. وهكذا اكتحلت عين الشاب لأول مرّة بمرأى الكهل الشهير الذي أعجب به وحفظ قصائده، فوجد فيه «رجلاً طويل القامة، أسمر اللون، وثيق التركيب، ذا لحية خفيفة سوداء وشاربين غير مهذبين، مهيب الطلعة، مرآه يوجب عليك احترامه، أنيقاً في ملبسه. وكان مرتدياً بذلة شتوية لازوردية، وعلى رأسه طربوش. وكان حين يتكلم يستعين بيده اليمنى فيشير بها إشارة هادئة، وبعينيه الصغيرتين البرّاقتين. فكانت عيناه الثاقبتان تنفذان الى أعماق النفوس من سامعيه كأنه يريد أن يتغلغل فيخاطب النفوس لا الشخوص، بل كأنه ينظر بعين الشعر التي يقول فيها:

وللشعـــر عين لـــو نظـــرت بنـــورهـــا الى الغيـب لاستشففت مـــا في بطـــونـــه .

وتحقق حلم الشبـاب ، فأرهف الأذن لسماع إنشـاد الشـاعـر ، وأعدّ القلم لكتـابـة شعره ، وهيّأ الصـدر لحفظه ووعيـه . وكانت تلك الجلسـة الهادئة فاتحة صـداقة دامت عشرات الأعوام وامتدّت الى ما بعد موت الشاعر ، إذ أصبح طالب دار المعلمين امتداداً لحياة الرصافي وشعره ونهجه .

***

لخّص مصطفى علي أهـدافه حينما أصبـح أول وزير للعـدل في الجمهـورية فقـال : «أهـدافي ، كأهداف زمـلائي ، خدمـة الشعب والسير بـه في ركب الحضارة والتقـدم ، واعـداده وتهيئته ليجـاري ركب الأمم الحيّة في هـذا العصر ، وإنقاذه ممّـا كان يعـاني من مهلكات الشعب : الجهل والفقر والمرض» .

ومن أمثلة أسلـوبه الكتابي وآرائه الحرة نجتـزىء بنقل قسم من مقال كتبه في كـانون الأول ١٩٢٧ بعنوان «القبعة والطربوش» .

«القبعة لباس للـرأس كغيرها من الألبسة ، اعتاد أن يلبسها قـوم ولم نعتد أن نلبسها نحن ، فرميناها ظلماً بكل مـا يشين ، وجعلناها رمزاً للكفر وعلامـة للمروق من الوطنية وشعاراً للهرب من الشرقية و . . و .

عادة لو اعتادها أسلافنا لكفونا شرّ هذا النزاع والخلاف ، ولو اعتدناها نحن لكفينا أبناءنا وأحفادنا مؤونة ذلك .

أقول ما تقدم ، بعد ما قرأت في «الهلال» ما نشر حول القبعة والطربوش : فمصطفى صادق الـرافعي يدافع عن الطربوش ويـدلي بأسباب تمسّكه به ، ويشرح محمـود عزمي سبب لبسه القبعة ويعزز قوله ببراهينه في فضلها على الطربوش .

فالرافعي يرى أن القبعة على رأس المصريّ في مصر تهتّك أخلاقي أو تهتك سياسي أو تهتك ديني أو من هـذه كلها معـاً . ثم هو يستمسك بـالطربـوش لأنه يـريد الـدقة في التعبير لتعبّر به نفسه حين تعلن عن نسبته وقوميّته .

وعزمي يرى أننا نأخـذ من حضارة اليوم كلّ مظاهرها مـا خلا القبعة . ثم يقارن بين خفّة قبعة الصيف التي ذاق حـلاوتها في فرنسة وبين كبس الطربوش على دمـاغه الذي ذاق مرارتـه في مصر . وقد لبسها بعـد أن أفتى جمع من الأطباء بفـائدتها وبتفضيلها على الطربوش .

يتكلم الرافعي عن حرص شديد على ما ألفـه لأنه وجد نفسه مطربشاً بحكم العادة والمحاكاة ودون أن يجهـد نفسه ويختاره تفضيلاً منـه على سواه . ولكنه الآن يحاول أن يجد أسبابـاً يدّعي أنه يتمسّك بـالطربوش من أجلهـا ، لا بل يحاول أن يخلق تلك الأسباب التي من أجلها يستمسك بالطربوش .

ومن حسن الإتفـاق أن مجلة الهلال نشرت صورة الـرافعي الى جنب صورة عـزمي في العدد الـذي نشر فيه مقالتيهما ، فتأمّلـت في الصورتين ، فلم أجد الفـرق بينهما في الزيّ

سوى قبعة عزمي وطربوش الرافعي . ولو صادف أن صوّرا حاسري الرأس لما وجدنا بينهما فرقاً في الزيّ مطلقاً .

زيّ الرافعي ، كزيّ عزمي ، إفرنجي : بذلته إفرنجية ورباطه افرنجيّ ، حليق اللحية مهذّب الشاربين . وأنا أزعم أن آلاته وأدواته البيتيّة افرنجيّة كذلك . فهذه كلها لا تخرجه عن شرقيّته ولا عن ديانته ولا عن نسبته . ولكن القبعة . القبعة وحدها تخرجه عن تلك الصفات التي يحرص عليها .

لو كان الرافعي يوم بدأ القوم يلبسون الملابس الافرنجية لوقف تجاه الأزياء الحديثة وتجاه «الرباط» منها خاصة موقفه الآن تجاه القبعة ، ولكنه اليوم مطمئنّ راض بملابسه لأنه نشأ على ذلك ولأنه اعتاد أن يراها هكذا .

أجزم لو نشأ الرافعي ورأى القبعة تلبس في مصر، ثم حاول عزمي ومن على شاكلة عزمي إبدالها بالطربوش التركي «الشرقي» لوقف تجاهه موقفه الآن تجاه القبعة . ألا رحم الله المتنبّي إذ يقول :

راعتك رائعة البياض بمفرقي، ولو أنها الأولى لراع الأسحم

فهل هذه إلا عادات قضت على الرافعي وعلى كثير من أمثال الرافعي من الكتاب أن يفكروا لأنفسهم؟ . » .

نظم مصطفى علي الشعر للتفكهة والدعابة . دعي الى دورة ضباط الاحتياط في آذار ١٩٣٩ ، فضاق ذرعاً بالمدرّب العريف عاشور، وكان قاسياً عنيفاً ، فقال فيه من أبيات :

ودّعت عقلي وآرائي وتفكيري وسرت طوع عريف الجيش عاشور
عاشور، لست بذي رأي فأتبعه لكن بذاك قضى لؤم المقادير
لولا السياسة ما أبصرت لي شبحاً ولا رأيتَ بزيّ الجند تصويري .

وهجا بعض أصدقائه فقال :

إنني قد أكلته بالتجاريب (م) فلا تسمعوا الى من ذاقَهْ
ما حوى قطّ من صفات بني آ دم إلاّ صلافة وصفاقه
إن أهين استكان ذلاً وإن (م) أكرم في محفل أهان رفاقه
تنكر الذوق والحجى والسّجايا حين تبلو سلوكه ومذاقه
هو لا يطمئنّ للمرء إلاّ حين يبدي خداعه ونفاقه

ثم قال يذكر البصرة :

صاحِ عـرّج على حمى البصرة الفَيْحَا (م) وسـائلـه : هـل سـلا مشتـاقـه؟
وتلطّف وحيّهـا بـاحترام فهـي في المجـد والعلى سبّـاقـه
أنـا صبّ مـدلّـه بهواهـا فهـواهـا استبـاح قلبي وشـاقـه
بلـد حقّـه الجمال وسـاد الـ (م) ـحسـن والـزهـو والبها آفـاقـه
كـلّ مـا ضمّـه حبيب لنفسي وبقلبي لـه أجلّ عـلاقـه
قـف بها وادّكـر ليـالي لهو لـو سـلا القلب هيجّت أشـواقـه
كم سهـرنـا نلهـو بمجلس أنس والـدجى فـوقنـا يمـدّ رواقـه
مجلس عمّـه الصفـاء وسـاد الـ (م) ـودّ فيـه وجمّلتـه الطّـلاقـة
نسرق الأنـس من عيـون زمـان شـارد اللّبّ لا يـرى سرّاقـه
قـد أمنّـا الغـوائل السّـود طـراً ونسينـا من دهـرنـا إرهـاقـه
واجتلينـا من مطلـع الشمس نـوراً فـاق إشراق كأسنـا إشراقـه
عصبـة قـد تحرّرت ليـس فيهـا غير من رام في الحيـاة انطـلاقـه
كـلّ ذي رقّـة وطبـع سليم شـاقـه مجلس السرور وراقـه
طـاب نفسـاً فـلا يـرى العيش إلاّ أن يـوالي اصطبـاحـه واغتبـاقـه

وبعـد أن يسهب في وصف مجلس الأنـس وصفـاء المودّة يعـود الى مهجـوّه فيـذكـر اقتحامه لذلك المجلس وتعكيره لصفوه وهنائه .

مصطفى علي

استحضار الأرواح

مال مصطفى علي في الأعوام الأخيرة الى استحضار الأرواح : فقد قرأ مع رفاق له من المحامين والأدبـاء الفضلاء كتباً في الموضـوع ، فجرّبوا طـريقة مخاطبة الأرواح بـالقدح . وذلك أنهم كتبوا الحروف الأبجدية والأرقام وطـائفة من الكلمات الشائعة على رقعة ورق كبيرة وضعـوها على المائدة ، ثم جلسـوا بخشوع وطلبـوا حضور الأرواح . ووضع اثنـان منهم جلسا متقابلين يـدهما على القدح الذي صارت الروح تحرّكـه على وجه خارج عن إرادتهما ـ كما يشعـران ـ فيقف عند أحـد الحروف أو الكلمات . ويتولىّ بعض الحاضرين تسجيل الكلمات التي تمليهـا الروح عن طريق القـدح ، فإذا توقفت عـن البثّ ، قرئت الجملة وكانت واضحة مفهومة .

وظلّ الصحاب يعقدون مجالسهم في ليالي السبت ، وسجلـوا أحاديث وأجوبة كثيرة

لأرواح متعـددة معـروفة ومجهولـة .

ولا عجب أن آمن مصطفى علي وصحبه بـاستحضار الأرواح ، وقـد آمن بذلك من قبل علماء أعلام وأدباء يشـار إليهم بالبنان ، كالسر أوليفر لودج العـالم الفيزيائي والسر آرثر كونان دويل الروائي الانكليزي الشهير. وادّعى الشاعر المتصوّف وليام بليك أنه كتب قصائد بإملاء مباشر من أصدقائه في عالم الخلود (كما قال) .

وقـد حضرت أرواح عـاش أصحـابها قبل مئـات السّنين وأملت سيرتها على الحاضرين . واستحضر الجماعـة أيضـاً أرواح فـريق من أصـدقـائهم المتـوفّين كجميل صدقي الزهاوي والدكتور عبد الجبار عبد الله رئيس جامعة بغداد الخ .

***

إشتركت في بعض تلك المجالـس في شبـاط ١٩٧٣ ونظمت في ذلك مقطـوعـات شعرية قدمتها الى الاخوان ، منها :

مناجاة الأرواح :

هفتِ النفس إلى الغيب المَصُون ... واعترتها هـزّة الـوجـد المثير
عجبـاً قـد بهر النـور العيـون ... واجتلى الأشبـاح في مَسْرى الأثير
خثـر الإحسـاس واعتلّ الشعـور ... وغـدا الجسم كشفّـاف الثيـاب
ضمّ روحـاً من هَيُـولَى ، والبخـور ... يغمـر الجوّ بطيبٍ وضبـاب
وسرت مـن أُفُـقٍ نـاءٍ رفيـع ... نغمات مثـل أنسـام الـربيـع
تحمـل الحبّ وأنفـاس الخلـود ... فتنـاجـت في سكـون وصفـاء
أنفس قـد ظهـرت بعـد الخفـاء ... حـرّة تختـال في سحـر الـوجـود

لمصطفى علي ذكريـات طريفة كثيرة عن معـروف الرصافي ، ومن الأسف أنـه لم يدوّن أكثرهـا . وقد حـدثني أن أم كلثوم قـدمت الى بغداد سنـة ١٩٣٢ وأحيت حفلاتها على مسرح فندق الهلال . وقد غنّت ، فيما غنّته ، أغنية عراقية شهيرة :
«قلبك صخر جلمـود» ، أدّتها بتلطيف كلماتها وترقيقهـا خلاف اللهجة العـراقية .
فقال الرصافي وكان حاضراً : ماذا نريد؟ أخذت لحم ثورنا فجعلته لحم غزال وقدّمته لنا هنيئاً مريئاً ! .

ولم ينظم الرصافي شيئاً في أم كلثوم ، لكنه نظم أبياتاً في المغنيّة الراقصة العراقية منيرة ، فقال :

هـل سمعتم منيرة مـذ أفـاضـت ... من بـديع الغنـاء في كلّ فـنِّ
مـذ أقـرّت بـرقصهـا كلّ عين ... واسترقّت بصـوتها كـل أذن
رقصهـا يـرقص القلـوب على أنّ ... غِنـاهـا عن المزامير يغني . . .

لكنّ شعراء عراقيين كثيرين حيّوا أم كلثوم، في مقدمتهم جميل الزهاوي الذي قال:

الفـنّ روض أنيق غــــير مســــؤوم وأنـت بلبلـــه، يـــا أمّ كلثـــوم

وقال الشيخ جواد الشبيبي:

قمـــريّـــة الـــدّوح، يـــا ذات الترانيم مـع النســور على ورد الـــرّدى هـــومي

وهو تكليف المطربة ما فوق طاقتها!

وقال الرصافي أيضاً في المغنية منيرة:

هلـمّ الى ذا الغنــــاء الـــذي منيرة منـــه أتـت بـــالعجـب

أليســت منيرة في عصرنـــــــا مليكـــة فـنّ غنـــاء العـــرب؟

* * *

مصطفى علي الأديب يـؤمن بتفـاهم البشر وتقـاربهم ومحو الخلافـات الطبقيـة والسياسية والنعرات الدينية والمذهبية. وقد كتب في رسالة خاصة الى المؤلف يقول:

«فالبشر، بعد تـاريخه الدامي وبعد ما شـاد مدنيّته هذه التي يفخـر بها (!) وأقامها على أسس من الهمجية تكدست فيها جماجمه وتجمعت أشلاؤه، لا بدّ أن يثوب الى رشده ويرجع الى صوابـه فيتدبّر ويتفكّر. ولا بدّ أن يعقل فيخلع عنه نير التقـاليد ويتحرر من العادات فيتقارب ويتفاهم ويتّحد. ولا بدّ أن يدين بدين الإنسانية ويقدّس الأخوّة البشريـة. وهو سـائر نحـو هدفـه وإن كان سيراً وئيـداً، وإذا مـا سار فهـو واصل لا محالة».

حدثني مصطفى علي أنه كان في شبابه مولعاً بالمقامات والغناء العراقي. كان يجلس مع رفاقه في مقهى محلّته «قنبر علي» الى ساعة متأخرة من الليل، فإذا عاد يوسف زعرور مغنّي المقام المشهور من الملهى الذي يغني فيه دعوه الى الجلوس معهم برهة من الزمن. فإذا ما احتسى القهـوة وشرب الشاي، لم يجرؤ الشبان أن يطلبوا إليـه إسماعهم شيئاً من المقام لعلمهم بأنـه عاد متعباً، بل يأخـذ أحدهم بالدنـدنة ويقول للفنـان: أليس هذا المدخل الى مقام البهيرزاوي أو الـدشت؟ فيردّ عليه القارىء الكهل: كلا، يـا ولدي. ويأخذ بالقـراءة وينتقل شيئاً فشيئاً من مقام الى آخر. وهكذا كـان مصطفى علي ورفاقه الشبّان يستدرجون الفنّان الى تشنيف آذانهم بطرائف من فنّه المحبوب.

وقـال لي مصطفى علي: أعتقـد أنني أستطيع مصـادقة جميع النـاس على اختـلاف طبقاتهم وأديـانهم ومذاهبهم لأنني أحاول تفهّم آرائهم وعـدم المسّ بمعتقداتهم. لكنّ الوحيدين الذين لا أستطيع مجالستهم والتفاهم معهم هم اليـزيدية لتعصبهم الشديد. فقـد تـوفيت زوجـة حـاكم محكمـة الشيخـان فعقـد لها مجلس الفـاتحة وكلّف كـاتب المحكمة، وكان مقرئاً حسن الصوت، بتلاوة آيات من القرآن. ولما افتتح الكاتب ترتيله

بـ «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم»، هاج اليزيديون وماجوا وتجمعوا حول الدار يريدون قتل المقرىء. ولم تستطع الشرطة إنقاذه وتهريبه الى الموصل إلاّ بشقّ النفس.

كان ذلك منذ خمسين سنة. أما اليـوم فأقبل الجيل الجديد من اليزيديين على التعليم والثقافة واختلطوا بجيرانهم ونبذوا التعصب الذميم.

أصـدر مصطفى علي ديوان الـرصافي بشروح وتعليقـات موسعـة، وقد نشرتـه وزارة الإعـلام في خمسة أجـزاءٍ (١٩٧٢ ـ ٧٧). ونبهت مصطفى علي الى قصـائد للرصـافي لم تنشر في دواوينه (منهـا قصيدة في رثاء محمـد سامي بك مـدير معارف بغـداد في العهد العثماني) وسألتـه أن ينشرها في الـديوان الشامـل الذي أشرف على إصـداره، فقال: إن الرصافي قد أسقطها في حياته فلا أنشرها بعد مماته.

أصيب مصطفى علي برمد في عينيه سنـة ١٩٧٣ فحرم البصر إلا بصيصاً ضئيلاً من النور يهتـدي به في طريقـه، فصار يستكتب أولاده وأصـدقاءه ويستقرئهم في شـؤونه. ويقول إنه أصبح كأبي العلاء المعري «المستطيع بغيره».

وقد أدركته الوفاة في بغداد في ٤ آذار ١٩٨٠

على أثر سفـري الى لندن سنة ١٩٧٤ ظللت أنـا ومصطفى علي نتبادل الـرسائل الى حين وفاتـه سنة ١٩٨٠ وكـان بصره ضعيفاً فكـان يستعين بأولاده أو بعض أصحـابه يملي عليهم رسائله. وكان يردّد أنه «المستطيع بغيره» إقتداء بأبي العلاء شاعر المعرّة.

كتبت إليه عن تناقض آراء الـزهاوي والرصافي في شعـرهما، فكتب إليّ في ٤ حزيران ١٩٧٨ يقول: «أمـا ذكرك تنـاقض الرصافي والـزهاوي في شعـرهما فليس ذلك ببدع في الشعـراء، ونظرة خـاطفة الى شعـراء العرب تكفـي لأن تؤكـد لنا أنهم جميعهم من هـذا الطراز. وإذا كان بينهم من شذّ عن هذه الطريقة فهو من النوادر.

«والـذي أراه هو أن ننظـر الى إجـادة الشاعـر أكثر من أن ننظـر الى ثبـاته على مبـدأ واحد. فـالشاعر دقيق الحسّ يتأثـر بالأحداث المختلفـة فينطق أو يضطّر الى النطق بما يجول في خاطـره. وقد أشار القرآن الى ذلك بقـوله: ﴿**والشعراء يتّبعهم الغـاوون. ألم تر أنهم في كل واد يهيمـون وأنهم يقولـون ما لا يفعلـون**﴾. وإن كنتُ من الغاوين الذين اتبعتُ الرصافي وغيره من الشعراء».

جعفر الخليلي

بقيت النجف قـروناً مـديدة معقـلاً من معاقل الـدين واللغة، عـزلتها الطبيعـة في صحراء قـاحلة لا مـاء فيها ولا نبـات، وحرمتها الـرياض الـزاهرة والحقـول الناضرة، وأكسبت أهلها صرامة وجـداً وصلابة وجفاءً وزهداً في مباهج الـدنيا وملاهيها. دارت الحياة حول الـروضة الحيدرية المطهّرة، وانتشرت المدارس يؤمهـا طلبة العلم من أقاصي

البقاع ودانيها ليجلسوا على البسط والحصران بين أيدي المؤدبين والمدرسين وليقضوا أعواماً طويلة في المطالعة والحفظ ومراجعة الكتب الصفر العتيقة التي طالعها وحفظها وراجعها أبناء الأجيال المتعاقبة. وقامت المقابر تمتّد من ظاهر البلدة وتلاصق مساكن الأحياء وتزاحمها وتدافعها. قال الصافي النجفي:

صدق الذي سمّاك في «وادي طوى» ... يا دار، بل وادي طوى وعراء
جلست على الأنهار بلدان الورى، ... فعلامَ أنت جلست في الصحراء؟

وقال

فصادرات بلدتي مشائخ ... وواردات بلدتي جنائز

وهبّت على المدينة الهرمة في مطلع القرن العشرين نسائم التبديل والتحويل، فنادى فريق من العلماء بالتجديد والإصلاح، ودعوا الى إنشاء الحكم الدستوري في إيران وتقييد السلطة المطلقة. وتبعتهم زمر الشباب المتحمّس الذي أخذ يطالع مجلات مصر ولبنان والشام وينظم الشعر في المطالب السياسية والاجتماعية. وأنشئت الى جانب المساجد ودور العلم القديمة، مدارس عصرية تعنى بتدريس بسائط العلوم الحديثة. واصطرعت الأفكار بين القديم والجديد اصطراعاً شديداً لا هوادة فيه ولا لين، ومهدت السبل للإنتقاض على السلطة التركية أولاً وعلى الإحتلال البريطاني بعد ذلك، وهيّئت النفوس للتمرّد على الجمود ونبذ البدع التي التفّت حول الدين وكلّست مظاهره.

في تلك النجف المتحفّزة المصطرعة المتطلعة ولد جعفر الخليلي سنة ١٩٠٤ وكان أبوه الشيخ أسد من رجال الفضل والأدب يتعاطى الطب القديم شأن الكثير من أفراد أسرته، تلك الأسرة التي أنجبت أيضاً على مر العصور رجال دين بلغوا قمّة الزعامة الروحية. ونشأ جعفر بين أسرة متفتّحة في بيئة متزمّتة، وانتمى الى المدرسة العلوية التي أنشئت قبل عهد قصير لتعليم الصبيان على أسس حديثة. وأقبل على مطالعة الكتب الأدبية والمجلات بنهم شديد، وقرض الشعر وهو يافع.

وحدثت في النجف في أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال الانكليزي حركات وطنية طاغية اشترك فيها أخوه الأكبر عبّاس ووالده، لكن جعفراً لم يبلغ السنّ التي تؤهّله للعمل فاكتفى بالتطلع إليها والمساهمة فيها بفكره وروحه. ومال الى الكتابة فوضع، ولم يكد يشرف على عامه الثامن عشر، قصة إنسانية بعنوان «التعساء».

وامتهن التعليم عشرة أعوام في الحلة والنجف وسوق الشيوخ والرميثة، وكان مدرساً للتاريخ والجغرافية في المدرسة الثانوية بالنجف ثلاث سنوات. وأصدر في تلك الأثناء جريدة «الفجر الصادق» الأسبوعية (٧ آذار ١٩٣٠)، وكانت حرة النزعة، تدعو الى النهضة والإصلاح، فاضطرّ على غلقها في تشرين الأول ١٩٣٠ بعد أن أنذرته السلطات المسؤولة بعدم الجمع بين التدريس والصحافة.

واستقال من التدريس سنة ١٩٣٣، ثم أصدر جريدة «الراعي» (١٣ تموز ١٩٣٤)، وقد عطّلت لأسباب سياسية في ١٩ نيسان ١٩٣٥ وأصدر جريدته الثالثة «الهاتف» في ٣ أيار ١٩٣٥، فكانت مدرسة سيّارة عالجت فنون الأدب وعنيت بالقصة وأظهرت مواهب جيل كامل من الشعراء والقصاصين.

وانتقل الخليلي بهاتفه الى بغداد سنة ١٩٤٨، ثم جعل جريدته سياسية يومية (٢٧ كانون الأول ١٩٤٩)، مع مواصلة العناية بالقصة والأدب وإصدار أعداد ممتازة سنوية جامعة. وعاد الهاتف أدبياً أسبوعياً في تشرين الأول ١٩٥٢ حتى احتجب سنة ١٩٥٤

أنشأ الخليلي بعد ذلك دار التعارف للإعلان وأخرج «موسوعة العتبات المقدسة» وهو مشروع ضخم نهض بأعبائه وتولى بنفسه شؤون الإدارة والتحرير والطبع والنشر والتوزيع، وجنّد لمساعدته أقلام صفوة من الأدباء والبحاثين والكتاب.

أما جعفر الخليلي الرجل فهو - كما وصفه روكس بن زائد العزيزي - «ربعة في الرجال، تكمن وراء لطفه المهذب رجولة حازمة تنمّ عليها نظرات فاحصة نفاذة. أناقة متناسقة تدل على ذوق رفيع، ونكتة حاضرة بارعة يواكبها وفاء للصديق وإنصاف للخصم وهدوء نفسي ينمّ على حياة عائلية سعيدة».

مؤلفاته وأدبه

جعفر الخليلي أديب وصحفيّ وشاعر، وهو من رواد القصة العراقية، له أسلوب لطيف، سلس العبارة، قريب المتناول، يطعم كتاباته بالحكايات واللطائف والأمثال الشعبية. كتب في السياسة والاجتماع والتاريخ والقصص والأدب عامة، وبرع في وصف الحياة الاجتماعية ومعالجة المشاكل العامة وتصوير المجتمع والأفراد والدعوة الى الاصلاح وحرية الفكر والتسامح وتوسيع آفاق المعرفة والثقافة.

وضع مؤلفات كثيرة، منها: يوميّات (في جزءين) ١٩٣٥، التعساء (١٩٢٣) الضائع (١٩٣٨)، عندما كنت قاضياً (١٩٤١) في قرى الجنّ (١٩٣٩)، من فوق الرابية (١٩٤٩) تسواهن (١٩٥٣) على هامش الثورة العراقية الكبرى (١٩٥٢) مجمع المتناقضات (١٩٥٣) إعترافات (١٩٣٧) حديث القوة (١٩٤٢) أولاد الخليلي (١٩٥٥) مقدمة في القصة العراقية (١٩٥٧) هؤلاء الناس (١٩٥٦) جغرافية البلاد العربية (١٩٣٤) حبوب الاستقلال (١٩٣٦) خيال الظلّ (١٩٣٦) حديث السّعلى (١٩٣٤) السجين المطلق (١٩٣٦) آل فتلة كما عرفتهم (١٩٣٦) نفحات من خمائل الأدب الفارسي (١٩٦٥) ما الذي أخذ الشعر الفارسي من العربية (١٩٦٧) كنت معهم في السجن (١٩٥٦) التمور قديماً وحديثاً (١٩٥٦) القصة العراقية قديماً وحديثاً (١٩٦٢) هكذا عرفتهم أربعة أجزاء ١٩٦٣ ــ ١٩٧٢) موسوعة العتبات المقدسة

(صدر منها ١٣ جزءاً ١٩٦٥ ـ ٧١) الخ.

وله عدا ذلك مصنّفات مخطوطة منها:

نصيب بغداد من قصة كليلة ودمنة، صفحات من الجيل الماضي، الخ.

***

أصدر جعفر الخليلي الجزء الخامس من «هكذا عرفتهم» (١٩٨٠) ثم الجزء السادس (١٩٨٢).

تغلب على قصص الخليلي الصبغة المحلية، لكنها مع ذلك إنسانية الشمول، فالبشر هم هم مهما اختلفت عصورهم وأقطارهم. وإنّ النماذج البشرية التي رسمها الخليلي لتجتمع في مناحٍ كثيرة بشخوص بوكاتشيو الايطالي وموباسان الفرنسي وأو. هنري الاميركي على تبايُن الزمان والمكان: فمزعل الفحّام الذي يطلب البركة ليوسّع عليه الرزق ولترفه أسرته الكبيرة، وأم حسن المطلقة التي أبعد عنها ابنها وحرمت نعمة مشاهدته، وموسى الذي يعرف من أين تؤكل الكتف والذي يسخّر الجنّ توسّلاً الى الانتقال من دار آهلة الى دار مستقلة فرشت له بأحسن الرياش، وأبو علي الرجل المرح الفكه الذي يبتدع طريقة شاذة فريدة لتهدئة نفسه السريعة الى الغيظ والخصام، وعبد اللطيف الحلاق المصارع الذي يهرب من وجه العدالة ويتخفّى خمس عشرة سنة ليجد بعد ذلك أنه لم يكن مجرماً ولم تكن هناك جريمة، والشيخ أحمد المزدوج الشخصية، الشرس في داره، الهادىء الحيّي في السوق والشارع، والحاج حسين البقال الذي اشتهر بأمانته وتساهله وكرمه ثم ظهر، بعد موته، أنه كان يغشّ بضاعته ويسرق زبائنه بمهارة جازت على الناس، والشيخ دبعون القرويّ الذي يتظاهر بالعظمة الفارغة ويتشامخ على الجهلاء والسذّج ليحصل على المال فيقع في الشرك الذي نصبه لسواه، كل أولئك وغيرهم من أبطال قصص الخليلي لهم أقرانهم ونظراؤهم في الأزمنة الخالية والأمصار النائية.

إن القاصّ الاميركي وليام سدني بورتر (١٨٦٧ ـــ ١٩١٠) الذي عرف باسمه المستعار «او. هنري» قد خلّد في قصصه صوراً وشخوصاً من الحياة الاميركية في عهد استعمار الولايات الغربية والجنوبية والتوغل في مجاهل الصحارى والسهول والجبال المترامية الأطراف، فروى أحاديث المجازفات وبراعة النصب والاحتيال في البورصة المالية وعلى قارعة الطريق، وسذاجة أهل القرى، وبؤس الطبقات الفقيرة في المدن الغنيّة الصاخبة، في تلك الحقبة التي مرت واندثرت ولم يبق لها في الغداة من أثر. ويمكن القول إن الخليلي قد عمل لعراق النصف الأول من المائة العشرين ما عمله أو. هنري، في قصصه السّاحرة، لأمريكا منتصف القرن التاسع عشر، فرسم، ببراعة فائقة ودقة واقعية وإخلاص فنّي جميل، الصور والشخوص التي عرفها وسمع بها وتخيّلها في

عهد الانتقال والتطوّر الذي مضى الى غير رجعة. إنّ معالم الحياة في النجف وحواضر الفرات وأرياف الجنوب - وهي في مقدمة مسارح قصص الخليلي ــ قد تغيّرت وتبدلت تبدلاً أساسياً خلال جيل واحد من جراء انتشار الثقافة ووسائل المعيشة العصرية، وسوف تجد الأجيال القادمة صور تلك الحياة وغرائبها في «أولادالخليلي» و «الضائع» و «هؤلاء الناس» و «في قرى الجنّ» و «عندما كنت قاضياً» و «من فوق الرابية» و «مجمع المتناقضات»، وتطّلع عل نماذج إنسانية خاصة في بيئتها، عامة في المجتمع البشري طوال العصور، ذلك الى جانب المتعة الروحية التي تنبثق من الأدب الواقعيّ المخلص غير المصطنع ولا المفتعل.

وجعفر الخليلي بعد ذلك أديب ذوّاقة وشاعر مطبوع. وقد رأيناه في «نفحات من خمائل الأدب الفارسيّ» يسدي يداً جميلة للآداب العربية والفارسية على السواء، فكان - كما قلت عنه في مناسبة ظهور كتابه ــ أديب اللغتين وجامع الحسنيين والذوّاقة الذي يحسن الاختيار ويحسن النقل والنظم والأداء.

إن نفحات الخليلي باقة عطرة من الزهور، زاهية الألوان، مختلفة الأشكال، عبقة الأشذاء. وهي نافذة تطلّ على خمائل الأدب الفارسي وتهيّىء للقارىء العربي أن يلمّ بشيء من روائع سعدي والفردوسي وحافظ وعرفي الشيرازي وعبيد زاكاني وأقرانهم. وتجمع «النفحات» فنوناً شتى من الشعر، ففيها الغزل:

قلتُ إن جئتني بشتك ما بي — من أليم الجوى وفرط الشقاء
أيّ شيء أبثّه، وأنا إن — جئتني زال في مجيئك دائي؟

وفيها الهيام:

سألوني عن دار هاجرتي — قلت: قلبي المولّه الدّنِفُ

وفيها الحكمة:

هذي الحياة مراتع، وقطيعها — هذا الأنام، وذئبها الآجال
تغتال منها كلّ آنٍ واحداً، — فترى ولا يرتاع منها البال

وفيها الرحمة:

لا تؤذها نملةً تسعى بحبّتها — فإنها ذات روح ملء إحساس

وفيها الشك:

كم سعينا لكي ننال من الدنيا — مناها فما بلغنا مناها
كيف نحظى بعد الممات بأخرى — ما سعينا لها وما رمناها؟

وفيها الأمل:

قـد تـركنـا الـريـاء والمكـر طـراً وانتـزعنـا غـلّ القلـوب لتصفـو
فـاسقنيهـا سـلافـة، فكما أنّـا عفـونـا فإنّ ربّـك يعفـو

وفيها غير ذلك كثير من الصور والمشاعر والأفكار.

ولئن كانت المقطوعات أغلبها قصيراً فهنالك قطع طويلة جميلة كـ «العشاء اللذيذ» لأبي القاسم حالت، وهي قصة آكل لحوم البشر الذي قصد باريس من أواسط الأدغال الكثيفة ليختال تيهاً ويصاحب الغيد الحسان، فلما سئل عن حسناء رئيت معه بالأمس، قال:

لم تكن من رأيتموني وإيّاها، كما قد ظننتم في المساء
إنما الكاعب الجميلة كانت إن أردتم أن تعرفوها عشائي!

وكـ «عشق الفلاسفة» لحافظ الشيرازي:

شيمة العاشقين في الحبّ لطف وغلوّ في المدح والإطراء
وتفانٍ تسمو به الروح في الخلد سموّ الأبطال والشهداء
لا كلام تسوده غلظة القول ووعظ يليق بالأنبياء

والحسناء المتسائلة التي ناشدت الشاعر أن ينبئها عن الغادة التي تنفث السحر وتصمي الأفئدة وتبثّ الشّجى في النفوس:

فوضعت المرآة بين يديها قائلاً: من تَرَيْنَ في المرآة!

لكن أطول القطع وأبدعها، ولا ريب، هي أرجوزة القط والفيران لعبيد زاكاني (المتوفى سنة ١٣٧١م). وهي قصة رمزيّة تعبر عن الإنسان بالحيوان، ولا أملك أن أرويها هنا، وحسبي أن أحيل القارىء عليها ليأنس بقراءتها ويفكر في حكمتها ويخرج منها، كما يخرج من نفحات الخليلي جميعها، بمتعة روحية ولذّة فكرية وسكرة شعرية.

***

عرفت الخليلي وصحبته أعواماً طويلة، وقضيت معه في دار الهاتف والتعارف وغير دار الهاتف والتعارف أوقاتاً ممتعة وساعات هنيئة مغمورة بالمودّة والوفاء، معمورة بالأدب والشعر، عطرة بأنفاس اللذة الروحية والمتعة الذهنية. وكان، إذا سافر أو سافرت، اتصلت بيننا الرسائل، نتبادل الأفكار ونتنسّم الأخبار ونبثّ اللوعة والشكوى، نتأسّى بالأدب، ونفرح فرحة الأديب بالأديب، ونلتقي لقاء القريب للقريب. وحسبي أن أورد أبياتاً أرسلت بها إليه في بيروت في صيف سنة ١٩٦٦ رداً على خطاب منه:

لك منّي، أيا صديق حياتي، ألف شوق يضوع ملء الجَنَانِ
وسلام مثل النسيم رقيق وخطاب محمّل بالمعاني

أنـــا في بهجـــة وبسطـــة عيش ورخـــاءٍ يفـــوق حـــدّ الأمـــاني
حـــامـــداً للخليل فضـل مـــزايـــا وسجـــايـــا قطـــوفهـنّ دواني
بيـــد أنّي ـــ وليس ذلك بِـــدْعـــاً ـ أرهـق الفكـــر في اتّهام الـــزمـــان
أسهـــر الليل في اقتنـــاص الـــدّراري وأخـــال المحـــال طـــوع البنـــان
وأراني أردّد اليـــــوم شعـــــراً لحكيـم أضرّه المحبســــــان :
«علّـــلاني، فـإنّ بيـض الأمـــاني فنيـت والظـــلام ليس بفـــان!»

ولجعفر الخليلي شعر رقيق منـه رثاؤه لقرينته التي توفيت قبل عـدة سنوات من لحاقه بها. قال:

أنســـاك، لا والله لا أنســـاكِ أنسى، ومـلء جـــوانحي ذكـــراك؟
البيت بعـــدك مُغْـــولِ لا صـــوت في أرجـــائه إلاّ عـــويل البـــاكي
والبـــاب بعـــدك مقفـل لا زائر يـأتي ولا ضيـف يـــؤمّ حماك.

الشعر في النجف:

حدّثنـي جعفر الخليلي، قـال: كنت جالسـاً في صباح أحـد الأيام في إدارة جـريدة الهاتف بالنجف، فجاءني رجل يلبس الكوفية والعقال والزيّ البلدي، وقدّم نفسه أديباً من بغداد. فرحبت به أجمل ترحيب، وقال بعد هنيهة: إنني ماضٍ الى الرياض وأرغب في مدح الملك عبد العزيز ووليّ عهـده الأمير سعود طمعاً في صلتهما بعد أن كسد سوق الأدب في العـراق. فهل لـك أن تنظم لي قصيـدتين في المعنى المطلـوب، فقـد خمدت القريحة واشتدت الحاجة وأضنكت اللأواء.

قـال الخليلي: فقلت: إن مجلس الأدب يلتئم في «الهاتف» عصراً، فلعلّك إذا جئت حصلت على مأملك.

وجاء الرجل عصراً فوجد المجلس حافلاً بالشعراء والأدباء. ولما علموا بأمره هشّوا له وبشّوا، وأخذ كل منهم ينظم الشطر والبيت والبيتين حتى استقامت قصيدتان جيّدتان في مدح الملك والأمير. فكتبهما الرجل بخطّه وقرأهما مرة أو مرتين، وسلّم وخرج شاكراً.

ومضت أسابيع قليلـة فإذا بالرجل يعـود، وقد حسنت حالـه وظهرت عليه مظـاهر النعمة. وأخـرج من جيبه بضعة دنـانير وقال: جزاكم الله وجـزى الاخوان عنّي خيراً، فقد أنشدت القصيدتين وفزت بجوائز آل سعود. وهـا أنا ذا قد عدت غانماً، فأرجو أن تعطي هذه الدنانير الى الشعراء الذين تفضلوا عليّ بالنظم.

لكنّ الخليلي أعـاد اليـه النقـود وقـال: لا داعـي للشكـر ولا للمكـافأة، فـاحتفظ بـدنـانيرك. إن الشعـر يجري على ألسنـة أهل النجف، وهي التي قـامت في الصحـراء

وحرمت الماء، كما تجري دجلة في بغداد وكما يجري الفرات في الحلة. ومتى بيع الماء بالنقد؟

حدثني جعفر الخليلي أنه حين أصدر جرائده الفجر الصادق والراعي والهاتف في النجف في مطلع سنوات الثلاثين كان يدعو الى حرية الفكر ومكافحة البدع والخرافات، فكان العوام والمشايخ الجهلة ومن لفّ لفهم يناوئونه ويكفرونه.

كانت إدارة جريدته خارج مركز البلدة يقابلها مقهى لحفّاري القبور وقرّاء الفواتح وأمثالهم وتجاورها أرض عفاء. وفي ذات مساء كان في مكتبه وليس معه سوى عامل واحد شيخ، فإذا به يرى جماعة من العوام والأوباش يحيطون بدار الجريدة وينادون بالويل والثبور ويهددون «الكافر» بالقصاص العاجل لكي يرتدع عن غيه. وكان الجمهور يتزايد والأمر يتفاقم، والخليلي محصور في إدارته لا تلفون لديه ولا سبيل له لطلب المعونة ولا طريق للخلاص. فأحكم غلق باب الدار وسلّم أمره لله منتظراً ما يكون.

وفجأة قدم قادم من المقهى وقال إنّ جنازة «سمينة» جيء بها من الحلة، فصاح القوم وأكثرهم من مرتزقة «وادي السلام» مقبرة النجف: لنذهب الآن ولا يفلت «المارق» من يدنا في فرصة قريبة! ولم تمرّ دقائق معدودة حتى خلا الطريق، فخرج الخليلي وصاحبه وهما لا يكادان يصدّقان بالنجاة ـ وأسرعا بالمضيّ الى البلدة.

كلمة أخيرة

أصيب الخليلي بداء النقرس واشتدّ عليه الألم. فقيل له: لا تحزن، فالنقرس داء الملوك. قال: الحمد لله الذي لا يحمد على مكروه سواه. أيكون كلّ حظي من الملوك داءهم؟

حين اشتدّ الجفاء بين الحكومتين العراقية والإيرانية ونفي آلاف العراقيين من أصل إيراني الى إيران بعد خروج محمد رضا شاه وتولي آية الله روح الله الخميني مقاليد الأمور، خشي جعفر الخليلي أن يبعد الى إيران، فالتجأ مع أسرته في ربيع سنة ١٩٨٠ الى عمّان وأقام فيها. وزار خلال هذه المدة لبنان والمانية الغربية وفرنسة.

وذهب الى دبيّ بالإمارات العربية المتحدة لزيارة ابنته ابتسام فتوفي ودفن فيها في ٢ شباط ١٩٨٥

وكتب أكرم زعيتر على أثر وفاة جعفر الخليلي يقول إن لقاء الخليلي متعة للذهن وترويح للنفس وحديثه ينم على حضور البديهة وبراعة النكتة وسعة الاطلاع ولطافة الاستطراد وطرافة الاستشهاد بالشعر.

وقال إن الحديث دار معه حول ضعف الذاكرة ونسيان الأسماء فأنشد الخليلي:

أفـــرط نسيـــاني الى غـــايــة لم يـــدع النسيـــان لي حسّـــا
فصرت إمـــا عـــرضت حـــاجـــة مهمـــة أودعتهـــا الطـــرســـا
فصرت أنسى الطـــرس في راحتـي وصر ت أنســـى اننـــي أنســـى

وقيل له: إن جميع صحفيي العراق يلقبونك «أبو الصحافة العراقية»، فأجاب: «أنا أبوها حين يريدون لعنها بقولهم: لعن الله أبا الصحافة!».

وقـال زعيتر إنه علم أن الخليلي ألف في عمان كتـاب «مما احتفظت بـه الذاكـرة من الخواطر» وكتاب «الشعر العربي والغناء» وقصة تمثيلية عنوانها «رهبان بلا دير».

جعفر الخليلي: وفاته

حين علمت بوفاة الصديق جعفر الخليلي بادرت إلى الكتابة إلى ابنته فريدة معرباً عن ألمي وحزني لهذا النبأ الفـاجع. وقلت انه حيّ بآثـاره الأدبية وحيّ ببناتـه، واستشهدت بأبيات من قصيدة أحمد شوقي في رثاء شيخ وزراء مصر مصطفى فهمي باشا:

انّ البنـــات ذخـــائر مـن رحمة وكنـــوز حبّ صـــادق ووفـــاء
السّـــاهـــرات لعلّـــة أو كبرة والصـــابـــرات لشـــدّة وبـــلاء
والبـــاكيـــاتك حين ينقطـع البكـــا والـــزائراتك في العـــراء النـــائي.

وقد جاءني جوابها يقول: «بكيت اليوم بكاء مراً. ولا يعني أنني نسيت البكاء، فهو يرافقني منذ رحيل أبي، لأنني فقدت صـديقاً وانساناً وأباً ومؤنساً في الـوحدة والغربة، وبكائي اليوم جاء حسرة على أبي الذي مات وهو يلهج بك، مات وهو لا ينساك قط. مات في قلبه حسرة على من عرفهم وأحبّهم. رسالتك أثـارت شجوني، أثارت ذكريات تلك الأيـام الحلوة في داربتكم العـامرة ومـأكولات السيـدة اللذيـذة والبنات الجميـلات الحبيبات. كان عسيراً علينا أن ننساكم حتى في أوج محنتنا وغربتنا».

ثم قالـت ان أباها كـان يعاني الآم النقـرس والضغط العالي والقلب واشتـدت عليه الوحدة القـاسية، وليس معه غير ابنته فـريدة التي رافقته في كل مكـان. وقد مضيا في السنوات الأخيرة إلى المانية وفـرنسا وسويسرا. وقالت انه كان يـزور أختها في دبي شتاء. وشـاء القدر أن تـذهـب فـريدة معـه لأول مرة، فأصيب هنـاك بجلطـة قويـة ونقل إلى المستشفى حيث عاش أسبـوعاً وهـو يتمتع بالصحـة والراحة والعنـاية الفـائقة. ونظم الشعـر الجميل في مـدح الطبيبات والعـاملين على راحتـه. لكنـه توفي في ٢ شبـاط ١٩٨٥، وأقيمت الفـواتح على روحه في سـوريـة ولبنان ودبّي والشـارقة. وجـرى تأبين الأربعين في سورية والشارقة وفي مصر برعاية نادي الأدب الحديث.

وقد رثاه الدكتور صفاء خلوصي المقيم في اكسفورد، قال:

أو هكـــــذا تمضي السنـــــــون والــــدمع مــــدرار هتـــــون؟
يـــا (جعفـــر) العلـم الغـــزيـــر وكـــلّ أنماط الفنـــــــــــون
كنـت المجلي في القـــــريـض وفـــــارس النثـــــر المبين.

الدكتور متّى عقراوي

من رجال التربيـة، ينتمي متّى يوسف عقـراوي إلى أسرة تجارية معـروفة، وقـد ولد بالموصل في ٩ كانون الأول ١٩٠١ ودرس في جامعة بيروت الأميركية.

وعيّن مـدرسـاً في دار المعلمين ببغداد في ايلـول ١٩٢٤ وألف «مـذكـرات التـاريخ القديم» (١٩٢٧).

ثم درس علم التربية في جامعة كولمبية في نيـويورك ونال فيها درجة الدكتوراه. وعيّن مديراً لدار المعلمين (ايلول ١٩٢٩)، ثم تقلب في منـاصب وزارة المعارف وأصبح مديراً لمعـارف كركـوك والحلـة. ونقل بعد ذلك استـاذاً في دار المعلمين العـالية، وأنيطت بـه عمادتها وكالةً (آب ١٩٣٧) فأصالة (آب ١٩٤٠).

وعيّن مـديراً عـامـاً للتعليم العـالي بوزارة المعـارف (تشرين الأول ١٩٤٥)، واختير عضواً بالمجمع العلمي العراقي عند تأليفه في كانون الثاني ١٩٤٨

وأعيرت خدمـاته إلى منظمـة التربية والثقافـة والعلوم التـابعة لهيئـة الأمم المتحدة في باريس (اليونسكو) في شباط ١٩٤٩ وعـاد إلى العراق فكان أول رئيس لجامعة بغداد (١٩٥٧). واعتـزل رئاسة الجامعـة بعد ثـورة تموز ١٩٥٨ وعـاد إلى العمل في مؤسسـة اليونسكو التي كلفته بمهام تربوية في أنحاء مختلفة من العالم.

ثم عيّن أستاذاً في جـامعة بيروت الأميركيـة حتى اعتزل العمل سنـة ١٩٧٤ وأقام في بيروت. وقد توفي بها في سنة ١٩٨٢

وضع الدكتور عقراوي مؤلفات عديدة، منها:

مشروع التعليم الاجبـاري في العـراق (١٩٣٧) العـراق الحديث (ألفـه بـاللغـة الانكليزية ثم نقله إلى العربية بمسـاعدة الدكتور مجيد خدوري (١٩٣٦) اصلاح الخط العـربي (١٩٤٥) محاضرات في تطويـر البرامج (١٩٦٤). وقد اشترك في تأليف كتـاب «التربيـة في الشرق الاوسط العربي» (١٩٥٠) ووضع «تقـرير عن التعليم في الكـويت» (١٩٥٥). واشترك في ترجمة كتاب الديمقراطية والتربية للاستاذ جون ديوي (١٩٤٦).

وقـد كان متى عقـراوي من المربّين ذوي الشأن في تـاريخ معـارف العراق بين سنـة ١٩٣٠ ـ ٥٨ عنـي في بادىء الأمر بشـؤون التعليم الاجبـاري والتربية الأسـاسيـة، ثم اهتم بنشر التعليم العالي وتطويره ورسم مناهجـه. وفي محاضرة له ألقاها في نادي القلم

العراقي ونشرت في مجموعته الاولى (١٩٣٨) عن التعليم الاجباري في العراق، قال: «خير ضمان لحياة هذه البلاد يقظة الأمة برمَّتها، وهذا لا يتّم الاّ بالتعليم الابتدائي الاجباري». ثم مضى إلى وضع منهاج لتعميم التعليم الابتدائي وانشاء المدارس الكافية وتهيئة المعلمين واحضار المال وسائر اللوازم لتنفيذ المشروع ومعالجة المشاكل التي تعتور ذلك التنفيذ كتوزيع السكان وتنظيم الاحصاء وتعليم البنات وتنويع المناهج الحضرية والريفية وهلم جراً.

وهيىء له أخيراً أن يخدم التربية والثقافة في البلاد العربية عامة عن طريق مؤسسة اليونسكو الدولية، سابقاً في هذا المجال طائفة من المرّبين العراقيين كخالد الهاشمي وعبد الحميد كاظم وأقرانهما. وقال الدكتور عقراوي: «من واجبات الجامعة في العالم العربي أن تنمّي اللغة العربية وتجد المفردات اللازمة ليصبح بالإمكان استعمالها كعامل فعّال للتعليم وللتعبير عن الفكر العربي، سواء أكان هذا الفكر علمياً أو تكنولوجياً أو انسانياً أو اجتماعياً».

حسين الرحّال

من أدباء العراق المتحررين، ولد حسين الرحال ببغداد في ٢١ آب سنة ١٩٠٠، وأصل أسرته من بلدة راوة تعرف بآل يحيى، اشتهرت بالتجارة بين نجد والعراق والهند والحجاز وسورية ومصر، وقد انتقل جده عبد الرحمن الرحّال إلى بغداد فاتّخذها سكناً له.

سافر حسين إلى أوروبة بعد نهاية الحرب العظمى ودرس في ألمانية. ثم قفل راجعاً إلى بغداد سنة ١٩٢٠ وانتمى إلى مدرسة الحقوق ونال اجازتها (١٩٢٩). وأصدر مجلة الصحيفة (كانون الأول ١٩٢٤) فكانت من الصحف المتحررة، ولم تدم الاّ شهرين. ثم كان مديراً مسؤولاً لجريدة «سينما الحياة» التي أصدرها ميخائيل تيسي في كانون الاول ١٩٢٦

ووظّف مترجماً في ديوان وزارة الخارجية (١٩٣١) فوزارة الدفاع والداخلية وأصبح بعد ذلك مميزاً للمطبوعات الخارجية بمديرية الدعاية العامة (نيسان ١٩٣٧) فمدير الإدارة في أمانة العاصمة (شباط ١٩٤٥). ودعي إلى الالتحاق بدورة ضبّاط الاحتياط في ايلول ١٩٣٩

وتولّى مديرية الاذاعة في آذار ١٩٤٨ وعيّن مديراً للإدارة المحلية بوزارة الداخلية (ايار ١٩٥٠).

ثم نقلت خدماته إلى إدارة السكك الحديدية فأصبح سكرتيراً لمجلس إدارتها (تموز ١٩٥٤).

واعتزل الخدمة، وتوفي ببغداد في ١٣ نيسان ١٩٧١

كان كاتباً أديباً واسع الثقافة بحث عن الاشتراكية والتطور الإقتصادي ودعا إلى تحرير المرأة في أوائل العشرينات، ونقل جانباً من أشعار ناظم حكمت عن التركية. وقد أجاد اللغة الانكليزية واطّلع على آدابها.

وشارك في تأليف كتاب «الإدارة المركزية والإدارية المحلية في العراق» (١٩٥٣).

عباس فضلي خمّاس

من الكتّاب المعروفين عباس فضلي خمّاس أخو اللواء حسين مكي خماس، ولد ببغداد سنة ١٨٩٩ وانتمى إلى دار المعلمين بعد الاحتلال البريطاني فتخرج فيها وعيّن معلماً (شباط ١٩١٨)وكان في سنة ١٩٢٠ ــ ٢١ يكتب في جريدة الاستقلال بتوقيع «الكسائي الصغير». ودخل بعد ذلك دار المعلمين وأوفد لاكمال دراسته في انكلترة، لكنه عاد قبل الحصول على الشهادة.

وعاد إلى سلك التعليم، ثم استقال وأصدر مجلة (الطلبة» الاسبوعية (كانون الثاني ١٩٣٢)، فلم تدم طويلاً. وعيّن في دائرة الحسابات بوزارة الدفاع (١٩٣٣) وأصبح رئيساً لديوان وزارة الدفاع (ايار ١٩٣٧) فمفتشاً للطابو (تموز ١٩٣٩)، ونقل رئيساً لتسوية حقوق الأراضي (تشرين الثاني ١٩٤٧). وعّين مديراً عاماً للتسوية في كانون الثاني ١٩٥٠، وأدركه الحمام سنة ١٩٥٢

كان عباس فضلي مولعاً بالأدبين العربي والتركي، وقد ترجم عن الانكليزية كتاب منازع الفكر الحديث (طبع ١٩٥٦) من تأليف كيرل ادوين ماتجنسن جود.

محيي الدين يوسف

من رجال التربية والتعليم، ولد محيي الدين يوسف في الموصل سنة ١٩٠٣ وأتم تحصيله في مدارسها. ثم أوفد ضمن البعثة الدراسية إلى جامعة بيروت الأميركية (١٩٢٢) فنال شهادة بكلوريوس علوم سنة ١٩٢٦ وعيّن مدرساً للرياضيات في المدرسة الثانوية بالموصل، ثم نقل إلى بغداد. وعيّن مديراً للمدرسة المتوسطة الشرقية ببغداد فمديراً لثانوية الموصل فمديراً لمعارف منطقة كركوك (نيسان ١٩٣٣). ونقل مراقباً للتعليم الابتدائي بوزارة المعارف فمديراً للتعليم الثانوي (نيسان ١٩٣٧).

وعيّن استاذاً في دار المعلمين العالية (تشرين الثاني ١٩٤١) فمديراً للتعليم الثانوي مرة ثانية (شباط ١٩٤٣) فمفتشاً عاماً للمعارف (آب ١٩٤٦) فمديراً عاماً للتعليم

العالي وأعيد إلى التدريس في دار المعلمين العاليـة (كانون الأول ١٩٥٣) وظلّ يدرّس فيها حين أصبحت تعرف بكلية التربية.

واختير عضواً في المجمع العلمي العراقي (آذار ١٩٤٩). وأدركته الوفاة في بيروت في ايلول ١٩٥٩

نشر محيي الدين يوسف بحـوثاً في العلوم والرياضيات. وقـد اشترك في ترجمة كتاب «نظرية الأعداد»، ونقل إلى العربية «مقدمة الرياضيات» من تأليف وايتهيد (١٩٥٢).

مكّي الجميل

الكاتب الصحفي ورجل الإدارة والقضاء مكي بن عبد المجيد الجميل، أخو حسين جميل وابن عمّ الشاعر حافظ جميل. وقـد كان أبوه عبد المجيد بن أحمد جميل (١٨٨٠ ـ ١٩٧١) من رجـال الفقه، تخرّج في مـدرسة الحقـوق ببغداد (١٩١٢) وكـان حاكماً في المحاكم المدنية (١٩١٩ ـ ١٩٤٦).

ولـد مكي الجميل ببغـداد سنــة ١٩٠١، ودرس في مـدارسهـا، ووظّف في ايلـول ١٩٢٠

وأصدر في ١٧ تشرين الثاني ١٩٢٣ جريدة «الغربال» الاسبوعية، فدامت نحواً من ستة أشهر. وانتمى إلى مـدرسة الحقوق فنال إجازتها سنة ١٩٢٧ وعيّن مـديراً لتحرير لواء الموصل (ايلـول ١٩٣١) فمديـر ناحيـة المحاويل (١٩٣٣). ونقل مـديراً لنـاحية شثاثـة ثم استقال في حزيـران ١٩٣٥ وزاول المحامـاة. وانتخب نائباً عن لـواء ديالى في شباط ١٩٣٧، وأصدر جريدة الحارس (تشرين الثاني ١٩٣٦) فجريدة «الانقلاب».

وانخرط في سلك القضـاء فعين حاكماً لتحقيق البصرة (تموز ١٩٤٣) فحـاكم صلح الحلة (آب ١٩٤٤). وكـان بعد ذلك قائممقـام لقضاء القرنة فمعـاوناً لمتصرف البصرة (ايار ١٩٤٦) فقائممقـام قضاء عنة (حزيران ١٩٤٦) فقضـاء المحمودية (١٩٤٧). وعيّن متصرفاً للواء الـدليم (١٩٤٨) فالحلة (١٩٤٩) فكربـلاء (تشرين الثاني ١٩٥٠) فمديـراً عامـاً للتسويـة (آب ١٩٥٢). ونقل بعد ثورة ١٩٥٨ مـديراً عـاماً للبلـديات فـوكيلاً لـوزارة الشؤون الاجتماعيـة (١٩٥٩). وكان سفيراً للعـراق في الأردنّ فالمملكـة العربية السعودية سنة ١٩٦٥

مـؤلفـاتـه: مبـاحث في الإصـلاح (١٩٥٥) البدو والقبـائل الـرحـالـة في العـراق (١٩٥٦).

تاريخ المسألة الشرقية (١٩٢٦) مباحث في نظام إدارة أموال الأيتام (١٩٣١) نظرات في قانون العقوبات العراقي الجديـد (١٩٣٢) البداوة والبدو في البلاد العربية (١٩٦٢) التخطيط الموحد للتنميـة الاجتماعية والاقتصادية (١٩٦٦) تعليقـات على نظام دعاوى العشائر وتعديلاته (١٩٣٥) توطين البدو (١٩٦٦) نفحات اسلامية (١٩٦٦).

كان مكي الجميل من رجال الإدارة العاملين المفكرين، ودعا في كتاباته إلى الإصلاح وتوطين البدو وتعليمهم الزراعة وتوفير الماء لهم ورفع مستوى القرى والارياف.

توفي مكي الجميل ببغداد في ٨ ايار ١٩٧٣

عبد الرزاق الحسني

مؤرخ العراق الحديث ومسجّل وقائعه وأحداثه، وهو عبد الرزاق بن السيد مهدي البغدادي الحسني آل السيد عيسى، وتعرف الأسرة بـ «آل العطار». ولد ببغداد سنة ١٩٠٣ ودرس في المدرسة الجعفرية ودار المعلمين الابتدائية. مال إلى الكتابة والصحافة شاباً، وساعد محمد عبد الحسين في إصدار جريدة الاستقلال النجفية في تشرين الأول ١٩٢٠

وكان محرراً بجريدة المفيد البغدادية لصاحبها ابراهيم حلمي العمر. وأنشأ في أول أيلول ١٩٢٥ جريدة الفضيلة ووالى اصدارها، ثم انتقل إلى الحلة وأصدر فيها جريدة الفيحاء (٢٧ كانون الثاني ١٩٢٧).

عاد إلى بغداد فعيّن موظفاً في وزارة المالية (تشرين الأول ١٩٢٧) وخدم في الحلة وديالى وبغداد، ونقل بعد ذلك إلى دائرة الري فمديرية البريد والبرق العامة. وفصل من الخدمة بعد أحداث مايس ١٩٤١ واعتقل في الفاو والعمارة حيث قضى أربع سنوات. وأعيد إلى الوظيفة بعد الحرب العالمية، ورفع معاون مدير بريد مركزي في تشرين الأول ١٩٤٩، وانتدب للعمل في ديوان مجلس الوزراء وعهد إليه بتنظيم سجلات تاريخ الدولة حتى أحيل على التقاعد في أواخر سنة ١٩٦٤ وحضر مؤتمر المستشرقين الدولي في موسكو سنة ١٩٦٠

صنف كتباً كثيرة تناولت تاريخ العراق وحوادثه منذ الاحتلال البريطاني فضلاً عن أديانه ونحله وبلدانه وصحافته، فأعيد طبعها مراراً وأصبحت مصادر لتاريخ هذه الحقبة.

من مؤلفاته: تاريخ الوزارات العراقية (١٠ أجزاء ١٩٣٣ ــ ٦١) تاريخ الثورة العراقية (١٩٣٥) أسرار الانقلاب (١٩٣٧) العراق في دوري الاحتلال والانتداب (في جزءين ١٩٣٧ ـ ٣٨) الأسرار الخفّية في حوادث السنة ١٩٤١ التحررية (١٩٥٨) تاريخ العراق السياسي الحديث (ثلاثة أجزاء ١٩٤٨) الثورة العراقية الكبرى (١٩٥٢) العراق في ظلّ المعاهدات (١٩٤٨) العراق قديماً وحديثاً (١٩٤٨) الأصول الرسمية لتاريخ الوزارات العراقية (١٩٦٤) تحت ظلّ المشانق (١٩٢٤) رحلة في العراق (١٩٢٥) موجز تاريخ البلدان العراقية (١٩٣٠) اليزيدية أو عبدة الشيطان (١٩٢٩) البابيون في التاريخ، تعريف الشيعة، الصابئة قديماً وحديثاً (١٩٣١) الأغاني الشعبية (١٩٢٩) البابيون والبهائيون في حاضرهم وماضيهم (١٩٥٧) تاريخ الصحافة العراقية

(١٩٣٥) الخوارج في الإسلام، الصابئون في حاضرهم وماضيهم (١٩٥٥) اليزيديون في حاضرهم وماضيهم (١٩٥١) ثورة النجف (١٩٧٢) الخ.

قال محمد رضا الشبيبي يقدّم الجزء الاول من تاريخ الوزارات العراقية:

«. وقد أطلعني الكاتب الأديب المعروف السيد عبد الرزاق الحسني على الكتاب الذي جرّده في هذا الباب، فإذا به يتوخّى جمع الحوادث وسردها سرداً لا يقصد من ورائه الا عرض الوقائع كما هي بدون أن يستبطن أسرارها أو يذهب إلى التفكير في هذا ونحوه، متخلصاً بذلك من كلفة التأويل وكثرة القال والقيل. وبالجملة فالكتاب سجّل خاص سجلت وجمعت فيه حوادث العراق السياسية على اختلافها، وذلك من قيام الحكم الوطني إلى الآن. فللمؤلف في عمله هذا فضيلة التنقيب عن الوقائع وجمعها من مظانّها، ثم تبويبها وترتيبها على وجه يجعلها قريبة التناول، هذا مضافاً إلى بعض الشروح والتعاليق ونحو ذلك، ممّا يدل على أن الغيرة الصالحة وحبّ المساهمة في خدمة البلاد من حيث نشر تاريخها بقدر الطاقة وضمن المقدور من جملة البواعث التي بعثت على تأليف الكتاب. .».

ولئن صحّ ما قاله الشبيبي في مؤلَّف عبد الرزاق الحسني عام ١٩٣٣، لقد عمد الحسني بعد ذلك إلى توسيع نطاق بحوثه واستقراء الحوادث وتعليل أسبابها ومآتيها واستجلاء حقائقها واستنطاق أبطالها، حتى لقد ترك آثاراً تسترشد بها الأجيال الآتية في تدوين تاريخ العراق في هذه المرحلة الخطيرة من مراحله. ومع كثرة الصحف والمطبوعات والمذكرات التي سجّلت أحداث هذه الحقبة فانّ جمعها وتحقيقها في مؤلفات الحسني الكثيرة ليهيىء مورداً عذباً ميسوراً لمؤرخ المستقبل. يضاف إلى ذلك انّ إكباب الحسني على عمله واتصاله بمعظم المسؤولين المتصلين بالأحداث والناهضين بأعباء الحكم ووجوده في ديوان مجلس الوزراء أعواماً غير قليلة يرجع إلى وثائق الدولة في منبعها كلّ ذلك قد أتاح له فرصة الاستفادة والافادة على وجه قلّما أتيح لغيره.

ان المؤرخين العرب الذين سجلوا أحداث زمانهم على طريقة السنين أو غيرها لا يحصرهم العدّ، وقد تركوا للأجيال المتعاقبة كنوزاً ثمينة من الأخبار والأنباء كانت لولاهم تضيع في مجاهل العصور. ولعلّ الحسني يمكن تشبيهه ــ مع فارق الزمن ــ بالمؤرخ الفرنسي الراهب فرواسّار Froissart (١٣٣٧ـ ١٤١٠) الذي سجّل في «أخباره التاريخية» حوادث عصره وحروب زمانه، وعرف بدقّة تفاصيله وصحّة نقله. لقد تجشّم الرجل مشاقّ السفر إلى أنحاء أوروبة، واتصل بأمرائها وكبرائها، وسأل رجالها عن الأمور التي شهدوها والوقائع التي شاركوا فيها، ودوّن كل بذلك بأمانة في تاريخه. ولم يكتف بذلك بل رسم صورة رائعة لذلك العهد من تاريخ فرنسة وحربها الطويلة مع انكلترة، وأحيى تقاليد فروسيّة القرون الوسطى وحفلاتها ومآثرها وشهامتها. ولم يكن هو نفسه فارساً من أصحاب تلك الفروسية التي تتصل بصلة وثيقة بالفتوة العربية،

لكنه شهد مبارياتها واستنطق رجالها فدون ما رآه وسمعه، كما دوّن المعارك والحوادث السياسية، حتى قال فيه بعض النقاد: «لقد صوّر زمانه تصويراً رائعاً، لكنه لم يفهمه الاّ قليلاً. فإنّ جعجعة التاريخ قد غطّت لديه على معناه».

وأقول أخيراً ان عبد الرزاق الحسني زار لندن مراراً للاصطياف والمعالجة الطبية. وكانت آخر زيارة له سنة ١٩٨٣، ثم عاد إلى بغداد وأصيب بالشلل ولا يزال قعيد الفراش (١٩٩٢).

محمد رضا المظّفر

ولد في النجف سنة ١٩٠٤ من أسرة علمية ودرس في معاهدها. ثم زاول التدريس، ومال إلى استصلاح طرق التعليم القديمة في بلده. وكان من مؤسسي جمعية منتدى النشر سنة ١٩٣٥ واختير سكرتيراً لها ثم معتمداً.

قال جعفر الخليلي في الجزء الثاني من كتابه «هكذا عرفتهم»: «والمتتبع لتاريخ الشيخ محمد رضا مظفر يجد أن بين النصف الأول من عمره والنصف الثاني تبايناً كلياً في طريقة التفكير وفهم الحياة وأهداف الدين. فقد كانت الرجعية تتغلب عليه وتتملّك كل تصرّفاته في نصف عمره الأول، لكنه ما كاد يخطو إلى الثلاثين حتى ظهرت عليه بوادر التجديد والدعوة الصحيحة السليمة إلى الإصلاح الديني وتنزيهه من الشوائب التي علقت به، الأمر الذي حدا به إلى البحث في إيجاد الحلقة المفقودة وإلى تنظيم الدراسة الدينية وتثبيت مناهجها».

وقد سعى لتأسيس مدرسة حديثة تابعة لمنتدى النشر وفتح صفوف لخطباء المنابر الحسينية ووضع كتب تدريس عصرية لطلبة النجف. وأينعت جهوده في تأسيس كلية الفقه في النجف، أجازتها وزارة التربية في ٣٠ تشرين الثاني ١٩٥٨، وأصبح هو نفسه عميداً لها.

انتخب عضواً بالمجمع العلمي العراقي في آب ١٩٦٣ وتوفي بالنجف في ٣١ كانون الثاني ١٩٦٤

من مؤلفاته: السقيفة (١٩٤٩) عقائد الإمامية (١٩٥٤) المنطق (٣ أجزاء ١٩٤٨) أصول الفقه (٣ أجزاء) (١٩٥٩ ـ ٦٢) ابن سينا، إلخ. وله شعر وبحوث لغوية وتاريخية وفلسفية.

وقد حقق ونشر كتباً مختلفة، ونشر الجزء الرابع من كتابه «أصول الفقه» بعد وفاته (١٩٧١).

قال في تأبينه الشيخ محمد رضا الشبيبي: «واقترن لديه العرفان بالإيمان وبالعاطفة

الـروحيـة، ولا يخفى أن المربي الصـالح والـراعـي الـرفيق هـو الـذي يجمع بين هـاتين الخصلتين».

وهو محمد رضا بن محمد بن عبـد الله بن محمد بن أحمد بن مظفر النجفي، كان أبوه فقهيـاً اماميـاً توفي في النجف سنـة ١٩٠٤ ووضع كتـاباً في «شرح شرائع الإسـلام» في مجلدين.

الدكتور جواد علي

المؤرخ البحاثـة الدكتـور جواد بن محمـد علي يمتّ بصلة نسب إلى السيـد محمد بن السيد أحمد الحسيني المعروف بالمنشىء البغدادي الـذي ترجم عباس العزاوي رحلته إلى ديار الكرد ونشرها سنة ١٩٤٨

وردّ الدكتور حسين علي محفوظ أسرته إلى عكيل وقال انه ابن الحاج محمد علي المنشي بن محمد حسين بن قاسم.

ولـد جواد علي في الكـاظميـة سنـة ١٩٠٧، وتخرج في دار المعلمين العاليـة ببغـداد (١٩٣١).

وقد عيّن مدرساً في أول تشرين الأول ١٩٣١، ثم أوفد لـدراسة التاريخ الإسلامي في ألمانيا، فنـال شهادة الدكتوراه من جـامعة هامبرغ سنـة (١٩٣٩). وقد اعتقل في آذار ١٩٤٢ ثم أفرج عنه.

وعيّن مـدرساً في دار المعلمين الابتـدائيـة (ايلـول ـ ١٩٤٣) فسكـرتير لجنـة الترجمة والتأليف والنشر بـوزارة المعارف (١٩٤٧) فسكرتيراً للمجمـع العلمي العراقي (كـانون الثاني ١٩٤٨) فأستاذاً بدار المعلمين العالية (ايلول ١٩٥٦).

وقد أصبحت الـدار كلية للتربية وألحقت بجامعـة بغداد، فظلّ استاذاً فيها أعـواماً طويلة. واختير استـاذاً زائراً في جامعة هارفارد سنة ١٩٥٧/ ٥٨ وبعـد ذلك في جامعة لندن (١٩٦١/ ٦٢).

وقد كان عضواً بالمجمع العلمي العراقي (كانون الثاني ١٩٤٨) إلى نيسان ١٩٦٢). واختير عضواً مراسلاً بمجمع اللغة العربية بالقاهرة في نيسان ١٩٥٦

وضع مؤلفات تـاريخية عديدة أشهرهـا كتابه «تاريخ العـرب قبل الإسلام» في ثمانية أجزاء (١٩٥١ ـ ٦٠)، وقـد أصبح مرجعاً في موضـوعه. وله أيضاً: تـاريخ العرب في الإسـلام، صدر منـه جزء واحـد (السيرة النبويـة، ١٩٦١)، أصنام العـرب (١٩٦٧) تاريخ الصلاة في الإسلام (١٩٦٨) الخ.

أعيد تعيينـه عضواً بالمجمع العلمي العراقـي إثر إعادة تأليفه في أيـار ١٩٧٩ وقد وضع أخيراً «معجم ألفاظ الجاهليين» وتوفي في بغداد في ٤ تشرين الأول ١٩٨٧

توفيق الفكيكي

من رجال الأدب والصحافة والقانون، وهو توفيق بن علي بن ناصر بن محمد سعيد الفكيكي، ينتسب إلى الفكيكات من فروع قبائل ربيعة.

ولد ببغداد سنة ١٩٠٠، ودرس الفقه وعلوم اللغة على الشيخ كاظم السّاعدي وعبد الوهاب البدري في سامّراء والشيخ شكر الله القاضي الجعفري في بغداد، وتتلمذ بعد ذلك على الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء في النجف. وامتهن التعليم أمداً، واشترك في ثورة ١٩٢٠، وحرر في جريدة «المفيد» (١٩٢٢). ثم درس القانون في مدرسة الحقوق ببغداد وتخرّج فيها وتعاطى المحاماة.

كان المدير المسؤول لجريدة الكرخ التي أصدرها عبوّد الكرخي في كانون الثاني ١٩٢٧ وأنشأ توفيق الفكيكي بعد ذلك جريدة اسبوعية باسم «النظام» (٢٢ آب ١٩٢٧)، فعطلت إثر صدور عددها الأول. كان مديراً مسؤولاً لجريدة نداء العمال (تشرين الثاني ١٩٣٠)جريدة «الرياض» في شباط ١٩٣١

وانخرط في سلك القضاء في كانون الثاني ١٩٣٤ فعين حاكماً لصلح سامراء فخانقين (١٩٣٤) فمعاون رئيس تسوية (آذار ١٩٣٦) فحاكماً للصلح في النجف فكربلاء (ايار ١٩٣٨) والكاظمية (آب ١٩٤١) فالأعظمية (كانون الثاني ١٩٤٢) إلى سنة ١٩٤٣ وقد أصدر جريدة «الرعد» (آذار ١٩٤٨)ورئس تحرير جريدة «القبس» (١٩٥٢). وانتخب نائباً عن لواء المنتفق في ايلول ١٩٥٤ إلى آذار ١٩٥٨

وقد تطوّرت آراء الفكيكي على مرّ السنين، فكان سنة ١٩٢٤ في طليعة المناهضين لسفور المرأة. لكنّه في كانون لثاني ١٩٥٨ قدّم اقتراحاً إلى مجلس النواب لتعديل الدستور والاعتراف بحقوق المرأة السياسية.

وأدركته الوفاة ببغداد في ٢٢ تموز ١٩٦٩

والفكيكي كاتب بليغ، مشرق البيان، أنيق الديباجة، له مؤلفات كثيرة في الفقه والقانون والأدب، منها: الحجاب والسفور (١٩٢٧) كتاب المتعة (١٩٣٧) المعاهدات في الإسلام، المتعة وأثرها في الإصلاح الاجتماعي، سكينة بنت الحسين (١٩٥٠) الراعي والرعية (جزءان ١٩٣٩ ـ ٤٠) شجرة العذراء (١٩٦٢) النخيل (شعر ونثر، ١٩٦٤)، رسالة في سياسة الإمام جعفر الصادق، رسالة في فقه الوقف المقارن، الدين والأخلاق (١٩٣٩) أدب الفتوة والدعاية العسكرية عند العرب (١٩٤١) دفاع عن الشاعر أبي العتاهية، أقرب الوسائل لنشر الحضارة الصحيحة في العراق (١٩٣٨)، الإمام جعفر بن محمد (١٩٤٧) عبقرية الشبيبي (١٩٤٥) هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق (١٩٥٢) دفاع عن شعراء (طبع ببيروت ١٩٧٥) رسالة في حماية الحيوان في شريعة القرآن، الخ.

كان فطناً واسع الاطلاع، حلو الحديث، قصير القامة، نحيل الجسم، له عينان صغيرتان زئبقيتان تشعّان ذكاءً تحت زجاج النظّارة. يروى عنه أنه كان يسير مع المحامي خالد الدرّة صاحب مجلة «الوادي» فاعترض سبيلهما شحّاذ شيخ وقال مخاطباً الدرّة: «حسنة لوجه الله، حفظ لك هذا الصبيّ».

فصاح الدرة: «هذا الصبيّ! انه في عمر جدّي!» ثم تمثّل الدرة ـ والعهدة على الراوي ـ بأبيات لاسحٰق بن خلف البهرائي من شعراء القرن الهجري الثالث:

ما سرّني أنني في طول داود ... وانني علم في البأس والجود
ماشيت داود فاستضحكت من عجب ... كأنني والد يمشي بمولود!

وقد أبنّه حافظ جميل فقال:

سأظلّ أجهش بالنحيب ... أبكي الأديب أبا أديب
أبكي خصالاً ما نفحن ... على المدى غير الطيوب
أبكي الجواد الأريحيّ ... خلا من الندّ الضريب
شهم يجوع ولا يردّ ... سؤال محتاج حريب
لم يدّخر في يومه ... ما عنده لغدٍ قريب
فكأنه يجد الغنى ... شرّ الخطايا والذنوب
يعطي ويخشى أن يرى ... غير المروءة من رقيب
يا ذروة الخلق الرفيع ... وواحة الفكر الخصيب
لا السقم جرّك للخمول ... ولا المشيب إلى نضوب
لم تشك ليلاً من سهاد ... أو نهاراً من لغوب
الا مذاب حشاشة ... مرهونة بيد المذيب
تأبى مجابهة الحياة ... بها ينمّ عن الهروب
وترى السعادة كلها ... في همّة الشيخ الدؤوب.

ووصف أدبه قبل ذلك عبد القادر رشيد الناصري فقال:

أدب كسلسال الصفا يترقرق ... سحر العقول رواؤه والرونق
نظمت لآلئه براعة عالم ... يملي عليه فؤاده والمنطق.

الدكتور أحمد سوسة

ولد نسيم بن موسى اسحق سوسة في الحلة في ١٠ حزيران ١٩٠٠ وكان أبوه من الملاكين، وعضواً في مجلس إدارة لواء الحلة، وقد أنشأ بعد الحرب العظمى الأولى مشروع الكهرباء في بلدته. وقد تسمى نسيم بعد اعتناقه الاسلام باسم «أحمد».

درس في الجامعة الاميركية في بيروت، ثم قصد الولايات المتحدة الاميركية سنة ١٩٢٣ فتخرج مهندساً مدنياً في كلية كولورادو (١٩٢٧). وواصل دراسته في جامعة جورج واشنطن (١٩٢٨) وحصل على الدكتوراه من جامعة جونس هوبكنس سنة ١٩٣٠

عاد إلى بغداد فعيّن معاون مهندس ريّ (أول نيسان ١٩٣٢)، ثم أصبح مديراً لريّ ديالى فالحلة، واعتنق الديانة الاسلامية بعد التأمل والقناعة في مصر في تشرين الثاني ١٩٣٦، ووضع في ذلك كتاب «في طريقي إلى الاسلام» في جزءين. وأوفد إلى المملكة العربية السعودية حيث تولى إنشاء مشروع الخرج الزراعي جنوبيّ مدينة الرياض (١٩٣٩ ـ ٤٠).

وقام خلال الاعوام العديدة التي قضاها في دائرة الريّ بدراسات فنية في أنحاء العراق. ثم نقل في أيار ١٩٤٥ مميزاً للترجمة والنشر بوزارة المعارف. وأسندت إليه مديرية المساحة العامة في تشرين الاول ١٩٤٧، ثم نقل مديراً عاماً لديوان وزارة الزراعة في تموز ١٩٥٤ إلى ١٩٥٦، فمدير المساحة العامة ثانية إلى ١٩٥٧

عيّن عضواً بالمجمع العلمي العراقي في تشرين الاول ١٩٤٩ وانتخب نائباً ثانياً لرئيسه في تشرين الأول ١٩٥٩ فاستقال فوراً. وانتهت عضويته بالمجمع عند إعادة تأليفه في حزيران ١٩٦٣ وأعيد تعيينه عضواً بالمجمع في ايار ١٩٧٩ وتوفي في بغداد في ٦ شباط ١٩٨٢

وضع كتباً عديدة في الريّ والهندسة باللغتين العربية والانكليزية، منها: المصادر عن ريّ العراق (١٩٤٢) ووادي الفرات (في جزءين ١٩٤٤ ـ ٤٥) تطور الري في العراق (١٩٤٦) الريّ في العراق (١٩٤٢) ريّ سامراء في عهد الخلافة العباسية (جزآن ١٩٤٨ ـ ٤٩) فيضانات بغداد في التاريخ (٣ أجزاء، ١٩٦٣ ـ ٦٦) الري والحضارة في وادي الرافدين (الجزء الاول ١٩٦٨) العراق في الخوارط القديمة (١٩٥٩) عصبة الأمم والعراق (١٩٣١) نهر الفرات (١٩٤٥) مأساة هندسية (١٩٤٧) مشروع بحيرة الحبانية وتطوراته (١٩٤٩) مشروع سنحاريب لارواء منطقة نينوى (١٩٦٢) المؤتمر الدولي لتجميع حقوق الدول (١٩٣١). وألف ايضاً: العرب واليهود في التاريخ (١٩٧٢) الشريف الادريسي في الجغرافية العربية (في جزءين ١٩٧٤).

ووضع أطالس للعراق وبغداد وصنّف «الدليل الجغرافي العراقي»، واشترك مع

محمود فهمي درويش والـدكتور مصطفى جواد في إصـدار «دليل الجمهورية العـراقية» سنة ١٩٦٠

وجديـر بالقول أن الـدكتور سوسة في أثنـاء دراسته في الولايـات المتحدة حصل على شهادة في العلاقات الدولية، وذلك ما يفسّر تآليفه عن عصبة الأمم وحقوق الدول.

ومن مؤلفاتـه باللغة الانكليزيـة: نظام الامتيازات الأجنبية في تـركية (١٩٣٣) سدّة الهندية (١٩٤٥) الريّ في العراق (١٩٤٥) الخ.

ولـه ايضـاً: حيـاتي في نصف قـرن (نشرتـه في بغـداد ابنتـه الـدكتـورة عـاليـة سنـة ١٩٨٦)، حضارة العرب ومراحل تطورها عبر العصور (١٩٧٩) حضارة وادي الرافدين بين الساميين والسـومريين (١٩٨٠) تاريخ حضـارة وادي الرافـدين (جزآن، ١٩٨٣ ـ ٨٥).

الدكتور عبد الرزّاق محيي الدين

عبد الـرزاق أمان محيي الـدين، ولد في النجف سنـة ١٩١٠ ودرس في معاهـدها. وانتمى إلى دار العلوم بالقـاهرة سنة ١٩٣٣ ودرس الأدب العربي. وعـاد إلى بغداد سنة ١٩٣٧ وعيّن مدرساً في دار المعلمين الابتدائية.

عـاد إلى القاهـرة سنـة ١٩٤٢ ليواصل الـدراسـة في جـامعتها فحصل على شهـادة الاستاذيـة (١٩٤٨) فالـدكتوراه (١٩٥٦). وقفـل راجعاً إلى بغـداد سنة ١٩٤٨ فعيّن استاذاً مساعداً بدار المعلمين العالية (تشرين الاول (١٩٤٨)، ورفع بعد ذلك استاذاً في تلك الدار التي أصبحت تعرف بكلية التربيةوألحقت بجامعة بغداد.

اختير عميداً لكلية التربيـة سنة ١٩٦٣ فنائباً لرئيس جامعـة بغداد. وعيّن عضواً في المجمع العلمي العراقي إثر إعادة تأليفه في آب ١٩٦٣ وانتخب نـائباً ثانياً للرئيس. ثم أصبح وزيـر دولـة لشـؤون الـوحـدة في وزارة الفريق طـاهـر يحيى (٣١ كـانـون الثـاني ١٩٦٤)، واحتفظ بمنصبـه وزيراً للـوحدة في وزارة طاهـر يحيى الثـانية (١٧ حـزيران ١٩٦٤) والثالثة (١٤ تشرين الثاني ١٩٦٤) ووزارة عارف عبد الرزاق (٦ ايلول ١٩٦٥) وعبـد الرحمن البـزّاز (٢١ ايلول ١٩٦٥) إلى ٩ آب ١٩٦٦ وعيّن أمينـاً عـاماً للقيـادة السيـاسية الموحـدة بين الجمهـوريتين العراقيـة والعـربيـة المتحدة في ٢٧ تشرين الثـاني ١٩٦٥ (علاوة على منصبه الوزاري) فظل في هذا المنصب إلى تشرين اول ١٩٦٨

وانتخب رئيســاً للمجمع العلمـي العــراقي في ١٠ تشرين الاول ١٩٦٦ وعضــواً بمجمع اللغة العـربية في القاهـرة في شباط ١٩٦٧ في محل محمد رضـا الشبيبي وعضواً بمجمع دمشق. وعاد وزيراً للوحدة في وزارة رئيس الجمهورية الفريق عبد الرحمن محمّد عارف في ١٠ ايـار ١٩٦٧ فوزيراً للـدولة في وزارة طـاهر يحيى (١٠ تموز ١٩٦٧) حتى

استقال في ١٣ كانون الثاني ١٩٦٨

وجدّد انتخابه رئيساً للمجمع العلمي العراقي للمرة الثالثة في تشرين الاول ١٩٧٢

مؤلفاته وأدبه :

للدكتور عبد الرزاق محيي الدين مؤلفات عديدة، منها : ابوحيّان التوحيدي (رسالة الماجستير إلى جامعة القاهرة) (١٩٤٩) أدب الشريف المرتضى (رسالة الدكتوراه ١٩٥٧) ديوان شعر(مخطوط) خواطر وملاحظات في التعليم العالي، من أجل الإنسان في العراق (١٩٦٠ رسالة)، الخ . شعب أصيل ومبدأ دخيل (١٩٦٥). وقد حقّق ونشر كتاب البصائر والذخائر لأبي حيّان التوحيدي، والمقابسات (له ايضاً)، والوجيز في تفسير القرآن العزيز. وألف بالاشتراك مع أساتذة آخرين كتباً مدرسية منها : المطالعة العربية (في جزءين) وتاريخ الأدب العربي.

وعبد الرزاق محيي الدين شاعر اشتهر موشّحه في لاعب كرة السلة، وقد ترجمه الى اللغة الانكليزية ديزموند ستيوارت وجون هايلوك المدرّسان في بغداد ونشر في كتابهما «بابل الجديدة» (١٩٥٦).

يقول في هذا الموشح :

يـــا حبيب النفس في خلـــوتها ... وسميري في ليـــالي السمـــر
إنّ يومـاً لم أشاهـدك بـه ... لم أكن أحسبـه من عمـري
وصبـاحـاً لم أطالعك بـه ... يتسـاوى والـدجى في نظـري
وطـريقـاً لم أصادفك بـه ... غـالطت رجلاي فيـه بصري.

كـــرة السّلــة لا تلعب بها ... هـــاك قلبي كـــرة بين يـديك
واتّئـد بـالـركض، هـذي مهجتي ... علقت أطـرافهـا في قـدميك،
وتـرنّم بأنـاشيـد الهوى ... فعليّ النظـم واللحـن عليـك
أنـا أستـاذك فـاحفظ حـرمتي ... أو سأشكـو منك يـا هـذا إليك

قـد قضيت العمـر بـالـدرس، فما ... نفع العلم ولا أجـدى الكتـاب
ان خيراً من أمـور كلهـا ... سـاعـة بين نـديمي والشراب
خلِّ عنك الـدرس، لا تحفل بـه، ... واغتنم عيشك في ظلّ الشبـاب
حلم دنيـاك، فـاجهـد أن ترى ... حلـم اللّـذة لا حلم السّراب

التــــــلاميـــــــذ على غـــــرّتهم عـــرفـــوا سرّي، وهل يخفى الغـــرام؟
فمـن الهمس حـــــوار صــــــامـت وعلى الألحاظ نجـــــوى ومـــــلام
ومـن الأطفـــــال ضحك خــــافـت ومـن الشبّــــان غمـــز وكـــــلام
ومتى قلـتُ: ســــلامــــاً، هتفـــوا: وعلى الاستــــــاذ والحبّ الســـــلام

ومن شعره في رثاء الملك حسين الهاشمي:

مـــا على الشـــاعـــر لـــو عـــزّ البيـــان، سكت القـــلب فمـــا يقـــوى اللّســـاد
نبـأ هــــــزّ البرايـــــا وقعـــــه وعلى السّلـك تجلّى الخفقـــــــــان
أمـل الأمـــــــة أودى وهـــــــوى بيتهـــــا الشـــامـخ وانحطّ الكيـــان
رجـل كـــــــان كـألـف، رأيـــــــه ينظـــــر الغيـب كما شـــــاء العيـــان

وقال في ذكرى الفيلسوف محمد اقبال:

ذكـــراك، إقبـــال، نحييهـــا فتحيينـــا كـآيـة الـذكـر نتلـوهـا فتهـديـنـا
أهـاب بي منك روح فـاستجـاب لـه روح أبى القـــول في مجبـــولـــةٍ طينـــا
لم يكفهـم أن هبطنـــــا الأرض دانيـــة حتى هبطنـــا بهم من أرضنـــا دونـــا
مـــا كـــان ابليس، إذ ولّى بـــوالـــدهم، أشـــدّ منهم إلى أبنـــائه هُـــونـــا

وقال في تكريم خليل مطران:

سل عـن الشـــاعـــر أو خـــذه مثـــالا تغنِ عـن شعب جـــوابـــاً وســـؤالا
تلتقـي الآفـــــاق في أبعـــــــاده وهـــــو دون العين مـــرأىً ومنـــالا
ضلّـت الألبـــــاب عـن إدراكـــــه ومضـت تخبط رشـــــداً وضــــلالا
ليـس تـــــدري أيّـــــة تنسبـــــه: أمـــــلاك حطّ أم جنّ تعـــــالى؟
وبماذا تتحــــــــــــــــامـى شرّه وتـــــرجّـى الخير منـــــه والنّــــوالا

وقال في وظيفة الشعر، وهي من بواكير نظمه:

إذا الشعــــر لم يحدث بشعبـك ضجّـــة فتلـك قـــوافٍ قـــد نظمـن وأوزان
وإن لم يكن حـرّ العقيـــدة، مـــوقظـاً، فليس لـــه في نهضـــة الشعب إحســـان

بقي عبد الـرزاق محيي الدين رئيساً للمجمع العلمي العراقـي إلى أيار ١٩٧٩ حين أعيد تأليف المجمع وأنهيت عضويته.

وتوفي في بغداد في اواخر سنة ١٩٨٣

نظم قصيدة في تأبين طه حسين مطلعها:

حيّ مع النـــاس أحيـــاءً بما شعـــروا، لا الـــرأي يبلى ولا ذو الـــرأي ينـــدثـــر

عبد الفتاح إبراهيم

الكاتب الحرّ المناضل عبد الفتاح ابـراهيم عبد الفتاح آل وريّد، ابن عم رائد القصة محمود أحمد السيّد.

ولد ببغـداد سنة ١٩٠٤، وكان أبـوه وجدّه من أئمّـة المساجد. وقـد أتم دراسته في الجامعة الاميركيـة ببيروت، فلمّا عاد إلى مسقط رأسـه عيّن مدرّسـاً في المدارس الثانـوية الرسمية (ايلول ١٩٢٨). ثم أتمّ دراسته في الولايات المتحدة.

وكان بعد ذلك مترجماً في دائرة ميناء البصرة فوزارة العدلية في بغداد (١٩٣٢). وعاد إلى التدريس، وأصدر مع نفر من الشباب المثقف مجلة العصر الحديث (١٩٣٦). ثم عيّن استـاذاً مساعـداً في دار المعلمين العـالية (ايلـول ١٩٤٠) فمفتشـاً بوزارة المعـارف (نيسان ١٩٤٣).

واستقـال من الوظيفـة في السنة التـاليـة فأسس شركة الـرابطة للطبع والنشر وتـولّى إدارتها. وأصدر مجلـة الرابطـة (آذار ١٩٤٤)، مجلة نصف شهـرية لمكـافحة النـزعات الرجعية وبثّ الثقافة القومية الديمقراطية.

آمن عبـد الفتاح ابـراهيم منذ مطلع شبـابـه بالآراء التقـدمية والأفكـار الحرة فكتب وناضل في سبيل مبادئه، وكان في مقدمـة كتاب جريدة الأهالي. وكتب يقول: «يجب على المجتمع الذي يـريد أن يحفظ كيانـه أن يسيطر على الشؤون الاقتصاديـة ولا يجعلها أداة لفئة ضئيلة تسخّر المجموع لمنفعتها». ودعا إلى تأميم الاقتصاد ووضعه بيد الدولة.

ولما وضعت الحرب العـالميـة الثانيـة أوزارهـا، انطلق من قيـد الوظيفـة لينصرف إلى العمل السيـاسي. وألف في نيسان ١٩٤٦ حـزب الاتحاد الوطني واختير رئيسـاً للجنته السياسية. واتخذ جريدة الرأي العام (لصاحبها محمد مهدي الجواهري) لساناً للحزب، ثم أصدر جريدة السياسة (حزيران ١٩٤٦) فجريدة صوت السياسة.

وحلّ الحزب بعد أمـد قصير (ايلول ١٩٤٧)، فواصـل عبد الفتاح جهـاده وتعرّض للمضايقة والاضطهاد.

ونشبت ثورة تموز ١٩٥٨ فعيّن مديـراً عاماً لمصلحة مصـافي النفط الحكومية في آذار ١٩٥٩ حتى اعتـزل منصبه في آذار ١٩٦١، وغـادر العراق فلم يعـد إليه إلاّ بعـد عدة أعوام.

وضع مؤلفات كثيرة، منها: على طريق الهند (١٩٣٢) مقدّمة في الاجتماع (١٩٣٩) كلمة في وجهـة المجتمع بعد الحرب (١٩٤٢) مشكلة التموين (١٩٤٢) وحـدة الحركة

الديمقراطية (١٩٤٦) دراسات في الاجتماع (١٩٥٠) معنى الثورة (١٩٥٩) قصة النفط (١٩٦٠) الخ.

محمود فهمي درويش

محمود فهمي بن محمد درويش آل عزيز، ولد ببغداد سنة ١٩٠٥ ودرس في مدرسة الصيدلة، وتخرّج في دار المعلمين الابتدائية (١٩٢٦). وأنشأ مختبراً كيماوياً، وعمل مدرساً في بغداد والبصرة، ثم كان مديراً للمدرسة الحسينية الأهلية (١٩٢٩ ـ ٣٠).

واشترك في إصدار الدليل العراقي الرسمي لسنة ١٩٣٦ وتولّى رئاسة تحريره. ثم عيّن ملاحظاً في دائرة الزراعة (١٩٣٦)، وظلّ يعمل في تلك الدائرة، التي أصبحت بعد ذلك مديرية عامة فوزارة، نحواً من ٢٢ سنة. وأشرف على إصدار مجلة الزراعة أعواماً طويلة وأصبح مديراً للمطبوعات الفنيّة والنشر في ديوان الوزارة حتى أحيل على التقاعد سنة ١٩٥٨ واشترك مع الدكتورين مصطفى جواد وأحمد سوسة في إصدار دليل الجمهورية العراقية لسنة ١٩٦٠

وقد تولّى تحرير مجلة الاتحاد سنة ١٩٣٤، وكتب مقالات أدبية وبحوثاً علمية كثيرة في الصحف والمجلات. وألف كتباً مدرسية ومصنّفات أخرى، منها: كارثة فلسطين (طبع سنة ١٩٤٩)، لمع وأقباس (مخطوط في جزءين) الكيمياء العربية، بين آطام مكة ووادي يثرب، الخ.

وتوفي ببغداد في ٦ شباط ١٩٦٢، فكتبت الكلمة الآتية في رثائه:

كلمة وداع

إلى المرحوم محمود فهمي درويش:

لقد آلمني حقاً وأحزنني وحزّ في نفسي نعي الصديق الكريم المرحوم الاستاذ محمود فهمي درويش ـ ذلك الأخ الوفي الذي نعمت بصداقته ومودته أكثر من ربع قرن. لقد اشتركنا أول الأمر في إخراج الدليل العراقي الرسمي لسنة ١٩٣٦ الذي أصدره التاجر المعروف السيد الياهو دنكور، فكان محمود فهمي رئيساً لتحرير القسم العربي وكنت مدير الدليل والمشرف على تحرير القسم الانكليزي. وبوسعي أن أقول إن ذلك الدليل كان بجزءيه الضخمين العربي والانكليزي خير دعاية لبلاد الرافدين في تاريخها الحديث. فلما اضطلع المرحوم محمود مع الصديقين الدكتور مصطفى جواد والدكتور احمد سوسه بإصدار دليل الجمهورية العراقية الجديد لسنة ١٩٦٠ سألني أن أكتب

مبحث ـ التجارة العراقية ـ ، وكنت آنئذ في شغل شاغل فاعتذرت ، لكنه رحمه الله ألحّ والحف قائلاً : لا أحب أن يخلو الدليل الجديد من أثرك بعد أن اشتركنا في إصدار الدليل الأول وكذلك فعلت ، فخرج دليل الجمهورية العراقية يضم بحثاً لي كما أراد .

كان المرحوم محمود فهمي درويش محدثاً لبقاً وكاتباً ألمعياً وخطيباً مفوهاً ، وكان إلى ذلك صديقاً محباً مخلصاً . وكانت له هوايات عديدة من التقويم والفلك إلى الكيمياء والزراعة . وقد خدم في وظائف الزراعة مذ كانت مديرية إلى أن أصبحت وزارة نحواً من ربع قرن ، وعمل قبل ذلك في مسلك التربية والتعليم والصحافة ، فكان مثال العامل النشيط والموظف النزيه الجاد . واخرج مجلة الزراعة وتولى تحريرها عدة سنين وجعل منها مجلة علمية راقية .

كان كما قلت محدثاً لبقاً ، أنيس المحضر لطيف المخبر ، يحفظ النوادر واللطائف الكثيرة ، ويرويها بأسلوب ساحر وبيان زاخر . فكنت كلما ضاق الصدر بأعباء الحياة أسأله أن يروي أحاديثه ، فلا نلبث أن ننسى متاعب الدنيا وننطلق إلى عالم فياض بالمسرة والحبور .

وكانت دماثة خلقه وطيب سريرته وطلاوة حديثه تحببه إلى النفوس ، فكانت دائرة اصدقائه واسعة تضم مختلف الطبقات والبيئات ، فيهم المثقفون والعوام والموظفون والكسبة ورجال العلم والعمل يكلم كل واحد بلسانه ويحتفل بالكبير والصغير والجليل والوضيع على حد سواء ، فلا عجب أن أسف الجميع لمرضه وجزعوا لفقده وخرجوا لتشييعه إلى مقره الاخير وكلهم عيون دامعة وقلوب واجمة واجفة .

أكب في سنواته الاخيرة على القراءة والكتابة ووصل الليل بالنهار لاخراج دليل الجمهورية العراقية حتى كف بصره واشتدت عليه وطأة الامراض ، فكان آخر العهد به طريح الفراش متجلداً معتصماً بالصبر لا يبصر ولا يتحرك فلم يبق منه إلا اللسان والجنان .

لقد توفاه الله صبيحة السادس من شهر شباط ١٩٦٢ ومن الغريب أن في نفس اليوم السادس من شهر شباط قبل عام واحد قرر مجلس الوزراء الغاء أمر احالته على التقاعد وان يعاد إلى الوظيفة بعد أن يبل من مرضه ، فيا لسخرية الاقدار!

كم من أخ لي صالح ... بوّأته بيديّ لحدا
ما إن جزعت ولا هلعت ... ولا يرد بكاي رشدا
ذهب الذين احبهم ... وبقيت مثل السيف فردا

***

زارني محمود فهمي درويش يوماً في غرفة التجارة ، وجلس يحتسي القهوة وينظر إلى تاجرين كبيرين كانا عندي يتحاوران .

قال الأول: لم تدفع، يا جلبي، ثمن الحنطة التي تسلمتها في الاسبوع الماضي.

فأخرج الثاني دفتر الصكوك وكتب لأمر الاول صكاً ناوله إياه قائلاً:

لم يفرغ الكاتب من تدقيق الحساب، فخذ عشرة آلاف دينار سلفاً ريثما يتم التدقيق.

لكن الأول رفض الصك وقال: ماذا أعمل بعشرة آلاف دينار؟ استبقها لديك وعجّل بالتدقيق والدفع!

وظل الصك بمبلغ عشرة آلاف دينار يرمى من يد إلى يد، ومحمود فهمي يتبعه بنظراته، وقد اتسعت حدقة عينه وقام بحركات مضحكة بيديه وكأنها حركات لا إرادية. ومدّ يده إلى جيبه فأخرج درهمين أو ثلاثة وعرضها علي من طرف خفيّ وهو يقول هامساً: لا حول ولا قوّة إلا بالله، الحمد لله، الحمد لله! وكان التاجران الكبيران في شغل عنه، ثم انتهى الحوار بينهما بأن مزّقا الصك وسلّما وخرجا.

فصاح محمود فهمي درويش: هل تريد سفك دمي؟ هل ترغب في إثارتي وتحطيم أعصابي؟ تدعوني إلى زيارتك في مركز المال والأعمال، وفي جيبي دراهم معدودة، فتريني السيارات الفارهة في الباب وذوي الجاه والثروة بملابسهم الانيقة يرمون آلاف الدنانير في أيدي بعضهم فيردّها مستصغراً مشمئزاً. والله لقد صممت أن أمدّ يدي بغير وعي فأقبض على الصك الطائر وأفرّ به، وليكن بعد ذلك ما يكون!.

ثم أطلق ضحكة عريضة وقال: لا بأس، نحن في غنى عن كلّ هذه الثروة، فليذهبوا بها وليتركوا لنا راحة بالنا وصفاء نفوسنا.

كلانا غنيّ عن أخيه حياته ونحن إذا متنا أشدّ تغانيا

ولا أدري كيف مرّت بخاطري أبيات الشاعر المصري محمد حفني ناصف:

أتقضي معي، إن حان حَيْني، تجاربي وما نلتها إلا بطول عنائي؟
ويحزنني ألاّ أرى لي حيلة لإعطائها من يستحقّ عطائي
إذا ورّث المُثرون أبناءهم غنى وجاهاً، فما أشقى بني الحكماء!

***

قال لي محمود فهمي درويش ذات يوم: أتذهب إلى مجلس الحاج ص. خ.؟ قلت: نعم. قال: اذن فاصطحبني متى ذهبت إليه لأريه بطاقة ثمينة عثرت عليها بين أوراق والدي رحمه الله.

قلت: حباً وكرامة، ولكن ما هذه البطاقة؟

فأراني دعوة إلى حفلة عقد قران الحاج المومأ إليه، وقد وجهها والده إلى محمد درويش

جاره في محلة باب الشيخ. والحقيقة انها دعوة نادرة، فهي مكتوبة باليد وعباراتها خليط من التركية والعربية والمجاملات المألوفة في العهد العثماني. وقرأت تاريخها فإذا بها تعود إلى ما قبل نصف قرن أو أكثر.

قلت: لا أرى مناسباً أن تريها للحاج في مجلسه الحافل الذي يؤمّه فريق كبير من أشراف بغداد وتجارها وأدبائها، فلعله لا يودّ أن يعرف القوم أنه بلغ من العمر عتيّاً.

لكن محمود فهمي ضحك وقال: لا أظن ذلك. وفي اليوم الذي يجلس الحاج لزواره دخلنا مجلسه فإذا به مكتظّ برجال البلد، ولم تمضِ برهة من الوقت حتى أخرج محمود فهمي ورقته وقال للحاج: ان والدي كان جاراً وصديقاً حميماً لوالدك عليه الرحمة والرضوان.

قال: لا شك في ذلك، وكنت أرى والدك يزور والدي دائماً في دارنا القديمة فيتحادثان طويلاً.

قال محمود: وجدت هذه البطاقة بين أوراق والدي، وهي دعوة إلى عقد قرانك المبارك. فأخذ الحاج البطاقة وألقى عليها نظرة ثم وضعها في جيبه.

لكن تحسين علي، وكان حاضراً في المجلس، قال: أيها الحاج، أرينا هذه التحفة الثمينة، لماذا وضعتها في جيبك؟

وحاول الحاج عبثاً أن يخفي البطاقة، لكن تحسين علي أخذها وقرأها وقال للحاضرين: لم نكن نعلم ان مضيفنا الكريم قد تزوج قبل أكثر من خمسين سنة. كم كان عمرك يوم تزوجت، أيها الحاج؟ قل لنا بصراحة ولا تكتمنا أمرك.

وبدأت تعليقات الحاضرين ومراجعاتهم، فقال صاحب المجلس: يا محمود، جئتنا بعد غياب طويل فأنسنا بمقدمك، فما لك قد جلبت هذه البطاقة التي أكل الدهر عليها وشرب، وأظهرت ماكان مكنوناً فجعلتنا أضحوكة المجلس وموضع سخريته ودعابته؟

حدثني محمود فهمي درويش أنه كان مسافراً في بعض أيام الخريف إلى كركوك، فاستقل القطار في المساء. ولم يصطحب معه سوى حقيبة صغيرة فيها ادوات الحلاقة وسائر الحاجات الآنية لأنه كان ينوي العودة بعد يوم أو يومين. ولم يكد القطار يتحرك حتى تغيّر الجوّ وهبّت موجة من البرد تلسع المسافرين. وقال في نفسه: كيف أقضي هذه الليلة الطويلة في ملابسي الصيفية ولادثار لي يقيني من البرد.

ورأى في هذه الأثناء مسافراً في نفس العربة وإلى جنبه حقيبة كبيرة وسجادتان. وافترش الرجل إحداهما وأدّى الصلاة، فلما فرغ منها استأذنه محمود في أداء الفريضة على سجادته، فأذن له. وأخذ محمود يطيل ويكثر من الركعات والسجدات، والرجل ينظر إليه. ولما استمّر أمداً طويلاً على هذا المنوال، أشار إليه الرجل بالتوقف وقال له:

حسبك، ان صلاتك مستجابة. فقد ألهمني الله أن أسمح لك باستعارة سجادتي الليلة لتقيك من البرد، ولا بأس من أن تعيدها إليّ صباحاً حين نصل إلى كركوك.

ولم ينتظر محمود، بل أسرع والتفّ بالسجادة ونام نوماً هنيئاً إلى الفجر.

كان محمود فهمي درويش نهماً أكولاً في شبابه يزدرد، حسبما يقول، طعاماً يكفي لعشرات الأشخاص. والغريب انه ظل مع ذلك نحيف الجسم غير مبتلى بالسمنة والترهّل.

حدثني أنه ذهب ذات يوم إلى صاحب مطعم من أصدقائه فقال له: انني اليوم جائع، فبكم تشبعني؟ قال: بدينار واحد. فسلمه محمود الدينار سلفاً وجلس إلى المائدة، فجاء له صاحب المطعم بقائمة الطعام. لكنه لم ينظر إليها بل قال: هات لي الأطعمة الواحد بعد الآخر من الاعلى إلى الاسفل. فلما فرغ من أكل تلك الأطعمة، قال: والآن أعد جلب الأطعمة ولكن من أسفل القائمة إلى اعلاها. فقال صاحب المطعم: ألا تشرب شيئاً من البيرة أو الماء؟ ظناً منه ان الشراب يملأ المعدة فلا يترك فراغاً للطعام. قال محمود: ان من عادتي أن أشرب بعد تناول نصف طعامي.

ـ يا لله، اذن لم تبلغ منتصف الطعام حتى الآن! فهذا دينارك خذه، وما أكلته صحة وعافية واذهب إلى سبيلك،

وكنّا في حفلة أقامتها السفارة الوطنية الصينية في بعض أمسية الصيف ومدّت فيها الموائد الحافلة بأنواع الطعام والشراب والفاكهة والحلوى في الحديقة. ولما حلّ الظلام أطفئت الأنوار وعرضت الرقوق السينمائية، بينما المدعوون يتناولون ما لذّ وطاب من المأكولات. ورأيت محمود فهمي يفرغ صحناً بعد صحن ويأكل اللحم والدجاج والحلوى والفاكهة معاً بلا فاصلة. فما انتهى العرض السينمائي وأشعل النور الكهربائي، حتى أخذ بيدي وقام يجرّني لنذهب إلى مكان آخر. والتفتّ فرأيت في وسط الخوان جزيرة كبيرة فيها الصحون الفارغة، بل صحراءغامرة في وسط بلدة عامرة.

لكنه صار في كهولته يكتفي بالقليل من الطعام خلافاً لما كان عليه من قبل.

كوركيس عوّاد

البحاثة المحقّق. من أبصر الناس بالكتب والمخطوطات، كوركيس حنّا عوّاد، كان أبوه حنّا الياس مراد بارعاً في صنع الآلات الموسيقية ولا سيّما العود، وقد درس الألحان وتفنّن فيها.

ولد في الموصل في ٩ تشرين الأول ١٩٠٨، ودرس في دار المعلمين الابتدائية ببغداد وعيّن معلماً في ايلول ١٩٢٦

وتولّى إدارة مكتبة المتحف العراقي سنة ١٩٣٨ عند تأسيسها بصفة ملاحظ أولاً ومدير بعد ذلك (١٩٥٢). فقام بشؤونها أكثر من ربع قرن حتى اعتزل الخدمة سنة ١٩٦٤

وقد انتخب عضواً بالمجمع العلمي العربي في الشام سنة ١٩٤٧ والمجمع العلمي العراقي في آب ١٩٦٣

لازم الأب انستاس ماري الكرملي أعواماً طويلة وأفاد منه في البحث والتحقيق. وسافر إلى أوروبا والولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي بمهام تتعلق بتدقيق المخطوطات وزيارة المكتبات، وحضر مؤتمرات ثقافية وأدبية متعدّدة.

من مؤلفاته: دير الربان هرمزد (١٩٣٤)، تحقيقات بلدانية تاريخية أثرية في شرق الموصل (١٩٦١) خزائن الكتب القديمة في العراق (١٩٤٨) المباحث اللغوية في مؤلفات العراقيين المحدثين (١٩٦٥) جمهرة المراجع البغدادية (١٩٦٢) جولة في دور الكتب الأميركية (١٩٥١)، فهرست مخطوطات مكتبة المتحف العراقي، المدرسة المستنصرية ببغداد (١٩٤٥) الدار المعزّية ببغداد (١٩٥٤) مكتبة المتحف العراقي في ماضيها وحاضرها (١٩٥٥) ما طبع عن بلدان العراق باللغة العربية (١٩٥٣ ـ ٥٤) الاسطرلاب (١٩٥٧) الورق أو الكاغد (١٩٤٨)، ما سلم من تواريخ البلدان العراقية (١٩٤٤)، مكتبة الاسكندرية: تأسيسها واحراقها (١٩٥٥) يعقوب بن اسحٰق الكندي (١٩٦٢) الآثار المخطوطة والمطبوعة في الفولكلور العراقي (١٩٦٣) الأب انستاس ماري الكرملي: حياته ومؤلفاته (١٩٦٦) فهرست مخطوطات خزانة يعقوب سركيس (١٩٦٦) أصول أسماء المواضع العراقية (١٩٦٧) مدينة الموصل (١٩٥٩) معجم المؤلفين العراقيين (٣ أجزاء، ١٩٦٩) سيبويه إمام النحاة (١٩٧٨) أقدم المخطوطات العربية في مكتبات العالم (١٩٨٢) أشتات لغوية (١٩٩٠) فهارس المخطوطات العربية في العالم (مجلدان، ١٩٨٤) مصادر دراسة التراث العسكري عند العرب (ثلاثة أجزاء) الخ.

وقد انتخب عضواً مؤازراً في مجمع اللغة العربية الأردني (١٩٨٠) وعضواً مؤازراً في المجمع العلمي الهندي.

وقد اشترك في ترجمة كتاب بلدان الخلافة الشرقية (١٩٥٤) والعراق في القرن السابع عشر كما رآه تافرنيه (١٩٤٤). وحقق ونشر كتباً منها: الديارات للشابشتي (١٩٥١) كتاب التفّاحة (في النحو ١٩٦٥)، رسائل أحمد تيمور إلى الأب انستاس الكرملي (مع أخيه ميخائيل عواد، ١٩٤٧)، تاريخ واسط للرزّاز (١٩٦٧) الخ.

أخوه: ميخائيل حنّا عوّاد، بحاثة محقق ثقة، لد في الموصل في ١٢ شباط ١٩١٢ ودرس بدار المعلمين الابتدائية في بغداد وتخرج سنة ١٩٣١ واحترف التعليم. وعيّن

ملاحظاً للمكتب الخاص بوزارة المعارف (١٩٤٤) فمديراً له، فظلّ يشغل هذه الوظيفة أكثر من ربع قرن حتى اعتزل الخدمة في أيار ١٩٧٠

وقد كتب مقالات وبحوثاً كثيرة. من مؤلفاته:

رسائل أحمد تيمور إلى الأب انستاس الكرملي (حققه بالإشتراك مع أخيه كوركيس عواد، ١٩٤٧)، مقامة في قواعد بغداد في الدولة العباسية (بالاشتراك مع كوركيس عواد)، دير قُنَّى في العراق (١٩٣٩).

المآصر في بلاد الروم والإسلام (١٩٤٨) صناعة الزجاج والبلّور (١٩٦٢) صناعة الصفر (١٩٦٢) ألف ليلة وليلة (١٩٦٢) أقسام ضائعة من كتاب تحفة الامراء في تاريخ الوزراء لهلال الصابىء (١٩٤٨).

وقد حقق ونشر كتاب رسوم دار الخلافة للصابىء (١٩٦٤) ونصوص ضائعة من كتاب الوزراء والكتاب للجهشياري (١٩٦٤).

فصل من كتاب: فضائل بغداد العراق (١٩٤٧)الخ.

أعيد تعيين كوركيس عوّاد عضواً بالمجمع العلمي العراقي لدى اعادة تأليفه في أيار ١٩٧٩ وألف مع أخيه ميخائيل «رائد الدراسة عن المتنبي» (١٩٨٠).

وقد توفّي كوركيس في بغداد بعد مرض طويل في ١٧ تموز ١٩٩٢

وعين ميخائيل عوّاد عضواً بالمجمع العلمي السرياني المشكل في بغداد. وقد أدمج المجمعان الكردي والسرياني بعد ذلك بالمجمع العلمي العراقي. ووضع ميخائيل «مخطوطات المجمع العلمي العراقي» (٣ أجزاء، ١٩٨٣).

محمود أحمد السيّد

رائد القصة العراقية محمود أحمد السيّد آل المدرّس، وهو محمود بن السيد أحمد بن عبد الفتاح بن عبد الحميد بن ابراهيم آل وريّد، ينتمي إلى أسرة دينية. كان أبوه مدرساً بجامع الحيدر خانة واماماً لجامع الشيخ عبد القادر الكيلاني، وكان جدّه من رجال الدين أيضاً. أما عمّه عبد الرحمن المعروف بالجلجلوتي (١٨٤٥ ـ ١٩٢٧) فقد كان طرازاً خاصاً في رجال الدين وتولّى الافتاء في المنتفق والحيّ.

ولد محمود أحمد في بغداد في ١٤ آذار ١٩٠٣ ونشأ في جوّ ديني وغمرته الكآبة منذ سنّ الطفولة، فعلت وجهه، كما قال جعفر الخليلي في كتاب «القصة العراقية قديماً وحديثاً»، مسحة من الأسى والتأمل، وغلب عليه الهم والتشاؤم، وجاءت قصصه بعد ذلك حزينة في مضمونها وعنوانها، كمصير الضعفاء والنكبات والقلم المكسور والصحيفة السوداء، تترك في نفس القارىء أثراً لا يمحى من تجهّم الحياة وقسوتها.

وقـد درس في المدرسة السلطـانية، حتى إذا مـا احتل الانكليـز بغداد سنـة ١٩١٧ افتتحوا دورة للهندسة اشترك فيها فتانا.

وتخرّج سنة ١٩١٨ فعيّن موظفـاً في دائرة الريّ بالهنديّة. لكنـه لم يلبث ان ترك عمله بعد أشهر وسافر إلى الهند (١٩١٩)، وأمضى فيها سنة واحدة.

عاد محمود أحمد إلى بغداد في تموز ١٩٢٠ وأخذ بـالكتابة في جريدة الشرق. ثم أقبل على تحرير المقالات والنبذ والقصص، ونشر كتاباته في الصحف كجريدة العراق والعالم العربي والاستقلال ومجلة اليقين والمصباح والصحيفة والمعرض والحديث والحاصد الخ. وعيّن كاتبا في وزارة الداخليـة (كانون الأول ١٩٢٠)، ونقل مديراً لتحرير لـواء الديوانية (تشرين الثاني ١٩٢٣). وعـاد إلى بغداد مـديراً للتحـرير في أمانـة العاصمـة في ايلول ١٩٢٦

وأصبح بعد ذلك سكرتيراً للبلـديات في وزارة الداخلية (حـزيران ١٩٣١) فسكرتيراً لمجلس النواب (آذار ١٩٣٣) حتى وفاته.

وقصـد القاهـرة للاستشفـاء من مرض عضـال ألمّ به فتـوفّي بها في ١٠ كانـون الأول ١٩٣٧، ولم يتجاوز الرابعة والثلاثين إلا قليلاً.

مؤلفاته وأدبه:

مال محمود أحمد السيد إلى الأدب يافعاً، وكـان لسفره إلى الهند أثر بليغ في نفسه، إذ اطّلع على أحوال وأفكار جديدة. وعني بالقصة فكان رائدها في العراق في نفس الوقت الذي كان محمود تيمـور رائد القصة في مصر. وأولع بالأدب التركي الحديث، فترجم إلى العربيـة قصص جلال نوري وأرجمند أكـرم آل رجائي وضياء كـوك آلب وغيرهم، وتأثر بآراء أدباء تركية المجدّدين.

جمع أقاصيصـه وكتاباتـه في مجموعات: في سبيل الـزواج (١٩٢١) مصير الضعفاء (١٩٢٢) النكبات (١٩٢٢) السّهام المتقابلة (مع عـوني بكر صدقي، ١٩٢٢) هياكل الجهل (١٩٢٣) القلم المكسور (١٩٢٣) جلال خـالد (١٩٢٨) الطلائع (١٩٢٩) في ساع من الزمن (١٩٣٥). وله آثار أخرى نشرت في الصحف والمجلات منها: «عندما تغرب الشمس» وسواها من القصص المنقولة عن اللغة التركية.

ان قصص محمود أحمد تزخر بالمعاني الإنسانية والصور الاجتماعية وتدعو إلى النهضة والإصـلاح. ومـذهبـة في القصـة المذهب الـواقعي الـذي يسلّط الضـوء على المجتمع العراقي في العقدين الثاني والثالث مـن القرن العشرين، ذلك المجتمع الذي يمّر بطور الانتقال والتحوّل ويضيق بالتناقضات والترسبّات القديمة ويقرن التحفزّ والجرأة وعدم المبالاة بالتحفظ والانجماد والتمّسك بأهداب التقاليد والشناشن البالية.

وقد كتب في ترجمة خطيّة له قبيل وفاته يقول عن نفسه: «اشتغل منذ عام ١٩٢٠ بالأدب غاوياً في أوقات فراغه، لا محترفاً، وسعى في سبيل تكوين النثر القصصي في العراق. وهو يعتقد بأن الجمع بين الأدب والوظيفة مستحيل فيه التجويد والتبريز. ويشتغل بتأليف مجموع صور عراقية بعنوان «الدفتر الأزرق»، لاهياً عابثاً، متمنياً أن لا تدركه حرفة الأدب في هذا الزمن، في هذا البلد، لأنه لم يعتزم بعد الانتحار جوعاً والموت في ظلام الزراية والإهمال».

قالت مجلة «الصباح» القاهرية في عددها المؤرخ في ٢٤ كانون الأول ١٩٣٧: «. . وقد بدأ حياته الأدبية برواية «جلال خالد» التي قدّمها إلى «فتية العراق التي نريدها على الجهاد في سبيل الحرية والحقّ». واستند في تدوين وقائعها إلى شبه مذكرات شخصية، وبالطريقة نفسها التي استند إليها أستاذه الكاتب الهندي ف. سوامي (كذا) في معالجة قصصه.

«والحق ان «جلال خالد» هي عبارة عن موجز من حياة المرحوم السيّد وسياحته في الهند وبلاد الشرق، وفيها استعراض قيّم لحوادث العراق السياسية في غضون الاحتلال البريطاني وأثناء شبوب الثورة وحماسة الشباب في رفع راية الجهاد. وتلمح بين سطورها أحاديث طليّة عن مميّزات الأدباء الأتراك الذين تتلمذ لهم المؤلف، كعبد الحقّ حامد بك شاعر تركية القومي وجماعة «ثروت فنون». . »

وقال محمود العبطة في كتابه «محمود أحمد السيّد» (١٩٦١): «ومحمود أحمد السيّد، بما صوّرنا من ملامحه المستخلصة من ملامح عصره المأزوم وجيله القلق، قد بين رأيه في المشاكل والمواقف والأزمات الدائرة في محيطه والماثلة أمامه والشاخصة في بلده، بياناً قد لازم حياته وتطوّره الفكري ونموّ مواهبه. وقد كان الطابع العام للعراق وللبلاد العربية بين انتهاء الحرب الاولى ونهاية الحرب الثانية ينحاز بلون رومانتيكي، يتغنى بالحرية والانطلاق ويتعشق المثل وتهزه الأخيلة والألوان وتسيّره العاطفة والأحاسيس. وكنتيجة لميلاد الواقعية من الرومانتيكية رغم التضادّ الذي يعتقد بوجوده بين الواقعية والرومانتيكية، فإنّ الدعوة إلى الأدب الواقعي بدأت في الظهور في العراق بصورة مبكّرة. ولا حاجة للقول كون السيّد من أول الدعاة إلى الواقعية الاجتماعية البدائية. . »

وقال الدكتور علي جواد الطاهر في خاتمة كتابه «محمود أحمد السيّد: رائد القصة الحديثة في العراق» (١٩٦٩): «كان محمود أحمد منصرفاً إلى الأدب، كأنه لا يستطيع الحياة دونه، ولا يستطيع أن يعيش من غير أن يقرأ ويناقش ويكتب، فهو وجوده وهو مثله الاعلى. وإذا ادّعى أحياناً أنه هاو، فإنّ ذلك تواضع وقول تمليه ظروف طارئة، فيما هكذا يكون «الهاوي». ومن شأن الهاوي أن يستمتع أو يقلد دون أن ينتج أو يبدع، والإنتاج والإبداع وليدا الجدّ والمثابرة والطماح والموهبة. . »

ثم يضيف قائلاً: «ان قارئه لا يحسّ بالتناقض كثيراً، وانه، بعد أن يودّع المرحلة

الأولى من حياة الكاتب، يكاد يراه منسجماً في دعوته إلى التجديد والتطور وفي تبنيه الأفكار الحديثة وفي حماسته إلى الاصلاح اللاجتماعي، فهو «كاتب شعبي»، حتى قال يوماً: «نحن الشعب» وهو كاتب مبكر في خدمة الشعب والعمل على الارتقاء به إلى مصافّ البشر.

«ولو انسجم محمود أحمد تمام الانسجام مع آرائه ولم يبد عليه تناقض بين القول والعمل، لكان توفيقه كبيراً في الأنواع الأدبية التي زاولها، أكبر كثيراً مما حقق وبات فيه أهلاً للاعجاب والتقدير.

«ويمكن أن يعزى التجويد ـ فيما جوّد فيه ـ إلى أنه كان يكتب بعد أن تختمر الفكرة في نفسه وفي لحظات ينفصل بها، أو يكاد، عمّا يحيطه أو عما يكون له من رأي مناقض أو عمل مخالف أو راسب عتيق..»

وما أصحّ الحكم الذي خرج به علي جواد الطاهر من دراسته الشاملة لسيرة محمود أحمد السيّد وأدبه، إذ قال: «كان محمود أحمد قصة لم تتمّ ورائداً جديراً بالريادة».

ذنّون أيوب

الأديب القصصي ذو النون عبد الوهاب بن الحاج أيوب العبد الواحد ولد بالموصل سنة ١٩٠٨، وتخرّج في دار المعلمين العالية في بغداد سنة ١٩٢٩، وعيّن مدرّساً للرياضيات والفيزياء في المدارس الثانوية.

وقد استمّر على التدريس في الموصل وبغداد، وكان مديراً لمعهد الفنون الجميلة. واعتقل في أيار ١٩٤٣ إثر مظاهرات حدثت في بغداد، ثم أطلق سراحه بعد أمد وجيز. وانتخب نائباً عن الموصل في تموز ١٩٥٤، لكنّ المجلس حلّ فوراً.

مال الى الأدب وهو شاب يافع، واشترك في تحرير مجلة «المجلة» التي أصدرها عبد الحق فاضل في الموصل سنة ١٩٣٨ وتولّى شؤونها بعد ذلك يوسف الحاج الياس. وكتب القصة يعالج فيها مشاكل العراق وشعبه وبؤس الكادح والفلاح. ونقم عليه رجال الحكم، فترك العراق وأقام في فيينّا عاصمة النمسا (١٩٥٥). وعاد الى بغداد سنة ١٩٥٧، فأصدر مجموعتين قصصيّتين، ثم قفل راجعاً الى النمسا.

وجاء الى بغداد بعد ثورة تموز ١٩٥٨، فعيّن مديراً عاماً للإرشاد والإذاعة (آذار ١٩٥٩). لكنه شغل هذا المنصب أمداً قصيراً ونقل مديراً عاماً للإذاعة والتلفزيون (آب ١٩٥٩)، فملحقاً ثقافياً في براغ (١٩٦٠). واعتزل الوظيفة بعد ذلك وسكن فيينّا منذ سنة ١٩٦٣

وقد حوكم غيابياً في نيسان ١٩٦٤ أمام محكمة الثورة بعد سقوط العهد القاسمي

فقيل أنه لم يكن شيوعياً ولا ديمقراطياً بل انتهازياً.

وتوفي ذو النون في فيينّا في النصف الثاني من سنة ١٩٨٨ وترك مذكّرات.

أصدر ذنون أيوب مجموعات قصصيّة: رسل الثقافة (١٩٣٧) الضحايا (١٩٣٨) صديقي (١٩٣٨) وحي الفنّ (١٩٣٨) الكادحون (١٩٣٩) برج بابل (١٩٣٩) العقل في محنته (١٩٤٠) حميّات (١٩٤١) الكارثة الشاملة (١٩٤٤) عظمة فارغة (١٩٤٨) قلوب ظمأى (١٩٥٠) صور شتّى (١٩٥٤) قصص من فيينّا (١٩٥٧). ووضع عدا ذلك قصصاً طويلة: الدكتور إبراهيم (١٩٣٩) اليد والأرض والماء (١٩٤٨) الرسائل المنسيّة (١٩٥٧). وترجم رواية الآباء والبنين لتورغنيف، بالاشتراك مع الدكتور أكرم فاضل (١٩٥٠)، وأسد الفلاندر، الخ.

وألف أيضاً: إنهيار فرنسة (١٩٤٢) برابرة سائبون (١٩٤٢) جمهورية ١٤ تموز في العراق (١٩٦٢) مختارات من روائع الأدب العالمي (١٩٥٨) وعلى الأرض السلام (رواية، ١٩٧٢).

قال الدكتور أكرم فاضل في تقييم أدب ذنّون أيوب «. إنه سجّل تاريخ العراق السياسي والاقتصادي والاجتماعي والنفسي في قصصه بأسلوب يطمع في محاكاته كلّ أحد دون أن يناله أحد. وقد خبر الكاتب الحياة خبراً عميقاً قلّ أن يتاح لسواه، أو قلّ أن ينفذ سواه الى أعماق هذه الحياة. . » ثم يقول: «وليس المهم أن يكون قد ارتطم بخضمّ كل هذه الرزايا، ولكن المهم أن المرتطم كان يحسن الانفعال بالحوادث ويتقن التفاعل معها ويبرع في تصويرها، فكان هذا الإنتاج الزاخر الذي يمثّل العراق من كل هذه الجوانب. . ».

وكتب محمود العبطة: «يقيم الأستاذ ذو النون أيوب حالياً في مدينة فيينّا منذ ثمانية أعوام وحيداً يقاسي آلام الغربة ووحشة البعاد ويتحمل آلام مرض القُلاب الذي يعاوده من حين لآخر. ويمضي ساعاته الرهيبة في الكتابة والمطالعة السريعة. وألف حتى الآن روايتين هما: مسالمون ومعتدون وأبو هريرة وكوجكا. وكَتب دراسات أدبية ــ علمية، وكلها لم تر نور الطبع والنشر حتى الآن. . »

وقد أصبح ذو النون أيوب رئيساً للهيئة الإدارية للدار العراقية التي افتتحت في فيينّا في تموز ١٩٧٤ بإشراف السفارة العراقية في عاصمة النمسا.

عاد ذو النون أيوب الى العراق في زيارة سنة ١٩٧٦ وفي السنة التالية أصدرت وزارة الإعلام العراقية المجلّدين الأول والثاني من «الآثار الكاملة لأدب ذي النون أيوب» (١٩٧٧)، وهما يضمّان مجموعة قصصه السابقة.

يوسف يعقوب مسكوني

الباحث المؤرخ يوسف يعقوب مسكوني، ولد في الموصل في ١٦ تشرين الأول ١٩٠٣، وذاق مرارة اليتم طفلاً. وعرف منذ عهد الصبا قسوة الحياة وشظف العيش فنشأ عصامياً لا يعتمد إلا على نفسه، ويرى في الحياة كفاحاً مستمراً وعملاً شاقاً متواصلاً. دأب منذ نعومة أظفاره على الجدّ والجهد، يسهر الليالي في طلب العلم ويقضي نهاره في العمل المفيد.

ولقد طالما حدّثني عمّا تحمله في صباه من عنت ومشقّة، لا سيّما في أثناء الحرب العظمى التي أناخت بكلكلها على البلاد والعباد ومدّت ذراعها الرهيب بالقتل والدّمار. تحمّلت الموصل قسطها الأوفر من الأوصاب والآلام في تلك السنوات العجاف، فقاست الجوع والحرمان، واضطرّ الناس سداً لرمقهم أن يأكلوا الجيفة والقطط والكلاب. وتدفقت جموع القرويّين وأبناء العشائر المشرّدين على المدينة يملأون ساحاتها وشوارعها، ويحملون إليها الأوبئة والأمراض، ويسيرون في طرقاتها أشباحاً حيّة تخفي تحت أسمالها الفاقة والهزال. وامتدّت أيدي نفر من الوحوش البشرية الى سرقة الأطفال وذبحهم وبيع لحومهم طعاماً ممجوجاً على موائد القحط والحقارة. وقد أرغم ذوو الفتى مسكوني على بيع دارهم القديمة الصغيرة ليقتاتوا بثمنها البخس في ذلك العهد المريع.

خرج يوسف مسكوني من تلك المحنة صافي النفس كالذهب الذي مرّ بالبوتقة. وعاد الى مقاعد الدراسة، ثم جاء الى بغداد سنة ١٩٢٣ فانتمى الى دار المعلمين الابتدائية وتخرّج فيها (١٩٢٦). وزاول التعليم في المقدادية والأعظمية والخالص وبغداد، ثم نقل الى وزارة المعارف ملاحظاً للمكتبة (١٩٤٤) فمترجماً للّغة الانكليزية (١٩٤٩). واعتزل الخدمة سنة ١٩٦٣

تعرّف عند قدومه الى بغداد برجال الأدب واللغة والتاريخ، وفي مقدمتهم مصطفى جواد الذي زامله في مدرسة الخالص. واتصل بالأب أنستاس الكرملي فلازم مجلسه وأفاد منه.

وقد توفي ببغداد في ١١ نيسان ١٩٧١

مؤلفاته:

من مؤلفاته: من عبقريات نساء القرن التاسع عشر(١٩٤٦)مدن العراق القديمة (ترجمه عن الإنكليزية، لدوروثي ماكاي(١٩٣٢)شخصيات القدر (بالاشتراك مع الدكتور مصطفى جواد، ١٩٦٣)، الألحان والتراتيل الأرامية والعربية(١٩٦٥)نصارى كسكر وواسط قبيل الاسلام(١٩٦٤)، سبط ابن التعاويذي (١٩٥٩)فتح العرب للصين(مقالة ترجمةعن الدكتور دنلوب، ١٩٦٨).

ومن الكتب التي حققها ونشرها: رسالة في حوادث الجو للكندي (١٩٦٥) رسائل في النحو واللغة (لابن فارس والرماني، بالإشتراك مع الدكتور مصطفى جواد، ١٩٦٩)، كتاب الفاضل في صفة الأدب الكامل لمحمد بن أحمد الوشّاء (١٩٧١) الخ.

وكتب عدا ذلك كتاباً جامعاً عن واسط مدينة الحجّاج ومقالات وبحوثاً كثيرة عن الأدباء والأديبات وأصحاب المقامات ومغنّيات صدر الإسلام الخ. وقد جمع مكتبة خاصة زاخرة بالمطبوعات والمخطوطات اشتراها المتحف العراقي بعد وفاته.

***

عرف يوسف مسكوني بالوداعة وطيبة النفس والسذاجة. ولئن قيل إنّ وراء كل أديب امرأة، لقد كانت وراءه زوجه الفاضلة التي هيّأت له الراحة المنزلية الوفيرة وجعلت من داره ندوة أدبية يحضرها رجال العلم والفضل. وكانت المطارحات والمفاكهات الشعرية والنثرية تدور في ذلك المجلس اللطيف، فممّا قلته فيه:

ذا يوسف فضله قد فاق فائقه — وطيبة النفس زانت ناصع السُّرُرِ
أبدت ظواهره مكنون مخبره — لم يَخْفَ سرّ له في الوِرْد والصَّدرِ
فهو البريء كطفل يوم مولده — وهو الصفيّ الذي يحلو من الكدر
تلك السّذاجة معنى من لطافته — دامت ودام كريماً هانىء العُمُر

وقلت في الأرجوزة المسكونيّة:

أهلاً بمسكوني الصديق الفاضل — زانت حجاه رقة الشمائل
قد أنعم الله عليه نِعما — يشكرها مصلّياً مبتسما
من زوجة كاملة رقيقة — محبّة صافية السّليقة
ثمّ ابنةٍ أديبة مهذّبه — الى القلوب كلّها محّببه
وستّة من أفضل الأبناء — كالأنجم الزهراء في العلاء
حازوا على الآداب والأخلاق — فهم جميعاً أنفس الأعلاق
حفّوا به، وهو لهم خير أب — متّسم حقاً بفضل الأدب
فهذه توقظه صباحا — تقدّم الماء له قراحا
تأتي له بأطيب الطعام — ناطقة بأعذب الكلام
وذاك يصغي لتلقي أمره — منفّذاً ما يبتغي من فوره
وآخر يلبسه رداءه — مستمعاً في أدب آراءه
وثالث يركبه السيّارة — منتظراً من أمره الإشارة

وتلك تمضي في انتساخ ما كتب	خوف الضياعِ لا تبالي بالتعب
والأمُّ، ذي السيدة الوقورة،	بأمره صادعة شكورة
تحفظ من نكاته الكثيرا	وتحسن التبريز والتّدبيرا
تقول: زوجي العالم الأريب	ليس له في فضله ضريب
إذا رأيتم غفلة في طبعه	فليس ذاك بدعة في شرعه
فالعلم من آفاته النّسيان	وشرطه الذهول والإيمان
أروي لكم سراً من الأسرار	مثيله لم يأتِ في الأخبار:
أرسله صاحبه يخطبني	إذا به لنفسه يطلبني
قد نسي الطالب مذ رآني	فاختارني زوجاً له اجتباني
وكان ذاك القدر المقدّر	قد شاءه الله العليم الأكبر
حمداً له دوماً على الألطاف	ودام مسكوني بعزٍّ ضافِ

وارتبط يوسف مسكوني في أعوامه الأخيرة بصلة وثيقة بالشاعر حافظ جميل الذي رثاه عند وفاته بقصيدة مؤثّرة تذكّرنا بمرثية الشريف الرضي للصابيء، بل برثاء أحمد شوقي لحافظ إبراهيم.

قال في مستهلّها:

كم كنت تشفي جراحاتي بلقياكا	وكم تشهّيت طعم الموت لولاكا
كنت الطبيب لنفسي، لم تجد بدلاً	من لطف روحك في تطبيب مرضاكا
ما انهلّ دمعي ولم تجهش عليّ بُكاً	فما أشدّك إخلاصاً وأوفاكا.

وقد روى شاكر علي التكريتي أنه قال ليوسف مسكوني، إذ رآه رابضاً في مكتبته يحقق ويدقّق: إن الضوء غير كافٍ. فأجاب: نعم، ولكن الكلمات المضيئة وإشراقة الكتب أعتمد عليها قبل نور الكهرباء.

***

رويت نوادر كثيرة عن سذاجة يوسف مسكوني وذهوله وشرود ذهنه: من ذلك أنه زار انكلترة مع زوجته وذهبا الى حديقة الحيوان. ولما تعبت السيّدة من السير، وزوجها مستمرّ على التجوال والتطلّع، جلست على أحد المقاعد وسألته أن يعود إليها بعد حين. ومرّت ساعة وساعتان وثلاث، وصاحبنا لم يعد، فذهبت السيدة الى مكتب الاستعلامات ونادوا باسمه في مكبّرة الصوت وطلبوا إليه المجيء الى المكتب. ولم يجيء.

وقلقت السيدة فعادت الى النُزُل وأفضت بالأمر الى ربّة الدار التي اقترحت إخبار الشرطة. وفي هذه الأثناء حضر مسكوني هاشاً باشاً، مسروراً بجولته الطويلة، غير ملتفت الى القلق الذي استحوذ على قرينته. وقال: يا للغرابة! هل تعلمين أن في لندن رجلاً آخر يحمل اسم «مسكوني» وكان يزور حديقة الحيوانات في نفس الوقت الذي زرناها؟ لقد نادوا اسمه في مكبّرة الصوت، فعجبت وودت لو تعرّفت اليه.

ولم يفطن أنه كان المقصود بالنداء!

من القصص التي تروى عن ذهول مسكوني وغفلته أنه أراد قبل عام من وفاته السفر الى أوروبّة، فكلّم صديقه شاكر علي التكريتي في استصدار جواز سفر. قال الصديق:

هلّم بنا نمضِ الى مدير الدائرة أحمد سامي (أبي عائدة) فتأخذ الجواز المطلوب في لحظات.

قال مسكوني: أبو عائدة، إنني كنت مدرساً لزوجته وهو يعرفني حقّ المعرفة.

ومضيا إليه، فأكرم المدير وفادة مسكوني وذكّره بذكريات الدراسة، ثم أمر بتقديم القهوة وإنجاز معاملة جواز السفر. ولم يمض وقت طويل حتى تسلم يوسف مسكوني جوازه وسلّم على المدير وشكره وخرج مع صديقه.

ولما أصبحا في الرواق التفت مسكوني الى شاكر علي وقال: لقد كمل جواز السفر، ولم تبق لنا حاجة الى معونة أبي عائدة الذي درّست زوجته، ولكن مع ذلك، ما دمنا قد أتينا الى هنا، فلا بأس أن نمرّ به للسلام عليه.

فقال التكريتي متعجباً: ولكننا خرجنا من دائرته الآن وهو الذي أنجز لك المعاملة!

قال مسكوني: كنت أظنه مدير جوازات السفر وليس أبا عائدة، فكيف هو هو؟

***

انتقل يوسف مسكوني من داره، لكنه ظلّ بين حين وآخر يعود من دائرته ظهراً الى داره القديمة، ويعجب لوجود أناس غرباء فيها!

وكان راكباً يوماً في سيارة الباص، فصعدت سيّدة وجلست في المقعد الخالي الى جانبه. وغضّ صاحبنا من بصره، لكن السيدة كانت تتقرب منه وهو يبتعد عنها جهده. وأخيراً قالت له: ما لك، يا أبا زهير؟ فنظر إليها متعجباً وقال: أنت هنا، يا أم زهير؟ ماذا جاء بك، وكيف عرفت أنني راكب في هذا الباص فجلست الى جنبي؟

من نوادر يوسف مسكوني أنه نهض ذات صباح وارتدى ملابسه وقام ليذهب الى دائرته فقال لزوجته: أم زهير، إن الحذاء الأيمن يؤلم رجلي فلا أستطيع المشي.

ـ هل تشعر بألم في رجلك؟

ـ كلا، وإنما الحذاء ضيّق جداً يضغط أصابعي.

ـ إن الحذاء لم يصغر ورجلك لم تكبر، فما القضية؟

ـ والعجيب أن الحذاء الأيسر لا يضايقني، بل الأيمن فقط. ومضى يوسف مسكوني الى دائرته وهو يعرج، وعاد بعد الظهر يشكو الضيق والألم.

فلما نزع حذاءه الأيمن وفحصته أم زهير وجدت فيه زوجين من الجوارب وضعت فيه سهواً وكانت مصدر المضايقة!

محمد علي كمال الدين

من رجال التربية والتأليف محمد علي بن عيسى كمال الدين، ولد بالنجف سنة ١٩٠٠، ودرس على والده وغيره من العلماء، وتفرّغ لدراسة العربية والمنطق.

إشترك شاباً في ثورة سنة ١٩٢٠ فكان من محرري جريدة «الاستقلال» و «الفرات». ولما خمد أوار الثورة هرب الى الكويت برفقة أحمد الصافي النجفي وسعد صالح، وعاد الى مسقط رأسه بعد صدور العفو العام. والتحق بدار المعلمين الابتدائية في بغداد (١٩٢١) وعيّن بعد تخرّجه معلماً في المدارس الابتدائية فمدير مدرسة فمدرساً في المدارس الثانوية فملاحظاً لمجلة «المعلم الجديد» حتى أحيل على التقاعد سنة ١٩٥٩ وتوفي ببغداد سنة ١٩٦٦

من مؤلفاته: سعد صالح (١٩٤٩) ذكرى السيد عيسى آل كمال الدين (١٩٥٧) التطوّر الفكري في العراق (١٩٦٠) تيسير العربية (١٩٦١) معلومات ومشاهدات في الثورة العراقية الكبرى لسنة ١٩٢٠ (١٩٧١).

ترك مصنّفات مخطوطة منها: النجف في ربع قرن، رحلة الى سورية ولبنان، الخ.

الدكتور عبد الجبّار الجومرد

ولد عبد الجبار الجومرد في الموصل سنة ١٩٠٩، وكان أبوه محمد شيت الجومرد من شعرائها المعروفين في عهده (١٨٥٠ ـ ١٩٢٥). وقد تخرّج بدار المعلمين الابتدائية سنة ١٩٢٩، ثم التحق بمعهد الحقوق في الشام ونال شهادتها (آب ١٩٣٥). وبعد أن مارس المحاماة سنتين، شد الرحال إلى باريس وواصل دراسته في السوربون واختص بالحقوق الدستورية والإدارية. وعاد إلى بغداد عند نشوب الحرب العالمية، لكنه لم يلبث أن قفل راجعاً إلى فرنسة، وحصل على درجة الدكتوراه في الحقوق (١٩٤١) والدكتوراه في الآداب (١٩٤٤).

وعاد إلى العراق فزاول المحاماة، وعيّن بعد ذلك ملحقاً بالأمانة العامة لجامعة الدول

العربية (١٩٤٦) وانتخب نائباً عن الموصل في مجلس النواب في حزيران ١٩٤٨، وكان عضواً بالوفد العراقي إلى هيئة الأمم المتحدة سنة ١٩٤٩ وقد استقال من النيابة في آذار ١٩٥٠، ثم أعيد انتخابه نائباً عن الموصل في كانون الثاني ١٩٥٣ وحزيران ١٩٥٤ وكان من رجال المعارضة في المجلس ومن مؤسّسي الجبهة الشعبية، وعرف بخطبه الوطنية ومواقفه الجريئة الصلبة.

ولما قامت الثورة عيّن وزيراً لخارجية الجمهورية العراقية من ١٤ تموز ١٩٥٨ إلى ٧ شباط ١٩٥٩. واختير عضواً مراسلاً بالمجمع العلمي العراقي في كانون الأول ١٩٦١ وقد سمّي سفيراً في وزارة الخارجية في آذار ١٩٦٣، بيد أنه رفض المنصب.

وضع مؤلفات عديدة منها: الدستور العراقي (باللغة الفرنسية، وهو أطروحته في الحقوق ١٩٤١)، والأصمعي (بالفرنسية أيضاً، وهو أطروحته في الأدب)، مأساة فلسطين العربية (بالفرنسية ١٩٤٥). وألف عدا ذلك باللغة العربية: الأصمعي (١٩٥٥) هارون الرشيد (جزءان ١٩٥٦) يزيد بن مزيد الشيباني غرّة العرب (١٩٦١) داهية العرب أبو جعفر المنصور (١٩٦٣). ووضع تاريخاً للموصل في ٣ أجزاء، و «تاريخ حياتي ١٩١٠ ـ ٧١» (مخطوط).

توفي عبد الجبار الجومرد بالموصل في ٣٠ تشرين الثاني ١٩٧١

قال الدكتور أكرم فاضل: «كان عبد الجبار وردة شباب الموصل، فهو يلعب كرة القدم بمهارة عجيبة، ويجيد التمثيل، ويبرع في الخطابة، ويحسن الكتابة، ويبدع في الشعر العامي والفصيح، بالإضافة إلى كونه خطيباً يستهوي الأسماع وصاحب أجوبة مسكتة. .»

ثم قال: «وعاد إلى العراق في أعقاب الحرب الثانية فتطلعت الأنظار إلى الاتجاه الذي سيتّجه إليه، فإذا به نائب في مجلس النواب. وكانت خطبه في المجلس طريفة مرصّعة بالأرقام والشواهد والشعر والأمثال والأقوال المأثورة. وهو أول من سمعناه يذكر «الديمقراطية المنافقة»، وهي مقولة فرنسية. وكان يقظاً للمتربّصين به من النواب: خطب مرة فنهض وزير نائب ليقول ما مضمونه: أشهد أنّ الجومرد ممثل قدير، كان زميلي في دار المعلمين وكان ممثلاً بارعاً. فما كان من المغموز إلاّ أن نهض ليردّ على الغامز بقوله: كلنا في الحياة ممثلون، وجزاء كل ممثل الصفير أو التصفيق. وسنرى أخيراً لمن يكون الصفير ولمن يكون التصفيق!».

وقد نظم الجومرد قصائد في رثاء الزعيم السوري إبراهيم هنانو والشاعر الزهاوي إلخ. ومما قاله في تأبين الزهاوي:

فقد الشعر زاهيات المعاني	وذوت أعين القوافي الحسان
وتعرّت قصائد الشعر عن ثوب	قشيب معطّر الأردان
وكأنّ المنون راشت سهاماً	لتصيب الآداب في العنوان.

وقال في فلسطين :

مَنْ سـامعٌ فـأبثّ شكـوى لم تـزل ... بين الضلـوع دفينـة آلامهـا؟
لا تفخـروا : كـانت وكـان لـواؤهـا ، ... طـوي الـزمـان ومـزّقت أعـلامهـا
شيـع وأحـزاب يحطّـم بعضهـا ... وجـرائد مأجـورة أقـلامهـا
علماؤهـا غضّـوا الجفـون على القـذى ... وسعى لكـلّ بليّـة حكّـامهـا .

ومن شعره :

ذنبي من الأيـام أعـرفـه ... نفـس لها ثـوب مـن الكبْرِ
أجـد الحيـاة ، على مكـانتهـا ... لا تستحـقّ إهـانـة الحرّ
فـأصـون وجهـي أن يفـرّط بي ... وأصـون لفظي عـن غـدٍ يـزري

محمد شيت الجومـرد الشاعر والـد الدكتـور عبد الجبار ولـد في الموصل سنة ١٨٥٠ وتوفي سنة ١٩٢٥ وقد طبع ديوانه في القاهرة باسم «ديوان الجومرد» (١٨٨٨) ونشر في السنة نفسها ديوان صديقه الشاعر الموصلي الملاّ حسن البزاز (١٨٤٥ ـ ١٨٨٧) .

صبيحة الشيخ داود

إذا ذكـرت النهضة النسـائية في العـراق فـلا ريب أنها تقترن باسم الأديبـة الحقوقيـة صبيحة الشيخ أحمد الداود رائدة الدراسة النسوية العالية ومؤلفة كتاب «أول الطريق» .

ولدت صبيحة ابنة أحمد الشيخ داود (الذي أصبـح فيها بعد وزير الأوقاف) في بغداد سنـة ١٩١٢ وأقيم في بغداد في شبـاط ١٩٢٢ المهرجـان الأدبي المعـروف باسم سـوق عكاظ ، فدعيت وهـي فتاة صغيرة إلى تمثيل دور الشاعرة الخنساء ، فـاعتلت ظهر جمل وألقت قصيدة . قال أمين الريحاني في كتابـه «ملوك العرب» (الجزء الثاني) : «أقام جماعة المعهد العلمي سوق عكاظ في عـاصمة العبّاسيين ، وكانت أول حفلة باهـرة فريدة بعد التتويج ، حضرها جلالـة الملك فيصل ، فجلس في فسطاط بين النخيل يسمع الشعراء ينشدون والخطباء يخطبون . وكان قسّ بن ساعدة في مقدمة الخطباء يمثله أحد الصبيان الأذكياء ، وكـانت الخنسـاء في طليعة الشعراء تتلـو قصيدتها إحـدى الأوانس المسلمات سافرة صافنة . . » .

وتخرّجت صبيحـة الشيخ داود في دار المعلمات الابتـدائية فعيّنت معلمـة في المدارس الرسميـة في أيلول ١٩٢٧ ثم انتمت إلى كليـة الحقوق سنة ١٩٣٦ ، فكـانت أول فتاة وطأت أقـدامهـا هـذا المعهـد . ولما تخرّجت بعـد أربع سنـوات عيّنت مفتشـة في وزارة المعارف (أيلول ١٩٤٠) فمـدرّسة بدار المعلمات الابتدائيـة (أيار ١٩٥٠) . ونقلت سنة ١٩٥٦ عضواً بمحكمـة الأحداث ، فظلّت فيها حتى اعتـزلت الخدمة في كانـون الثاني

سنة ١٩٧٠، وانصرفت إلى ممارسة المحاماة وألّفت كتاب «تجربتي في قضاء الأحداث».

ساهمت في النهضة النسائية فاشتركت في المؤتمر النسائي الأول الذي عقد ببغداد في تشرين الأول ١٩٣٢ واختيرت سكرتيرة له وألقت محاضرة عن حقوق المرأة المسلمة. واشتركت بعد ذلك في المؤتمر النسائي العربي في بغداد (آذار ١٩٥٢)، وكانت لها جهود مذكورة في الجمعيات الخيرية كالهلال الأحمر وحماية الأطفال إلخ.

ووضعت كتابها «أول الطريق» إلى النهضة النسوية في العراق (١٩٥٨)، كتب مقدمته منير القاضي، فقال: «وكانت مؤلفة الكتاب الأستاذة صبيحة الشيخ داود، عضو محكمة الأحداث، أول فتاة دخلت كلية في العراق، وهي كلية الحقوق، باستثناء فتاة أخرى دخلت كلية الطبّ، وكنت آنذاك عميد كلية الحقوق. وقد وجدت فيها النشاط والانصراف التام إلى الدراسة والتتبع، فتوسمت فيها كل الخير، وحدست أنها ستكون القدوة الصالحة لأخواتها الفتيات العراقيات. وقد صدق حدسي، كما أنها قررت أن تقوم بخدمات صالحة في المجتمع النسوي في العراق، وأنها ستنشر مؤلفات وأبحاثاً علمية. فكان ما حزرتُ، فقد كتبت أبحاثاً في مواضيع مختلفة نشرت في المجلات والجرائد، وكان آخر ما وقفت عليه من ثمار أعمالها كتابها «أوّل الطريق».
وقد دفعني إلى كتابة هذه المقدمة قيام الصلة الوثيقة بيننا، صلة أستاذ مخلص مع تلميذة نجيبة وفيّة. فقد قضيت في تدريسها مع زملائها أربع سنوات في كلية الحقوق، وهي الفتاة الوحيدة بين نحو ألف طالب يحترمونها وتحترمهم ويقدرون نشاطها وسعيها، وتقدر أدبهم وحسن سيرهم معها على وجه المساواة والحرمة المتبادلة. . .».

توفيت صبيحة الشيخ داود ببغداد في ١١ تشرين الثاني ١٩٧٥

كانت صبيحة الشيخ داود ابنة رجل دين مثقف عصريّ النزعة أتاح لها الدرس والانخراط في سلك التعليم والقضاء. فإذا ذكرت باحثة البادية وميّ زيادة وهدى شعراوي في مصر فلا بد من ذكر قرينتهن صبيحة في العراق.

كان لها صالون أدبي يعقد كل أسبوع في دارها المطلة على دجلة فيحضره رجال الفضل والصحافة والأدب والسلك الدبلوماسي. وقد زارت الأقطار العربية مراراً واتصلت برائدات النهضة النسوية فيها.

قال جعفر الخليلي إن صبيحة متأنقة في لباسها، صريحة في قولها، يكاد لسانها ينطق بكل ما في صدرها، صبيحة الوجه حلوة الشمائل بعيدة عن التكلف إلى حدّ معقول.

مار إغناطيوس يعقوب الثالث

العالم البحاثة مار إغناطيوس يعقوب الثالث بطريرك السّريان الأرثذكس، واسمه الأب عبد الأحد توما. ولد في قرية برطلّي من قرى شمال العراق سنة ١٩١٢، ودرس الفلسفة واللاهوت في معهد مار مَتّى بالموصل. ثم مضى إلى حمص فترهّب سنة ١٩٣١، وقام بالتدريس سنة واحدة في بيروت. وأرسل سنة ١٩٣٢ سكرتيراً للرسول البطريركي في الهند، ولم يلبث أن أصبح عميداً للمعهد اللاهوتي في ملابار (١٩٣٤). وعاد إلى الموصل سنة ١٩٤٧ وعمل مدرساً للاّهوت، ثم اختير أسقفاً لبيروت ودمشق (١٩٥٠). وانتخب سنة ١٩٥٧ بطريركاً لأنطاكية وجميع المشرق خلفاً لمار إغناطيوس افرام الأول برصوم، فاتخذ لقب إغناطيوس يعقوب.

زار بريطانية سنة ١٩٧٩ واجتمع برئيس أساقفة كانتربري رئيس الكنيسة الإنكليزية، ومضى قبيل وفاته إلى روما وتباحث مع البابا يوحنّا بولس الثاني.

توفّي في دمشق في ٢٦ حزيران ١٩٨٠

وضع مصنّفات كثيرة، منها ديوان شعر باللغة السريانية (طبع في حلب ١٩٦٠)، بين الشرق والغرب: صفحات ذهبية من تاريخ الكنيسة المسيحية (في جزءين، ١٩٤٩)، تاريخ الكنيسة السريانية الهندية (١٩٥١) تاريخ الكنيسة السريانية الأنطاكية (في جزءين، ١٩٥٣)، المشعل الوضّاء في طريق السماء (١٩٥٤) نزهة الرائد في الكتاب الخالد (١٩٥٢) دفقات الطيب في تاريخ دير القدّيس مار مَتّى العجيب (١٩٦١) الكندي والسريانية (١٩٦٣) الشهداء الحميريون العرب في الوثائق السّريانية (١٩٦٦) بطاركة الشرق (١٩٦٩) خطب المهرجانات (١٩٦٩) صدى المنابر (١٩٦٩) اللآلىء المنثورة في الأقوال المأثورة (١٩٦٩).

وكان عضواً بمجمع اللغة العربية في دمشق.

جلال الحنفي

الشيخ جلال محيي الدين الحنفي الأديب الفقيه الشاعر ولد ببغداد سنة ١٩١٢ ودرس في المدارس الرسمية. ثم لازم الشيخ أمجد الزهاوي وغيره من العلماء فأخذ عنهم. وكان سكرتيراً لجمعية الناشئة الإسلامية ورئيس تحرير مجلتها. ثم مضى إلى القاهرة وداوم في الجامع الأزهر سنة واحدة عاد على أثرها إلى بغداد (١٩٤٠) لنشوب الحرب العالمية.

عيّن إماماً لبعض المساجد. وأوفد إلى الصين سنة ١٩٦٤ لتدريس اللغة العربية في بكين. وعاد إلى بغداد بعد ثلاث سنوات، وقد تعلّم اللغة الصينية ووضع معجماً عربياً

صينياً لم يتسنّ لـه طبعه وكتب فيـه الكلمات الصينية بحروف عـربية . وعين مـوظفاً في وزارة الإعلام أمداً قصيراً، ثـم أسندت إليه إمامة جامع الخلفاء . وأعيد إيفاده إلى الصين للتدريس في شنغهاي (١٩٧٥ ـ ١٩٧٦) وعاد منهـا بعد سنة ونصف ليستأنف الإمامة في جامع الخلفاء . ودعي إلى تونس سنة ١٩٧٨ لإلقاء محاضرات أدبية وثقافية .

وضع كتبـاً ورسائل عديـدة منها : التشريـع الإسلامي : تـاريخه وفلسفته (١٩٤٠) معاني القـرآن (١٩٤١) رسالـة اجتماعية خـالدة (١٩٥٣) الـزكاة وفلسفـة الإحسان في الشريعة الإسـلامية (١٩٥٥) صحـة المجتمع (١٩٥٥) الروابط الاجتماعيـة في الإسلام (١٩٥٦) بقايـا ديوان (١٩٥٦) مقدّمـات الجنوح في الأحـداث (١٩٥٧) أحاديث من وراء الميكروفـون (١٩٦٠) الأمثال البغداديـة (في جزءين ١٩٦٢ ـ ١٩٦٤) الـرصافي في أوجه وحضيضه (١٩٦٢) المرأة في القرآن الكـريم (١٩٦٠) الأيمان البغدادية (١٩٦٤) معجم الألفاظ الكويتية (١٩٦٤) معجم اللغة العامية البغدادية (في جزءين ١٩٦٣ ـ ١٩٦٦) المغنّون البغـداديون والمقـام العراقي (١٩٦٤) الصنـاعات والحرف البغـدادية (١٩٦٦) العَروض (١٩٧٨) إلخ .

ونشر من الكتب : أعيـان البصرة (١٩٦٠) لعبـد الله بـاش أعيان العبـاسي، الـدرّ النقيّ في علم الموسيقي (١٩٦٤) لأحمد بن عبد الرحمٰن القادري الرفاعي .

كـانت معرفـة جلال الحنفي للّغـة الصينيـة ـ وهـو شيء نادر في العـراق ـ مصـدر مضـايقة لـه . فقد كـان يتحدث مع زوجتـه بـالصينية لكي لا ينسيـا اللغة . وفيما هـو يكلمها تلفونياً إذا برقيب التلفونات يقول له على الخط :

ـ ألا تعرف العربية، يا شيخ جلال؟ هل أنت تتكلم بلسان الطيور؟

ـ أنا أكلم زوجتي بالصينية لكي لا ننسى تلك اللغة .

ـ تكلم بالعربية لنفهم ما تقول!

ولما استمر الشيخ جلال على التحدث بلغة الصين قطع الخط .

وفي مناسبة أخرى قبض رجـال الأمن في البصرة على بحّار صيني تخلف عن اللحاق بباخرته واتهموه بـالتجسس . وأخذ الحنفي عنوة إلى البصرة ليترجم للبحار الذي لم يكن يعرف سوى لغتـه . قال البحار إنه كـان يسبح في شط العرب فإذا به يرى البـاخرة التي يعمل فيها قـد أقلعت تاركـة إياه بلا مـلابس ولا نقود . أمـا رجال الأمن فلم يصـدقوا كلامه وحثوا الشيخ جلال على مضـايقته وحمله على الاعتراف . واستطاع الحنفي بعد أن تخلص من هذه المهمة المضنيـة أن يعود إلى معتكفه في جامع الخلفاء تـاركاً رجال الأمن وبحارهم في مساجلة غير مجدية .

وجلال الحنفي رجل دين متسامح واسع الأفق . ومن الغريب أنه اشترك في الضجة التي أقيمت سنة ١٩٤٤ على معـروف الرصـافي حين نشر كتابه «رسـائل التعليقات» .

وقيل إن أعداء الشاعر أثاروا تلك الضجة بتحريض وتشجيع من البلاط الملكي انتقاماً منه لهجوه الأمير عبد الإله ومساندته لحركة مايس ١٩٤١ ضد الإنكليز. وقد أخبرني مصطفى علي أن الشيخ الحنفي أبدى نشاطاً محموماً في تكفير الرصافي، فهجاه بقصيدة مقذعة شديدة أكتفي بنقل بيتين منها:

ولست بمعجزي أبداً، فإنّي | على كبح الغواة قصرت عمري
شحاك عليّ بالنكراء شاحٍ، | وكم أغراك بالنبهاء مُغْرِ

وقد نشر مصطفى علي القصيدة كاملة في الجزء الرابع من تحقيقه لديوان الرصافي (١٩٧٦).

الدكتور علي الوردي

ولد علي حسين الوردي في الكاظمية سنة ١٩١٣، وكان مدرساً بالمدارس الثانوية. ثم أوفد إلى الولايات المتحدة وأتم دراسته في جامعة تكساس، فنال شهادة الدكتوراه في علم الاجتماع، وكان موضوع اطروحته ابن خلدون.

وعاد إلى بغداد فعيّن مدّرساً في كلية الآداب (تشرين الاول ١٩٥٠) فأستاذاً مساعداً (كانون الأول ١٩٥٣). وأصبح بعد ذلك استاذاً لعلم الاجتماع في كلية التربية فكلية الآداب بجامعة بغداد. واعتزل التدريس في حزيران ١٩٧٠ منصرفاً إلى التأليف.

عرف الدكتور علي الوردي كاتباً اجتماعياً جريئاً أثارت كتاباته ومؤلفاته حركة فكرية عارمة.

مؤلفاته:

من مؤلفاته: شخصية الفرد العراقي (١٩٥١) خوارق اللاشعور (١٩٥٢) وعاّظ السلاطين (١٩٥٤) مهزلة العقل البشري (١٩٥٥) أسطورة الأدب الرفيع (١٩٥٧) الأحلام بين العلم والعقيدة (١٩٥٩) منطق ابن خلدون (١٩٦٢) طبيعة المجتمع العراقي (١٩٦٥) نشأة الوعي السياسي في العراق (١٩٦٨) لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث (الجزء الأول ١٩٦٩، الثاني ١٩٧١، الثالث ١٩٧٢، الرابع ١٩٧٤) الخامس عن ثورة العشرين في قسمين (١٩٧٧ ـ ٧٨).

نشأ علي الوردي نشأة متواضعة أعانته فيما بعد عل تشخيص أدواء المجتمع وإظهار الازدواجية الشخصية التي ابتلي بها أفراده. قال في مقدمة كتابه وعاظ السلاطين: «ولقد أتيح لي في بدء حياتي فرصة ثمينة، حيث كنت أكسب قوتي بعرق جبيني، وعانيت من الذلّ والحرمان والمهانة قسطاً كبيراً، فأدركت آنذاك مبلغ ما يقاسي أبناء السوقة والصعاليك من عذاب ومذلّة على أيدي الطغاة المترفين والجلاوزة».

حمل الوردي في كتاباته على الأفكار القديمة والتقاليد البالية وحللّها في ضوء النظريات الاجتماعية العلمية ودعا إلى نبذ الترسّبات القبائلية في المجتمع وبناء مجتمع عصري مثقف يدين بالترابط الوطني والولاء للدولة، وكان أشدّ كتبه إثارة «وعاظ السلاطين» و«أسطورة الأدب الرفيع».

تخلّص في كتابه «وعاّظ السلاطين» إلى القول: «لقد آن الأوان لكي نحدث انقلاباً في أسلوب تفكيرنا، فقد ذهب زمان السلاطين وحلّ محله زمان الشعوب. وليس من الجدير بنا، ونحن نعيش في القرن العشرين، أن نفكّر على نمط ما كان يفكر به أسلافنا من وعاظ السلاطين. آن لنا أن نفهم الطبيعة البشرية كما هي في الواقع، ونعترف بما فيها من نقائص غريزية لا يمكن التخلّص منها، ثم نضع على أساس ذلك خطة الإصلاح المنشودة».

ودرس الأدب العربي دراسة العالم الاجتماعي لا الناقد الأدبي، فقال: «لا ننكر أن شعراءنا اليوم قد تغيروا عما كانوا عليه بالأمس، فقد تحوّل الكثيرون منهم من مدح السلاطين إلى مدح الشعوب. ولكننا يجب أن لا ننسى أن تغيَّرهم هذا إنما كان من ناحية الشكل في الغالب، أما من ناحية المحتوى فلم يتغيروا الا قليلاً. انهم ظلوا يسيرون في شعرهم على نفس الطريقة القديمة من حيث الاندفاع في الفخر والحماس وقلة المبالاة بحقائق الأمور، فهم بدلاً من أن يجعلوا السلطان ظلّ الله في الأرض وأعدل الناس طراً، اتجهوا نحو الشعب فجعلوه نبيلاً كاملاً في جميع صفاته لا يتطرّق إليه النقص أبداً.

«يبدو أن شعراءنا حين تركوا مدح السلاطين واتجهوا نحو مدح الشعب صاروا كأنهم عادوا إلى حياة البداوة الأولى، حين كان الشاعر يمدح قبيلته ويذم خصومها في الحق والباطل. فهم لا يختلفون عن شعراء الجاهلية إلا من حيث أنهم وسعوا نطاق القبيلة فجعلوه «الشعب» أو «الوطن» أو «الأمة»، إنهم بعبارة أخرى، غيروا شكل العصبيّة، أما مضمونها فلم يغيروه، حيث بقوا ينظرون إلى شعبهم أو وطنهم أو أمتهم كما كان الشاعر البدوي ينظر إلى قبيلته.

«انّ هذا النمط من التفكير الحماسي ـ وهو الذي يصح أن نسمّيه بالتفكير الشعري ـ لم يقتصر أثره على الشعراء فقط، بل شمل أيضاً الكثير من المفكرين وحملة الأقلام والخطباء، فهم جميعاً يجرون على طريقة واحدة، هي طريقة عمرو بن كلثوم: «ماء البحر نملأه سفينا!» (لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ١ ٣١٣ ـ ٣١٤).

وقال علي الوردي في تصريح له إنه لم يتأثّر بشعر شاعر، لأنه منذ البداية ضعيف الثقة بالشعر والشعراء ويرى ان الشعر من أهم الأدواء الاجتماعية التي ابتلي بها العرب منذ عصر الجاهلية. أما الكتاب الذين تأثر بهم فكانوا كثيرين، منهم الغزالي وابن خلدون وسلامه موسى ودورانت ووليم جيمس وهـ ج. ويلز وعلماء الاجتماع عامة

(جريدة الجمهورية البغدادية، ٤/ ١٢/ ١٩٦٩).

ودعا في فرصة أخرى إلى معالجة المشاكل الاجتماعية ومناقشتها، فذلك ـ كما قال خير من الانشغال بالأدب الفارغ حول البحتري وتأبط شراً. وأضاف قائلاً: «اننا، في هذه المرحلة الراهنة، في حاجة إلى ثورة فكرية نتحوّل بها من عالم الأدب إلى عالم العلم. فقد مللنا الانهماك المفرط بالأدب الذي لا صلة له بالحياة. ولعلّني لا أغالي إذا قلت انّ هذا النوع من الأدب أضرّ بنا وعرقل علينا سبيل الحياة الحديثة» (جريدة الجمهورية، ١٢/ ٦/ ١٩٧٠).

انّ علي الوردي عالم اجتماعي وليس أديباً، ولو أنه عانى ـ كما قال ــ نظم الشعر في شبابه. وقد استطاع مع ذلك، في كتابيه وعاظ السلاطين وأسطورة الأدب الرفيع بوجه خاص، أن ينقد الأدب العربي نقداً صريحاً، فيفصل قشوره عن لبابه ويخلع الأردية البرّاقة التي يلتفع بها الكثير من الشعر والنثر فيظهر عريهما وهزالهما.

وكذلك هيّىء له أن يكشف عن قيم رفيعة ظلّت خلال عصور طويلة مستهجنة مرذولة في عالم أدبّي مصطنع.

الدكتور ناصر الحاني

ناصر محمد ظاهر الحاني ولد في بلدة عنة على الفرات سنة ١٩١٧ وتخرّج في دار المعلمين العالية ببغداد سنة ١٩٤٣ وواصل دراسته في كلية الآداب بالقاهرة فأحرز شهادة الليسانس في الآداب (١٩٤٧) ونال الدكتوراه في الفلسفة من جامعة لندن (١٩٥٠).

عيّن مدرساً في كلية الآداب في تشرين الثاني ١٩٥٠ ونقل مديراً للبعثات في وزارة المعارف (١٩٥١) فأستاذاً مساعداً بكلية الآداب (١٩٥٤). وألقى في تلك السنة محاضرات في معهد الدراسات العربية العالية بالقاهرة، ثم عيّن ملحقاً ثقافياً في السفارة العراقية في واشنطن (ايلول ـ ١٩٥٤)، وانتدب استاذاً في جامعة لندن (١٩٥٩). وانتقل إلى وزارة الخارجية مديراً عاماً للعلاقات (آذار ١٩٦٠) فسفيراً في بيروت (آب ١٩٦١)، وأضيفت إلى عهدته سفارة اليونان أيضاً. ونقل سفيراً في دمشق (تموز ١٩٦٢) فسفيراً في ديوان وزارة الخارجية، وأسندت إليه وكالة الوزارة في تموز ١٩٦٣ ومثّل الجمهورية العراقية بعد ذلك سفيراً في واشنطن (١٩٦٤) فبيروت (شباط ١٩٦٧). وأصبح وزيراً للخارجية من ١٨ إلى ٣٠ تموز ١٩٦٨، ثم عيّن سفيراً في ديوان وزارة الخارجية.

وقد اغتيل ببغداد في ١٠ تشرين الثاني ١٩٦٨

مؤلفاته وأدبه :

كان الدكتور ناصر الحاني أديباً ناقداً وضع مؤلفات منها : نقد وأدب (١٩٤٦) النقد الأدبي وأثـره في الشعر العبـاسي (١٩٥٥) جميل صـدقي الـزهـاوي (محاضرات القاهـا بالقـاهرة، ١٩٥٤) من اصطـلاحات الادب الغـربي (١٩٥٨) الأدب العربي واعـلامه (بالاشتراك مع آخرين، ١٩٥٢)، في الحضارة العربية (١٩٦٨) أوراق (١٩٦٨) الخ .

وحقق شعر الراعي النميري (١٩٦٤). وكتب عدا ذلك دراسات ومقالات عديدة وأبحاثاً عن العراق في بعض دوائر المعارف الاميركية وغيرها .

وقد تحدث نـاصر الحاني ذات مرة فقال إنـه معجب بطه حسين الـذي يعتبره استاذ الجيل دون منازع وأول من وضع اسلوباً عربياً تأثر به كثير من الأدباء الناشئين واقتفوه . أما من أدباء الغرب فقد تأثر الحاني ـ على ما قـال ـ بالناقد الانكليزي سسل داي لويس ودعا إلى ترجمة كتابه «الأخيلة الشعرية». ولويس من شعراء انكلترة المعاصرين ونقادها الأدبيين ، ولد في إرلنـدة سنة ١٩٠٤ ودرس في جـامعة أكسفـرد وأصدر دواويـن شعر متعددة وكتباً في النقد والرواية .

الدكتور عبد الجليل الطاهر

من أساتذة علم الاجتماع ، ولد عبد الجليل علي الطاهر في القرنة ، عند ملتقى دجلة والفـرات ، سنـة ١٩١٤ ودرس في دار المعلمين الابتـدايـة فعّين معلماً (تشرين الاول ١٩٣٣) ، ثم انتمى إلى دار المعلمين العالية وعمل في التدريس .

أوفـد سنـة ١٩٤٧ لاتمام دراستـه في بـاريس ، ثـم إلى الـولايـات المتحـدة الأميركيـة (١٩٤٩) . وعـاد إلى بغداد يحمل شهـادة الدكتـوراه في الفلسفة فعّين مـدرساً في كليـة الأداب (تشرين الأول ١٩٥٢) . ونـال بعد ذلك كـرسّي استاذ علم الاجتماع في جـامعة بغداد ، وانتدب للتدريس في جامعتي الرياض وبنغازي .

وتوفي ببغداد في ١٢ حزيران ١٩٧١

مؤلفاته

كان الدكتور عبـد الجليل الطاهر من أبرز المؤلفين في علـم الاجتماع في عصره ، فأدى خدمة مزدوجة في عالمي التأليف والتدريس . قـال الدكتور شاكر خصباك : «كان يمثل بحق الاستـاذ الجادّ خير تمثيل ، الاستاذ المكبّ على العلم ، الـواسع المعرفـة والاطلاع ، الملتزم التـزاماً تاماً في تـدريسه وأبحاثـه . وقد تميزت أبحـاثه عموماً بسعـة أفقها وعمق تتبّعها وفكـرها الجادّ التقـدّمي العلمي وببعـدها عن الغـوغائية والـديماغوغيـة ، وهي

صفات قلما اجتمعت في أساتذة علم الاجتماع العرب».

ثم قال شاكر خصباك انّ الطاهر ضحّى بالكثير من أجل الشعب وفصل بسبب الدفاع عنه ثلاث مرّات وذاق آلام التشردّ سنوات طويلة.

وقال الدكتور علي شلتوت عميد كلية التربية بجامعة الاسكندرية: «لقد كان الدكتور عبد الجليل الطاهر عالماً بكل ما تحمله هذه الكلمة من معانٍ. لقد جعل منه استعداده الذهني وذكاؤه وقدراته المختلفة وصبره على القراءة وبراعته في الربط والتحليل والبحث، جعلت منه عالماً صادق الرأي عميق الفكر..»

من مؤلفاته: المشكلات الاجتماعية في حضارة متبدلة (١٩٥٣) التفسير الاجتماعي للجريمة (١٩٥٤) البدو والعشائر في البلاد العربية (١٩٥٥) أصنام المجتمع (١٩٥٦) علم الاجتماع بين الفينومينولوجية والتجريبية (١٩٦٢) مسيرة المجتمع (١٩٦٦)الخ.

وترجم كتباً منها: المزارع التعاونية الجماعية (١٩٦٠) أصول فلسفة الطبقة الوسطى (١٩٦٠) الايديولوجية والطوبائية للاستاذ مانهايم (١٩٦٨) العشائر والسياسة (جزآن (١٩٥٨ ــ ١٩٧٢) السكان والاقتصاد (بالاشتراك مع الدكتور منصور الراوي، ١٩٦٨) عشرة أعوام في طرابلس (١٩٦٧) الخ.

عبد العزيز الدوري

الدكتور عبد العزيز عبد الكريم الدوري ولد في بغداد سنة ١٩١٧ ودر س في المدرسة الثانوية وبعد ذلك في جامعة لندن ومدرسة الدراسات الشرقية، فنال الدكتوراه في التاريخ الإسلامي.

عاد إلى بغداد فعيّن مدرساً في دار المعلمين العالية (آب ١٩٤٣) فمدير الترجمة والنشر بوزارة المعارف (كانون الثاني ١٩٤٩) فعميد كليه الآداب والعلوم (آذار ١٩٥٠). وعاد استاذاً للتاريخ الإسلامي في دار المعلمين العالية وثم في جامعة بغداد. وقد انتدب استاذاً زائراً في جامعة لندن (١٩٥٥) وجامعة بيروت الاميركية (١٩٥٩). وانتخب في تموز ١٩٦٣ عضواً بالمجمع العلمي العراقي، وكان رئيساً لجمعية المؤلفين والكتاب. وانتخب عضواً مراسلاً في مجمع اللغة العربية بالقاهرة في نيسان ١٩٦٧

وقد اعتقل في أعقاب ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ متهماً بمساندة حلف بغداد والدعاية الثقافية له وأحيل على محكمة الشعب وسجن، ثم عفا عنه عبد الكريم قاسم.

عيّن سنة ١٩٦٣ رئيساً لجامعة بغداد في عهد عبد السلام عارف. وضع بحوثاً ومؤلفات كثيرة منها:

تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري (١٩٤٨) الجهبذة والصيرفة في

العراق (١٩٤٣) دراسات في العصور العباسية المتأخرة (١٩٤٥) العصر العباسي الأول (١٩٤٥) في الوعي العربي (١٩٥٣) مقدمة في تاريخ صدر الإسلام (١٩٤٩) مستقبل الفكر العربي (١٩٥٧) نشوء الاصناف والحرف في الإسلام (١٩٥٩) نظرة إلى تاريخ صدر الإسلام (١٩٥٥) النظم الإسلامية (١٩٥٠) بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب ١٩٦٠) الجذور التاريخية للقومية العربية (١٩٦٠) دراسات في علم التاريخ عند العرب (١٩٦٠) ضوء جديد على الدعوة العباسية (١٩٥٧) الفكر العربي في دور التجديد والتقليد (١٩٦١) ابن خلدون والعرب (١٩٦١) الجذور التاريخية للشعوبية (١٩٦٢) الجذور التاريخية للاشتراكية العربية (١٩٦٥) الجغرافيون.

العرب وروسية (١٩٦٦) دراسة في سيرة النبي ومؤلفها ابن اسحاق (١٩٦٥) مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي (١٩٦٩)، الخ.

مضى أخيراً إلى عمان وأصبح استاذ التاريخ العربي والإسلامي في الجامعة الأردنية. والف: التكوين التاريخي للأمة العربية (١٩٨٤).

وقد منح جائزة الملك فيصل (السعودية) للدراسات الإسلامية سنة ١٩٨٦

صالح أحمد العلي

الدكتور صالح أحمد العلي ولد في الموصل سنة ١٩١٦ وعيّن معلماً في المدارس الرسمية في تشرين الأول ١٩٣٦ ثم انتمى إلى دار المعلمين العالية ببغداد فتخرج فيها سنة ١٩٤١ وأوفد للدراسة في كلية الآداب بجامعة القاهرة فنال شهادة الليسانس (١٩٤٥)، ثم في جامعة اكسفورد التي حاز منها الدكتوراه (١٩٤٩).

عيّن استاذاً في دار المعلمين العالية (تشرين الثاني ١٩٥٠) ثم في كلية الآداب بجامعة بغداد. وأصبح رئيساً لدائرة التاريخ ووكيل عميد معهد الدراسات الإسلامية.

وانتخب عضواً بالمجمع العلمي العراقي في تموز سنة ١٩٦٣ واصبح رئيساً له سنة ١٩٧٩ واختير أيضاً عضواً بمجمع اللغة العربية في دمشق وعضواً في مجمع اللغة الأردني (١٩٨٠).

من مؤلفاته: خطط البصرة (١٩٥٢) مستوى الاسعار في القرن الأول الهجري (١٩٥٢) محاضرات في تاريخ العرب (١٩٥٤) أحكام الرسول في الأراضي المفتوحة (١٩٥٦) التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة (١٩٥٣) خطط المدينة (١٩٦١) الأنسجة الإسلامية في القرن الأول الهجري (١٩٦١) النظام الاقتصادي

الإسلامي في التطبيق (١٩٦٢) منطقة الكوفة (١٩٦٥) منطقة الحيرة (١٩٦٥) موظفو بلاد الشام في العهد الأموي (١٩٦٦) المؤلفات العربية عن المدينة والحجاز (١٩٦٤) كتب الفقه وأهميتها في دراسة التاريخ الإسلامي (١٩٥٥) المدائن في المصادر العربية (١٩٦٧) مصادر دراسة خطط بغداد في العصور العباسية (١٩٦٧) قضاة بغداد في العصر العباسي (١٩٦٩) تنظيمات الرسول الادارية في المدينة (١٩٦٩) جزيرة العرب للأصمعي (١٩٦٨)، إلخ.

وقد ترجم كتباً عن علم التاريخ عند المسلمين، وتركية الفتاة وثورة ١٩٠٨، والحضارة البيزنطية والحروب الصليبية، وحقق كتباً من التراث للجاحظ والحسن الاصفهاني الخ. ووضع أطلساً تاريخياً للشعوب الإسلامية طبع في أمستردام.

وترجم أخيراً كتاب خطط بغداد في القرن الخامس الهجري من تأليف الدكتور جورج مقدسي (١٩٨٤).

منح صالح أحمد العلي جائزة الملك فيصل السعودية العالمية في الدراسات الإسلامية لسنة ١٩٨٩

الدكتور عبد الجبار عبد الله

رئيس جامعة بغداد الدكتور عبد الجبار عبد الله الشيخ سام ينتمي إلى أسرة صابئية قديمة أنجبت العديد من علماء الطائفة. ولد في قلعة صالح من أعمال لواء العمارة سنة ١٩١١ وأتّم دراسته الثانوية في بغداد (١٩٣٠) وانتمى بعد ذلك إلى الجامعة الأميركية في بيروت فنال درجة بكالوريوس علوم سنة ١٩٣٤

عمل مدرساً في مدارس العمارة الثانوية (تشرين الأول ١٩٣٤) فمساعد مدير الأنواء الجوية في مطار البصرة (١٩٣٧) فمدرساً في مدارس بغداد الثانوية ودار المعلمين العالية (١٩٤١ ــ ٤٤). ورحل إلى الولايات المتحدة الاميركية فأتم دراسته في معهد ماتساشوستس التكنولوجي في بوسطن وحصل على الدكتوراه في العلوم الطبيعية (١٩٤٩). وعمل في أثناء ذلك مساعد بحوث ومساعد استاذ في المعهد نفسه.

عاد إلى بغداد فعّين استاذاً ورئيساً لقسم الفيزياء في دار المعلمين العالية (تشرين الثاني ١٩٤٩) إلى سنة ١٩٥٨ ورشح خلال هذه المدة استاذاً باحثاً في جامعة نيويورك بين سنتي ١٩٥٢ و ١٩٥٥ وعلى أثر ثورة تموز ١٩٥٨ عيّن أميناً عاماً لجامعة بغداد ووكيلاً لرئيسها، فرئيساً أصيلاً (١٩٥٩). وكان في الوقت نفسه نائب رئيس هيئة الطاقة الذرّية.

وقد فصل من منصبه على أثر نشوب ثورة رمضان في شباط ١٩٦٣ واعتقل وعذّب

وأهين. ثم أطلق سراحه فمضى إلى الولايات المتحدة حيث عمل استاذاً في جامعاتها. وأدركته الوفاة بها سنة ١٩٦٩

كان عالماً فاضلاً، لكن أخذت عليه ميوله اليسارية التي كانت سبب سجنه وإيذائه. وضع بحوثاً علمية نشرت في المجلات الأميركية وانتخب عضواً في جمعيات علمية متعددة، وألف باللغة الانكليزية كتاباً في «ديناميكا الأعاصير» (طبع في نيويورك سنة ١٩٥٣). وألف بالعربية: علم الصوت (١٩٥٥) واشترك في ترجمة «مقدمة في الفيزياء النووية والذرية» (١٩٦٢) والجزء الأول من موسوعة الأنواء الجوية (١٩٤١).

طه باقر

ولد في الحلة سنة ١٩١٢، وهو أخو الشاعر محمد الباقر الحلي. درس طه باقر علم الآثار في جامعة شيكاغو فنال شهادة البكالوريا والماستر وعاد إلى بغداد سنة ١٩٣٨. وعين في تشرين الثاني من تلك السنة موظفاً في مديرية الآثار العامة، وأصبح أميناً للمتحف العراقي (تموز ١٩٤١) فمعاون مدير الآثار العام (كانون الثاني ١٩٥٣) فمفتشاً عاماً سنة ١٩٥٦ وعين مديراً عاماً للآثار في أواخر سنة ١٩٥٨، وكان في الوقت نفسه أستاذ التاريخ القديم في جامعة بغداد. وتولّى نيابة رئاسة الجامعة بالوكالة سنة ١٩٦٠ وأحيل على التقاعد سنة ١٩٦٣

انتخب عضواً بالمجمع العلمي العراقي في تشرين الأول ١٩٧١ وعضواً بمجمع اللغة العربية بدمشق. وتوفي سنة ١٩٨٤

وضع مؤلفات كثيرة، فمن آثاره: أصل الحروف الهجائية وانتشارها (١٩٤٥) علاقات بلاد الرافدين بجزيرة العرب (١٩٤٩) ملحمة جلجامش والطوفان (١٩٥٠) لوح رياضي على نظرية إقليدس من تل حرمل (بالعربية والإنكليزية، ١٩٥٠) قضايا رياضية أخرى من تلّ حرمل (١٩٥١) مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة (جزءان، ١٩٥١) بابل وبور سيبا (١٩٥٩) عقرقوف (١٩٥٩) تل حرمل (١٩٦٠).

وقد نقل عن اللغة الإنكليزية: بحث في التاريخ (لأرنولد توينبي) من ألواح سومر (لصموئيل كريمر، ١٩٥٨). واشترك في ترجمة: الإنسان في فجر حياته (لدوروثي ديفدسن، ١٩٤٥) تاريخ العلم (لجورج سارتون، ١٩٥٧) الرافدان (لسيتن لويد، ١٩٤٨). ووضع مؤلفات بالإنكليزية عن عقرقوف وبابل وبورسيبا وتل حرمل وحفريات الحكومة العراقية، إلخ.

الدكتور محمد سليم النعيمي

الدكتور محمد سليم محمود النعيمي الأعظمي ولد في قصبة الأعظمية من ضواحي بغداد سنة ١٩١٠ درس في دار المعلمين فعيّن معلماً (تشرين الأول ١٩٣١)، ثم أوفد إلى مصر وباريس لإكمال دراسته العالية (١٩٣٣). ووضع أطروحة الدكتوراه في جامعة السوربون في موضوع شعر المعارضة السياسية في العصر الأموي (١٩٣٩)، لكنه لم يتمكن من مناقشتها لاضطراره على العودة إلى العراق إثر نشوب الحرب العالمية.

وقد اعتقل في تشرين الأول ١٩٤١ لاتهامه بالميول النازية. وعيّن أستاذاً في دار المعلمين العالية في أيار ١٩٤٧ فملحقاً ثقافياً بالسفارة العراقية في باريس (نيسان ١٩٥٤). وعاد أستاذاً في دار المعلمين العالية في أيار ١٩٥٥ ونقل إلى جامعة بغداد عند إنشائها.

عيّن عضواً بالمجمع العلمي العراقي في آب ١٩٦٣ وانتخب نائباً أول لرئيسه. وأوفد سفيراً للعراق في تونس، فلما عاد إلى بغداد استأنف عضويته في المجمع ونيابة رئاسته.

وانتخب عضواً مراسلاً في مجمع اللغة العربية بالقاهرة (نيسان ١٩٦٧) وعضواً بمجمع دمشق (١٩٧٣).

توفي في بغداد سنة ١٩٨٤

له مؤلفات عديدة منها: وجهة الأدب الحديث (١٩٦٢) شعر النجاشي الحارثي (١٩٦٥) ظهور الخوارج (١٩٦٧) أخطاء في دائرة المعارف الإسلامية (١٩٦٩) اسم الفعل: دراسة وطريقة تيسير (١٩٦٨).

وقد ترجم قسماً من «أعمدة الحكمة السبعة» تأليف لورنس (١٩٤٧) وتعريف الاشتراكية لأميل دركهايم (١٩٤٧). وحقق كتاب التبصير في الدين للإسفراييني (١٩٣٩) والاشتقاق لأبي سعيد الأصمعي (١٩٦٨).

واشترك في وضع مصطلحات علم الجراحة والتشريح ومقاومة المواد وهندسة إسالة الماء إلخ.

الدكتور ناجي معروف

ولد ناجي معروف في قصبة الأعظمية من ضواحي بغداد في ٢٠ كانون الأول ١٩١٠ ودرس في دار المعلمين العالية. وعيّن مدرساً في تشرين الأول ١٩٣١، ثم أوفد إلى باريس للدراسة فالتحق بمعهد اللوفر وجامعة السّوربون. ووضع أطروحته للحصول على الدكتوراه في الآداب، لكنها لم تناقش بسبب نشوب الحرب سنة ١٩٣٩ وسحب طلاب البعثة الدراسية، فاضطرّ على العودة إلى بغداد.

عيّن على أثر عودته مدرساً، ثم نقل مفتشاً بوزارة المعارف (أيار ١٩٤٦) فأستاذاً مساعداً في دار المعلمين العالية (كانون الأول ١٩٤٦). وأسندت إليه مديرية أوقاف بغداد في آذار ١٩٤٨، ثم عهد إليه بالتدريس في كلية الشريعة (نيسان ١٩٥٠) وأصبح عميد الكلية في نيسان ١٩٥٣ وكان بعد ذلك عضواً في مجلس الخدمة العامة وأستاذاً في جامعة بغداد. وانتخب عضواً بالمجمع العلمي العراقي في تشرين الأول ١٩٧١ وعضواً بمجمع دمشق.

أحيل على التقاعد سنة ١٩٧٠، فانتهز الفرصة لتقديم أطروحته إلى جامعة القاهرة والحصول على درجة الدكتوراه.

مضى إلى الحجاز لأداء مراسيم العمرة فتوفي هناك في آب ١٩٧٧

وضع مؤلفات تدريسية وتاريخية كثيرة، منها: المدرسة المستنصرية (١٩٣٥) تاريخ علماء المستنصرية (١٩٥٩) المدخل في تاريخ الحضارة العربية (١٩٦٠) المدرسة الشرابية (١٩٦١) التوقيعات التدريسية (١٩٦٣) عروبة المدن الإسلامية (١٩٦٤) مقدمة في تاريخ مدرسة أبي حنيفة وعلمائها (١٩٦٥) نشأة المدارس المستقلة في الإسلام (١٩٦٦) تخطيط بغداد (١٩٦٦) حياة إقبال الشرابي (١٩٦٦) المدارس الشرابية ببغداد وواسط ومكة (١٩٦٦) مدارس مكة (١٩٦٦) مدارس واسط (١٩٦٦) عالمات بغداديات في العصر العباسي (١٩٦٧) العملة والنقود البغدادية (١٩٦٧) المراصد الفلكية في بغداد (١٩٦٧) مستشفيات بغداد في العصر العباسي (١٩٦٨) أصالة الحضارة العربية (١٩٦٩) التأميم الاجتماعي في الإسلام (١٩٦٩)، عروبة العلماء المنسوبين إلى البلاد الأعجمية (الجزء الثالث ١٩٨٠).

وترجم كتاب «خطط بغداد» للمستعرب الفرنسي كليمان هوارت Clément Huart (١٩٦١). وكان هوارت (١٨٥٤ ـ ١٩٢٧) من مترجمي وزارة الخارجية الفرنسية وأعضاء المجمع العلمي العربي في دمشق، وضع تآليف بالفرنسية عن تاريخ بغداد والآداب العربية ونشر كتباً من التراث القديم.

وقد حاول ناجي معروف إثبات عروبة البلدان الإسلامية وأنساب علماء المسلمين، وفاته أن الحضارة الإسلامية الزاهرة شارك فيها بنصيب كبير الفرس والروم واليهود والنصارى والصابئة وسائر الملل التي استظلت بظل الإسلام واتخذت العربية أداة للكتابة والتعبير.

فؤاد جميل

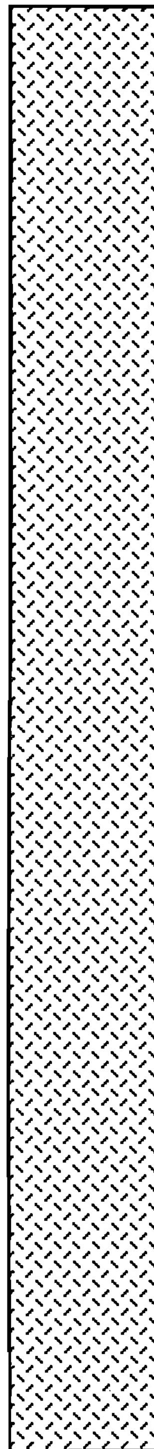
من رجال التربية والتأليف، ولد في العمارة، حيث كان أبوه جميل أفندي موظفاً، سنة ١٩١٤ أتم دراسته الثانوية في بغداد ومضى بعد ذلك إلى بيروت ودرس في جامعتها الأميركية متخصصاً في اللغة الإنكليزية.

عاد إلى بغداد فعيّن مـدرساً (١٩٣٤)، ثم كان أول سكرتير للجنة الإذاعـة في بداية تأليفها (١٩٣٧). ونقلت خدماته إلى وزارة التموين بصفة مميز (١٩٤٥)، ثم أعيد إلى التدريس في دار المعلمين الابتـدائية (١٩٤٨) والإعـدادية المركـزية (١٩٥٠). وأصبح مدير مكافحة الأمية بـوزارة المعارف (١٩٥٤) فمفتش معارف فأستاذ الأدب الإنكليزي في جامعة بغداد.

لازمَ الشيخ قـاسم القيسي ومحمد بهجت الأثـري أمـداً آخذاً عنهما اللغـة العربيـة، وكان من روّاد البحث الفـولكلوري، كتب الفصـول المسهبة عن بدو العـراق وعاداتهم وتقاليدهم ومأثوراتهم وقصصهم.

أدركه الحمام في بغداد في ١٩ تشرين الأول ١٩٧١

من مؤلفـاته: مقالات وأحاديث (١٩٥٨). وقـد ترجم فؤاد جميل كتبـاً كثيرة منها: فنّ الدراسـة، حضارة العالم الجديـد (١٩٥٨) العراق في القرن الـرابع للميلاد بحسب وصف المؤرخ الروماني أميانوس مرشيلينوس (١٩٦١) في بلاد الرافدين: صور وخواطر (من تأليف الليـدي دراور زوجـة السر أدوين دراور مشـاور وزارة العـدلية العـراقيـة، ١٩٦١) بغداد مـدينة السـلام (تأليف ريجارد كوك، في جـزءين ١٩٦٢ ـ ٦٧)، يليني (١٩٦٣) ثورة العـراق ١٩٢٠ (تأليف الجنرال ايلمر هـالدين، ١٩٦٥) هيرودوتس في العراق (١٩٦٢) رحلات إلى العراق (تأليـف السر واليس بادج، جزءان ١٩٦٦ ـ ٦٨) أريان يـرون أيام الإسكندر الكبير في العـراق (١٩٦٧) بلاد مـا بين النهرين بين ولاءين (تأليف السر ارنولـد ولسن، في ٣ أجزاء ١٩٦٩) رحلـة متنكر إلى بلاد مـا بين النهرين وكردستان (تأليـف الميجر سون، ١٩٦٩) سنتان في كردسـتـان (تأليف هاي، ١٩٦٩) الدين مادة ورمزاً (تأليف هدلي، ١٩٦٢) إلخ.



الشعر الجديد
الشعر الحر

نــازك الملائكــة

الشاعـرة المجدّدة نـازك الملائكة، ابنـة صادق جعفـر الملائكة (١٨٩٢ ــ ١٩٦٩) الذي درّس اللغة العربية في المدارس الثانوية الرسمية أكثر من ربع قرن. وأمها الشاعرة أمّ نزار الملائكة (سلمى عبد الرزّاق) ولدت ببغداد سنة ١٩٠٨ وتزوجت في سن مبكرة. وتوفيت سنة ١٩٥٣، وقد طبع ديوان شعرها بعنوان «أنشودة المجد» (١٩٦٨).

واقترنت نازك الملائكة سنة ١٩٦٢ بالدكتـور عبد الهادي محبوبة (ولد ١٩١٢) وكان أستاذاً بجامعة بغداد ثم أصبح رئيساً لجامعة البصرة.

ولدت نازك في بغداد في ٢٣ آب سنة ١٩٢٣، وتخرّجت في دار المعلمين العالية سنة ١٩٤٤، ثم واصلت دراستهـا في جامعـة وسكونسن الأميركيـة (١٩٥٤) وعادت إلى بغداد فكانت أستـاذة مساعدة في جامعتها، وانتقلت بعد ذلك إلى التـدريس بجامعة البصرة ثم في جـامعة الكـويت. وأصدرت دواويـن شعريـة: عاشقـة الليل (١٩٤٧) شظايـا ورماد (١٩٤٩) قرارة الموجة (١٩٥٧) شجـرة القمر (١٩٦٨)، ودراسة نقـدية بعنوان «قضايا الشعر المعاصر» (١٩٦٢) ولها أيضاً: الأدب والغزو الفكري (١٩٦٥) محاضرات في شعر علي محمود طه (١٩٦٥).

وقد أصدرت ديوان شعر جديداً بعنـوان «مأساة الحياة وأغنية للإنسان» (١٩٧٠)، ولها أيضاً: التجـزئة في المجتمع العربي (١٩٧٤) للصـلاة والثورة (١٩٧٧) يغيّر ألـوانه البحر (شعر).

نحّي زوجهـا عن رئاسـة جامعـة البصرة كما نحّيت هي أيضـاً عن تـدريس الأدب العربي، فمضيا إلى الكويت ودرّسا في جامعتها. وعادت إلى بغداد سنة ١٩٨٩

ومنحتها كليـة الآداب بجامعـة الكويـت سنة ١٩٨٥ إجـازة تفرّغ للعـلاج بعد أن عانت وضعاً صحياً ونفسياً متدهوراً.

قال عبد اللطيـف شرارة في نازك الملائكة مقيّماً ديوانها «عاشقـة الليل» (مجلة الأديب البيروتية، آذار ١٩٤٨):

«أما عنـد الآنسة نازك فإن بـواعث الكآبة التي تتجلّى في كل بيت من أبيـات ديوانها

هذا ليست في الحرمان ولا في الحبّ الضائع ولا في فكـرة الموت، وإنما هو «حزن فكريّ» نشأ عن تفكير في الحياة والموت من جهة، وتأمّل في أحوال الإنسانية من جهة ثانية، ثم انتقلت هذه الملاحظـات والتأمّلات إلى صعيد الحسّ، فحفرت في «القلب» جـروحاً لا تندمل، وأخذت من بعد ذاك تتدفّق آهات وأحزاناً. وتلك هي رواية شاعريتها. . »

وقال إيليا أبـو ماضي في جريدتـه «السّمير» (نيويورك، ١٦ ك٢ ١٩٤٨): «نبغ في العرب عدد من النساء الشاعرات أشهرهنّ الخنساء التي فجّر موت أخيها صخر كل ما في روحها من ينابيع الشعور، فكانت مراثيهـا فيه من أرقّ ما فاضت به قرائح الشعراء. ولا بدع فالمرأة في هذه الناحية، في ناحية الإحساس العميق واللهفة والدموع، أعظم بما لا يقاس من الرجل، فكأنما أعصابها أوتار قيثارة تخرج منها الأنغام كلّما مرت بها أصابع عابث ـ سـواء كان هذا العابث هو الـزمان أم الإنسان. وأمامنا الآن ديوان شعـر أهدته إلينا ناظمتـه الشاعرة المرهفة الحسّ نازك الملائكة التي تحكي الخنسـاء في نواحها، ليس على أخ لها كصخـر، ولا على زوج مثل ابن طريف، بل على ذاتها. فهي في الليل ثـائرة غضبى، وفي الصباح باكية دامية، لا ترى في الناس من تألفه ولا في الطبيعة ما يصرفها عن نفسها الكئيبة الحزينة.

ويلمح القارىء روحهـا حائرة حزينة مضطـربة مكفهرة في كلّ قصيـدة من قصائد الديوان الذي أسمته «عاشقة الليل». وهذه التسميـة وحدها كافية للدلالة على رغبتها في السكينة والعزلة والانطواء لكي تطالع في كتاب روحها سطور الألم وآيات الأسى.

«ويبـدو لنا من بعض تعـابيرها ومن الـروح السّاريـة في شعرهـا أنها متأثرة بشعـراء الكآبـة مثل الشاعر كيتس الإنكليـزي وسواه. على أنّها مبدعة في التصـوير والتعبير إبداعاً ندر نظيره. . »

***

قالت من قصيدة لها في «لعنة الزمن»:

كنّا كالأمواج الخرس
في عينينا لون الشمس
في وجهينا الوقرين خشوع المغرب والأبد الخلاّق
كنّا نهمس كالأنداء
كصدى مجداف في الماء
لم نقطع صوت الظلماء
بمدامع ذكرى أو أشواق
كنّا قد كفنّا الماضي ودفنّا اللهفة والأشواق
في الظلمة في صمت الأعماق

***

وأراق المغرب ألوانه
فوق الأشياء الوسنانه
لم يبق بناء لم تحمر أعاليه، لم يبق زقاق
حتّى في صفرة خدّينا
حتى في وجمة قلبينا
أحسسنا اليقظة واللّونا
أحسسنا شيئاً كالثورة في الدم، في الأعين، في الأعراق
شيئاً كاللّهفة، كالأشواق.

* * *

وهجسنا شيئاً منفعلا
في قلبينا، شيئاً ثملا
يلهث عاطفة بعد جمود سنين مرّت في استغراق
وانبجست أشواق وَسْنَى
من أعيننا لوناً لونا
وتحرّك في دمنا معنى
ناريّ الشوق صَدٍ توّاق
وسدى حاولنا أن نسكنه فهو صَدٍ مرح توّاق
وسدى نطمره في الأعماق

* * *

ووقفنا في الظلمة نحلم
بالموج وبالليل المبهم
ونحوك من الرؤيا والأنجم والأمواج لنا أطواق
ونجوب العالم في عربات
صنعتها أذرع جنّيّات
من عطر الأزهار الخجلات
في أسلاك الضوء الألّاق
في قصر النهر على أرض يلمسها القمر الألّاق
وتناست مولدها الآفاق

سئلت نـازك الملائكة عن الشعـر الحرّ الذي كـانت في طليعة الـداعيات إليـه وعلة تسميته بهذا الاسم، فقالت:

«إنّما سمّينـاه بهذا الاسم باعتبـاره غير مقيّد بـالتـزام الشطرين المتسـاويين والقافيـة الموحّدة. وفكرة «الحرية» هنا تستند إلى القيود المفـروضة في البحور الشعرية الستة عشر وليست حرية مطلقـة كما يتوهّم بعض الناس. والواقع انّ هـذا الشعر ليس نثراً، وإنما هـو شعـر تحرّر مـن بعض القيـود الشكليـة. إنّـه لا يثـور على الـوزن وإنما على نظـام الشطرين، وهو لا يرفض القافية وإنما يرفض القافية الموحّدة. . ».

ثمّ قالت: «لا شكّ أن في التزام الأوزان القديمـة ذات الشطرين الصارمين شيئاً من التضييق على الشاعر، غير أنها لا تحول إطلاقاً دون التعبير عن العاطفة وصياغة الفكرة الصياغة المطلوبة. ولا بدّ من التنبيـه إلى أن الموضوعات التي تصلح لها الأوزان القديمة تختلف عن الموضـوعـات التي تنـاسب الأوزان الحديثـة، ولـذلك يـدهشني أن بعض الشعراء لا يستعملون إلا الأوزان الحرّة».

وسئلت الشاعـرة عن الكآبـة التي تغلب على شعرهـا فأجابت قـائلة: «لعلّ سبب ذلك أنني أتطلب الكمال في الحيـاة والأشيـاء وأبحث عن جمال لا حدود لـه. وحين لا أجد مـا أريد، أشعـر بالخيبـة وأعدّ القضيـة قضيّتي الشخصية. يضـاف إلى هذا أنني كنت إلى سنوات خلت أتخذ الكآبة موقفاً إزاء الحياة، وكنت أصدر في هذا عن عقيدة لم أعـد أؤمن بها، مضمـونها أن الحزن أجمل وأنبل من الفـــرح، فكنت أقف إزاءه مـوقف العابدة وأتحدث عنه كما لو كان إلهاً. ومن أمثلة هذا في «قرارة الموجة»:

نحن هيـّأنا له حبّاً وتقديساً ونجوى
وتهيّأنـا للقـياه عيـونـاً وشفـاهـا،
وسنلقاه مصلّين كما نلقى إلهاً. . »

إن شعر نـازك الملائكة يعبّر من حيث المبنى والمعنى، عـن الكبت النفسيّ والتمرّد، ولم يكن ذلك غـريبـاً على فتـاة نشأت في بيئـة محافظـة وانطلقت فجأة إلى آفـاق العـالم الرحيب. إن الصراع قـد اشتدّ في قـرارة نفسها بين دنياهـا القديمـة التي فتحت عليها العينين، تلك الدنيا التي كانت تعدّ الفتاة جوهرة ثمينة ينبغي الحفاظ عليها في صندوق مبطن بـالقطيفة وإبعـادها عن الأبصـار، وبين العـالم الجديد الـذي خرجت إليـه على مقاعد الدراسة وفي الولايـات المتحدة الأميركية. وزادت حدّة الصراع حين أطلت الفتاة التي أشربت حبّ الأدب العربي الاتّباعي بين والديها الأديبين الشاعرين، حين اطلعت على الآداب العالميـة وقرأت آثار الفكـر الأوروبيّ المتفتّح. وكانت نتيجـة هذا الصراع زمّ عواطفها والتمرّد على القديم مع الخوف من الحديث.

تمرّدت نـازك على مباني الشعـر العمـودي فابتـدعت الشعـر الحرّ الذي حـافظ على

تفاعيل البحور العربية في أبيات تطول وتقصر وتسرع وتتلكأ وتهدأ وتموج وتحلّق وتسفّ.

وتمرّدت نازك على المعاني الشعرية، فتشبّثت بأذيال الألم وتمرّغت على أقدامه وتغنّت بألحانه، فقالت:

نحن توّجناك في تهويمة الفجر إلٰها
وعلى مذبحك الفضّي مرّغنا الجباها
يا هوانا، يا ألم
ومن الكتّان والسمسم أحرقنا بخورا
ثم قدّمنا القرابين ورتلنا سطورا
بأبيات النغم.

ونزعت إلى الحبّ وخشيته فدفعتها رهبتها إلى الأحلام. لم تكتحل عيناها بمرأى الشفق، بل ضربت في أودية الخيال وحاولت أن تحلم بالمساء الجميل والدجى السّاجي والنجوم المتألقة بصفاء وهدوء، حاولت أن تتصيّد الرؤى وتنصب الشراك للسعادة التي في متناول يديها. حاولت أن تحلم بالحبّ الذي هو المنحة الطبيعية للشباب، فطلبته على جبال القمر، بعيداً عن الزمان والمكان وفي معزل من البشر. طلبت الحبّ في أمس الدابر، بدلاً من اليوم الحاضر والغد القريب، فقالت:

سنحلم أنّا نسير إلى الأمس لا للغد
وأنّا وصلنا إلى بابل ذات فجرٍ ندِ،
حبيبين نحمل عهد هوانا إلى المعبد،
يباركنا كاهن بابليّ نقيّ اليد.

ونزعت الشاعرة إلى الحياة وخافتها، وهفت إلى الهناء فملأتها رهبته، فتعلّلت بالصور والكلمات وسألت: هل؟ ومتى؟

(هل) و (متى) لحن جفون ضارعة وشفاه،
وجوابهما: إن شاء الله.
هل تحضر؟ هل يأتي المطر؟
هل يسخو العطر وينهمر؟
إن شاء الله،
إن شاء الله.
ومتى يسري نسغ السكّر
في الرمّان الحامض؟ والفجر متى يظهر؟
والشاطىء بعد ضنى الأسفار متى سنراه؟
إن شاء الله.

ورأت شاعرتنا في الحزن والكآبة منطلقاً من القيود التي ترسف فيها، فأحبّت لواعجها وتمسّكت بحزنها وقدّست كآبتها. وصوّرت حزن نفسها غلاماً صافي الشعور. ناصع الجبين، يسبح في بحر من النور والأريج، غلاماً خجولاً يحيى في دسوع المآقي الخرس، لا يعرفه إلاّ من خبر الصمت العميق وكتم الألم في عمق الحشا السحيق. وقالت:

نحن هيّأنا له حبّاً وتقديساً ونجوى،
وتهـيّأنا للقـياه عيوناً وشفاها.
وسلنقاه مصـلّين كما نلقى إلٰها.
وسنهديه انفجار الأدمع العذبة سلوى
وسنحبوه أسىً أقوى وأقوى
وسنعطيه عيوناً وجباها.

لقد أولعت نازك بالرمز، لكن رموزها لا تكاد تخفي تمرّدها وكبت نفسها. وحتى إذا شاءت أن تذكر زمان الصفاء وعهد المحبّة والوئام فهي تصف تلك السعادة عن طريق الذكريات بعد أن تختلق الخصام الذي فرّق بين المحبين وأفرغ كأس الغرام وطوى المشاعر الجميلة التي اعتلجت في حنايا الصدر. مرّت بذهن الشاعرة لحظات الصفاء التي فاحت بالشذا واتّسمت بالعذوبة والسماح، فلم تكد تأسف لانقضائها، بل قالت:

وكنّا عشقنا انبثاق الحرارة في مقلتينا،
فدعنا نحبّ النضوب.
وكنّا هوينا التورّد والشعر في شفتينا،
فلم لا نحبّ الشحوب؟
ولم لا نخلّف ركناً من المقت بين يدينا؟
فدعنا نقم أسس الحبّ والودّ بين العيوب،
وأفسح مكاناً لبعض الحماقات بعض الذنوب.
ودعنا نكن بشراً طافحين نفيض جنونا
وننضح ضحكاً ودمعاً سخينا.

وها هي ذي الشاعرة قد مزجت اللحن بالبكاء والضحك بالدموع والسرور بالألم، لكن ألمها الصامت الدائم يبرز في كل حين من وراء السطور.

بدر شاكر السّياب

من روّاد الشعر الحرّ في العراق، بـدر شاكر السيّاب، ولد في قريـة جيكور المجاورة لبلدة أبي الخصيب سنة ١٩٢٦ وهـذه القرية ذكرها إبراهيم فصيح الحيـدري في كتابه «عنوان المجد» وقال إن معنى اسمها: مكان الأعمى. وحرم حنان الأمومة طفلاً، وذاق مرارة العوز والحاجـة، لكنه واصل دراسته الثانـوية في البصرة والعالية في بغـداد بالرغم من كل المثبّطات.

وأذكر له قصة* قرأتها قبل أعوام طويلة ولم تـزل عالقة بذهني لأنّها من صميم الواقع الـذي يهز ويثير: قصة قـدوم الفتيات، تـروي مجيء فتيـات لقضاء عطلـة الصيف في القريـة المنعزلة النـائية المحرومـة نور الكهربـاء ومتع الحضارة. لقد علم الشبّـان بقدوم قريبـات لهم، فظلوا يترقبون ذلك القـدوم بقلوب مـؤمّلة واجفة ويتطلعـون إليه تطلّع المحروم الذي لم ير في حياته وجه فتاة مدنية.

وجاء السيّـاب إلى بغدادسنة ١٩٤٣ فـانتمى إلى دار المعلمين العالية وارتـاد ندوات الأدب ونظم الشعر. وتخرج سنة ١٩٤٨ فعيّن مدرساً في الرمادي. ولم يلبث أن شارك في الحركات السياسية الوطنية ففصل وسجن. ولما أطلق سراحه، عضّه الفقر بنابه، فعمل محرراً ومخبراً ومترجماً في صحف بغداد وتشبّث بأشغال أخرى سدّاً لرمقه. وسافر إلى إيران والكويت والمملكة السعودية، ثم عاد إلى بغـداد ليقبع في زوايا مديرية الأموال المستوردة موظفاً صغيراً. وكان بعد ذلك مترجماً في جريدة الشعب (١٩٥٧).

واندلع لهيب الثورة في تموز ١٩٥٨، فحيّا مطلع النـور الجديد وأعيد إلى التدريس، لكنـه لم يلبث أن اعتقل وسجن في سنــة ١٩٥٩ وتنكّـر بعـد ذلك لآرائه السيـاسيـة القديمـة وقلب لماضيه ظهر المجنّ، بيد أن شعـره النابع من أعماق نفسه استمـرّ يتدفّق ثراً، نابضاً بالحياة.

ووظف في مـديريـة ميناء البصرة ردحـاً من الزمن، ثم ابتلي بـالمرض وأصيب بشلل جـانبي، فـذهب للعـلاج إلى لبنـان وانكلترة. وعـاد إلى البصرة، ثم أدخل المستشفى الأميريّ في الكـويت حيث قضى نحبـه في ٢٤ كانـون الأول ١٩٦٤، بعـد أن تداولتـه تيارات السياسة وهدّ جسمه المرض ووسمه بميسمه الشقاء.

شعره ومؤلفاته:

صدر لبدر شاكر السيّاب مجموعـات وملاحم شعرية، منها: أزهار ذابلة (١٩٤٧) أساطير (١٩٥٠) حفّار القبور (١٩٥٢) المومس العمياء (١٩٥٤) الأسلحة والأطفال (١٩٥٤) المعبـد الغـريق (١٩٦٢) منـزل الأقنـان (١٩٦٣) صهيل الجواد الأبيض، أنشـودة المطر (١٩٦٠) شنـاشيل ابنـة الجلبي (١٩٦٥) إقبـال (١٩٦٥) قيثارة الـريح

* أربع بنات، نشرت في جريدة الشعب البغدادية في ٦ آب ١٩٥٥

(١٩٧٠) إلخ. وله، عدا ذلك، قصص ومقالات شتّى، و «مختارات مترجمة من الشعر العالمي الحديث» (١٩٥٥) نقلها عن اللغة الإنكليزية، وآثار شعرية مخطوطة: زئير العاصفة، قلب آسية، القيامة الصغرى، من شعر ناظم حكمت، إلخ. وترجم أيضاً: الجواد الأدهم (١٩٦١) مولد الحرية الجديد (١٩٦١).

إنّ السيّاب الشاعر ابن جيله التائه في بيداء الضياع. تفتّح ذهنه، أوّل ما تفتّح، على ويلات الحرب والتقتيل والتدمير، وصراع المبادىء في خضمّ من الدماء والدموع. أضيف إلى ذلك نشأته العسيرة المكافحة، ونفسه المرهفة التي ضاقت ذرعاً بالجهاد والحرمان، وتأثّره بمناهج الأدب العالمي الحديث عن طريق معرفته للّغة الإنكليزية وظمأه إلى المطالعة والاطلاع. برز كلّ ذلك في شعره، وبعض ذلك في مأساة حياته وموته.

هل نستطيع أن نقرن السيّاب بالشاعر الفرنسي أرتور رامْبُو (١٨٥٤ ـ ١٨٩١) Arthur Rimbaud؟ ـ إن البون بينهما جسيم: فرامبو من شعراء الرمزية الذين يستهينون بالكلمات والحروف ويغرقون في بحر من الصور، منها المفهوم ومنها العصي الغامض. إنّ شعر رامبو يقوم على الرمز والإيهاء ويحلّق في فضاء الهيولى والضباب، ويلج ذهن القارىء بطريق التعليل والتأويل.

لكن الشاعرين يجتمعان في الضياع والبحث عن مثل أعلى مجهول. فرامبو يعاني البؤس والفاقة حتى ليقول في بعض شعره: لقد مضيت، ويدي في جيبي الممزّق، وقد أصبح معطفي رقيقاً كالخيال، سائراً في ظلّ السماء، مخلصاً لربّة الشعر، حالماً برؤى الحبّ الجميلة. إنّ مأواي نجم الدبّ الأكبر، وإنني لأجلس على قارعة الطريق لأصغي إلى موسيقى النجوم، وقطرات الطلّ تبلّل جبيني.

يطلّق رامبو الشعر في العشرين من عمره ويسافر في مغامرات غريبة إلى الهند ومصر والحبشة، يحمل آلامه وأوصابه إلى الأقطار القاصية. ثم يعود إلى فرنسة كليلاً مريضاً، ويدخل إلى مستشفى مارسيلية ليموت في شيخوخة روحية وعمره لا يتجاوز السّابعة والثلاثين.

أما السيّاب فقد رأيناه لا يقرّ له قرار في حياة قصيرة، مفعمة بالشعر والأحلام والمرارة والآلام، والعمل والتدريس والسجن والتشريد، حتى ينطفىء سراجه غريباً كئيباً.

ذاق الحبّ فقال:

هل تسمّين الذي ألقى هياماً،
أم جنوناً بالأماني أم غراما؟
أم خفوق الأضلع الحرّى إذا حان التلاقي
بين عينينا، فأطرقت فراراً باشتياقي

عن سماء ليس تسقيني إذا ما
جئتها مستسقياً إلا أُواما

* * *

هل يكون الحبّ أنّي
بتّ عبداً للتّمنّي ،
أم هو الحبّ اطّراح الأمنيات
والتقاء الثغر بالثغر ونسيان الحياة ،
واختفاء العين في العين انتشاءا
كانثيال عاد يفنى في هدير
أو كظلّ في غدير؟
أمس ، بالأمس التقينا في سفار
هاج ذكرى كاد ينساها وينساني زماني .
كان يوم آمنت فيه الأماني بالأماني .
كان يوم فكّ عن ساعاته غلّ المدار،
ثم أمسى تحت أقدام اللّيالي ،
مثل جرح في الرمال
داسه الركب وسار.

* * *

العيون الحور لو أصبحن ظلاً في شرابي ،
جفّت الأقداح في أيدي صحابي
دون أن يحظين حتى بالحباب
هيّئي ، يا كأس ، حافاتك السّكرى مكانا
تتلاقى فيه يوماً شفتانا
في خفوق والتهاب ،
وابتعاد شاع في آفاقه ظلّ اقتراب .

وطمح أن يحمل عبء البشرية ، كما حمل أطلس بطل الأساطير الإغريقية السّماء على كتفيه ، وأن يصنع القدر ويبعث الحياة ، فقال :

بويب، يا بويب،
عشرون قد مضين كالدهور كلّ عام.
واليوم حين يطبق الظلام،
وأستقرّ في السّرير دون أن أنام،
وأرهف الضمير دوحة إلى السّحر
مرهفة الغصون والطيور والثمر،
أحسّ بالدماء والدموع كالمطر،
يفضحهنّ العالم الحزين.
أجراس موتى في عروقي ترعش الرنين،
فيدلهمّ في دمي حنين
إلى رصاصة يشقّ ثلجها الزؤام
أعماق صدري، كالجحيم يشعل العظام.
أودّ لو عدوت أعضد المكافحين،
أشدّ قبضتيّ ثم أصنع القدر.
أودّ لو أخوض في دمي إلى القرار
لأحمل العبء مع البشر،
وأبعث الحياة. إنّ موتي انتصار!

والسيّاب بعد ذلك ابن البصرة البارّ، ففي شعره نخلها الباسق، والماء تضربه مجاذيف الزوارق، وشط العرب الذي يرتمي في الخليج حيث اللؤلؤ والمحّار. وهو ابن قريته الصغيرة جيكور التي اشتهرت باسمه وجدولها بويب الذي زاده التصغير صغراً.

أليس يقول:

وأنت يا بويب،
أودّ لو غرقتُ فيك ألقط المحار،
أشيد منه دار،
يضيء منها خضرة المياه والشجر،
ما تنضح النجوم والقمر،
وأغتدي فيك مع الجَزْر إلى البَحر.
فالموت عالم غريب يفتن الصغار،
وبابه الخفيّ كان فيك، يا بويب.

ويقول:

عيناكِ غابتا نخيل ساعة السَّحَر،
أو شرفتان راح ينأى عنهما القمر.
عيناكِ حين تبسمان تورق الكروم،
وترقص الأضواء كالأقمار في نَهَر.
يرجّه المجذاف وهناً ساعة السّحر،
كأنّما تنبض في غَوْريهما النجوم.

***

وتغرقان في الضباب من أسىً شفيف
كالبحر سرّح اليدين فوقه المساء،
دفء الشتاء فيه وارتعاشة الخريف،
والموت والميلاد والظلام والضياء.
فتستفيق ملء روحي رعشة البكاء،
ونشوة وحشية تعانق السّماء،
كنشوة الطفل إذا خاف من القمر.

***

السيّاب شاعر المطر: إن الوابل المنهمر قد أثار شعور الشعراء، فمنهم من وجد فيه البهجة والسرور كفكتور هوغو الذي قال:

«ما أرطب المساء وأطيبه. لقد هطل المطر في الصباح، فاخضرّت أبسطة العشب النديّة. وطار الطير في ظلال الأشجار ينفض أجنحته المبتلّة. فلتباركه السماء، هذا الطير المسكين! إنه يسمع صفير الريح، وينطلق في الغناء، ويرى قطرات الماء تلمع في عشّه كاللآلىء».

ويمضي الشاعر بعد ذلك إلى وصف السماء التي عادت إلى زرقتها، والأرض التي حظيت بالخصب، والجدول الذي امتلأ وفاض وارتمى من فوق الحصى كالشلال على النمل.

ومنهم من وجد في المطر الحزن والشجون، كالشاعر الفرنسي سوللي برودوم الذي أصغى إلى وقع القطر الراتب وبكاء أوراق الشجر وحزن الهواء الذي كدّر صفو الطيور. ولقد أصبح الأفق ستاراً شاحباً. وغدت الأرض وحلاً والسماء ضباباً. وضجر الإنسان، فيا لحزن المطر!

أما الشاعر الأميركي هنري وادزورث لونغفيلّو فقد استطاع أن يرى في المطر جانبيه البهيج والكئيب: فهو في قصيدته «المطر في الصيف» يقول:

«ما أجمل المطر!

بعد الغبار والحرّ اللافح، في الشارع العظيم الواسع وفي الزقاق الضيّق، ما أجمل المطر!».

ويمضي في تعداد مزاياه، يصف وقعه على السقوف كحوافر الجياد وتدفقه في أفواه الميازيب. والرجل المريض في غرفته يرى من النافذة الجداول الطافحة فيشعر بالبرد والهدوء والسلام. وفي الريف الظامىء يرحّب العشب الجافّ والحبّ المجدب ببركات المطر، وترفع الثيران التعبة الصابرة رؤوسها الرازحة تحت النير لتشكر الله على نعمته.

لكنّ هذا الشاعر نفسه في قصيدته «اليوم الماطر» يقول:

«إنّ النهار بارد ومظلم كئيب. فالمطر يتساقط، والريح تهبّ ولا تملّ. والكرمة تلصق بالجدار المتعفّن، لكنّ أوراقها الميّتة تسقط في كل هبّة. فيا للنهار المظلم الكئيب!..».

والمطر لدى بدر شاكر السيّاب كئيب ينذر بالوحدة والضياع ويرسم الأشباح في مقلة العاشق. فلنستمع إليه يقول:

أتعلمين أيَّ حزن يبعث المطر،
وكيف تنشج المزاريب إذا انهمر،
وكيف يشعر الوحيد فيه بالضياع؟
بلا انتهاء ـ كالدم المراق، كالجياع،
كالحبّ، كالأطفال، كالموتى ـ هو المطر!
ومقلتاكِ بي تطيفان مع المطر،
وعَبْرَ أمواج الخليج تمسح البروق
سواحل العراق بالنجوم والمحار،
كأنّها تهمّ بالشروق،
فيسحب الليل عليها من دمٍ دِثار.
أصيح بالخليج: «يا خليج،
يا واهب اللؤلؤ والمحار والرّدى!»
فيرجع الصّدى
كأنه النشيج:
«يا خليج،
يا واهب المحار والردّى».

وكـذلك يتلمّس السيّـاب طـريقـه بين النهر والضبـاب والضيـاء والظـلام والموت والضيـاع، فيلتقي، من دون أن يعلم، بأرتـور رامبو الـذي يقـول في مقطـوعته «نـائم الوادي»، نظمها احتجـاجاً على الحرب الفرنسية الألمانية سنـة ١٨٧٠، وعمره آنذاك لا يربو على السادسة عشرة:

«ذلك ثقب من الخضرة يغنّي فيه النهر، ويعلّق في جنون بالأعشاب أسمال اللُّجَيْن، وتلتمع الشمس الفخورة بالجبل. إنه وادٍ صغير مزبد بالأشعّة.

«وثمّـة ينـام جنـدي صغير، مفتوح الفم، حـاسر الـرأس، غـارق العنق في نبـات الجرجير الأزرق الطـريّ. وهو منبسط على العشب، تحت السحـاب، ممتقع الوجـه في فراشه الأخضر حيث تمطر الأضواء».

«وينام، وأقدامه في السّـوسن، باسماً كما يبتسم الصبيّ المريض، مخلداً إلى الوسن. أيتها الطبيعة، ألا هدهديه بدفئك، فقد خدّره البرد».

«إنّ العطر لا يحرّك خيشومـه، فهو ينام في الشمس، ويـده على بطنه، هادئاً، وفي جانبه الأيمن ثقبان أحمران».

ولـو تسنّى لنا وصف ممـات بدر شـاكر السيّـاب في مستشفى الكويت، هل كـان يسعنا وصفه مجازاً بأحسن من هذه المقطوعة؟

نقد شعر السيّاب وكتب عنه عـدة أدباء. فارتأى حسين داود خضر أن السيّاب بدأ حياته الأدبية شاعراً وجدانياً، وكان معجباً بعلي محمود طه. وقرأ الأدب الإنكليزي، ولا سيّما شيلّي وجـون كيتس، فتأثـر بـه وغلب عليـه التشـاؤم والألم والمرارة، وكـان الحبّ موضوعه المفضّل. وأطلق شعره من قيود الأوزان التقليدية، وكان من روّاد الشعر الحرّ. ثم طوّف في أرجاء وطنه، فاتّصل بأبناء الشعب وتأمّل الطبيعـة في مشاهدها. ترك آنئذٍ الحب، وأخذ ينشـد مستقبلاً أفضل لـوطنه وأمّته. وفي هـذا العهد من حيـاته اكتشف ستيفن سبندر Stephen Spender وروبرت بـروك Rupert Brooke ووليم هنـري ديفز William Henry Davies و ت. س. إليوت T. S. Eliot. وحاول أن يطلق أفكاره من عقالها وأن ينهج ضربـاً من «الواقعيـة الحديثة» على مثال الشـاعر الإنكليـزي سبندر. ومال إلى الرموز والأساطير فتغنّى بعشتار وتموز ويأجـوج ومأجوج وقمر الزمان وأوذيس وهيلينا. وفي السنـوات الأخيرة من حياته انطـوى السيّاب على نفسـه. طغت عليه الأمـراض، وملكت فكرة الموت شعـوره، فتوقّع الموت في كلّ لحظـة. لم يبق له صـديق سـوى شعره، فعبّر عـن ذاته في المعبـد الغـريق ومنـزل الأقنان وشنـاشيل ابنـة الجلبي وإقبال. رفع الستار عن مسرح قفر كالصحراء، يعمره الحزن والخوف من النهاية الهائلة المريعة.

وقال حميد سعيـد: «لقد كان السيّاب رائداً وكان نقطة تحوّل، لا بـالنسبة للشعر في

العراق، بل بالنسبة للشعر العربي. وفي اعتقادي أنّ السياب هو الثورة الأولى على الشكل الكلاسيكي رغم كل ما يقال. ورغم عدم إنكاري لوجود محاولات عاصرت وسبقت محاولاته التجديدية، إلا أنه يبقى نقطة التحوّل التي ذكرتها والإشارة التي تلفت الأنظار إلى الشعر الجديد. . »

وقال عبد الجبار داود البصري: « . ومن هنا يصحّ القول إنّ تأثره كان إيجاباً وسلباً، تجاذباً وتنافراً. فقد جذب القوم إلحاحه على إيجاد نغمات جديدة وتعابير طازجة وأساطير غريبة وأفكار معاصرة، مع مظهر قصائدي يوحي بالفخامة ويتشبّه بالقصور. وبعد وفاته، كان صوته سوطاً يلهب ظهور هذا الجيل ويهدّد أصالتهم بالإذابة. فهو رائد للشعر الحرّ باعتبار ما كان، وهو دافع من دوافع الموجة الجديدة باعتبار ما هو كائن. . ».

وقال علي الحلّي: «كان السيّاب من أوائل الذين تأثروا بالشعر الأجنبي من خلال قراءاته الكثيرة له، ومن ثمّ ولعه بالأساطير الإغريقية وأشعار ت. س. اليوت واديث ستويل وستيفن سبندر وعزرا باوند وولت ويتمان، فانطبعت أعمالهم وخصائصهم وأجواؤهم الحدسية والنفسية في كثير من شعره. كان السياب يرى بأنّ حركة الشعر الحرّ تطوّر في مفهوم الشكل الفنّي للشعر العمودي وليست عملية إلغاء وجحود وإنكار للتراث الشعري، كما يراه أدباء الضياع اليوم. لذلك فإنّ الأثر الذي تركه بدر شاكر السيّاب في شعر هؤلاء كان حاداً وبليغاً دفعهم إلى الانسحاب السريع في متاهات التعمية الداكن وكهوف الشلل الذهني وأقبية الانغلاق الذاتي.

«لقد كان المضمون الشعري لدى السياب في قصيدته الحرّة، قبيل استسلامه للمرض، عميق الإيمان بالشعب، كافراً بالصّنمية الفردية، واضح الملامح الفنية، متّسماً بأصالة الشخصية والثقة والإبداع المجنّح والحبّ للإنسان، في حين يدور الكثير من الشباب الأدباء بعده في دوّامات عاتية من القلق والضياع والتحنّط واليأس والهروبية وكره الحياة واحتقار التفاؤل وزرع الشكوك في أعماق الوجدان الإنساني. . ».

وقال سامي مهدي: «لقد كان السياب شاعراً أصيلاً، وكان له لهذا السبب أثره البيّن على الشعر العراقي المعاصر. وهذا الأثر هو في كل الأحوال أشدّ من أثر زملائه. فالسياب أثّر في بناء القصيدة وعروضها وموسيقاها وأجوائها ولغتها وحتى مفرداتها ورموزها. ويمكن القول بثقة واطمئنان إنّ هذا الأثر قد امتدّ إلى الشعر العربي المعاصر بمجموعه. . ».

وقال خالد علي مصطفى: «إنّ شعر السياب يتدرّج في إيحاءاته ابتداءً من البيئة ومروراً بالوطن الصغير (العراق) إلى الوطن الكبير (الأرض العربية) وانتهاءً بالعالم. وهذا التدرج هو تاريخ السياب النفسي والاجتماعي أيضاً. ومن هنا استطاعت «ذات السياب» الشعرية أن تستقبل روافد العالم الموضوعي بانسجام وتفتّح وحيوية».

وقال علي جعفر العلّاق: «وللسيّاب، قبل غيره، الريادة الحقيقية في استثمار الدلالات الميثولوجية اليونانية ومخزونات التراث العربي الموحية التي شحنت شعره بعوالم كثيفة وضاجّة بالقيم التعبيرية والعاطفية المذهلة».

وقال الناقد اللبناني الدكتور أنطون غطّاس كرم:

«إن السياب لم ينظم الشعر إلا بمقدار ما هو امتداد لمأساته الداخلية والتمزّق المعتمل فيه، فذوّب في مأساته كلّ فاجع أتاه، وحوّل إلى تجربته الوجدانية كل تجربة، وفي حمّى نفسه صهرت حمّى سيزيف وشعلة بروميثيوس وحرارة البعث من تموز والمسيح وتباريح جميلة بوحيرد وعدمية المحو من هيروشيما وأنين القوافل الضائعة من أرض المقدس.

يتضح لنا مصداقه في جيكور، مسقط رأسه، كيف نمت بنموّ ثقافته، من عهده الغنائي الحالم البريء إلى عهده الفكريّ المعقّد، من زمان الطفولة الريفية العذراء، تستفيق فيه حنان أمومة، وغابات نخيل، وصفاء ماء نمير، وانحناء فوق حبّ قديم من عهد الصّبا الأول، وحكايات من حلاوات الخوارق، إلى أن تصبح جيكور الكوى التي يطلّ منها على قضايا أمته، وعلى العالم الذي حاد عن محوره، بل تصبح هي العالم ومختصر مأساته وتطاحن متناقضاته: منها يرى الطهر فتتضخّم صورة البغاء، ويرى السكينة والسلام فيعظم ضجيج العالم، والحرمان الخصيب فيرى التخمة الجوفاء وانحراف العدالة والفوارق الطبقية والمثال وضده، ودفء الدار والقرية المعذبة، والموت والبعث، والضعف المستكين والاستبداد السّاحق. . »

بدر شاكر السيّاب

عرفت الشاعر بدر شاكر السياب في سنة ١٩٥٧ أو نحوها. فقد كان معتقلاً، وتوسّط جماعة له عند عبد الرزاق الشيخلي ليسعى في إطلاق سراحه. وكان رئيس الوزراء نوري السعيد قد عاد لتوّه من رحلة إلى الخارج، فذهب الشيخلي لمقابلته.

قال نوري السعيد: ماذا أتى بك، يا عبد الرزاق، وأنت المعارض المزمن الذي لا ترضيك سياستنا؟

ــ جئت أرجوك أن تأمر بإخلاء سبيل شاعر مسكين معتقل اسمه بدر شاكر السياب.

فقدم السعيد إلى الشيخلي ربطة عنق حريراً فاخرة قائلاً: هذه هديّة لك. ثم كلم دائرة الأمن تلفونياً سائلاً عن سبب اعتقال السياب، فقيل له إنه شيوعي خطر، وقد قبض عليه بهذه التهمة.

فقال الرئيس: إذا تبرّأ صاحبك من الشيوعية بتصريح يكتبه بتوقيعه فإننا نطلق سراحه.

وقدم السياب تصريح البراءة وأخرج من المعتقل. فجاء إلى عبد الرزاق الشيخلي وقال له: لماذا سعيت في الإفراج عني، وكنت في الأقل آكل وأعيش على حساب الحكومة في السجن، وأنا الآن لا مورد لي ولا عمل؟ فأخذه الشيخلي ومضى به إلى ناظم الزهاوي مدير الأموال المستوردة العام وأوصاه بإيجاد وظيفة له، ففعل.

روى لي الصديق الشيخلي هذه القصة وسألني هل أعرف هذا الشاعر، فقلت: إنني أقرأ له وأودّ أن أراه. فسأله أن يزورني، وجاءني بعد أيام إلى مكتبي، فتحدّثنا في الشعر والأدب. وكرّر زيارتي مرّات، ثم جاءت ثورة ١٤ تموز، فكان آخر العهد به.

نظم السياب، وهو في المستشفى الأميري في الكويت قبيل وفاته، قصيدة في مدح أمير الكويت عبد الله السالم الصباح وتطرق فيها إلى هجاء عبد الكريم قاسم. وجد القصيدة الشاعر علي السبتي ونشرها في مجلة الحوادث اللبنانية في ١٢ أيار ١٩٧٨ ومطلعها:

لمن زيّنوا بيت القوافي بمخمل؟ لذي لبد في دوحة المجد معتلي

وختمها قائلاً:

أريد التفاتاً منك نحوي هنيهة ففي لفتة من وجهك السمح مأملي

وصدرت في باريس سنة ١٩٨١ مختارات شعرية للسياب بعنوان «الخليج والنهر» مترجمة بقلم أندريه ميكيل إلى الفرنسية.

عبد الوهاب البياتي

الشاعر التقدّمي عبد الوهاب بن أحمد جمعة البياتي، من زعماء مدرسة الشعر الحرّ في العالم العربي، ولد ببغداد سنة ١٩٢٦ وتخرج في دار المعلمين العالية (شعبة اللغة والآداب العربية) سنة ١٩٥٠ عمل في التدريس والصحافة، ثم أقصي من الخدمة لميوله الشيوعية (١٩٥٤)، فغادر العراق وأقام في مصر والاتحاد السوفييتي.

وقد عاد إلى بغداد بعد ثورة ١٩٥٨، فعيّن ملحقاً ثقافياً في سفارة موسكو. ولم يلبث أن استقال من وظيفته ليقوم بالتدريس في جامعة الشعوب الآسيوية في العاصمة الروسية إلى سنة ١٩٦٥ حين مضى إلى القاهرة ثم عاد إلى العراق فعيّن مستشاراً في وزارة الإعلام. وفي سنة ١٩٨٠ منحته الحكومة العراقية تفرّغاً مدى الحياة للانصراف إلى النظم، فاختار الإقامة في مدريد وعين مديراً للمركز الثقافي العراقي فيها.

من مؤلفاته: ملائكة وشياطين (١٩٥٠) أباريق مهشّمة (١٩٥٤) رسالة إلى ناظم حكمت (١٩٥٦) بول إيلوار مغنّي الحبّ والحرية (١٩٥٧) أشعار في المنفى (١٩٥٧) المجد للأطفال والزيتون (١٩٥٦) عشرون قصيدة من برلين (١٩٥٩) كلمات لا تموت

(١٩٦٠) النـار والكلمات (١٩٦٤) سفـر الفقر والثـورة (١٩٦٥) الـذي يأتي ولا يأتي (١٩٦٦) قصائد (١٩٦٥) تجربتي الشعـرية (١٩٦٨) الموت في الحيـاة (١٩٦٨) عيون الكـلاب الميّتة (١٩٦٩) الكتـابة على الطين (١٩٧٠) إلخ. ولـه مسرحية «محاكمـة في نيسابور» (١٩٦٣).

قال في مقـابلة صحفية: «. أنـا لا أعتبر الشعر هـو الوسيلة الـوحيدة للتعبير. وحتى الشعر نفسه لا أكتبه لكي أكون شاعراً فقط، بل إنني أستخدم القصيدة وسواها أسلحة من أجل عملية التقدم والتغيير الاجتماعي ومن أجل خلق قيم إبداعية حضارية جـديدة. كما أنني أستخـدم القصيـدة أيضاً سـلاحاً للـدفـاع عن الإنسان ضـدَّ الشرّ والجريمة. وإنني لا أريـد أن أجعل من القصيدة شعراً فقط لا غـاية له بـالرغم من أن القصيدة عالم قائم بذاته ولذاته. ولكن هـذا العالم، من خلال ديمومته وحركته، يؤدي إلى التغيير النـوعي في رؤيـة الإنسـان. ومن هنـا، أي من عمليـة منح الإنسـان رؤيـة جديـدة، يمكن منحه أسلحة جـديدة لمقاومة الـواقع الفاسد. وأريـد أن أوضح الأمر أكثر، فأقول إنني ألتزم بطقوس الشعر التزاماً كـاملاً. ولكنني وأنا ألتزم بها التزاماً كاملاً لا أريد جعلهـا غايـة فقط كطقوس شعريـة أو فنية، بل أريـد أن أجعل منها طقـوساً ثـورية حضـارية. وهـذا الطمـوح يمثل أوج ما يطمح إليـه أي فنّـان حقيقي في كافـة العصور. .» (المجلّة، جدّة، ٢٧ آذار ١٩٨٢).

وقد أسف البيـاتي لمظاهر التجـزئة الإقليمية والسيـاسية والاقتصاديـة التي أخذت تعكس آثارهـا على الأدب العربي، بالرغم من أن الثقـافة العربية حاولـت جاهدة، كما قال، أن تحافظ على وحـدتها طوال العصور. ونسب ظهـور عوامل التجـزئة إلى عوامل الغـزو الثقافي الـداخلي والخارجي. ولاحظ اختفاء الاتجاهـات والمدارس المرتبطة بـواقع الثقافة العربية قديمها وحديثها وبالواقع العربي وحركة الجماهير العربية.

بُلَنْد الحيدري

شـاعر الشبـاب العراقي المجـدّد بُلَنْـد أكرم الحيـدري، ينتمي إلى الأسرة الحيدريـة الشهيرة. ولد في بغداد في ١٤ أيلول ١٩٢٦، وذاق مرارة اليتم صغيراً، فنشأ بوهيمياً لا يستقرّ على حال، يتنقّل من درس إلى درس ومن عمل إلى عمل. تعرّف إلى الفنان جواد سليم فالتمس أن يقوم معه بتجربة فنية تمزج الشعـر بالرسم. وحاول إصدار مجلة أدبية عصرية. ثم كـان مساعداً لمحمـود فهمي درويش في تحرير مجلـة «الزراعة» العـراقية. وانتهى بـه المطاف في بيروت التي اتخذ منها سكنـاً وملجأً روحياً. وأصبـح سنة ١٩٧٠ رئيساً للمؤسسة اللبنـانية للطباعة والنشر وسكرتيراً لتحرير مجلة العلـوم البيروتية فرئيساً

لتحريرها. واشترك في سنة ١٩٧٤ مع عالية ممدوح في الإشراف على تحرير مجلة «الفكر المعاصر» البيروتية.

وعاد إلى بغداد بعد ذلك وأصبح سكرتيراً لتحرير مجلة «آفاق عربية» تأثّر بأدب المهجر وعمر أبي ريشة والياس أبي شبكة، ثم اشتقّ لنفسه نهجاً خاصاً في الشعر طالما سار عليه ثم طلّقه وعاد إليه.

أصدر مجموعته الشعرية الأولى «خفقة الطين» (١٩٤٧) وعمره لا يكاد يتجاوز العشرين. ثم تبعها بمجموعات أخرى: أغاني المدينة الميتة (١٩٥١) أغاني المدينة الميتة وقصائد أخرى (١٩٥٧) جئتم مع الفجر (١٩٦٠) خطوات في الغربة (١٩٦٥) رحلة الحروف الصفر (١٩٦٨) قصائد جديدة (١٩٦٨) أغاني الحارس المتعب (١٩٧٠) حوار عبر الأبعاد الثلاثة (١٩٧٢).

شعره:

وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها، وفرك الشباب عينه التي بهرها فجر السلام الطالع وأرخى أذنيه يتمتع بهدوء لم يشهده من قبل، ذلك الشباب الذي شبّ وترعرع على هدير المدافع والقذائف وأخبار الفتك والتقتيل والتدمير وأهوال الجوع والتشريد والحرمان. نشأ ذلك الشباب في دوّامة كابوس شديد جثم على صدر الإنسانية المعذبة. والآن، وقد انتهت المعارك، هل يعود إلى الإيمان بالقيم الأخلاقية ويعقد الرجاء على صلاح البشرية؟ لقد حلّ محلّ الشك والجحود والتهافت حلّ محلها صراع نفسيّ يجذب ويدفع ويهدّىء ويثير ويدهور ويرفع ويهز ويسند ويخذل، ويرسم الأحلام ويجسّم الأوهام آناً وآناً يحدو على اليأس والقنوط.

وبرزت تلك السمات أبرز ما تكون في شعراء الشباب الذين تقرّوا مواضعهم بين المباني والمعاني، فخرجوا بشعر جديد سماته المشتركة الأصالة وسهولة الأداء. لقد صدر الشعر الجديد عن منابع صافية من النفس البشرية أو الحياة الواقعية، واحتفل بالمعاني والأداء قبل الكلمات والتراكيب، وآثر البحور والأوزان الخفيفة والأشكال الشعرية السهلة والقوافي الرنانة غير الراتبة، وتنكّب المواضيع التقليدية من فخر ومديح ورثاء ونسيب وهجاء.

كان شعر بلند الحيدري حين أصدر ديوانه «خفقة الطين» يجمع بين طيّاته كل تلك السمات ويعدّ شيئاً جديداً في الأدب العراقي الحديث. فلم يمض عهد بعيد كان فيه المثل الأعلى للشعر الديباجة العباسية والمعاني المقتنصة دون مراعاة لوحدة الموضوع ولا لمقتضيات حياة العصر. وفي تلك الآونة سمعنا محمد هاشم عطية، الأستاذ المصري المتزمّت، يقول في محاضرة له ببغداد: إن الشعر العربي قد اختتم بالمتنبي، فدالت بعده دولته وخمدت صولته. وسمعت أحمد حامد الصرّاف، الأديب الذكيّ الألمعي، يقول:

لقد انتهى الشعر بشوقي، ولعلّ الأخطل الصغير وأمين نخلة شاعران!

وإنه لتقدم واسع سريع أن تختزل الأبعاد وتطوى الأزمنة، فيصدر في عاصمة الرشيد ديوان شعر عاطل من الصناعة اللفظية والمحسّنات البديعية، خالٍ من المعاني المقلّدة الجوف والمواضيع البالية التي عفّى عليها الدهر. وليس ذلك فحسب، بل يجمع إلى ما تقدم إخلاصاً في الشعور والأداء وصراحة صارخة جريئة ونظرة إلى الحياة شاذّة غريبة.

وشاعرنا الحيدري على جلاء بيانه وقوة أدائه يستهين أحياناً باللغة ولا يوليها ما تستحقه من العناية كأداة للتعبير. وهو شاعر مطبوع ينظم عن سجيّة خالصة، فلا عجب أن جاء شعره بعيداً عن التعمل والتكلف، مفصحاً عن نفسه الفتيّة الجامحة. تفتحت عيناه على الحياة، والحرب العالمية ضاربة على المعمورة بالجران تغرق الأقطار الدانية والنائية في بحر من الدم والنار، وتصك الأسماع بأنباء التقتيل والتدمير، وتهيج النفوس بأحداث لم تألفها البشرية منذ مبدأ الحضارة في هذا العالم المضطرب الصخّاب. نشأ فتانا وأدرك الحياة فانطبعت عواطفه وأفكاره بطابع جيله القلق الفائر الحيران. أليس من ظواهر ذلك الاضطراب تلك الحمّى النفسية التي تنبعث من الأشطر والمقاطيع فتبرز على أشكال مختلفة من تمرّد وإغراب تارة وألم ومرارة طوراً؟ وذلك الشعور بالهرم والكلل والملالة وما يمتّ إليه من تعلّل بالذكريات وبرم بالحاضر وفقدان الثقة بالمستقبل، أليس غريباً من شاب في ميعة الصّبا لم يكد يجتاز عتبة الحياة؟

لقد ساءل الشاعر نفسه عن نفسه فقال:

مَن أنت، يا مَن ترهب الظلماء خطوته الرهيبة؟
يمشي كما شاءت عصاه كأنها حفظت دروبه
تتنفّس الأشباح في عينيه حالمة كئيبة
لا الليل أرعبها بما يملي ولا خشيت قطوبه
من أنت؟ إني شاعر عمري أعاصير غريبة!

إنّ في شعر بلند الحيدري جانباً وجدانياً يبدو فيه تأثير إيليا أبي ماضي وأقرانه من شعراء المهجر، لكن هذا الجانب تشوبه مسحة من الكآبة وظمأ الروح وتطغى عليه نوازع الخيبة واليأس. لقد خرج الشاعر إلى الحياة حاملاً نفسه المرهفة وقلبه الجيّاش بالآمال، فما هي إلا لحظة حتى صدمته بحقيقتها المرّة وبدّلت ألحانه التي لم تكد ترتّلها شفتاه مراثي حزينة تنعي الشباب وتجحد الحبّ والهناء. التمس يومه الحاضر فقيل له: لا شيء هنا. وفتّش عن أحلامه المتلاشية فقيل له: لا شيء هنا. والتفت إلى غده يستشفّ مآتيه من خلال حجب الغيب، فقيل له: لا شيء هنا. حتى إذا ما أنس إلى فكرة الموت والفناء، قيل له: كل دنياك هنا!

بيد أن هذا الجانب من شعر بلند الحيدري ليتضاءل أمام الجانب الآخر، جانب

الثورة الصارخة والكفران بقيم الحياة. يمتّ هذا الجانب بصلة روحية إلى بودلير وأبي شبكة، وقد غلّته أكبال الجسد اللاصق بالرغام، فتطبّق على جحيم مائج بالأميال البهيمية، متأجج بالشهوة المستعرة، نشوان بالكؤوس التي لا تخلّف في الفم سوى المرارة، شقيّ بنقمة الأقدار و «لعنة التراب» و «دودة الطين جنّت في الدم المأسور». فلنستمع إلى الشاعر يقول:

أنا من نار، وناري شهوة أحرقت جسمي وماجت في ضميري

أو يقول:

ما النار، ما الجنّة إلاّ صدى لنظرة ماجت بعين امرأة

ويقول:

نحن طين، وأيّ طين حقير، فلِمَ الخوف من خوالج طينك؟

إنّ بلند الحيدري الشاعر الموهوب مثال لأبناء جيله المبلبل الأفكار، المضطرب الحواسّ، الهائم في أودية الشك والضلال. لقد شهد صراع الحضارة البشرية في يومها الدامي العصيب، فخرج من تجاربه بالتجرّد والجحود والثورة السّاخرة المريرة. فلو لم أكن أدري دراية الممارس الخبير أنّ الشاعر لا يُسْأَل عن إلهامه، لخاطبت صاحب «خفقة الطين» قائلاً: مهلاً، أيها الفتى الموهوب، ورفقاً. لقد منحت جناحي طائر للتحليق في سماء الشعر الرفيعة، فما لك، شأن ملاك ألفرد دي فني(*)، قد يمّمت شطر العوالم السفلى تحاول هداية إبليس وردّه إلى حضيرة النعيم المقيم؟

ولقد كتبت عن شاعر «أزهار الشرّ» فقلت: «إن بودلير قد بحث في شعره عن المثل الأدنى، لكن هذا المثل الأدنى قد بلغ من القوة والجلاء مبلغاً عظيماً حتى ليثير في النفس القشعريرة والاشمئزاز ويؤدي في آخر الأمر إلى التزهيد في ذاته والترغيب في نقيضه: المثل الأعلى». ولست أدري هل يسعني إطلاق هذا القول على شاعرنا الحيدري.

وسار بلند الحيدري في طريق النقمة والقلق والغضب والعقم والقنوط، فإذا هو شاعر «أغاني المدينة الميّتة» الذي يقول:

نفس الطريق

نفس البيوت، يشدّها جهد عميق

نفس السكوت.

(*) ألفرد دي فني في قصيدته «علواء» (Eloa) أو «أخت الملائكة» يروي قصة روح سماوية هبطت إلى الجحيم لتهدي الشيطان رأفة به وعطفاً عليه، فعلقت بحبائله وفقدت ملكوت السّماء.

كنّا نقول غداً يموت ، وتستفيق
من كلّ دار
أصوات أطفال صغار
يتدحرجون مع النهار على الطريق
وسيسخرون بأمسنا ، بنسائنا المتأفّفات
بعيوننا المتجمّدات بلا بريق .
لن يعرفوا ما الذكريات ،
لن يفهموا الدرب العتيق
وسيضحكون لأنهم لا يسألون
لِمَ يضحكون .

وفي المدينة الميّتة رجل ميت يقول :

ساعي البريد ،
ماذا تريد؟
أنا عن الدنيا بمنأى بعيد
أخطأتَ ، لا شكّ ، فما من جديد
تحمله الأرض لهذا الطريد .

ينظر الشاعر إلى أعماق نفسه فينكرها ويعجب لأمرها ويقول :

لا تهابي
هذه الريح التي تطرد من باب لبابِ
ذلك الأفق الذي ينمو برعب واضطراب
والدروب
إنها ملعب أحلام شبابي
هي بعضي ،
إنها تلتفّ كالأفعى ، ولكن . لا تهابي .

ولقد نظم إيليا أبو ماضي شعراً على لسان الزنجي المستعبد يفيض بالمرارة والحرمان ، منه :

فـــوق الجمّيـــزة سنجـــاب والأرنـــب يمـــــــرح في الحقـــلِ
وأنـــــا صيّـــاد وثّـــاب لكـــنّ الصيـــــــــد على مثلي
محـظـــور إذ إنـــي عَبْــدُ .

أما شعر الحيدري في العبودية ففيه مرارة من نوع آخر، مرارة هادئة ممزوجة باليأس تنبعث من أعماق الإنسان الذي يحسب نفسه حراً وهو إنما عبد أسير:

أكاد أثور، لكنّي
أحسّ الغلّ في أذني
يولول هازئاً منّي :
ويصرخ ضاحكاً : عَبْدُ! .
أنا العائش في ظلّي
أنا الموت بلا شكل
تُرى مَن أنت، يا غلّي؟
فعاد الصوت يشتدُّ
كأنّ عواصفاً تعدو
بأذنيّ وتربدّ :
أنا أنت، أنا العبد!

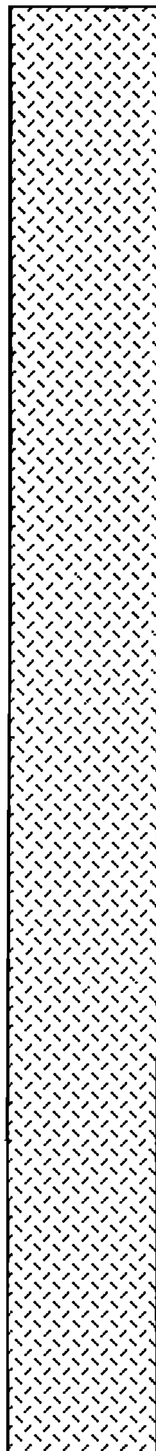
قال بلند الحيدري في حديث له : «القصيدة الحديثة تعبّر عن إشكالاتي كإنسان معاصر أكثر مما تعبّر عنها القصيدة الكلاسيكية. أحسّ بها، القصيدة الحديثة، أكثر ارتباطاً بالعصر من حيث فهمي العصري كمحاولة في تطوير البنيان الشعري. أما القصيدة الكلاسيكية فبإمكانها أن تحمل جوانب من نفسي تتميّز بالبساطة شدة ارتباطي بالمناسبة متجنّباً إبراز أعماقي المتداخلة ضمن تحرّك هذا القرن. ويظلّ الجواب أخيراً ارتباط القصيدة بالموضوع ذاته. ولكني لا أرتبط بالمناسبة ارتباط شعرائنا القدماء على أساس من تزييف في مدح أو رثاء. أنا لا أكتب القصيدة الكلاسيكية إلا منطلقاً من نفسي، مرتبطاً كل الارتباط بالموضوع الذي يثير فيّ كوامن عاطفة صادقة. . ».

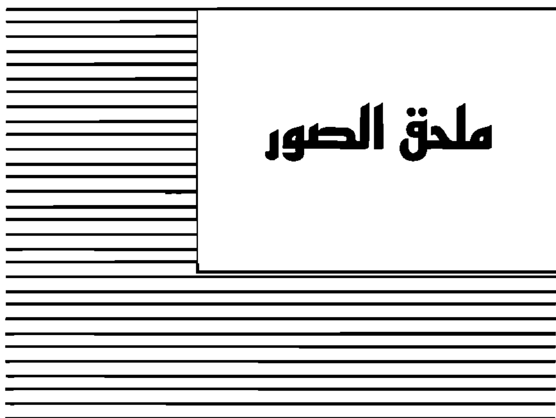
ومهما يقل بلند الحيدري فإنه يظلّ في قصيدته العمودية الكلاسيكية، كما في شعره الحديث المنطلق في متاهة من المصاريع والتفاعيل، ذلك الشاعر الباحث في قرارة نفسه، المترصّد للكلمات والتعابير التي تفصح عن قلقه وحيرته وتخلق الأجواء التي يحلّق فيها تحليقاً. وحسبنا مثالاً قصيدته التي ألقاها في الاحتفال بالذكرى العشرين لوفاة عمر فاخوري، وعنوانها «النسر»، يقول منها :

علونا فالذرى مرمى جناحي ودربي فيك، يا هوج الرياح
وبي من همّة صمدت ليالٍ تأبّت أن تكون إلى صباح

فليس الفجــــر لـــــلأحـــــرار إلاّ ... مـــرايـــــا تستبين بها جـــــراحـي
فيحصي ألـف فَـــــذْم مـــــا تبقّـى ... بجسمي مـن الجاجــات الـــرّمـــاح
وتشمـت بسمـــــــة في عين وغـــــــد ... مسحت بجلـــده بـــالأمس ســـاحي .
ألا، يـــــــا ليل، أطبـق إنّ مَسّـــــاً ... مـن النيران يـــــرعـــــــد في جماحـي
تـألّق فـــــــاصطلى أفـق وطـــــارت ... رؤى عـن عين حمقـــــــاء وقـــــاح
لكـم حسبت بـأنْ جبنــــاً أدرنــــا ... وجـــوهـــاً عن وجــوههم القبـــاح
وإني إذ عفـــــوت فعـن كـــــلال ... فما جـــرؤت ولا مـــروت رمـــاحي
وإن جبـــال قـــومي ســـوف تهوي ... لتـــدفن مـــا تخاذل من ســـلاحي

أصدر بلند الحيدري سنة ١٩٩٠ مجموعة شعرية «أبواب إلى البيت الضيّق» .





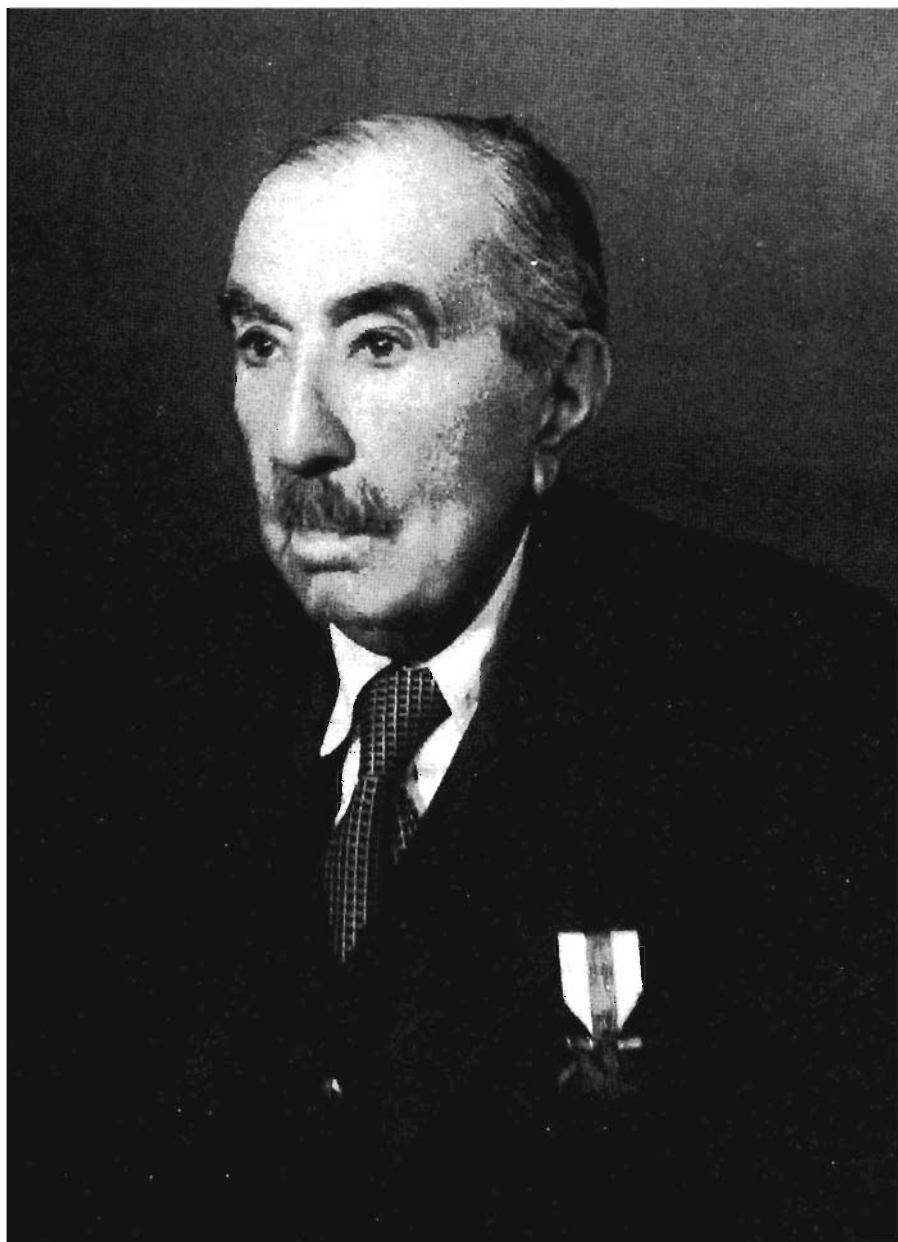
ملحق الصور



المحامي الشاعر أنور شاؤل



أحمد حامد الصراف



يعقــوب سركيــس



الأب انستاس ماري الكرملي



عبد المسيح وزير



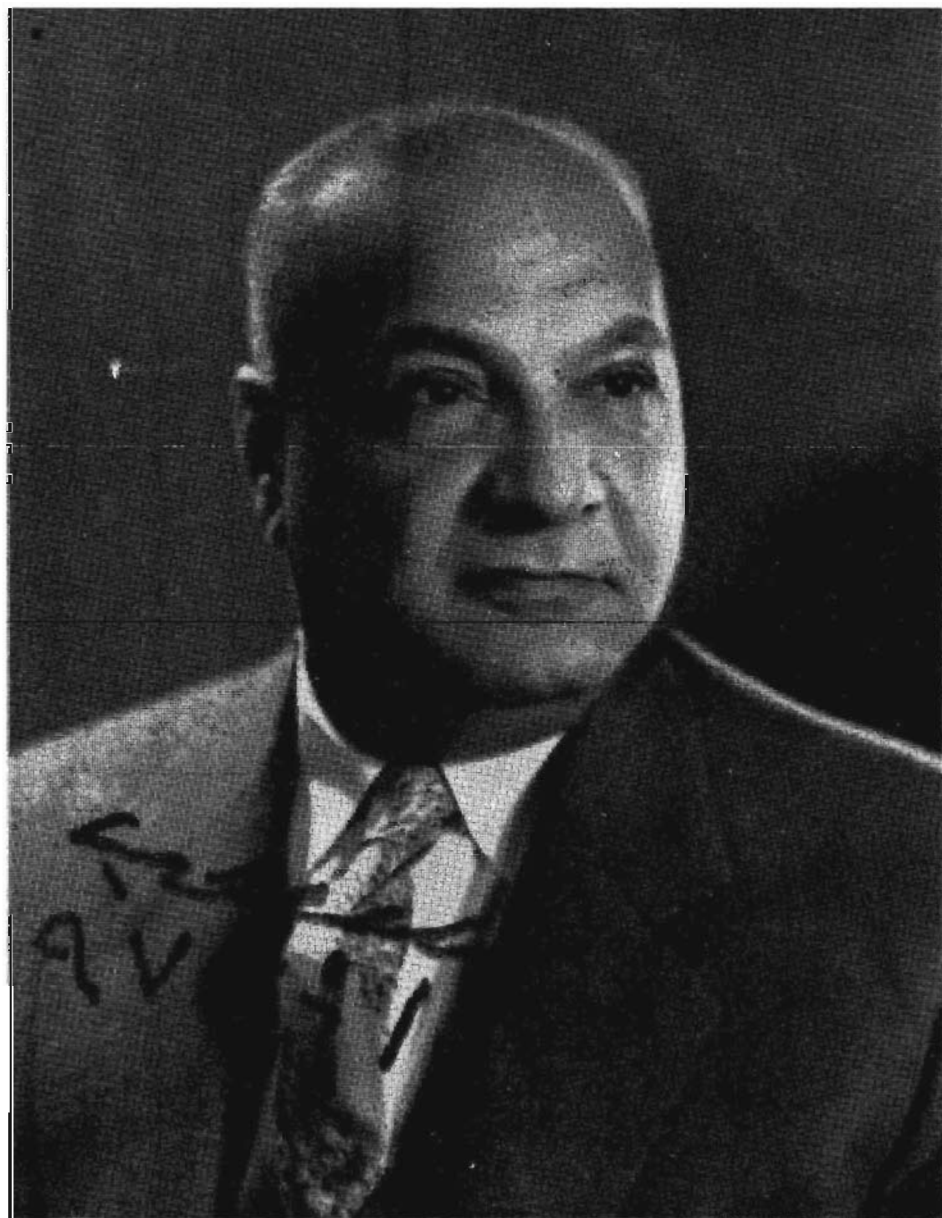
عبد الحسين الازري



المؤلف وأنور شاؤل مع الشاعر الكبير محمود الملاح (١٩٦٤) .



محمد الهاشمي



مصطفى علي



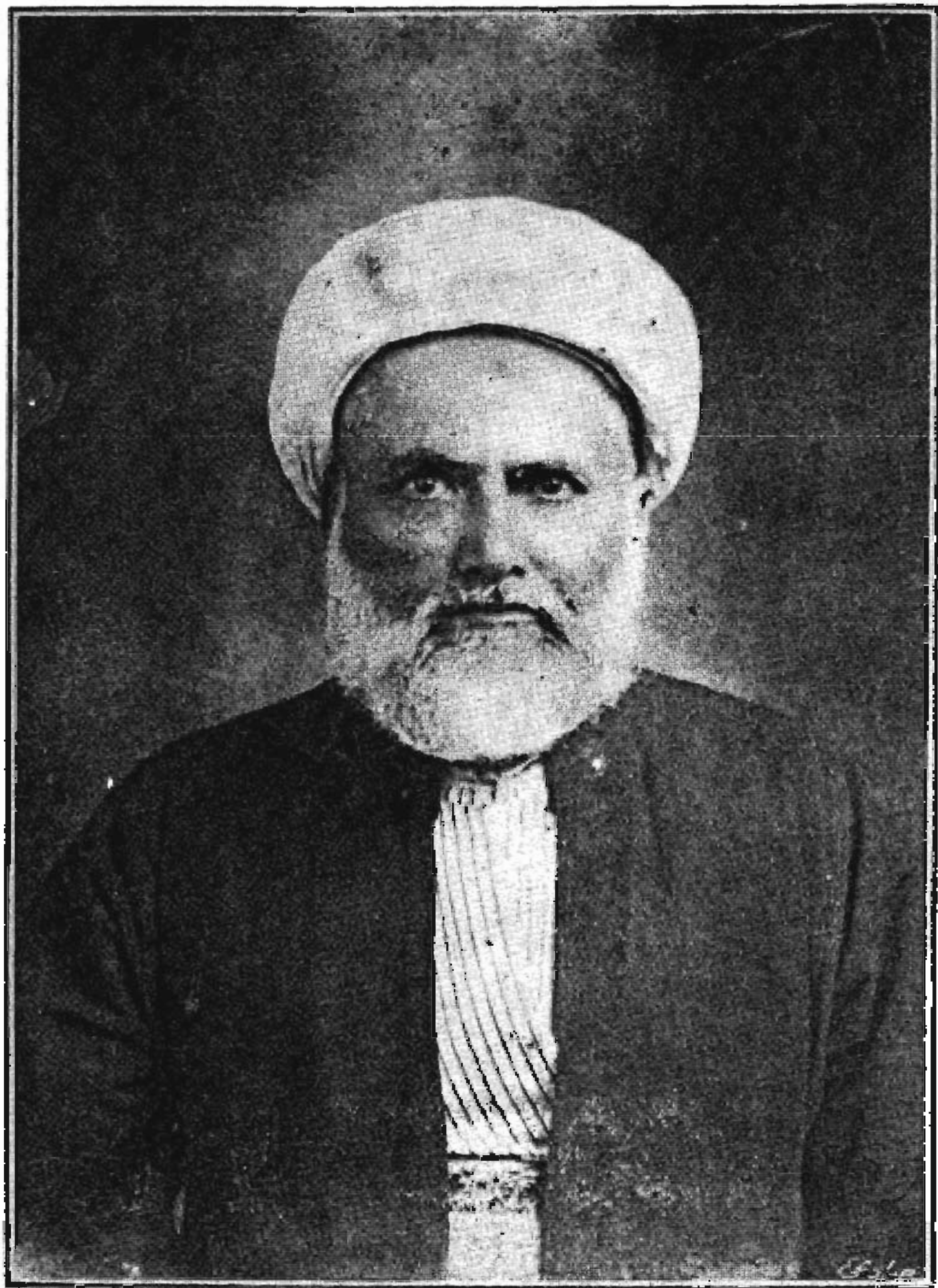
(دمشق ١٩٣٧) طلاب عراقيون مع أحمد الصافي النجفي (الرابع من اليمين) وإلى يساره محمد مهدي الجواهري



الشـــيخ كاظم الدجيــلي



خيـــري الهنداوي



الشيـــخ عبد المحســـن الكاظمـــي



الشيــخ محمد رضــا الشبيبــي



محمد بهجت الأثري



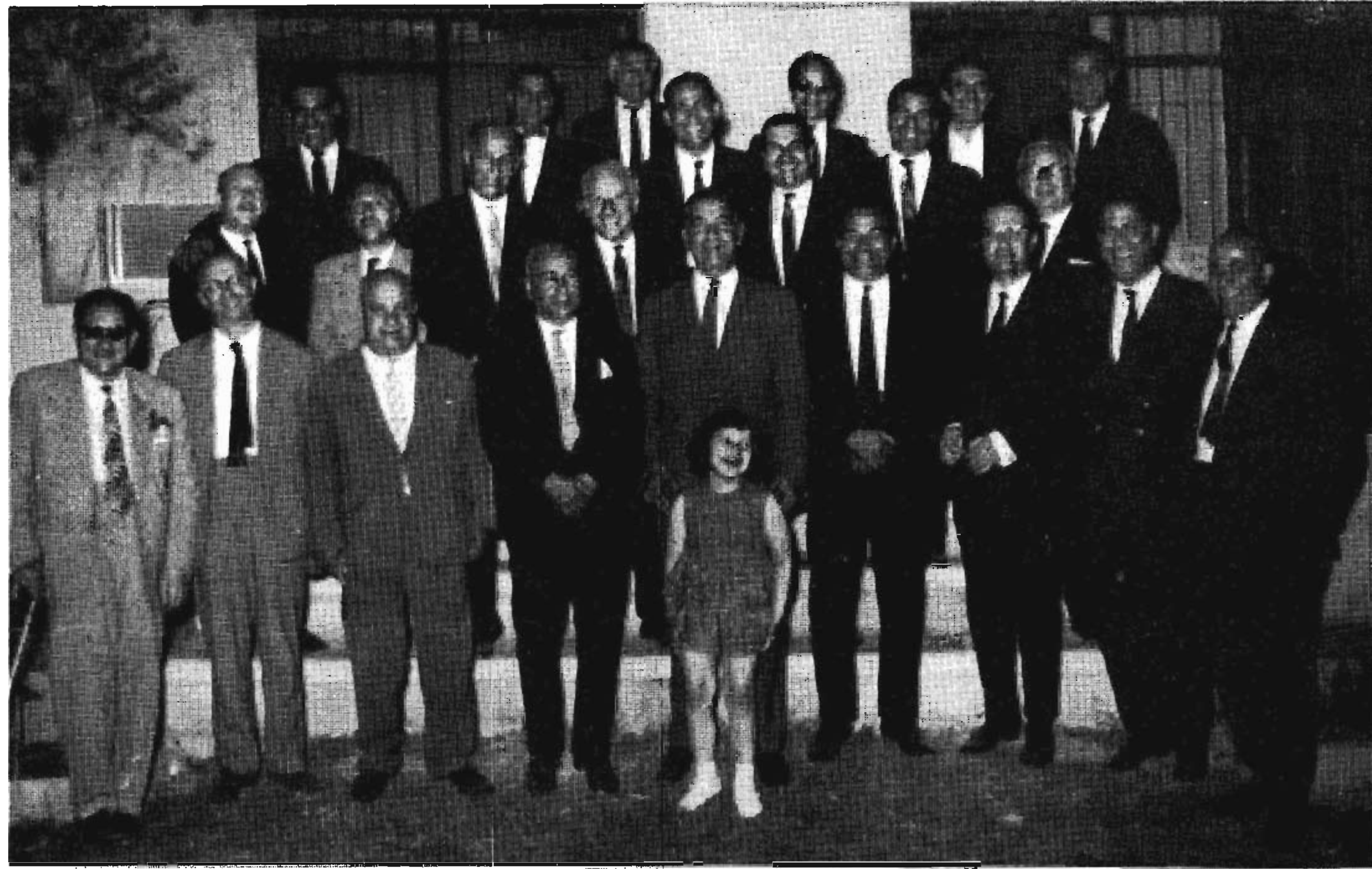
محمد حسن أبو المحاسن



عطا الخطيب



محمد السمــاوي



المؤلف في حفلة أدبية ببغداد وهو الثاني من اليسار (الصف الاول) والى يمينه الدكتور علي الوردي والى يساره الدكتور مصطفى جواد فجعفر الخليلي ففؤاد عبّاس ، وظهر أنور شاؤل الاول من اليمين في الصف الثاني (سنة ١٩٦٥)



من اليمين اليسار : جعفر الخليلي ، عبد الرحمن التكريتي ، حافظ جميل ، مير بصري ،
عبد القادر البرّاك ، خالص خليل عزمي في دار الدكتور عبد المجيد القصاب (ـ سنة ١٩٧٢)



المؤلف مع الدكتور عبد اللطيف حمزة ، الاستاذ المصري ، وعبد القادر عيّاش الاديب المحامي من دير الزور في سورية



مير بصري يلقي قصيدته والى يمينه الحبيب نويره سفير تونس والى يساره الدكتور حمد الكبيسي عميد كلية الشريعة وذلك في حفلة الربيع على العشاء (رز بالباقلاء) في دار الدكتور القصاب بكرادة مريم ٢٠ نيسان ١٩٧٤



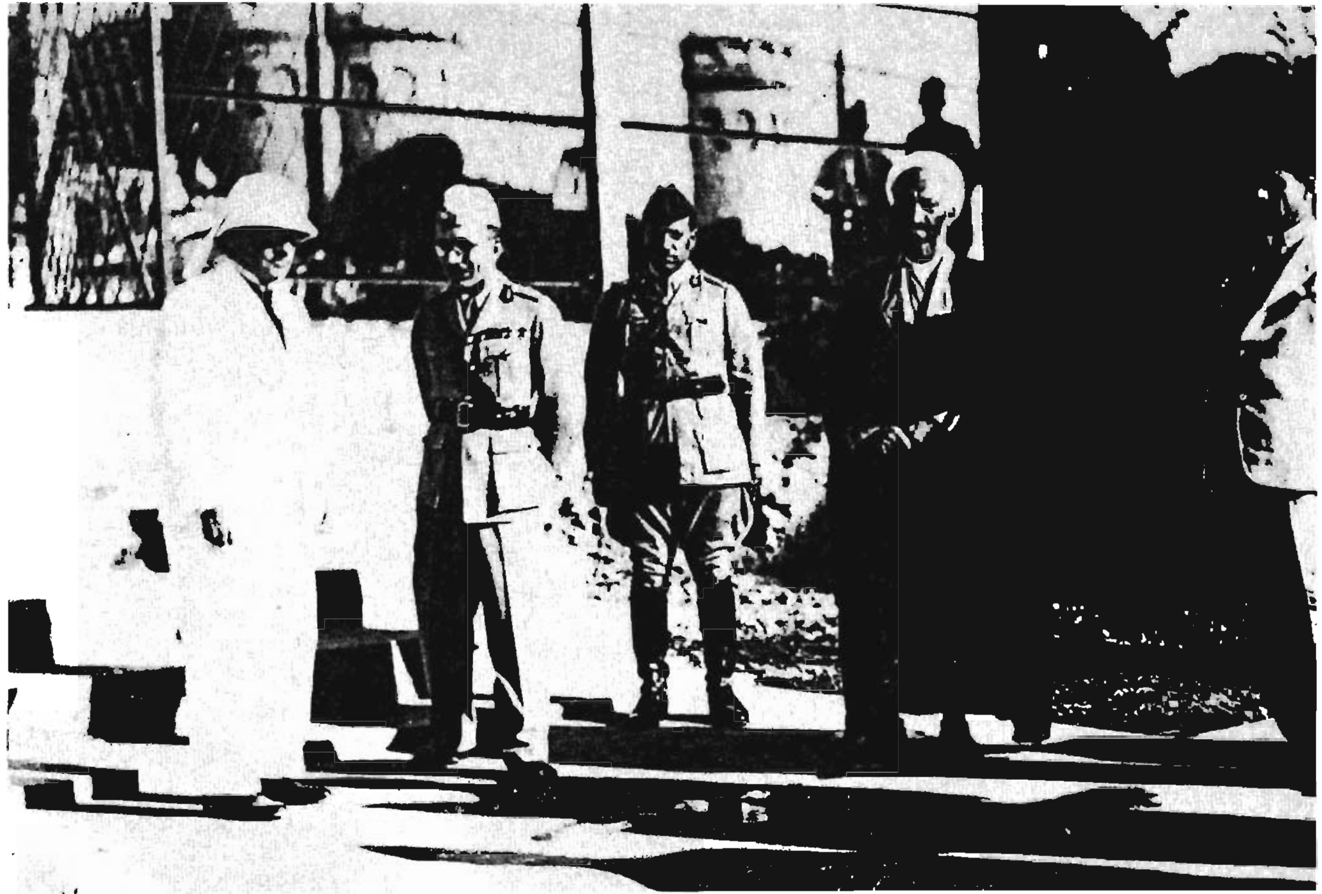
المؤلف في حفلة أدبية : الاول من اليمين ، ثم الدكتور أحمد سوسة ومشكور الاسدي وفؤاد عبّاس
(سنة ١٩٧٤)



محمد مهدي البصير



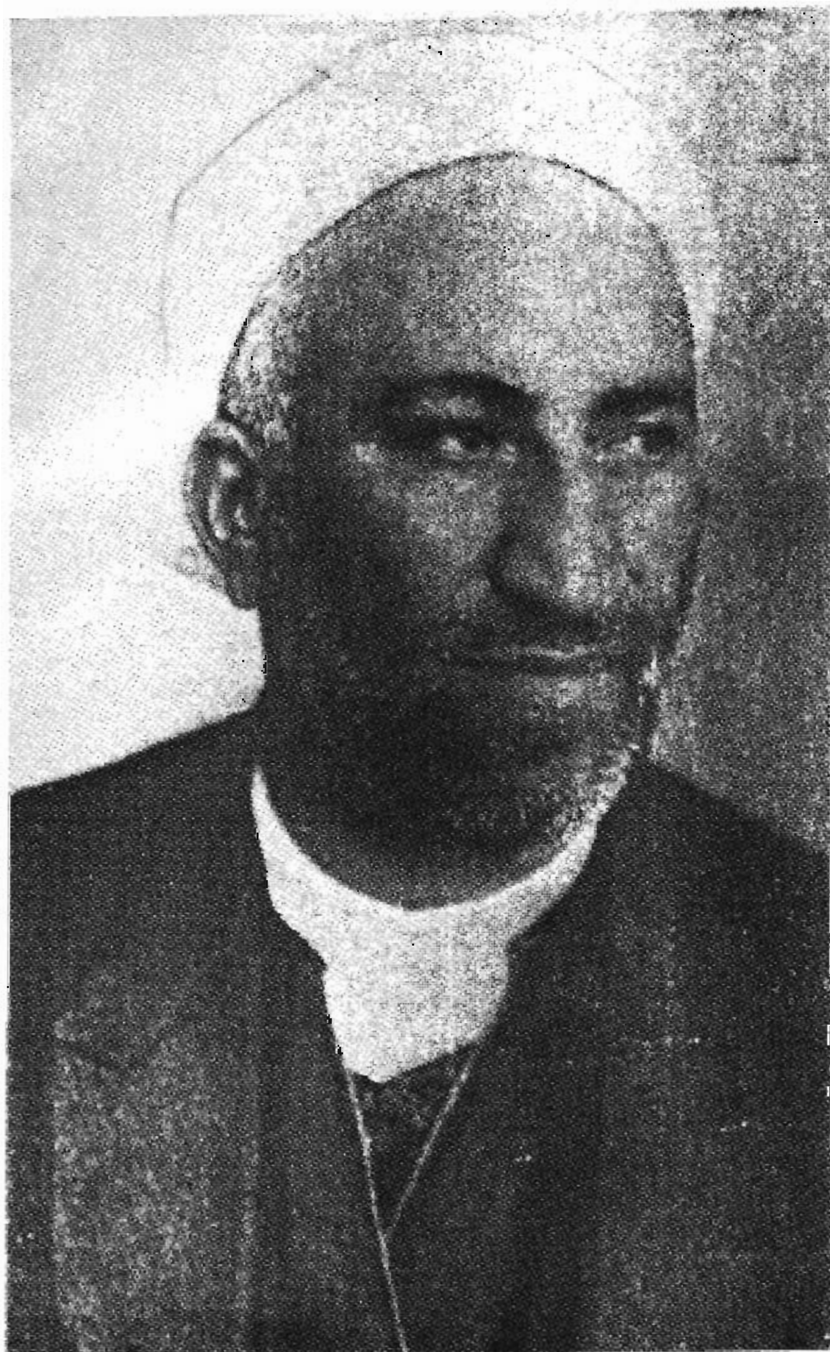
محمد حبيب العبيدي



(من اليمين) محمد زكي رئيس مجلس النواب ، محمد رضا الشبيبي وزير المعارف ، المرافق ، الملك غازي ، ساطع الحصري مدير الآثار العام (١٩٣٥) ، في افتتاح القصر العباسي



عباس العزاوي

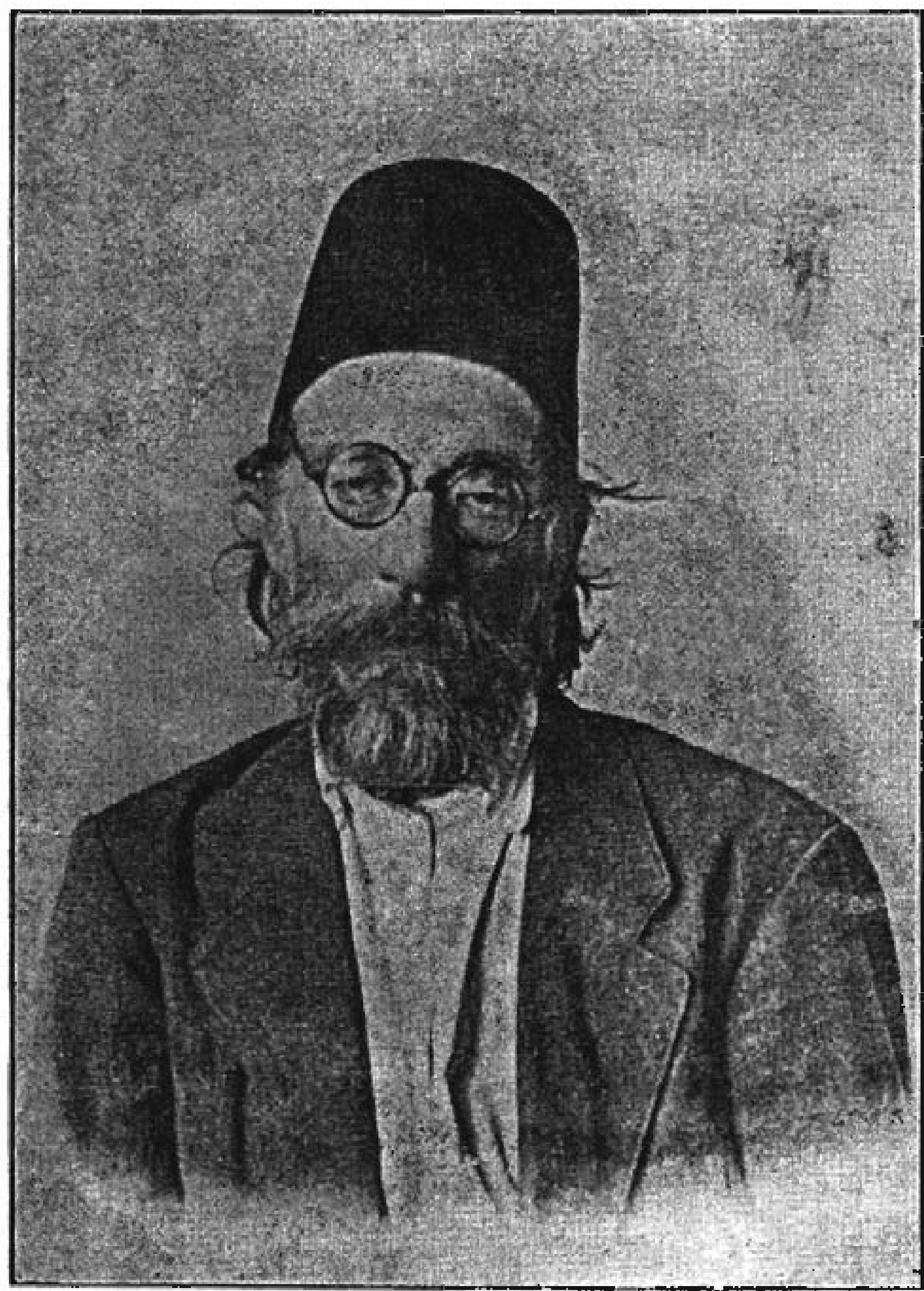


الشيخ محمد رضا الشبيبي

(صورة اخرى له)



معروف الرصـــافي



جميـــل صدقـــي الزهاوي



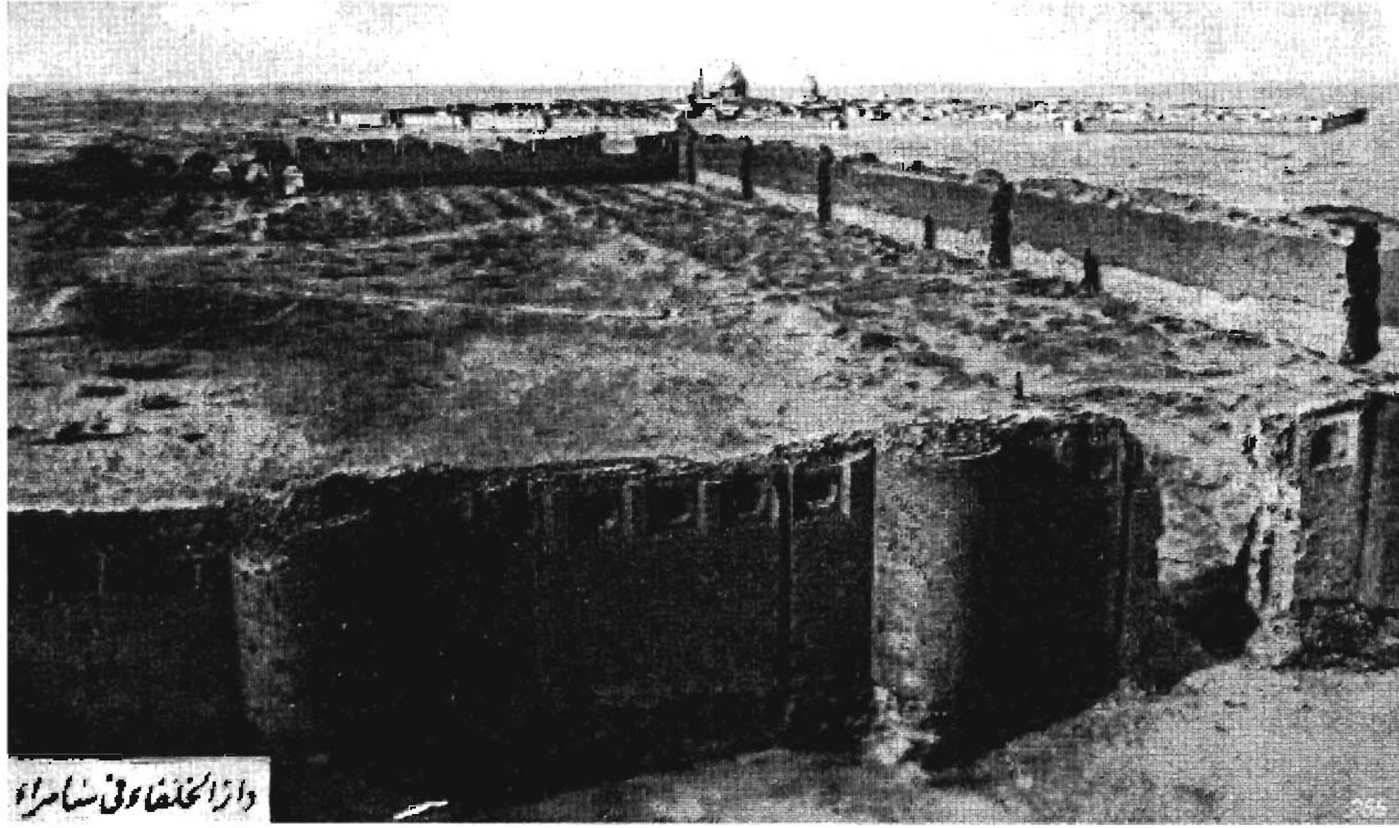
الشيخ علـــي الشرقـــي



رفائيل بطّي



الجسر القديم في بغداد



دار الخلفاء في سامراء

The insurrectionists are subdued only through the intervention of the Divine Throne."

Of Ma'ruf al-Rusafi (1875-1945), Jurji Says that he is another Iraqi bard of note. "His Arabic has a desert twang, luring and captivating. "I prize my frankness in word and deed, loathing to brook hypocrisy. Never did I cheat another soul, or give my word deceitfully. Little think I that good accrues from holding truth in secrecy..".

"Al-Rusafi links poetical potency and manliness. Hence his invariable continence while writing an ode, on the assumption that his vitality goes into the creation of verse..."

Muhammad Ridha al-Shabibi (1889-1965) is another eminent poet of the period. Several times minister of Education, president of the Senate and the Chamber of Deputies, Prof. Jurgi depicts him, through the changing circumstances of his career, as having his dour religious allegiance remaining unshaken in the shi'ite tradition of his forbears. "His poetry is pietestic and devotional; he views the future with optimism and composure. Nonetheless, he opens his mind to certain scientific shibboleths as "The survival of the fittest", and , in the same breath, assails the contemporary manifestations of idolatry. In the final analysis, he takes refuge in the mighty fortress of fatalism, finding no obstacle therein to the progress of Arab Youth."

The book includes biographies of the eminent and less famous Iraqi poets and writers of the century, e.g. Ali al-Sharqi (1890-1964), Mahmud Shukri al-Aloussy (1857-1924), Fahmi al-Mudarris (1873-1944), Père Anastase Marie al-Karmeli (1866-1947), Yusuf Ghanimah (1885-1950), Abbas al-Azzawi (1891-1971), Cardinal Ignatius - Gabriel Tappuni (1879-1968) and scores of others. Noted also are the two well - known popular vernacular poets Abbud al-Karkhi (1869-1946) and Hussein Qassam (1897-1958).

It also discusses the literature of the absurd, and concludes with the new wave of the neo-classical, symbolist, M.B. surreaslist and the so-called "free verse" schools.

(1788-1861), Edward William Lane (1801-1876), Henry Wüstenfeld (1808-1899), Rienhart Dozy (1820-1883), Theodor Nöldeke (1836-1930), Edward Henry Palmer (1840-1882) Ignatius Guidi (1844-1935), Ignaz Goldziher (1850-1921), Clement Huart (1854-1927), Edward Glaser (1855-1907), David Samuel Margoliouth (1858-1940), Edward Granvill Brown (1861-1926), Reynold Allen Nicholson (1868-1945), Louis Massignon (1883-1962), Sir Hamilton Alexander Gibb (1895-1971), Prof. Arthur John Arberry (1905-1969)...

* * *

The present book deals with the revival of Arabic literature in Iraq in the twentieth century. It covers all forms of literary arts; poetry, belles-lettres, history, theology and religion, the press, novel and shost story, etc.

Out standing among the poets of the Renaissance were Al-Zahawi, Al-Rusafi and Al-Shabibi. While adhering to the pure classical language, they introduced modern themes of nationalism, freedom of thought, education, emancipation of women, philosophical and ethical subjects, etc.

Prof. Edward J. Jurji, in his contribution to the Encyclopaedia of Literature edited by Joseph T. Shipley (New York, 1946) spoke of the new literary vision. He said, "Jamil Sidqi Al-Zahawi" (1863-1936), in his peculiar rhythm, contagious humour, prophetic tone and cynical style, blends the atheism of Umar al-Khayyam with the scepticism of al-Ma'arri. His "Thawrah fi al-Jahim" (Revolt in Hell), in 430 couplets, is illustrative of his luminous mind - He knows, but does not follow, Dante and al-Ma'arri.

The narrative opens when the angels Munkir and Nakir visit the poet as he rests buried in the grave. He parries their questions with the stock replies of a believing Moslem. Then he stalls:

"I believed, then denied.
Till they thought me a fickle man.
In truth, I am without the means
to say what my belief can be."

Al-Zahawi's closing pictures of Hell introduce the character of Layla, bride of his verse, and her beloved Samir. A galaxy of bards... are also there. Scholars, scientists, philosophers, all that denied a hereafter, people of the region. One of these brilliant inmates invents a fire extinguisher, making possible the revolt against the custodians of hell.

Eminent Men of Letters
in modern Iraq.

A history of Modern Iraqi Literature
of the Twentieth century.

Foreword

The classical Arabic literature has had an unbroken history extending for fifteen hundred years since the pre-Islamic days known as the "Jahiliyah"

Many poets flourished in the deserts and oases of the Arabian Peninsula as well as in the towns of Yemen, Syria and Iraq, where small Arab principalities thrived.

The Ummayad Dynasty (661-750 A. D.) in Damascus and the Abbassids (750-1258 A.D.) in Baghdad saw long periods of literary regeneration, including poetry, language and grammar, philosophy, history, medicine and science and, of course, Islamic and religious studies. But the subsequent period, called the Era of Decline, extending to the midst of the nineteenth century, marked a decay of the literary arts.

The modern revival started in Egypt and Lebanon to be soon followed by Iraq, Syria and other Arab lands.

Many European Arabists have been interested in Arabic literature, wrote about its history and translated its jems into English, French, German, Russian and other western languages. Recent Arabic poetry, drama, novels and short stories were made available to world readers, and probably the culmination of Arabic literary achievement found its realisation in the award of the prestigious Nobel Prize to the Egyptian writer and novelist Naguib Mahfuz in 1988.

Of the orientalists who studied and wrote on Arabic literature we ought to mention Carl Brockelmann, author of extensive works on the subject. Other prominent Arabists in the last two centuries include George Sale (1680-1736), Antoine Silvestre de Sacy (1758-1838), Etienne - Marc Quatremere (1782-1857), George Wilhelm Freytag

Eminent Men of Letters in Modern Iraq History of Modern Iraqi Literature in the Twentieth Century

by

Meer Basri

With a foreword and notes

by

Dr. Jalil al - Atiyyah

DAR AL-HIKMA
Publishing and Distribution